دراسات فى

تاريخ العلاقات الدولية والحضارة الحديثة

الدكتور

فاروق عثمان أباظة

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر

ووكيل كلية الآداب لشئون التعليم والطلاب

جامعة الإسكندرية

١٩٩٦

دار المعرفة الجامعية

٤٠ ش سوتير - إسكندرية

ت : ٤٨٣٠١٦٣





بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

الصفحة

مقـدمـــة

المنهج العلمي لدراسة العلاقات الدولية والحضارة الحديثة

يتميز القرن العشرين الميلادى الذى أوشك على الانتهاء بأن العالم قد أضحى فيه يشكل كله وحدة متشابكة ، بحيث لا يستطيع شعب من شعوبه أن يعيش بمعزل عن الآخر أو يحيا غير متأثر بما يجرى فى العالم من تيارات وأحداث ، تلك التيارات التى تحركها القوى العالمية الممثلة فى الدول الكبرى.فتجرف فى غمارها الدول الصغيرة والشعوب الضعيفة التى تخلفت عن ركب الحضارة الحديثة .

ولقد مضى الزمن الذى إنطوت فيه بعض الشعوب على نفسها ، ولم تهتم بغير أمرها وغلّقت الأبواب دونها ، وما لبثت أن رأت الأقوياء يحطمون تلك الأبواب ، ويقتحمون عليها الديار ، ويسلبونها أعز ما تملك من أراض وأموال .

وقد شهد القرن العشرين الميلادى حربين عالميتين كبيرتين ، الأولى حدثت وقائعها ما بين عامى ١٩١٤و١٩١٨ ، والثانية ما بين عامى ١٩٣٩ و ١٩٤٥ وسار العالم بعدها الى طور تاريخى جديد تغيرت فيه الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، ثم تتابعت الأحداث وتنوعت وتشابكت ، وانقسم العالم على نفسه الى كتلة شرقية وأخرى غربية فى النصف الثانى من القرن العشرين الميلادى ، ووقعت شعوب مسالمة بين شقى الرحى ، تحاول جهد استطاعتها أن تقف من الكتلتين على الحياد ، لتجنب نفسها وتجنب العالم خطر الحرب ، وعانت تلك الشعوب من أثر الحرب الباردة التى كانت تشن عليها من الدول الكبرى من جهة، وبين تلك الدول بعضها وبعض من جهة أخرى ، حيث حرصت كل منها على تدعيم خطوط دفاعها بسلاسل من الأحلاف والتكتلات العالمية ، حتى شهد العقد الأخير من القرن العشرين الميلادى انهيار الكتلة الشرقية وتفككها ، وحدوث تحولات جسيمة فى مجموعة الدول الاشتراكية وعلى رأسها الاتحاد السوفييتى السابق ، وبدا أن خريطة العالم فى العقد الأخير من القرن العشرين الميلادى ستختلف كثيراً عن تلك الخريطة التى درسناها وعرفناها فى أعقاب الحرب العالمية

الثانية ، ولكن دون اللجوء الى اعلان أو قيام حرب عالمية ثالثة ، وأن العالم بدأ يدخل فى نظام دولى جديد .

وقد اتجه العالم المعاصر منذ مطلع القرن العشرين الميلادى الى التعرف على واقعه من خلال تتبع مسار العلاقات الدولية التى تنشأ بين دوله . ولهذا فعلى الرغم من أن العلاقات الدولية قديمة كواقع منذ تكون المجتمعات ونشأة الدولة ، إلا أنها حديثة كعلم يرجع ظهوره الى مطلع القرن الحالى .

وليس من المعهود أن يوجد علم اختلف المشتغلون به حول تحديد مضمونه وطبيعته ومنهجه ، كما اختلف المشتغلون « بالعلاقات الدولية » حول هذه الأمور كلها ، بل وحول وجود هذا العلم ، فى حذ ذاته ، كما للدراسة الاكاديمية تتصف بالتميز والاستقلال [١] .

والحقيقة ان ما يعترى علم « العلاقات الدولية » من غموض واضطراب انما يعود الى العوامل الثلاثة التالى :

أولاً : حداثة عهد هذا العلم بالمقارنة بغيره من العلوم المهتمة بدراسة الظواهر الدولية مثل القانون الدولى العام ، والتاريخ السياسى والدبلوماسى . فبالرغم من تعرض بعض الكتاب والفلاسفة السياسيين فى العصور القديمة والوسطة لعلاج امور تدخل فى المفهوم الحديث للعلاقات الدولية من خلال دراسات ذات طابع سياسى عام ، الا انه من المسلم به ان الدراسات المتعلقة بالعلاقات الدولية من خلال دراسات ذات طابع سياسى عام ، الا انه من المسلم به ان الدراسات المتعلقة بالعلاقات الدولية لم تكتسب ذاتية مستقلة الا فى العقد الثانى من القرن العشرين، عندما بدأت بعض الجامعات الامريكية والبريطانية فى الاعتراف بها كمادة مستقلة ومتميزة من مواد الدراسة الجامعية [٢] . وقد بدأ هذا الاتجاه فى اول الامر فى الولايات المتحدة

---

(١) Tryol, Antonio : Les doctorines relatives aux relations international, R.G.D.I.P., 1965, p. 10 Paul.

(٢) لعل من أوائل الرواد فى هذا المجال الاستاذ « بول راينش Paul Reinsch» فى محاضراته عن =

الامريكية خلال الحرب العالمية الاولى ، عندما اخذت جامعاتها ، الواحدة تلو الاخرى فى تدريس « العلاقات الدولية » كعلم مستقل تحت اسم The International Relations ثم مالبثت هذا الاتجاه ان انتقل الى الجامعات البريطانية ، فانشئ اول كُرمى للسياسة الدولية فى « جامعة ويلز » فى عام ١٩١٩ ، ثم توالى اعتراف الجامعات البريطانية الاخرى بهذه الدراسة كمادة مستقلة ومتميزة من مواد الدراسة الجامعية ، ولكن تحت اسماء مختلفة مثل « السياسة الدولية International Politics أو « الشئون الدولية International Affairs أو « الشئون العالمية World Affairs أو «العلاقات الدولية International Relations .

وقـــد ترتـب على ازدهار هـــذا اللـــون الجديد من ألوان الدراسة فى الجامعات الانجلو امريكية ، ان بدأت الجـامعات الفـرنسـية فى تناوله تحت اسم « الدراســات الدولية Les Etudes Internationales " أو " العلاقات الدولية " Les Relations Internationles " . كمـــا دخل ايضا ضمن برامج الدوامة فى الجـامعات الالمـــانية تحت اسم " السياسة العالمية Weltpolitike " أو تحـت اسم " الســياسة الخارجية Aussenpolititke" أو تحـت اسـم " العلاقات الدولية Internationale Pozeihunsen " [1].

ويمكننا القول بأن كافة جامعات العالم تعرف الآن هذا اللون من الوان الدراسة فى صورة أو فى أخرى . وقد لحقت كليتا الآداب والحقوق بجامعة الاسكندرية بهذا الربك فى الخمسينات من القرن الحالى ، بأسلوب جزئى متواضع عندما استحدثنا ضمن مواد الدراسة بالسنة الرابع قسم التاريخ مادة « تاريخ الى اضطراب مفاهيميا ، وسيطرة الغموض على طبيعتها ، بل وعلى محتواها كنتيجة

= السياسة الدولية المعاصرة بجامعة ويسكونس خلال عام ١٩٠٠ ، والمنشورة فى نفس السنة تحت عنوان : World Politics at the End of the Nineteenth Century as influenced by the Oriental Situation (New York : Ghe Macmillan Co., 1900).

(١) محمد سامى عبد الحميد (دكتور) : مقدمة فى العلاقات الدولية ، ص ١٢ – ١٣ .

منطقية لتباين الاتجاهات والمذاهب والافكار ولوجود الكثير من الكتابات التى لا تحتوى فى الواقع على أى فكرة ، ولا تعبر على أى اتجاه [1] .

وعلى الرغم من كل هذه الاعتبارات ، فاننا نهدف من دراسة « العلاقات الدولية » الى التعرف على مدى التغيرات التى ظهرت فى علاقات الدول بعضها مع بعض عبر عصور التاريخ ، وابراز السمات المختلفة التى تميز هذه العلاقات وتحدد ملامحها ، هذا فضلا عن البحث عن أسبابها ودوافعها ولهذا فانه لا يمكننا فصل دراسة « العلاقات الدولية » عن دراسة كافة الجوانب المتعلقة بالقوى المادية والمعنوية التى تسهم فى تقرير السياسات الخارجية للدول المختلفة والتعرف على الحياة الاقتصادية الى تحياها مجتمعات هذه الدول من جهة ، ودراسة الحركات الفكرية التى تنشأ فى تلك المجتمعات من جهة أخرى ، وتؤثر بطبيعة الحال فى علاقات الدول مع بعضها البعض .

والحقيقة ان ميدان دراسة « العلاقات الدولية » يحتاج الى كثير من الأبحاث فى المجالات المختلفة بمنهج شمولى ، واسع النظرة ، عميق التحليل . فعلى سبيل المثال نجد المسائل الاقتصادية قد بحثت عموماً فى وجهة نظر السياسة الاقتصادية للدول المختلفة ، بينما بقيت دراسة العلاقات التجارية بين هذه الدول على سبيل المثال تفتقر الى مزيد من البحث ، ومن ناحية أخرى نجد الابحاث المتعلقة بالبنيان الاجتماعى للمجتمعات المختلفة قليلة بدرجة لا تسمح فى أحيان كثيرة باستخلاص التفسيرات التى يمكنها أن تلقى الضؤ على بعض مظاهر العلاقات الدولية ونتائجها .

بل اننـــا فى نفـــس الـــوقت الذى نجد فيه دراسة العلاقات الثقافية بين الدول المختلفة تعطينا مادة علمية لدراسات هامة وقيمة ، فاننا نجدها فى معظمها تنحـصر فى دراســـة الشـــخصيات التى سيطرت على الحياة الفكرية والادبية والفنية فى تلك الدول ، أو التى وجهت الحركات الفكرية الكبرى فى مناطق متعددة من العالم .

---

(١) محمد سامى عبد الحميد (دكتور) : مقدمة فى العلاقات الدولية ، ص ١٥ .

أما عن التأثير المتبادل لهذه الحركات نفسها فانه يظل فى كثير من الأحيان يفتقر الى التعق والتحليل مما يصعب معه استخلاص تفسيرات موضوعية ، أو تقديم بعض المقترحات الناقدة التى يمكن أن تسهم فى إنجاح العلاقات الدولية ، بل ويمكن ان تجنب العالم مخاطر كثيرة [1].

ولهذا فان علم « العلاقات الدولية » ليس من اهدافه ان يكون سجلاً متصلا لتاريخ اى وطن محدد او قارة معينة ، فهذا يدخل فى اختصاص الدراسات التاريخية التقليدية . أما علم « العلاقات الدولية » فان معالجته ينغبى أن تكون أشبه بوضع خرائط لتتبع تيارات المحيط ، التى تبين تدفق الحركة بين قارات العالم ، ولا تكفى فقط ببيان المعالم الطبيعية للقارات منفصلة عن بعضها البعض وعلى المؤرخ المتخصص فى العلاقات الدولية أن يهتم بتغير الظروف المادية المترتبة على تطورات العلوم والثقافة الفنية ، والتنظيمات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وحركة التجارة والاستثمار العالميين ، وعلى المؤرخ فى هذه الحالة أيضاً أن يحاول وصف وتحليل هذا التغير بما يبرز دلالته العالمية ، وعلاقته بالتغيرات السياسية والثقافية التى تؤثر فى العلاقات الدولية وتحدد إتجاهاتها .

وسنحاول فى دراستنا هذه ، تتبع خط سير العلاقات الدولية فى التاريخ الحديث والمعاصر ، مع التركيز بصفة خاصة على القرن العشرين . وتكتسب دراستنا للعلاقات الدولية فى القرن العشرين بالذات معنى أدق بكثير مما يمكن أن تكتسبه حين تطبق على أى جيل سابق – وذلك فى مجال العلاقات الدولية على وجه الخصوص .

ولا يرحع هذا الى مجرد كونه الجيل الذى عرف حربين عالميتين ، أو شهد إنشاء أكبر منظمتين عالميتين وهما عصبة الأمم والأمم المتحدة ، فضلاً على الكثير من المنظمات الاقليمية بأنواعها المختلفة . بل إن ذلك يرجع الى انه حتى قرابة قرنين من الزمان لم يكن لكثير من الاحداث التى تجرى فى جزء من العالم سوى

---

(١) بيير رنوفان Pierre Renouvin تاريخ العلاقات الدولية ١٨١٥ – ١٩١٤ ، تعريب الدكتور جلال يحيى ، الطبعة الثانية ، ص . ك .

أصداء خافته نائبة ، إن لم يكن لها أثر على الاطلاق فى الأجزاء من العالم ، كما أن مصير القارات الست لم يكن متشابكا من قبل بالقدر الذى يحدث فى القرن الحالى .

لـذلك كـان أمراً طبيعياً ومناسبا حتى الأزمنة الحديثة أن تكون العلاقات الدولية راكدة الحركة نسبيا ، خاصة اذا استثنينا الغارات التى كانت تقوم بها عناصر أسيوية على أوربا من فترة لاخرى ، أو التى كانت تقوم بها عناصر أوربية على افريقيا أو أمريكا الشمالية ، بحيث كان تطور كل قارة يشكل قصة تكاد تكون مستقلة عن غيرها . ويمكن أن تكون قد حدثت نتائج حاسمة وبعيدة المدى ترتبت على هذه الغارات فى حد ذاتها . كما ترتب على غزوات البرابرة فى أوربا أو على غزوات المسلمين فى أسبانيا أو فتوح الأسبان فى أمريكا الجنوبية . غير أنه لم يقدر للأثر الكلى لهذه الحركات العظمى نفسه أن يوجد تفاعلا دائماً متصلاً بين التطورات التى وقعت فى كل قارة . بل إن هذا التأثير هو من خلق القرنين الآخرين من التاريخ الحديث وحدهما ، وهما وحدهما اللذان يظهر فيهما بوضوح تفاعل العلاقات الدولية ، ويصل التفاعل قمته فى القرن العشرين على وجه الخصوص .

ففى القرن العشرين أصبحت مثلا الثورة فى روسيا موضع الاهتمام المباشر لكثير من الدول ، وأصبح أى ركود اقتصادى فى الولايات المتحدة يؤثر فى مستويات معيشة الأمم الاوربية ويهز نظمها السياسية ، وأى حرب بين مجموعات من الامم الاوربية لم تلبث ان تنتشر حتى تجر اليها كل الشعوب الاخرى على الكرة الارضية تقريبا . وهذا يعنى أن التداخل بين القارات المختلفة فى العالم قد إزداد بدرجة لم يسبق لها مثيل من قبل ، على أن فكرة التداخل هذه تحتاج بدورها الى تعريف أدق . اذ أن كثيراً من كتاب ومؤرخى الجهل السابق ، ومن أبرزهم المؤرخ الانجليزى « هربرت جورج ويلز Herbert George Wells » دعو الى اقامة تنظيم عالمى سياسى واقتصادى على أساس أن العالم كان فعلاً عالماً واحداً من الناحية المادية . لكنهم من تحمسهم لوحدة العالم بالغوا عادة فى الدرجة التى بها

يمكن أن تتداخل هذه الأمم فى وحدة مجتمعة [١].

ويلاحظ أنه حتى يومنا هذا ما زالت قوة العوامل الانفصالية فى العالم تنشط ضد وحدته ، وتؤثر بطبيعة الحال تأثيراً بالغا على العلاقات الدولية مما يهدد الامن الدولى والسلام العالمى . وان كان يبعث فينا التفاؤل ان القارات الست فى العالم لاول مرة ، تهم إحداهم الأخرى حقيقة فى وقتنا الحاضر ، ولفترة طويلة فى المستقبل سيظل تدهور إنتاج المحاصيل أو الركود الاقتصادى أو مسائل الطاقة فى أى من هذه القارات يؤثر على غيرها جميعاً ، وستبقى الثورات السياسية أو المثل العليا الفعالة فى هذه القارات موضع الاهتمام المباشر الوثيق عند غيرها جميعاً . وبامكان أى حرب محلية أو أزمة ناشئة فى أى مكان أن تتحول فجأة الى حرب عالمية . وهكذا أصبحت القارات متداخلية كما لم تكن أبداً من قبل ، وزصبح هذا التداخل بهذا المعنى هو جوهر العلاقات الدولية التى بلغت ذروتها من التفاعل فى القرن الحالى بكل ما فيه من تقنيات وتكنولوجيات .

ومع اعتقادنا فى أن دراسة « العلاقات الدولية » فى القرن العشرين تعتبر دراسة لارقى مرحلة من التداخل المتزايد لهذه العلاقات فاننا سوف نبدأها منذ مطلع القرن السادس عشر لنتعرف على جذورها التاريخية . واننا ندرك مدى الصعوبات التى تواجهنا ونحن نقبل على هذه الدراسة ، اذ ان الباحث فى هذا العلم وتلك الفترة بالذات يفتقر لما يتوفر للمؤرخ من بصر فى الأمور بعد وقوعها فى أمان سابقة ومن معرفة بما تلاها حقا من أحداث وتطورات فضلاً عن تحفظ بعض القوى الدولية عن نشر وثائقها لفترة تصل الى ثلاثين سنة على نحو ما تفعله « المملكة المتحدة » فى الوقت الحالى . ولهذا يتعذر على المؤرخ « أكثر من المعتاد أنيميز بين حقائق الامور » فليست الصعوبة ، كما يفترض الكثيرون عادة ، فى معاناة المؤرخ للعلاقات الدولية من ندرة المادة أو من الافتقار الى المعرفة الصحيحة ، بل إن سبب متاعبه هو العكس ، ونقصد به كثرة التفاصيل التى يشتغل بها عدد كبير من

---

(١) « دافيد تومسن .Thomson, Dawid from 1914 to 1950 تاريخ العالم من ١٩١٤ – ١٩٥٠ ، مكتبة النهضة المصرية ص ١٢ .

المتخصصين فى الشئون الدبلوماسية والاعلامية وغيرها بحيث تصبح السيطرة عليها كلها من أصعب الأمور . وهذا الامر يتطلب من المؤرخ أن يبحث بنفسه ولنفسه عن منهج علمى يسير عليه فى الاختيار زمنها وفى إيجازها ليسطيع تركيزها الى حد يمكن معالجته والافادة منه .

ومن أهم الخصال التى يجب أن يتحلى بها مؤرخ العلاقات الدولية عند معالجته للموضوعات المعاصرة على وجه الخصوص هى مقدرته فى تحقيقه شيئاً من الفصل بين ذاته وبين الموضوع الذى يعالجه ، وشيئا من الترتيب والتنسيق ، ودقة فى حفظ النسبة الواجبة فى تفسير موضوعه . وعليه أن يحاول تفادى العثرات التى يمكن أن يتعرض لها نتيجة لاغراقه فى شعوره الوطنى أو القومى حتى لا يعرض نفسه للتأثير بضيق الأفق وهو يدرس العلاقات الدولية والتاريخ العالمى . إذ ما زالت الفكرة الوطنية أو القومية من أقوى العوامل فى العالم المعاصر ، يكاد يستحيل على مؤرخ العلاقات الدولية أن يتخلص مما يمكن أن تفرضه عليه من ضيق الأفق. على أنه يجوز لنا أن نتوقع أنه بقدر ما يجاهد المؤرخ فى النظر الى كل التواريخ القومية بعقلية دولية ، تسمو على القومية ، بقدر ما يوفق فى تحرير نفسه وعقله من ضيق الأفق فى مثل هذه الحالات ، ولا يتعارض هذا بطبيعة الحال مع اخلاصه لوطنه وقوميته وانتمائه الكامل لهما ، ولكن ذلك يساعده على أن يقدم نتاج التجارب التى تحياها شعوب العالم عبر التاريخ فى علاقاتها الدولية ، وما يحكم هذه العلاقات من أصول وقواعد ومشكلات وتفاعلات . وبذلك يستطيع المؤرخ أن يثرى تجربة وطنه وقوميته ، ويعزز الاتجاه نحو تحقيق السلام والرفاهية للمجتمع الانسانى بأجمعه .

والله ولى التوفيق .

د . فاروق عثمان أباظه
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر
كلية الآداب – جامعة الاسكندرية

البحث الأول

أثر تحول التجارة العالمية إلى رأس الرجاء الصالح علي مصر وعالم البحر المتوسط أثناء القرن السادس عشر



مقدمة

تعتبر حركة الكشوف الجغرافية التى تم شطر كبير منها فى نهاية القرن الخامس عشر الميلادى من أهم النتائج العملية للنهضة الاوربية الحديثة ، التى ارتبطت بموجه التعصب الدينى من قبل مسيحى أوربا ضد العالم الاسلامى . وكان ذلك رد فعل للوجود الاسلامى فى الاندلس الذى استمر قائما لمدة ثمانية قرون سابقة من ناحية العرب ، وللحروب الصليبية التى شهدها عالم البحر المتوسط وامتدت بين القرنين الحادى عشر والثالث عشر الميلاديين ، ولدور العثمانيين فى السيطرة على القسطنطينية عام ١٤٥٣ من ناحية الشرق . وقد أدى اندفاع القوات العثمانية الى شرق ووسط أوربا من جهة ، والى سواحل الحبر الأسود وأوربا عبر هذه المناطق ، وأثره بالتالى فى التجارة العالمية وطرقها ومراكزها ، هما حولها تماما الى موانى مصر والشام المطله على البحر المتوسط ، والتى كانت تسيطر عليها دولة المماليك آنذاك . وكانت الدولة المملوكية تستقبل التجارة العالمية عبر الذراعين البحريينى الممتدين الى أوربا وهما الخليج العربى من جهة ، والبحر الاحمر من جهة أخرى . وكان لنهرى دجلة والفرات من الجهة الاولى ولنهر النيل من الجهة الثانية أثرهم البالغ فى تسهيل حركة التجارة بحريا ، الى جانب طرق القوافل التى تربطهم بريا بموانى البحر المتوسط فى جانبيه الشرقى والجنوبى .

غير أن الغرب الاوربى فى نهاية العصور الوسطى وخاصة فى القرن الخامس عشر كان قد مل التعامل مع المماليك بسبب كثرة الضرائب وارتفاع رسوم الجمارك وقوة الاحتكارات . مما دفع الاوروبيين الى البحث عن طريق آخر أكثر أمنا واقل تكلفة وحققت هذا الهدف البرتغال التى اتجهت فى كشوفها للوصول الى الهند ناحية الشرق ، بعكس الاسبان الذين اتجهوا فى كشوفهم الجغرافية ناحية الغرب . فعبروا المحيط الاطلسى ووصلوا الى العالم الجديد . بينما اندفع بحارة البرتغال يحدوهم التحمس الدينى فداروا حول افريقيا ووصول رأس الرجاء الصالح فى سنة ١٤٨٧ ، ثم تمكنوا من الوصول الى الهند فى سنة ١٤٩٨ . ومن خلال

عدة معارك حربية تمكنوا من القضاء على نفوذ المماليك فى البحار الشرقية ، وسيطروا على تجارة الشرق ، مما كان له أكبر الاثر على مصر وعالم البحر المتوسط أثناء القرن السادس عشر ، فى المجالات الاقتصادية ، والسياسية ، والاستراتيجية . وسوف يضعف هذا الاثر تدريجيا منذ نهاية القرن السادس عشر وخاصة بعد انضمام البرتغال الى اسبانيا عام ١٥٨٠ ، وهزيمه الاسطول الاسبانى الارمادا أسطول انجلترا عام ١٥٨٨ . اذ سيتحول مركز النقل البحرى والتجارى الى قوى أوربية أخرى تمثلت فى هولندا وانجلترا وفرنسا . وسوف تتعاظم قوة انجلترا بوجه خاص فى هذا المجال لتصبح فى مقدمة القوى الاوربية التى ستنجح فى إحياء الطريق التقليدى القديم عبر مصر والبحر المتوسط فى نهاية القرن الثامن عشر .

والحقيقة أن أى مشتغل بالبحوث التاريخية لا يغيب عنه معرفة جوانب كثيرة من هذا الموضوع ، غير أننى أردت ببحثى هذا أن أضع هذه الجوانب مجتمعة تحت غلاف واحد ، وأن أقيم حجمه الحقيقى فى إحداث تغير فى الواقع الاقتصادى والسياسى والاستراتيجى الذى عاشته مصر وعالم البحر المتوسط ، منذ وصول البرتغاليين الى الهند عن طريق رأس الرجاء الصالح فى سنة ١٩٤٨ وحتى نهاية القرن السادس عشر ، أو بالاحرى نهاية الفترة التى ظهرت فيها انعكاسات هذا الحدث التاريخى الهام . وردود الفعل المختلفة إزاءه ، والنتائج التى ترتبت عليه .

ولهذا فاننى سأعالج هذا الموضوع من الناحية المنهجية بتقسيمه الى ثلاثة فصول ، أولها أتتبع فيه التجارة العالمية عبر مصر وعالم البحر المتوسط قبيل تحولها الى طريق رأس الرجاء الصالح فى نهاية القرن الخامس عشر ، وثانيها أتتبع فيه دور البرتغاليين فى إحداث هذا التحول فى نهاية القرن المذكور ، وثالثها أتتبع فيه الآثار التى أحدثها هذا التحول فى مقدرات مصر وعالم البحر المتوسط أثناء القرن السادس عشر من النواحى الاقتصادية ، والسياسية و البدبلوماسية ، والاستراتيجية ، والتى انعكست على جوانب الحياة فى هذه المنطقة الحيوية من العالم لمدى بعيد فى تاريخها الحديث .

وقد استندت فى هذه الدراسة الى عدد من المصادر الوثائقية والمخطوطة المعاصرة، والى عدد آخر من البحوث والمراجع المنشورة الموثقة . وكانت الوثائق المحفوظة بأرشيف الشهر العقارى بالاسكندرية ، والتى تخص محكمة الاسكندرية الشرعية ، والتى ارفقت بالبحث عشرين وثيقة مختارة منها لم يسبق نشرها ، من أهم المصادر الوثائقية لهذه الدراسة ، فهى تعد مصدرا خصباً وثريا للمادة العلمية ، كما تعتبر من أصدق وثائق تاريخ مصر فى العصر العثمانى ، وقد قسمتها الى مجموعتين أولهما تتعلق بالنشاط التجارى للتجار المغاربة فى الاسكندرية وعددها ثلاث عشرة وثيقة ، وثانيها تتعلق بالنشاط التجارى للجاليات الاوربية وبعض مواطنى جزر البحر المتوسط المقيمين بالاسكندرية وعددها سبع وثائق . وتعود جميعها الى منتصف القرن العاشر الهجرى والسادس عشر الميلادى .

وقد شرفت بتقديم هذا البحث فى ندوة « مصر وعالم البحر المتوسط عبر العصور » التى نظمها سمنار الدراسات العليا للتاريخ بكلية الآداب بجامعة القاهرة فى الفترة من ١٣ – ١٥ أبريل ١٩٨٥ . وكنت بحق من أكثر المستفيدين من الحوار العلمى الذى دار حول الابحاث التى قدمت فى هذه الندوة ، خاصة واننى اقوم بتدريس مقرر « علاقات مصر الدولية بشعوب البحر المتوسط فى العصور الحديثة » لطلاب الدراسات العليا بمعهد دراسات البحر المتوسط بكلية الآداب بجامعة الاسكندرية كما أشرف على بحوثهم . وأرجو أن أكون بهذا البحث قد قدمت قراءة جديدة لموضوع تاريخى هام ، يجمع بين ثناياه أبعادا اقتصادية وسياسية واستراتيجية فى آن واحد ، فضلاً عن كونه محور تحول وانتقال من العصور الوسطى الى العصور الحديثة .

والله ولى التوفيق ...

د . فاروق عثمان أباظه



الفصل الأول

التجارة العالمية عبر مصر وعالم البحر المتوسط قبيل تحولها الى طريق رأس الرجاء الصالح فى نهاية القرن الخامس عشر الميلادى

كانت التجارة العالمية الآتية من بلاد الشرق الى أسواق أوربا طوال العصور القديمة والوسطى تظفر برواج واسع وتحقق أرباحا خيالية للمشتغلين بها منذ شحنها فى موانى التصدير الاسيوية والافريقية المطلة على المحيط الهندى حتى يتم توزيعها فى أسواق أوربا . وكانت هذه التجارة تعبر مصر والشام لتصل الى عالم البحر المتوسط حيث تستقبلها الموانى الاوربية التى تقوم بتوزيعها فى أسواق أوربا . وكانت هذه السلع متعددة ومتنوعة ويتشكل قوامها من البخور ، والعطور ، والتوابل[1] ، التى عرفت تجارتها باسم تجارة الكارم [2]، والعقاقير ، والبن ، والاقمشة الحريرية ، والسجاجيد ، والعاج و الاحجار الكريمة والاخشاب النادرة التى يصنع منها أرقى أنواع الأثاث الفاخر والتحف الثمينة . فالتوابل كان فى مقدمتها القرفة والجنزبيل والفلفل وجوز الطيب ، واستخدمت فى اعداد ألوان الطعام ، وأصبح عليه القوم من الاوربيين لا يقبلون على طعام لم يمزح بالتوابل الشرقية [3]. كما اقبلت النساء الاوربيات على المسك والعنبر وماء الورد وأطيب أنواع العطور والبخور والمنسوجات الحريرية الراقية ، وكانت تشاركن فى ذلك أيضاً الكنائس فى أوربا . أما العقاقير المتعددة الانواع مثل الافيون والكافور والصمغ وغيرها ، فكان الاوربيون يستخدمونها فى اعداد الدواء ويكتبون عليها ما يدل على استيرادها من بلاد الهند أو بلاد

---

(١) نعيم زكى فهمى (دكتور) : طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب (أواخر العصور الوسطى) ص ١٩٢ .

(٢) توفيق اسكندر (دكتور) : بحوث فى التاريخ الاقتصادى (مترجم) الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ١٩٦١ ، ص ١٤٠.

(٣) Howe Sonia, In Quest of Spices pp. 13,14.

العرب تاكيداً لجودتها[٤] .

وكان البن من أهم السلع الشرقية التى انفردت بلاد اليمن فى العصور الوسطى بانتاجه ، واقبل عليه الاوربيون اقبالات متزايداً ، حتى كان هذا المحصول فى القرون التالية موضع تنافس حاد بين شركة الهند الشرقية الانجليزية (١٦٠٠ – ١٨٥٨) وبيع طلائع التجار الامريكيين الذين حاولوا احتكاره فى النصف الاول من القرن التاسع عشر ، مما جعل بريطانيا تعمل على كسر احتكار الامريكيين لهذه التجارة وتحويلها من ميناء مخا اليمنى الى ميناء عدن الذى قامت باحتلاله فى ١٩ يناير ١٨٣٩ [٥].

أما بالنسبة لتجارة الاقمشة الحريرية فقد عرفت فى ديار الشام ومصر منذ القرن الاول قبل الميلاد حيث كان الرومان يحتلون تلك البلاد . وكان الحرير هو المادة الرئيسية فى الاتجار بين العالم الرومانى والصين ، اذ كان الحرير يشكل تسعة أعشار ما يستورده الرومان منها ، وكان يصل الى موانى صور وصيدا وانطاكية والاسكندرية. وفى الموانى الفينيقية كان يعالج بالاصباغ المختلفة ، وأشهرها الارجوان ، وعندها يصبح لباس الاباطرة . وفيما بعد أصبح لباس كبار رجال الكنيسة ، وظل انتاج الحرير حكرا على الصين ، والاتجار به خاضعا لمن يتولى ايران الى أواسط القرن السادس للميلاد عندما حمل راهبان بعض بذور القز فى جوف عصيهما خفيه الى الجانب الشرقى من حوض البحر المتوسط ، وعندها باشرت تلك المنطقة بانتاج الحرير . وانتشرت صناعة الحرير فى لبنان بسبب جودة المناخ لزراعة التوت وحفظ الشرانق صيفا ومهارة الصناع فى خدمة الحرير نسجاً وصباغة. وكان الحجاج النبادقه والجنويون وغيرهم يعودون من الاراضى المقدسة حاملين معهم النسائج الحريرية التى كان الطلب يتكاثر عليها فتضطر مراكب البندقة الى

---

(٤) عبد العزيز محمد الشناوى (دكتور) : اوروبا فى مطلع العصور بجامعة عين شمس ١٠ – ١٥ مارس ١٩٧٩ ، ص ٣٧٧.

(٥) فاروق عثمان اباظة (دكتور) : التنافس الدولى فى جنوب البحر الاحمر فى النصف الاول فى القرن التاسع عشر ، ندوة « البحر الأحمر فى التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة » التى اقامها سمنار الدراسات العليا للتاريخ الحديث، ج ١ ، ص ١٦٠ .

المكوث طويلا فى مرفأ صور فى انتظار الفراغ من تجهيزها . وبعدها كانت الاقمشة الحريرية محصورة الاستعمال فى تزيين المذابح وجدران الكنائس ، فقد انتشر استخدامها فى قصورة الامراء الذين تسربلوا هم ونساؤهم بالالبسة الحريرية ، كما صنعت من الحرير الاعلام وأعشية الاسرة ، وازدانت بها الخيام وأماكن الاستقبال فنشط طلبها من الشرق نشاطاً كبيراً [٦] .

وكانت التجارة العالمية بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى تسلك عدة طرق برية وبحرية من مصادرها الاصلية فى بلاد الشرق والتى يطل معظمها على المحيط الهندى حتى تصل الى الاسواق الاوروبية . وكان الحجم الاكبر من هذه التجارة يسير فى طريقين اولهما : طريق البحر الاحمر الى السويس ثم الى القاهرة بالقوافل ، ومنها على ظهر السفن فى فرع رشيد الى قرب مدينة الرحمانية ، ومن هناك الى الاسكندرية ، أما بالملاحة فى ترعة كانت تصل ما بين النيل والاسكندرية أو على ظهر الدواب [٧] . وثانيهما : طريق الخليج العربى ونهر الفرات، ثم الى حلب ومنها الى الموانى الواقعة شرقى البحر المتوسط [٨] .والى موانى مصر والشام كانت تأتى سفن البنادقه والجنويين وغيرهم ، فتنتقل سلع التجارة الى أوربا . ولما كان سلاطين المماليك يحكمون مصر والشام فى نهاية العصور الوسطى وحتى مطلع القرن السادس عشر ، فقد كان الطريقان فى قبضتهم . وبذلك جنوا فوائد مادية عظيمة ، من الضرائب الكثيرة التى كانوا يفرضونها على هذه التجارة عند مرورها بالاراضى المصرية والشامية ، فضلاً عن احتارهم لكثير من سلعها المختلفة [٩] .

ومنذ اواخر القرن الثالث عشر الميلادى بدا ملوك « ارغونة Aragon »كذلك

---

(٦) نقولا زيادة (دكتور) : الطرق التجارية فى العصور الوسطى ، مقال نشر بمجلة تاريخ العرب والعالم التى تصدر فى بيروت السنة السادسة العددان ٧١-٧٢ ، سبتمبر - أكتوبر ١٩٨٤ ، ص ٣٨ - ٤٠ .

(٧) نعيم زكى فهمى (دكتور) : المرجع السابق ، ص ١٢٤ .

(٨) Wilson, A.T. The Persian Gulf, pp. 10,13.

(٩) سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور) : مصر فى عصر دولة سلاطين المماليك البحرية ، ص ٢٠٨.

يحـــرصون على اقامة علاقات قوية مع سلاطين المماليك فى مصر والشام من أجـــل رعـــاية شئون كاثوليكيى الشرق وفتح أسواق جديدة لارغونة فى مصر . وقد أثبتت المصالح التجارية والاقتصادية تفوقها على المصالح الدينية فى علاقات الاوربيين بالمماليك ابتداء من القرن الرابع عشر الميلادى بحيث كان لكل من البندقية وجنوة وأرغونة تجارة نامية مع مصر ، وساعدتهم علاقاتهم التجارية الطيبة بالمماليك على التدخل لصالح المسيحيين الكاثوليك المقيمين فى أراضى الدولة المملوكية آنذاك[١٠] .

وكانت مدينة القاهرة عاصمة العالم التجارية فى عصر سلاطين المماليك خاصة بعد أن انسدت طرق التجارة العالمية الكبرى بين الشرق والغرب فى ذلك العصر نتيجة لوقوع معظمها تحت سيطرة التتار ، وبقى طريقى مصر والبحر الأحمر وحده بعيداً عن تهديدهم ، الامر الذى مكن سلاطين المماليك من احتكار التجارة الشرقية وخاصة تجارة التوابل . وقد عاد ذلك على المماليك وعلى عاصمتهم القاهرة بثروة فائقة [١١] ،بحيث اكتظت بالقصورة والمنشآت الدينية كالجوامع والزوايا والمدارس ، والمنشآت الاجتماعية كالسبل والبيمارستانات والحمامات ، والمؤسسات التجارية كالأسواق والفنادق والوكالات . وقد اكتظت القاهرة بالمماليك وهم الطبقة الحاكمة والسائدة فى البلاد ومعظمهم من التركة والجراكسة ، ومن المواطنين المصريين ومنهم العلماء والتجار وأصحاب الحرف والعامة من المسلمين وأهل الذمة ، فضلاً عن الاجانب من التجار والسُفراء والرحالة وغيرهم ، الذين وفدوا على مصر من مشارق الارض ومغاربها ومن البلاد الاسلامية والمسيحية سواء. وكثرت فى القاهرة فى العصر المملوكى الاحتفالات والمراكب ، واتصفت الحياة اليومية فى شوارع القاهرة بكثرة الباعة الجائلين ، هذا عدا المارة من النساء اللائى تمتعن بحرية واسعة فى الخروج من بيوتهن ، فكن يترددن فى الاسواق لشراء ما يلزمهن أو يترددن على الحمامات العامة لاستكمال زينتهن . وهناك يأنسن

---

(١٠) قاسم عبده قاسم (دكتور) : **أهل الذمة فى مصر فى العصور الوسطى** ، من ٩٧ – ٩٨ .
(١١) سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور) : العصر المماليكى فى مصر والشام ، ص ٢٨٤ .

ببعضهن ويقضين الساعات يتناقلن أخبار البيوت وأسرار العائلات [١٢]. واذا كان أهل القاهرة على عامة الاهالى من المصريين ، أو نتيجة لضيق اقتصادى بسبب انخافض النيل وما ينجم عنه من ارتفاع الاسعار وانتشار الوباء ، أو نتيجة لفتنة بين طوائف المماليك وعصبياتهم . فان ذلك كله لم يفقد أهل القاهرة روح المرح وتعدد وسائل التسلية والترويح عن النفس ، كالخروج الى الحدائق والى شاطئ النيل ومشاهدة خيال الظل والعاب الحواة والقردة وعيرها [١٣].وقد قيل عن مجتمع القاهرة فى عصر سلاطين المماليك أنه كان ذا واجهتين ، أوبعبارة أخرى كان مزدوج الشخصية ، ظاهرة التقوى والتدين ، وباطنه الاثم والفساد . فرغم ان القاهرة صارت مقر الخلافة العباسية بعد أن سقطت فى بغداد على أيدى التتار ، الامر الذى جعلها محوراً لنشاط دينى فذ ، تشهد عليه كثرة المنشآت الدينية الضخمة مثل الجوامع والربط والزوايا والمدارس وغيرها ، فقد انتشرت فيها من ناحية أخرى الامراض الخلقية المختلفة [١٤]،وكان ذلك ناتجا عن اكتظاظ المدينة بالسكان . ووفود نسبة كبيرة من الاغراب اليها ، وقيام طبقة حاكمة حديثة عهد بالاسلام بالاشراف عليها فضلاً عن الثورة الكبيرة التى هبطت على ذلك المجتمع من عوائد التجارة وجعلت القاهرة عاصمة العالم التجارية ، وقد اعتبر ابن خلدون ان هذه الثروة الكبيرة كانت السبب وراء تلك الانحرافات [١٥].وكان تحول التجارة العالمية عن مصر وعالم البحر المتوسط فى نهاية القرن الخامس عشر وخلال القرن السادس عشر من أبرز العوامل التى أثرت على مدينة القاهرة وعلى النشاط الاقتصادى والاجتماعى لسكانها .

وقد ظهر تنافس شديد بين القاهرة والاسكندرية حتى نهاية العصور الوسطى فى بيع وتوزيع سلع الشرق وسلع الغرب من التجارة العاليمة ، ولكن ظلت القاهرة

(١٢) سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور) العصر المملوكى فى مصر والشام ، ص ١٧٣ .

(١٣) ابن اياس : محمد بن احمد : بدائع الزهور فى وقائع الدهور . جـ ٣ ، ص ٣٤٧ .

(١٤) سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور) : المجتمع المصرى فى مصر السلاطين المماليك ،ص١٥٣ .

(١٥) ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد : مقدمة ابن خلدون ، ص ٤١٨ .

نقطة تجميع السلع ، ومركز توزيعها شرقاً للسلع الغربية وغرباً للسلع الشرقية والمحلية ، نظراً لتوسط مركزها ، كما كانت أقصى ما يصل اليه التجار الاجانب الوافدين لمصر ، حتى انه قد نص على ذلك فى المعاهدات التجارية بين مصر والدول الاوربية (١٦). وقد خصصت بالقاهرة أحياء معينة لتجارة التوابل والعطور والسلع الشرقية والغربية وللتجار فيها مخازن وقياسر ووكلات وفنادق وأماكن خاصة لدوابهم ، لاسيما الوافدين من الشام أوبلاد العرب أو السودان وأحيانا من فارس ، وقد زار القاهرة فى أواخر القرن الخامس عشر بعض الرحالة الاجانب ووصفوا مدى الازدهار التجارى الذى عاشته المدينة فى العصر المملوكى حتى بداية القرن السادس عشر (١٧).

ويقترن بذكر القاهرة ميناؤها الهام على النيل عند بولاق والذى ظل الميناء الرئيسى للقاهرة على النيل حتى أواخر العصور الوسطى . وتدخل الميناء آلاف السفن المحملة بالسلع والمتاجر من الشرق والغرب ، فتصله من الاسكندرية عن طريق فرع رشيد ، ومن موانى الشام عن طريق فرع دمياط ، ومن الجنوب سلع الحبشه والنوبه ، وموانى البحر الأحمر . ووجد بميناء القاهرة مخازن ومتاجر ووكلات واسعة . كما وجد بها رجال الحكومة وعمال الجمرك بصفة دائة لتحصيل الرسوم المتسحقة على التجارة . ولجمركها باب خاص بالمسافرين تفحص فيه حقائبهم ويدفعون ١٠ ٪ عما فيها ، « ودوكين » للمسافر العادى ، وخمسة للحاج ، مع دقة مراقبتهم ، مما كان يشكل حصيلة كبيرة للخزانة المملوكية (١٨).

أما بالنسبة لميناء الاسكندرية وأهميتها على طريق التجارة الدولية عبر مصر وعالم البحر المتوسط فى نهاية القرن الخامس عشر ، فقد كانت بحكم موقعها على

---

(١٦) Heyd. W. Historie du Commerce du levant au Moyen Age. T.II, pp.434.454.

(١٧) Howe Sonia Op. Cit. p. 99

(١٨) نعيم زكى فهمى (دكتور) : المرجع السابق ، ص ١٢٩ .

هذا البحر تفوق القاهرة فى اتصالها بأوربا مباشرة . وكانت المدينة تزدحم طوال العام بالاجانب الوافدين اليها للتجارة أو للعبور للحج للاماكن المقدسة فى سيناء وفلسطين . وكان لدول أوربا وعالم البحر المتوسط بصفة خاصة قناصل وسفراء ووالات وأحياء كاملة وفنادق بالاسكندرية يمارسون فيها حياتهم الخاصة فى حرية، وكان السلاطين المماليك قد سمحوا للحجاج العابرين بدخول النفادق منذ أواخر القرن الرابع عشر الميلادى بعد دفع رسم سنوى للسلطان . ومن أشهر الفنادق التى كانت تقوم بهذا النوع من الخدمات فندق أهالى مدينة ناربون ، وفندق النبادقة ، وفندق القطالونيين ، وكانت الاسكندرية قد خلفت مدينة دمياط كميناء مصر الأول على البحر المتوسط منذ النصف الثانى من القرن الثالث عشر بعد أى غزو أوربى منه ، لذا لم يعد فى استطاعة السفن الاوربية الكبيرة الوصول اليها ، وأصبحت ترسو بالبحر قريبا من مصب فرع دمياط وتستخدم القوارب النيلية بينها وبين الميناء .

ولهذا شهدت مدنية الاسكندرية أروع أيامها فى النصف الثانى من القرن الخامس عشر وخاصة بعد عام ١٤٥٣ حتى ان ايرادات الحكومة كان معظمها من جمرك الاسكندرية التى كانت تتراوح يوميا فى فترات « مابين » الف وألفى دينارا عدا رسوم السفون والسيام والحجاج (١٩). والمدينة لا تقل اتساعا وأهمية عن اكبر مدن الحبر المتوسط التجارية مثل البندقية وجنوة ومرسيليا ، ولها عدة أبواب يفتح أحدها الى الميناء حيث يوجد به مرسى البرج للسفن الوافدة من أوربا ، ومرسى السلسلة للسفن الوافدة من شمال افريقيا ، وتقل فيه رسوم الجمارك عن المرسى الاول . والى الشرق من ميناء الاسكندرية يقع ميناء (أبو قير) عند بحيرة تعرف باسم (رأس المعدية) ويتصل الميناء . بقناة تصل للبحيرة . ويبعد الميناء حوالى ثمانية أميال شرقى الاسكندرية . وميناء أبو قير يعد مرفأ للسفن السورية القادمة للاسكندرية وتدخله السفن الصغيرة ، أما السفن الكبيرة . فتتصل به من البحر بواسطة القوارب (٢٠).

---

(١٩) نعيم زكى فهمى (دكتور) : المرجع السابق . ص ١٣٠ .
(٢٠) نعيم زكى فهمى (دكتور) : نفس المرجع ، ص ١٣١ .

وكانت لمدينة رشيد أهمية خاصة عند سلاطين المماليك ، حيث كانت الميناء الكبيرة للبحرية المملوكية مما جعل السلطان قونصوه الغورى (٢٠٧ - ٩٢٣ هـ / ١٥٠١ - ١٥١٦ م) يشيد بها سورا وأبراجا لحفظها . وكان محظورا دخول الاجانب الى رشيد نظرا لصفتها الحربية [٢١] ، وان كان السلطان الغورى قد سمح للتجار النبادقة بالدخول اليها والاستقرار فيها ، فضلا عن أقامة فندق لهم هناك ، نظرا لتفوق تجارتهم مع السلطنة على سائر الدول الأخرى [٢٢] . وقد نقل النشاط التجارى منها الى ميناء بلده فوة التى تتصل بالاسكندرية بقناة ملاحية ظلت تستخدم حتى مطلع القرن السادس عشر الميلادى . كما كانت تخرج من جنوبى رشيد قناة تصل الى ميناء البرلس بين رشيد ودمياط . وهو مفتوح للملاحة طوال العام ، وله مدخلان الشمالى للسفن المسيحية والغربى للسفن الاسلامية وكانت الموانى تتبع نائب الاسكندرية الذى يحصل مندوبوه رسوم الدخول وشحن وتفريغ السلع . وقد اعتنى العثمانيون عقب فتحهم رسوم الدخول وشحن وتفريغ رشيد وقام بزيارتها السلطان سليم الأول (١٥١٢ - ١٥٢٠) وأنشا بها قيسارية وفندقا، كما داود باشا الخادم (٩٣١ - ٩٣٤هـ / ١٥٢٤ - ١٥٢٧م) قيسارية وفندقا ، كما أنشأ داود باشا (٩٤٥ - ٩٥٥ هـ / ١٥٣٨ - ١٥٤٨ م) فندقا آخر سمى خان داود باشا ، كما أنشأ على باشا فدقا عام (٩٥٦ هـ / ١٥٤٩م) بالاضافة الى خانات أخرى بفوه ، كما عمر وكالة كبيرة فى رشيد[٢٣] .

ومن أشهر موانى مصر كذلك ميناء دمياط النهرى البحرى ، وهو مخرج تجارة مصر لمدن وموانى الساحل الشرقى للبحر المتوسط والاناضول وكريت وقبرص ،

---

(٢١) ابن اياس : المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص ٩٥ .

(٢٢) جيرار ، ب .س : الحياة الاقتصادية فى مصر فى القرن الثامن عشر ، وصف مصر ، ترجمة زهير الشايب ، القاهرة ١٩٧٨ ، المجلد الرابع ، ص ٢١٠ .

(٢٣) صلاح احمد هريدى على (دكتور) : الحياة الاقتصادية والاجتماعية فى مدينة رشيد فى العصر العثمانى ، دراسة وثائقية ، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، المجلدان الثلاثون والواحد والثلاثون ، ١٩٨٣ - ١٩٨٤ ص ٣٢٨ - ٣٢٩ .

كما يتصل بالقوافل البرية الى موانى البحر الاحمر . ولا تدخل السفن ميناء دمياط مباشرة بسبب شدة التيار من النيل ، وكذلك لردم جزء من فم البحر عندها . انما يخرج من دمياط قناة الى بحيرة المنزلة حتى تدخل اليها السفن الكبيرة من البحر المتوسط حتى تنيس على بعد سبعين ميلا من البحر المتوسط ومثلها من قناة دمياط. وهى فى الواقع مركز تبادل السلع الواردة الى دمياط والصادرة منها . واشتهرت دمياط وضواحيها بخصوبة التربة ووفرة انتاج قصب السكر وصناعة السكر بصفة خاصة . وقد أرسل فرسان الاسبتارية فى رودس قنصلا لهم فى دمياط ليرعى الشئون التجارية ، كما وجد بدمياط عدد كبير من الاجانب اليونانيين والنبادقة والجنويين والفلورنسيين . وظلت قنصلية رودس قائمة حتى الفتح العثمانى لمصر عام ١٥١٧ [٢٤]. وعلى مقربة من دمياط يوجد ميناء البرلس الذى اشتهر بصيد البورى وتصديره مملحا الى رودس بصفة خاصة . وفى عامى ١٥٠٧ و ١٥٠٨ م دعا السلطان قونصوه الغورى التجار الفلورنسيين لزيارة دمياط والاسكندرية والبرلس . وفى بداية القرن السادس عشر كان للنبدقية قنصل فى البرلس لرعاية النشاط التجارى للنادقة هناك [٢٥].

هذه هى أبرز موانى مصر المطلة على البحر المتوسط فى نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر ، بالاضافة الى القاهرة عاصمة السلطنة المملوكية التى كانت للتجارة العالمية آنذاك .

اما بالنسبة لموانى مصر المطلة على البحر الاحمر فقد كان فى مقدمتها ميناء السويس ، الذى كانت تصل اليه السفن التجارية الصغيرة من ميناء جدة وعدن محملة بالتوابل والعطور والعقاقير والاحجار الكريمة والعنبر والمسك . ثم تحمل على ظهور الجمال عبر الصحراء الى القاهرة ، ثم بالنيل الى الاسكندرية . على ان هذا الميناء التجارى لم يلبث ان تحول وأصبح ميناء مصر الحربى على البحر الاحمر وبنيت به ترسانات السفن الحربية والتجارية القاصدة الى المياه الشرقية . ومنه تحرت

(٢٤) ابن اياس : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٩٢ .

(٢٥) Heyd, W. : Op.Cit., pp. 228,229.

سفن الاسطول المملوكى لمحاربة البرتغاليين فى المحيط الهندى فى مطلع القرن السادس عشر . وكذلك سفن الاسطول العثمانى خلال القرن المذكور(٢٦).
وعندما صارت السويس مرفأ مصر الحربى على البحر الاحمر فقد استقر رأى السلطات المملوكية على أن يحل ميناء الطور محلها فى التجارة فضلا عن ميناء القصير الذى يربطه طريق القوافل الى قنا على نهر النيل ومنها الى القاهرة . وقد اتبع فى ميناء الطور نفس النظام الذى كان لميناء السويس فسفن الهند لا تصله انما تفرغ حمولتها فى عدن وفيما بعد فى جدة فى النصف الثانى من القرن الخامس عشر ثم تنقل السلع الى الطور بالقوارب ومنها بالقوافل الى القاهرة . وكانت سفن التجارة الهندية تصل الى جدة مرتين فى العالم ، وفى كل مرة ينشط العمل فى ميناء الطور (٢٧). وفضلا عن أهمية الميناء التجارية فهو المحط الرئيسى للحجاج المسيحيين الوافدين لمصر من دير سانت كاترين بسيناء ، وللحجاج المسلمين المتوجهين الى مكة والمدينة المنورة . وكان الحجاج المسيحيون يهتمون خاصة بمواعيد وصول سفن التجارة الى الطور ، نظرا لان البندقية كانت تضع توقيتا وصول سفن التجارة الى الطور ، نظراً لان البندقية كانت تضع توقيتا لسفنها التجارية بالاسكندرية يتفق مع حساب فرق الوقت والتوزيع من الطور ، نظراً لأن البندقية كانت تضع توقيتا لسفنها التجارية بالاسكندرية يتفق مع حساب فرق الوقت والتوزيع من الطور للقاهرة ثم للأسكندرية ، وحتى يستطيع الحجاج المسيحيون القاصدون أوربا اللحاق بقوافل التجارة الى القاهرة والرحيل الى أوربا على سفن البندقية التى تنتظر المتاجر فى الاسكندرية (٢٨).

وتجدر الاشارة كذلك الى التجارة التى كانت ترد الى مصر والشام من الجزيرة العربية والتى كانت تختلف عن طبيعة منتجات وادى النيل فالجزيرة العربية كانت تحتاج الى المنتجات الزراعية بوادى النيل الخصيب كالحبوب بانواعها ، بينما كانت الجزيرة العربية تصدر الى مصر والشام البن الذى تجود زراعته فى بلاد اليمن .

---

(٢٦) Hammer. J.Histoire de L' Empire Ottoman ,, Tome 5 ,pp. 301, 302.
(٢٧) Heyd. W. Op. Cit. pp. 440,442.
(٢٨) نعيم زكى فهمى (دكتور) المرجع السابق ، ص ١٣٤ .

وبالاضافة الى ذلك كانت هناك فى الجزيرة العربية حركة تجارية كبيرة للسلع الهندية كالتوابل والاعشاب التى تصلح كعقاقير فضلا عن نوعيات الاقمشة التى كان يحضرها التجار الاسيويون من بلادهم (٢٩). الى مكة والمدينة المنورة وخاصة فى موسم الحج . وكان ميناء القصير وميناء السويس يستقبلان كثيراً من تلك السلع الاسيوية الواردة الى الجزيرة العربية ، كما كانتا تصدران الى الجزيرة القمح والدقيق والفول والعدس والسكر والزيوت ، وكان عرب الجهات القريبة عرب الطور، وعرب الحويطات يترددون على السويس يستقبلان كثيراً من تلك السلع الاسيوية الواردة الى الجزيرة العربية ، كما كانتا تصدران الى الجزيرة القمح والدقيق والفول والعدس والسكر والزيوت ، وكان عبر الجهات القريبة عرب الطور ، وعرب الحويطات يترددون على السويس للبيع والشراء ، فيبيعون لاهلها سلع البادية من سمن ونحوه ، ويشترون سلع المدينة من ثياب وغيرها . وكانوا يكثرون بها فى موسم الحج خاصة لبيع بضائعهم للحجاج ثم يعودون الى اقاليمهم .وقدغلب على سكان السويس عنصر التجار ووكلائهم ، فكان يقيم بها وكلاء عن تجار القاهرة والاسكندرية ووكلاء عن تجار الهند اليمن والحجاز والسودان (٣٠).

وجدير بالذكر ان طريق الحج كان سببا فى احياء مواتى السويس والقصير والطور وعدم هجرهم حتى بعد تحول التجارة العالمية الى طريق رأس الرجاء الصالح فى نهاية القرن الخامس عشر وخلال القرن السادس عشر الميلاديين (٣١). اذ ظلت السويس معبرا لتجارة مصر مع بلاد اليمن والحجاز والتى تجمعت فيها سلع كثيرة شرقية أحضرها معهم الحجاج من سائر انحاء آسيا وافريقيا(٣٢) . فكانت كل هذه المتاجر تمر بالسويس ومنها على ظهور الدواب الى القاهرة ، وكانت تصل الى

(٢٩) نعيم زكى فهمى (دكتور) : المرجع السابق ، ص ١٣٥ - ١٣٦ .

(٣٠) ليلى عبد اللطيف أحمد (دكتوره) : دراسات فى تاريخ ومؤرخى مصر والشام اثناء العصر العثمانى ، ص ١١٢ .

(٣١) Crouchley, M.E.: The Economic Development of Modern Egypt, P.34

(٣٢) **Shaw, S.J. : The financial and administrative organization and development of Ottoman Egypt , P.34.**

السويس مجموعات عديدة من السفن على مدار العام . وكانت السويس مقرا لجمرك هام يقيم فيه المقومون المثمنون الذين يقدرون اثمان البضائع ، فيؤخذ على المائة عشرة .ومن البضائع التى كانت ترد الى ميناء السويس الحرير الهندى ، والقطن الهندى ، والقطن السواكنى ، والفلفل ، والحبهان ، والبن ، والزنجبيل ، والقرفة ، وجوز الطيب ، وجوز النارجيل ، والنيلة الهندية ، والعقاقير ، والقلويات المستعملة فى الصابون والفحم السيال ، والسمن الشيحى ، والكافور ، واللالئ ، والطيور والقرود ، والظباء ، والغنم البرية .

ولما كانت رياح الجنوب تسودعادة البحر الأحمر منذ بدية ديسمبر وحتى منتصف فبراير ، فان موسم ارسال السفن الشراعية يتم تجاه الشمالى من جدة وينبع الى السويس . وفى بقية العام تهب الرياح من المنطقة الشمالية ، وعندئذ يمكن ارسال السفن تجاه الجنوب من السويس الى الجزيرة العربية .وعندما تكون الرياح مواتية تصل السفينة من جدة الى السويس فى خمسة عشر أو ستة عشر يوماً، فى حين ان المدة التى تستغرقها الرحلة العادية تبلغ عشرين او اثنين وعشرين يوما ، وتكون خمسة وعشرين او ستة وعشرين يوما بالنسبة السفن القادمة من ينبع[٣٣] .

وبالنسبة لعملية نقب البضائع الواردة من السويس الى القاهرة ، فقد كانت تحتكر نقلها اربعة قبائل تسلك كل منها طريقا مختلفا هى قبائل طرابين ، والحويطات ، وعرب الطور ، والعايدى . ويقدم هؤلاء العرب الجمال بحماليها ، وعددا مناسبا من قائدى الجمال الذين يخضعون لاوامر شيخ العرب .ويحمل الجمل الواحد من السويس الى القاهرة من خمسة الى ستة قناطير من البن ، وكانت فى السويس ثمانى عشرة وكالة مخصصة لسكنى التجار الاجانب ولكى يستخدمونها كمخازن . وكانت شوارع بندر السويس نظيفة ومبانيها منتظمة وبها ثلاثة ميادين ، وقد أثر النشاط التجارى على المدينة فبدت أفضل من غيرها من

(٣٣) ليلى عبد اللطيف أحمد (دكتوره) : دراسات فى تاريخ ومؤرخى مصر والشام ابان العصر العثمانى ، ص ١٢١ .

المدن المصرية فى القرن الخامس عشر .

وتجدر الاشارة الى أن السويس كانت فى نهاية القرن الخامس عشر مقراً لجمرك هام عرف باسم « جمرك عشور أصناف بهار وتوابعها » ، وكان هذا الجمرك يثرى الخزانة المملوكية الى جانب جمرك الاسكندرية وجمرك رشيد وجمرك دمياط وجمرك البرلس ، وكان الاخير يختص بالمتاجر الواردة من الدلتا ومن الصعيد .

كذلك كانت تصل الى مصر عن طريق الصعيد القوافل التجارية الآتية من داخل افريقيا مثل قافلتى دارفور وسنار [٣٤]. وكانتا تسهمان فى تجارة الرقيق والعاج والصمغ ، والتمر هندى ، وجلود الكركدن . وتصل هذه القوافل الى أسوان التى كانت ميناء هاما على النيل عبر العصور – ثم تصل الى أسيوط حيث كانت تفرض عليها ضرائب تقدر على الرقيق والجمال وما تحمله من سلع . ثم تنقل البضائع بعد ذلك فى قوارب عبر النيل الى القاهرة . وكانت تباع فى أسيوط معظم الجمال التى تصاحب القوافل ويحتفظ بما يقرب من خمس عددها ليستخدمه التجار فى رحلة العودة من دارفور وسنار ، كانت تتم الرحلات مرات عديدة فى كل عام . وكان التجار من الاقمشة ولوازم الخيول ، والبن ، والسكر والاسلحة والمعادن والزجاج الملون ، وكان بعض هذه السلع يصل الى مصر من أوربا عن طريق البنادقة [٣٥].

وكانت تربط السلطنة المملوكية بملوك افريقيا علاقات تجارية مع بلاد التكرور أو مالى ، وسلطنة برفو أو كانم ، ومملكة غانة ، ومملكة سنغاى ، ومن أشهر تجارة المماليك مع دول افريقيا الصناعات المصرية على وجه الخصوص ، مثل تطعيم المعادن والجوار ، أو ما كان يطلق عليه التزميك أو التكفيت ، وهى صناعة دقيقة أصبح للقاهرة أسلوب خاص فيها فى صناعة الاوانى النحاسية ، كالاباريق والمباخر

---

(٣٤) صلاح هريدى على (دكتور) : دور الصعيد فى مصر العثمانية ١٢٣١ – ١٢١٣ هـ / ١٥١٧ – ١٧٩٨ هم) ، ص ٢٧٨.

(٣٥) Crouchley, M.E. : Op. Cit.pp.33,34.

والثريات والطاسات والمسارج . وكذلك صناعة السرج التى كانت لها سوق خاصة ، وصناعة السجاد التى بلغت عادية الرقى ، وصناعة الرجاج ، وان كان أشهرها على الاطلاق صناعة الاقمشة التى كانت تصنع فى مصانع النسيج الحكومية المسماة طراز .

وتجدر الاشارة كذلك الى طرق القوافل التى كانت تربط بين بلدان المغرب المطلة على الجانب الغربى من البحر المتوسط ومصر ، وهى تلك الطرق التى تسلكها قافلة الحج والتى تمر باقاليم المغرب الساحلية المختلفة [٣٦] . وقد كانت هذه القافلة فى نفس الوقت هى قافلة تجارية نظراً لان الحجاج المغاربة كانوا يحملون معهم السلع المغربية ليبيعوها فى المدن والقرى المصرية التى يمرون بها أثناء رحلتهم ، وكذلك يفعلون فى المدن الشامية فى شرقى البحر المتوسط ، وفى موانى ومدن الحجاز . وفى طريق عودتهم من رحلة الحج كان التجار المغاربة يحملون معهم السلع المشرقية المختلفة من حجازية وهندية وشامية ومصرية ليبيعوها فى بلادهم علهم يحققون ربحا يعوض لهم ما انفقوه فى رحلة الحج [٣٧] .

بل انه قد وجد كذلك طريق اخر كانت تتبعه قافلة فزان المغربية ، عن طريق الصحراء الغربية ، فواحات الخارجة ، فاسيوط ، فالقاهرة [٣٨] . وكانت هذه القافلة تأتى بالبلح والطرابيتس ، الصوفية ، وتعود محملة بالمنتجات المصرية . وما تجمع فى مر من تجارتها مع الجزيرة العربية [٣٩] .

على ان كثير من المغاربة استقروا فى مصر وعملوا فى مجالات التجارة والحرف بها ، يوجع ذلك الى الظروف التى تعرضت لها بلاد المغرب فى نهاية

---

(٣٦) عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم (دكتور) : المغاربة فى مصر (فى العصر العثمانى) (١٥١٧ – ١٧٩٨) ، ص ٢٦ – ٢٧ .

(٣٧) ليلى صباغ (دكتوراه) : الوجود المغربى فى المشرق المتوسط فى العصر الحديث ، ص ٨٩ .

(٣٨) عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم (دكتور) : العلاقات الاقتصادية والاجتماعية بين الولايات العربية ابان العصر العثمانى (١٥١٧ – ١٧٩٨) ، المجلة العربية للعلوم الانسانية ، تصدر عن جامعة الكويت ، العدد التاسع ، المجلد الثالث ١٩٨٣ ، ص ١٤ – ١٥ .

(٣٩) Crouchley M.E. : Op. Cit. PP. 33.34.

العصور الوسطى ومطلع العصور الحديثة مما جعل المعاربه من أبرز الجاليات الاسلامية فى مصر العثمانية . وقد لعبت المدن المغربية دوراً هاماً فى التارة العالمية فى نهاية العصور الوسطى وخاصة فى عهد الموحدين (٥٤١ - ٦٦٧هـ / ١١٣٠ - ١٢٦٩م) حيث كانت بلاد المغرب تموج بنشاط تجارى داخلى وخارجى ، واسع النطاق ، فصارت القوافل متواصلة ما بين البلدان المغربية ، وافريقيا والسودان، لاستيراد المواد الاولية والاستوائية ، وكذلك الذهب والرقيق ، كما كانت طرق التجارة ، مع بلدان المشرق الاسلامى ، البرية والبحرية ميسره حيث كانت تمر عبر أراضى مصر وموانيها التى تحتل موقعا وسطا . وكانت المدن والموانى المغربية هى المصدر الاول للمدن الايطالية وغيرها من بلدان اوربا الراغبة فى التجارة الافريقية والشرقية . وقد آثرت المدن ثاء ضخمها من وراء هذا النشاط التجارى ، على أساس أنها أصبحت تقوم بدور الوسيط فى نقل السلع الافريقية والشرقية . وقد أثرت المدن اثراء ضخماً من وراء هذا النشاط والنشاط التجارى اللذين حظيت بهما بلدان المغرب العربى ، الى الموقع الجغرافى الخاص الذى احتله المغرب ، وأثر تأثير بالغا فى تطور المسالك التجارية المغربية جنوبا وشمالا . وغربا وشرقاً ، مما جعل مساهمة بلدان المغرب الاسلامى فى التجارة العالمية ذات أهمية بالغة ، كما كان لهذا الموقع أثره فى علاقات بلاد المغرب الحضارية بمنطقة البحر المتوسط وخاصة بمصر . على أن العامل الاقوى وراء دور المغرب الاسلامى التجارى والحضارى فى منطقة البحر المتوسط - مع عدم انكار أهمية الموقع الجغرافى - انما يرجع الى استمرارية اتصاله بالمشرق الاسلامى ، حضاريا وثقافيا ، وتجاريا هذا الى جانب الثنائية الاقتصادية التى شهدها المغرب العربى فى العصور الوسطى ، من ارتباط الفلاحة بالتجارة ، نظراً لان كثيرا من المواد الفلاحية ، أصبحت بضائع أساسية فى قائمة التبادل التجارى . ولاسيما بالنسبة للتجارة الصحراوية مثل : الحبوب ، والتمور ، والزبيب ، والصوف ، وقصب السكر وغيرها . بالاضافة الى الاستقرار السياسى الذى عرفه المغرب فى بعض فترات تاريخه فى العصر الوسيط الاسلامى . حيث ساهم هذا الاستقرار فى تطور المسالك التجارية وأمنها . ولم تحل النظم السياسية دون الالتحام بين مراكز التجارة فى البلدان المغربية ، بل انها حاولت ان تحقق لها الامن

وتستغلها اقتصاديا فى تدعيم مركزها السياسى والتجارى [٤٠]. على ان الجزء الاكبر من عائد هذا النشاط التجارى الذى شهدته بلدان المغرب ، عاد الى فئات بعينها دون عامة الشعب ، وبخاصة فئة الحكام والرؤساء ، وفئة التجار . التى ظهرت كفئة اجتماعية جديدة حيث عاش سكان المراكز التجارية معيشة فيها شئ كثير من الرفاهية والرخاء ، بعكس ما كان عليه الحال بالنسبة لسكان الريف والمناطق الصحراوية [٤١].

وتجدر الاشارة الى أن المغرب العربى قد تعرض للتفكك السياسى بعد انهيار دولة الموحدين (فى سنة ٦٦٧ هـ / ١٢٦٩ م) فى جميع بلدانه ، حيث أصبح هناك ثلاث دول مسيطرة هى الدولة الحفصية فى تونس ، ودولة بنى زيان فى الجزائر ، ودولة بنى مرين فى مراكش ، وكان النزاع بين هذه الوحدات السياسية التى انقسم اليها المغرب مستمراً ،هذا الى جانب طرابلس التى قام النزاع بينها وبين الحفصيين ، بل ان النزاع كان قائما فى داخل الدولة الواحدة ، كما كان يحدث فى المناطق الشرقية من الجزائر وفى منطقة بلاد القبايل . وسوف يؤدى هذا التفكك السياسى والصراع الداخلى الى هجرة كثير من المغاربة الى المشرق عامة والى مصر بصفة خاصة حيث عملوا فى مجال التجارة والحرف فى الاسكندرية وغيرها من موانى الجانب الشرقى من البحر المتوسط ، فضلا عن كثير من المدن الداخلية ، وقد اشار ابن خلدون فى مقدمته الى أن نزوح كثير من أهل المغرب الى مصر انما كان يعود الى حالة الرفاهية التى كانت تشهدها مصر فى العصر المملوكى نتيجة لمرور التجارة العالمية بها فيقول : « ويبلغنا لهذا العهد عن أحوال القاهرة ومصر من الترف والغنى فى عوائدهم ما يقضى منه العجب ، حتى ان كثيراً من الفقراء بالمغرب ، ينزعون من الثقلة الى مصر لذلك . ولما يبلغهم من ان شأن الرنه بمصر أعظم من غيرها » [٤٢]. ولهذا فان معظم التجار والحرفيين

---

(٤٠) عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم (دكتور) : المغاربة فى مصر فى العصر العثمانى ، ص١٢-١٤ .

(٤١) جلال يحيى (دكتور) : المغرب الكبير ، العصور الحديثة وهجوم الاستعمار ، ص ٥ .

(٤٢) ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد : مقدمة ابن خلدون ، ص ٣٦٢ .

لمغـــاربة ، والقبائل المغربية ، الذين وفدوا الى مصر واستقروا فيها أو مارسوا نشاطهم لفترة وعادوا الى بلادهم كانوا من أبناء المدن والمناطق المغربية اليت أصيبت بنكسة اقتصادية سواء نتيجة لعمليات الغزو الاسبانى او بسبب الصراعات الداخلية . وقد استقر هؤلاء فى مدن مصر وريفها ومارسوا نشاطاتهم المختلفة من تجارية أو حرفية أو رعوية أو زراعية ، كما تزود بعضهم بزاد المعرفة والعلوم الدينية فى الازهر الشريف، فى وقت انتشرت فيه الفرق الصوفية المتعددة التى جعلت أتباعها يتتلمذون على أيدى رجال الطرق الصوفية من المصريين . كما ان رغبة كثيرين من المغاربة لاداء فريضة الحجة أدت الى توجههم الى مصر وبلاد المشرق بصفة مستمرة واشتراكهم الواضح فى الحياة الاقتصادية والثقافية مع المصريين وأهالى المشرق الاسلامى (٤٣).

وتجـدر الاشـارة الى أن مدينة الاسكندرية كانت بالنسبة للمغاربة محطة أساسية لهم حيث كانت تقع على طريق الحج والتجارة ولهذا فانهم أنشأوا واستأجروا بها الوكالات والمخازن لتخزين السلع التى يجلبونها من الهند والشرق الاقصى وموانى شبه الجزيرة العربية والموانى الواقعة فى الجانب الشرقى من البحر المتوسط كما كون المغاربة تنظيماتهم الاجتماعية فى الاسكندرية وأخذوا يؤدون دورهم فى بيئتها الحضارية فى العصور الوسطى (٤٤). والحديثة . وينطبق اهتمام المغاربة بالاسكندرية على موانى مصر الاخرى الواقعة على البحر المتوسط مثال رشيد ودمياط ، أو تلك الواقعة على البحر الاحمر مثل السويس والقصير . بل انهم ربطوا هذه الموانى عن طريق عمليات الاستيراد والتصدير بالموانى التجارية العربية الاخرى والموانى الاوربية التى كان لهم فيها وكالات تجارية ، كما كان لهم وكلاء يقيمون بهذه الموانى (٤٥).

---

(٤٣) عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم (دكتور) : المغاربة فى مصر فى العصر العثمانى ، ص٢٧.

(٤٤) سعد زغلول عبد الحميد (دكتور) : الاثر المغربى والاندلسى فى المجتمع السكندرى فى العصور الاسلامية الوسطى ، ص ٢٠٧.

(٤٥) عبد الـرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم (دكتور) : المغاربة فى مصر فى العصر العثمانى ، ص٥٨ .

وتجدر الاشارة كذلك الى الجاليات الاجنبية الاخرى التى كان لها نشاطاً تجاريا ملحوظاً فى الموانى المصرية المطلة على البحر المتوسط والتى لقيت عناية كبيرة من قبل المماليك فى نهاية العصور الوسطى والعثمانين فى العصور الحديثة . فقد أنشأت السلطات المملوكية على نفقتها فنادق خصصتها للتجار الاجانب . وكانت الاسكندرية تضم عدة فنادق لجاليات أجنبية مختلفة ، أولاها وأهمها جالية البنادقة ، ولهم فندقان ، على حين كان فندق واحد لكل من أهل جنوه ، وبيزا ، وفلورنسا ، وأنكونا ، وبالرمو ، وكان لأهل نابيل فندق بالاشتراك مع آخرين من الايطالين . أما الفرنجة فكان لهم فنادق خاصة بهم ، ولاسيما أهل مرسيليا ناربون وقطالونية وراجوزة . ورغم أن جزيرة كانديا كانت احدى مستعمرات البندقية الا انه وجد لها فندق خاص . وكان لمملكة قبرص قبل غزوة بطرس لوزينان وليونان الاسكندرية فندق ، وللاتراك فندق ، وكذلك فندق لكل من المغاربة ، والتتار والمعرف أن التتار بصفةخاصة كانوا يجلبون الرقيق للتجارة فيهم ولذا كان فندقهم عبارة عن سوق للرقيق (٤٦) .

وحرصت السلطات المملوكية كذلك على رعاية الشئون الروحية للجاليات الاجنبية فسمح لهذه الجاليات ببناء الكنائس فى نطاق الفنادق المشار اليها . فكان لكل فندق كنيسة . ولكل جالية قساوستها ، بينما كانت للجاليات الكبرى كنائس كبرى مثل كنيسة القديس مشيل للبنادقة (٤٧) .وقد ظل هذا الحال على ما هو عليه فى عهد العثمانيين فى العصور الحديثة .

وكانت سفن البنادقة والجنويين تنقل المتاجر من مصر والشام الى أوربا فى العصور الوسطى ،وكانت سفن البنادقة بصفة خاصة تحمل الجزء الاكبر من تجارة الشرق الى ميناء البندقية (٤٨) ، حيث تعرض فى سوق « يرالتو Rialto» هناك ، لبتـاع فى المزاد العلى للتجار الالمان والانجليز وغيرهم . وكان سوق « ريالتوا »

---

(٤٦) ابراهيم على طرخان (دكتور) : مصر فى عصر دولة المماليك الجراكسة ١٣٨٢ - ١٥١٧ ، ص ٢٨٣ - ٢٨٤ .

(٤٧) Heyd, W. : Op. Cit., p. 433.

(٤٨) نعيم زكى فهمى (دكتور) : المرجع السابق ، ص ٥٠ .

الكبير فى البندقية من أشهر الاسواق التجارية فى حوض البحر المتوسط ، حيث كانت المتاجر الشرقية توضع فى عربات وتزحف بها من هذا السوق متجهة الى أنحاء أوربا عن طريق سهل لومبارديا ، وممرات جبال الالب ، وطريق الراين ، لتصل أخيراً الى تجار التجزئة فى شتى البلاد الاوربية ليتلقفها المستهلكون هناك(٤٩) . واستطاعت جمهورية البندقية أن توطد علاقاتها مع سلاطين المماليك – الذين كانوا يحكمون مصر والشام والحجاز – وان تحتكر معظم المتاجر الشرقية الواردة الى مصر عن طريق البحر الاحمر أو الواردة الى موانى الشام عن طريق الخليج العربى والعراق(٥٠) .

وقد أنشأت جمهورية البندقية ستة أساطيل بحرية من طراز واحد كانت تمخر عباب البحر المتوسط فى نهاية القرن الخامس عشر ، وعينت لكل منها الموانئ التى يتردد عليها . واستهدفت من توحيد طراز سفنها أن يكون فى استطاعة قناصلها ووكلائها فى موانى البحر المتوسط امداد السفن بما تحتاج اليه من قطع غيار ذات طراز واحد . وجنب البندقية أرباحاً خيالية من نقل التجارة الشرقية الى أوربا ومن تصريفها هناك . وأصبح الالتحاق بالبحرية مطمحاً ترنو اليه أنظار الشباب من أهل البندقية الذين رأوا فى البحرية المجال الطبيعى للمال والشهرة والمجد .

ولقيت البندقية منافسة شديدة من جمهورية جنوة فى ميادين التجارة الشرقية، وتطورت هذه المنافسة التجارية الى صراع سياسى حاد لعب فيه البحر المتوسط دوراً حاسماً . وتراءت لهاتين الجمهوريتين الضرورة السياسية فى اخضاع البحر المتوسط أو على الاقل الجزء الهام منه بالنسبة لنشاطها – لسيطرة أى منها . وكانت نتيجة ذلك أن طالبت البندقية بتقرير سيادتها على البحر الادرياتيكى ، كما ادعت جنوة بحق السيادة على بحر ليجوريا . وقد قبلت أوربا بادعاءات هاتين الجمهوريتين لحاجتها الملحة الى التجارة الشرقية وبخاصة التوابل والعطور والعقاقير ، وبذلك ظهرت فى تاريخ العلاقات السياسية الدولية لاول مرة فكرة سيادة الدولة على

(٤٩) عبد العزيز الشناوى (دكتور) : اوروبا فى مطلع العصور الحديثة ، جـ ١ ، ط٢ ، ص ١٠٧ .
(٥٠) محمد رفعت : تاريخ حوض البحر المتوسط وتياراته السياسية ص ٦٠ .

البحار[٥١]. ولم يقف التنافس السياسى بين البندقية وجنوه عند هذا الحد ، بل قام بينهما صـــراع حـــربى بـــالغ العنـف انتهى بهزيمة أهالى جنوة فى معركة «كيوجا Chioggia » وعلى أثرها عقد صلح « تورينو » سنة ١٣٨١م . ولكن جنوة راحت تفكر فى وسيلة أخرى لحرمان البندقية من مصدار قوتها وثروتها ، وذلك بايجاد طريق بحرى متصل تأتى منه السلع الشرقية الى أوربا [٥٢]. وهذا سيفسر التقارب الذى تم بينهم وبين البرتغاليين فى مطلع العصور الحديثة .

وتجدر الاشارة كذلك الى دور فلورنسا فى النشاط التجارى مع مصر والشام . خاصة وأن أسرة « ديميدتشى » الحاكمة فى فلورنسا فى نهاية العصور الوسطى عملت على توثيق صلاتها التجارية مع السلطات المملوكية [٥٣]. أما بالنسبة لاهالى فرنسا وأسبانيا فقد كانوا يحصلون على حاجتهم من المتاجر الشرقية من أسواق مصر وشرق البحر المتوسط عن طريق الوسطاء البنادقة والجنويين [٥٤].

ونظراً لانشغال البنادقة بالحجم الاكبر من التجارة الشرقية سواء من ناحيتى النقل أو التسويق فقد شكلوا أكبر جالية فى مدينة الاسكندرية فى نهاية العصور الوسطى ، كما كان لهم حى خاص وكان يشرف على مصالحهم قنصل معين من قبل جمهورية البندقية . وكان حى البنادقة بالاسكندرية بضم فندقين وحماما ومخبزا وكنيسة ، كما كانت حكومة المماليك قد أعفتهم من عدة ضرائب وسمحت لهم بالتجارة فى اللآلئ والاحجار الكريمة والفراء . ولهذا لم يتردد البنادقة فى جلب كل ما تحتاج اليه مصر من السلع الخارجية ، حتى الادوات الحربية التى حرمت البابوية التجارة فيها ، كالاسلحة والحديد والزيت ، وذلك رغم

---

(٥١) حامد سلطان (دكتور) : القانون الدولى العام فى وقت السلم ، ص ٥٦٧ – ٥٦٨ .

(٥٢) عبد العزيز محمد الشناوى (دكتور) : اوروبا فى مطلع العصور الحديثة .جـ١ ، ط٣ ، ص١٠٩ .

(٥٣) نعيم زكى فهمى (دكتور) : المرجع السابق ، أشار الى الامتيازات التجارية التى منحتها السلطنة الملوكية لطائفة الفرنتيين (اهالى فلورنسا) فى مصر والشام فى نهاية الخامس عشر الميلادى ، الملحق ١٣ – ٢٥ ، ص ٤٣٩ – ٤٨١ .

(٥٤) نعيم زكى فهمى (دكتور) : المرجع السابق ، ص ٢٠ .

تشدد البابوات وتكليفهم فرسان الاسبتارية والداوية بمراقبة البحار ومنع وصول هذه المواد الى المسلمين (٥٥). وقد زادت نسبة اهتمام البنادقة بالتجارة الشرقية بعد فتح الاتراك العثمانيين لمدينة القسطنطينية عام ١٤٥٣ م . حين أضحت التجارة فى البلقان وموانى البحر الاسود صعبة ومحفوفة بالمخاطر ، ولذلك وجه البنادقة عنايتهم الى حوض البحر المتوسط الشرقى ، ونشطت أعمالهم التجارية فى موانيه ومدنه كالاسكندرية وبيروت وحلب ودمشق (٥٦). وكانت قوافل البندقية التجارية البحرية نصل الى مصر مرتين فى كل عام . فى يناير وفى الخريف ، وكانت تتكون القافلة فى العادة ما بين ثمان سفن وثلاثة عشرة سفينة ، وتقدر حمولتها بمليونى بندقى على أقل تقدير . ولهذا تمتع البنادقة بالمكانة الاولى بين الجاليات فى الاوربية فى الاسكندرية طوال العصر المملوكى فى نهاية العصور الوسطى واثناء العهد العثمانى فى مطلع العصور الحديثة (٥٧).

وبجدر الاشارة الى أن العملة الاجنبية كانت متداولة فى أسواق مصر فى نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر . ومن أمثلة هذه العملة عملة البندقية والتى تعرف باسم « دوكات Ducat » نسبة الى دوك – وهو « الدوق Doge » . وكانت العملة الخاصة ببلاد الفرنجة فى فرنسا وايطاليا والاراضى المنخفضة المسماة الافرنتية ، جمع أفرنتى ، وهى التى تعرف « بالفولورين Florino» ، وان عرفت العملة الاجنبية بوجه عام باسم « مشخصة » ، وذلك بسبب صور القديسين وملوك الفرنجة المنقوشة على وجهيها (٥٨).

وليس أدل على انتعاش الحياة الاقتصادية فى أيام المماليك فى نهاية العصور الوسطى من وجود كلمات كثيرة تدل على ذلك ، مثل دكاكين وحوانيت

---

(٥٥) سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور) : العصر المملوكى فى مصر والشام ، ص ٢٩٤ – ٢٩٥ .

(٥٦) نعيم زكى فهمى (دكتور) : المرجع السابق . وقد اشار الى الاتفاقيات التى عقدها البنادقة مع السلطات المملوكية فى نهاية القرن الخامس عشر واوائل القرن السادس عشر الميلاديين الملحق ١-١٢ ص ٣٧٣ – ٤٨٠ .

(٥٧) شارل ديل . البندقية جمهورية ارستقراطية ، ص ٤١ – ١٤٣ .

(٥٨) عبد المنعم ماجد (دكتور) : عصر السيوطى ، ص ٢٧ .

ومخازن ووكالات وفنادق ، وهذه الاخيرة كانت أكثرها تتكون من عدة طوابق ، عبارة عن غرف مختلفة ومخازن . لها فناء داخلى ، يحتوى على البضائع والدواب، ويسكنها غالبا التجار الاجانب ، يرأسهم القناصلة – مفردها قنصل – وهم كبار الفرنج ، فكانت الفنادق توجد فى كل أنحاء المدن المصرية من الاسكندرية إلى أسوان (٥٩).

وتجدر الاشارة الى مظهر الثراء فى عصر الدولة المملوكية والبذخ الذى عاشته الطبقة المملوكية بالذات ، وعلى رأسها السلطان المملوكى ، حتى أنه من كثرة الاموال كانت له خزانة عرفت « بخزانة الخاص » ، كما أصبحت القلعة – مقر الحكم المملوكى – تتكون من قصور عظيمة ، شبهت بأجنحة تطل على القاهرة. ثم هذه المنشآت الصخمة التى تركها معظم السلاطين المماليك ، من جوامع كجامع السلطان حسن وبرقوق والمؤيد – وزوايا ومدارس وسبل وبيمارستانات وحمامات وقلاع – كقلعة قايتباى بالاسكندرية – وتحف مازالت تحتل الصدارة بين آثار مصر الاسلامية ، وأصبحت القاهرة فى العصر المملوكى درة فى جبين الشرق . كما ظهرت دلائل البذخ فى حياة القصور والحفلات(٦٠) التى طبعت بطابع الاناقة المعبرة عن الانتعاش الاقتصادى الذى ظهر فى شكل ثراء وبذخ نادرين، وحتى فى ابداع الصناعة والحرف والفنون وفى ازدهار الحياة الاجتماعية . وكان مصدر هذا الثراء التجارة العالمية العابرة بمصر آنذاك ، وما يفرض عليها من ضرائب متنوعة ، ولهذا سوف تتأثر الحياة الاقتصادية بهذا الثراء العظيم الذى يتمتع به سلاطين المماليك ، فكانت وطأتهم فى فرض الضرائب الداخلية وجمعها فى أحيان كثيرة تخف على الزراع والصناع والتجار نوعا ما ، وفى هذا تخفيف كبير عن كاهل الرعايا وعلى الاخص الطبقات الفقيرة وبخاصة الفلاحين ، كما فيه تشجيع للزراعة والصناعة ، وانتشار التجارة (٦١)، غير أن الامر ستيغير عما كان عليه

---

(٥٩) عبد المنعم ماجد (دكتور) : طومان باى ، اخر سلاطين المماليك فى مصر ، دراسة للأسباب التى انهت حكم دولة السلاطين المماليك فى مصر ، ص ٧٧ .

(٦٠) ابن اياس : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٢٦.

(٦١) عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم (دكتور) : معالم التاريخ الاوربى الحديث والمعاصر،ص٥٢

عقب وصول البرتغاليين الى الهند عن طريق رأس الرجاء الصالح فى سنة ١٩٤٨ وتحويلهم الحجم الاكبر من التجارة العالمية عن مصر والشام والبحر المتوسط الى هذا الطريق الجديد .

وجدير بالذكر أن أسعار السلع الشرقية كانت ترتفع ارتفاعا فاحشا بسبب الضرائب الجمركية الباهظة التى كان يفرضها حكام الدول الشرقية الواقعة على الطريق من أماكن تصديرها الى الشواطىء الاوربية وبخاصة سلاطين المماليك ، فقد كانوا يفرضون رسوما جمركية عند تفريغ البضائع من السفن فى السويس ، ورسوما جمركية أخرى عند أعادة شحنها فى الاسكندرية . وكانت هذه الرسوم تبلغ سدس قيمة السلع عند مرورها فى كل من المدينين . هذا فضلا عن أجور نقلها وأخطار النقل كأعمال القرصنة والحروب وتنوع وسائل النقل عبر الصحارى والبحار . ومع ذلك فقد كانت متاجر الشرق أوفر أنواع التجارة ربحا ، وقد عاش كثير من التجار الاوربيين عيشة الملوك من الارباح الخيالية التى كانت تدرها تلك التجارة [٦٢]. على أن ثمة اجراءات كان لابد من اتخاذها عند استقبال السفن التجارية فى الموانى المملوكية فى مصر والشام والمطلة على البحر المتوسط فى نهاية العصور الوسطى ومطلع العصور الحديثة . ولدينا مثال عن الجراءات التى تتخذ فى احدى هذه الموانى وهو ميناء البرلس . فالمعروف ان للبرلس مينائين ، احدهما جديدة ومفتوحة من ناحية الشمال لاستقبال السفن المسيحية ، والميناء القديمة مفتوحة من جهة الغرب لاستقبال السفن الاسلامية فقط ، وهذا المدخل الاخير مقفل أمام المسيحيين حتى ولو كانوا واصلين من جهة البر . وعندما تصل السفينة الى الميناء ويستقبلها رجال من موظفى الميناء ، يصعدون عليها ، وهؤلاء عادة مندوبين من قبل نائب الاسكندرية ، وتتلخص مهمتهم فى اثبات جنسيتها عن طريق القنصل الذى تتبعه أو عن طريق مواطنيهم المقيمين بالثغر ، ومعرفة عدد ركابها وأسمائهم وأنواع السلع التى معهم ، ثم يرسل هؤلاء الموظفون هذه البيانات

---

(٦٢) عبد العزيز محمد الشناوى (دكتور) : اوربا فى مطلع العصور الحديثة ، جـ١ ، ط ٣ ، ص١١٠.

الى نائب ثغر الاسكندرية ، فيبلغها بدوره الى السلطان بالقاهرة . ويتم تبادل الرسائل بواسطة بريد الحمام الزاجل . فاذا تمت هذه الاجراءات ، على التجار ان يدفعوا رسما مقررا كضمان ، قدره دوك واحد (Ducat) زاد بعد ذلك الى اثنين عن كل رأس منهم ، ويدفع كل منهم رسما اخر ٢ ٪ بالنسبة لما معهم من النقود، ثم يسمح لهم بعد ذلك بالنزول الى الميناء ، حيث يجدون المأوى للاقامة ، والمخزن لبضائعهم ، في الفندق الخاص لمواطنيهم من بني جنسهم .

وكان هؤلاء التجار – في العادة – يعملون في تسويق منتجات بلادهم كما يشترون ما يلزمهم من المتاجر الموجودة في مصر والسلع المنتجة فيها ، وتلك التى ترد اليها من الشرق ، وكانت الاخيرة تدر عليهم أرباحا طائلة ، كما كانت تدر أرباحا طائلة أيضاً على السلطات المملوكية ، اذ فرضت حكومة المماليك الرسوم المقررة على التجارة المارة ببلادها ، وذلك بجانب رواج التجارة الداخلية في هذه السلع وما يترتب على ذلك من فوائد للحكومة المملوكية . ولكى تحصل مصر على مزيد من الربح من التجارة الشرقية ، ابتع السلاطين المماليك سياسة الاحتكار وزادوا في رسوم المرور . اذ بدأ السلطان برسباى احتكار تجارة التوابل ، وأصدر لهذا الغرض مرسوما في عام ١٤٢٨ يحرم به شراء التوابل من غير مخازن السلطان . وفي نفس الوقت أجبر تجار الشرق على شراء البضائع التى تبيعها مصر بسعر مرتفع مثل العقيق والنحاس وغيرهما من السلع الرائجة . وساعد على تنفيذ سياسة الاحتار أن الحكومة المملوكية كانت تجبى رسومها عينا ، وقد ترتب عل ذلك ارتفاع اسعار السلع الشرقية ارتفاعا باهظاً مثل التوابل والحرير على وجه الخصوص . فمثلا صار التجار الاوربيون يشترون قنطار الفلفل الاسود بسعر يتراوح بين ١٢٠ – ١٣٠ ديناراً ، بعد أن كانوا يشترونه من قبل بسعر ٥٠ ديناراً في القاهرة و٨٠ ديناراً في الاسكندرية (٦٣) .

---

(٦٣) Wiet, G. : L Egypte Arabe, Histoire de La Nation Egyptienne, TV.,pp574,576.

وقد ضج التجار الاوربيون من مغالاة المماليك فى احتكارهم للتجارة الشرقية وفرضهم المكوس الباهظة عليها . وجاء أول احتجاج من جانب القطلانيين عام ١٤٣٢ حين أبلغ ممثلوهم السلطان برسباى أنهم رفضوا شراء البضائع من مخازن السلطان ، غير أنهم لم يظفروا باجابة طيبة مرضية ، لان برسباى لم يغفر لهم ما فعله قراصنتهم . كذلك احتجت مملكتنا قشتاله وأرغونة ، وقابلتا هذا الاجراء بمثله، وذلك برفع أثمان السلع الاوربية التى ترد الى مصر . بل ان البنادقة أخذوا يفكرون فى قطع علاقاتهم التجارية مع مصر فأرضاهم السلطان وأن لم ينزل عن احتاراته . وحدث أن هاجمت أرغونة وقشتاله السفن المملوكية على سواحل سوريا فأجاب السلطان بالقبض على التجار البنادقة فى الاسكندرية وصادر متاجرهم (٦٤) .

ورغم أن حدة الاحتكار الحكومية قد خفت فى عهد السلطان جقمق ، الا أن معاملة التجار الاجانبة لم تستمر على حال واحد طوال عهود السلاطين بعد جقمق ، حتى ضاق التجار ذرعا بهذه المعاملة . وهذا مما حملهم على الانتقام فى عام ١٤٧٥ م ، اذ احتالوا على بعض تجار الاسكندرية من الوطنيين وأسروهم وخرجوا بهم الى بلادهم .وكان من بين هؤلاء التجار الاسرى بعض تجار السلطان قايتباى ولذلك أمر قايتباى نائبه فى الثغر بالقبض على جميع التجار الاجانب فيه وأمرهم بمكاتبة ملوكهم ، ثم استطاع التجار المصريون أن يفدوا أنفسهم بالمال (٦٥) .

على أن الحكومة المملوكية ظلت تجبى مكوسا على التجارة الشرقية وصلت نسبتها الى العشر ، غير أن هذه النسبة زيدت تدريجيا ، حتى جبى الامير حسين الكردى نائب السلطان قونصوه الغورى فى جده عشر أمثال العشر ، أى مثل قيمة البضائع تماماً . ومن المرجح انّ هذه الزيادة فى أعقاب وصول البرتغاليين الى الهند عن طريق رأس الرجاء الصالح فى سنة ١٤٩٨ مما أضعف من حجم التجارة

---

(٦٤) Lane-Poole, S. : A History of Egypt in the Middle Ages, p.340

(٦٥) ابن اياس : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ١٦٢ .

الشرقية المارة بطريق البحر الاحمر وأدى بالتالى الى مغالاة السلطات المملوكية فى جدة فى رفع نسبة المكوس لتحصل على أكبر عائد يغطى احتياجاتها مع قلة حجم التجارة الواردة .

ولم تكن المعاملة فى الموانى المملوكية الاخرى خيراً منها فى جدة ، فازدادت الرسوم الجمركية على التجارة الواردة الى الاسكندرية ودمياط من السلع الاوربية مما جعل الاوربيين يمتنعون بدورهم عن التصدير الى الموانى المملوكية فى مصر والشام وآنذاك [٦٦] .

ومن القيود التى فرضها كذلك الحكام المماليك على التجار الاجانب منعهم من مغادرة فنادقهم لمدة ساعتين أو ثلاث ساعات خلال صلاة الجمعة . ويرجع أساس هذا الجراء الى ما حدث سنة ١٣٦٥م عندما هاجم بطرس الاول لوزنيان ملك قبرص الاسكندرية فى يوم جمعة وأحتل المدينة ونهبها . ومن القيود كذلك أغلاق الفنادق فى المساء على من فيها ، وكان يتولى حراستها حراس من قبل السلطات المملوكية [٦٧]. وقد كان لهذه القيود فى مجموعها أثراً سيئا على الاجانب الاوروبيين بوجه عام ، مما سيشجعهم الى جانب اعتبارات عديدة أخرى سنشير اليها فيما بعد – عى التوجه الى كشف الطريق البحرى المباشر بين أوربا والهند فى نهاية القرن الخامس عشر الميلادى ويتمكنون من الوصول الى الهند عبر طريق رأس الرجاء الصالح فى عام ١٤٩٨ .

---

(٦٦) ابن اياس : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ٦٠.

(٦٧) ابراهيم على طرخان (دكتور) : المرجع السابق ، ص ٢٨٣ .

الفصل الثانى

دور البرتغاليين فى تحويل التجارة العالمية إلى طريق رأس الرجاء الصالح فى نهاية القرن الخامس عشر الميلادى

اتجه البرتغاليون منذ مطلع القرن الخامس عشر الميلادى نحو عمليات الكشوف الجغرافية فما وراء البحار نتيجة للنمو المتصاعد للشعب البرتغالى ، ذاته وظهور تطلعاته القومية ، ورغبته فى السيطرة والثراء . كما أدى احتدام الصراع الدينى بين المسيحيين الكاثوليك والمسلمين فى شبه جزيرة أيبريا فى نهاية العصور الوسطى الى اتجاه البرتغاليين الى مطاردة المسلمين على ساحل افريقيا الغربى ، والى اصرارهم عى انتزاع التجارة الشرقية من أيديهم عن طريق كشف طريق بحرى مباشر الى البحار الشرقية . وكان البرتغاليون قد تأثروا بتحريض أهالى جنوه الذين سعوا الى القضاء على ثروة أعدائهم ومنافسيهم البنادقة بعد أن جنوا أرباحا طائلة من التجارة الشرقية[١]. وكان الحجم الأكبر من هذه التجارة يمر بمصر وينقل منها الى عالم البحر التوسط طوال العصور القديمة والوسطى ، وكانت البندقية بصفة خاصة – كما سبق أن أشرنا – تقوم بدور الوسيط بين موانى البحر المتوسط الاسلامية والعالم الاوربى آنذاك .

واستطاع البرتغاليون أن يحققوا غايتهم مستندين الى قوتهم وجهودهم البحرية من جهة ، والى جهود استطلاعية أخرى اتسمت بالسرية وتركزت حول جمع المعلومات عن مصادر تجارة الشرق ، وطرق هذه التجارة ، وانواع البضائع الشرقية ، وامكانات القوى التى سحاربونها من جهة أخرى[٢] .

---

(١) Serjeant, R.B. : The Portuguese off the South Arabian Coast. p.2. Alvarez,

(٢) F.: Narrative of the Portuguese Embassy to Abyssinia during the. Years 1520 & 1527, pp. 265& 270.

وقد استولى الملك البرتغالى « يوحنا الاول Jean 1 » على سبه [٣]، فى سنة ١٤١٥[٤] وأقطعها لولده الامير هنرى الشهير بالملاح والمعروف بحقده وكراهيته المتناهية للاسلام والمسلمين ، والذى سيكرس حياته ويبذل جهوده لاكتشاف طريق بحرى جديد يدور حول افريقيا للوصول الى الهند للسيطرة على تجارة المسلمين [٥]. وبدأت أولى حملات الكشوف البحرية البرتغالية لسواحل غرب افريقيا فى سنة ١٤١٨ م . وقد لجأت البرتغال الى اضفاء الشرعية الكنيسة عى التوسعات البرتغالية فى أعقاب فتح العثمانيين للقسطنطينية فى سنة ١٤٥٣ عندما حصلت على براءة البابا نيقولا الخامس فى اليوم الثامن من يناير سنة ١٤٥٤ بأحقية التاج البرتغالى فى امتلاك سبته وغيرها مما يؤكد توفر الروح الصليبية فى توسع البرتغال فضلا عن الدوافع السياسية والاقتصادية الغالبة [٦]. وقد استمرت الحمـلات البـحرية البـرتغـالية تكشـف السـاحل الغـربى لافريقيا حتى تمكن « بارتليموديا ز Batholomew Diaz » من الوصول الى أقصى نقطة فى هذا الساحل واكتشاف الطرف الجنوبى لافريقيا الذى عرفه « برأس العواصف » والذى أطلق عليه ملك « يوحنا الثانى Jean II » (١٤٨١ -١٤٩٥) « رأس الرجاء الصالح » تيمنا بالكشف الجديد وذلك فى عام ١٤٨٧م [٧].

وقد تمكن الرحالة البرتغالى « بيرودى كوفلهام Pero de Kovilam » فى نتصف سنة ١٤٨٧ من الوصول الى مصر عبر البحر المتوسط ، وأبحر منها الى ميناء سواكن عبر البحر الاحمر ، ثم اتجه جنوباً حتى وصل الى عدن ، ووصفها

---

(٣) مدينة سبته هى مدينة مغربية تطل على ساحل البحر المتوسط وقد احتلها لبرتغاليون عام ١٤١٥ ، الا أن هذا الاحتلال لم يدم طويلا وذلك بسبب احتلال الاسبان لها بعد ذلك والذى لا يزال حتى الان ، وقد شمل هذا الاحتلال فى نفس الوقت مدينة مليلة القريبة منها .

(٤) Atkinson, W.C. : A History of Spain and Portugal. p. 99.

(٥) أحمد مختار العبادى (دكتور) : دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ص ٤٥٥ .

(٦) براهيم شحاته حسن (دكتور) : وقعة وادى المخازن فى تاريخ المغرب (٩٨٦هـ/١٥٧٨)، ص٢٩ .

(٧) Kammerer, A.: La Mer Rouge, L'Abyssinie et L' Arabie depuis L'Antiquite, T.II p.75.

بأنها كانت آنذاك مدينة عظيمة وأن بها تجارا من جميع الاجناس ، وبعد ذلك واصل رحلته الى الهند [٨] . وعند عودته قام بزيارة معظم المناطق الاسلامية الواقعة على الساحل الشرقى لافريقيا ، كما مر بمدينة زيلع ، ثم اتجه جنوبا حتى وصل الى « سوفالا » [٩] . وقد عاد هذا الرحالة الى مصر حيث تمكن من جمع معلومات عن الحبشة دفعته للتوجه اليها . وكانت رحلته الى الحبشة – الى كانت تتبع من الناحية العقائدية الكنيسة الارثوذكسية اليعقوبية فى مصر – بداية لسلسلة من رحلات المستكشفين والبعثات الاوربية الكاثوليكية التى وفدت اليها أثناء القرن السادس عشر ، والتى كانت تهدف التى استقطابها للكاثوليكية [١٠] . لتطويق العالم الاسلامى وانتزاع التجارة الشرقية التى تشكل مصدر قوته آنذاك [١١] . وقد أصبح « بيرودى كوفلهام » متشارا للملك الحبشة (قسطنطين الثانى) ثم رسوله الى ملك البرتغال « يوحنا الثانى » للاتفاق على حملة مشتركة لتحرير القدس ، ولكن البعثة لم تبتعد كثيرا بسبب نزاع نشب بين حراس البعثة ، وبعض الاهالى ، وهكذا فشل هذا المشروع [١٢] ، وعلى أية حال فقد مهدت جهود الرحالة « بيرودى كوفلهام » السبيل أمام الرحالة « فاسكودا جاما Vasco da Gama » عندما قام برحلته عندما قام برحلته حول رأس الرجاء الصالح فى سنة ١٤٩٧ ومر بالساحل الشرقى لافريقيا حتى وصل الى موزمبيق حيث وجد قاربا على متنه بعض الزنوج وأحد البحارة ، ظنه البرتغاليون فى بداية الامر من المغاربة . وعندما ما اقتربت السفن البرتغالية من القارب ، هرع الزنوج والقوا بأنفسهم فى البحر وفروا الى الساحل بينما نقل البحار الى سفينة القيادة البرتغالية حيث أحسن « داجاما » استقباله ، واكتشف أن الرجل هندى ، وليس عربيا مغربيا وأنه من أهل « كمباى

---

(٨) Playfair, R.L. : A History of Arabia Felix or Yemen, Selections from the Records of the Bombay Government, New Series, XLIX, p.96.

(٩) Coupland, R. : East Africa and Its Invaders, p.42.

(١٠) Johnston, H. : History of the Colonization of Africa by alien, races p.32.

(١١) بانيكار ، ك .م. : آسيا والسيطرة الغربية ، تعريب عبد العزيز توفيق جاويد ، ص ٢٩ .

(١٢) Ziad, M. : Foreign Relations of Egypt in the Fifteenth Century, Vol. 1., pp.287,288.

Cambay» بالهند ويدعى « دافان » ، وقد اتخذ داجاما مستشار له لانه كان خبيرا بالتوابل ومن سماسرتها . وقد وافق هذا الملاح على مرافقة البرتغاليين الى الهند ، وتعهد بتزويدهم بحمولة من التوابل نظير توصيله الى بلاده (١٣). كما استجاب شيخ موزمبيق لطلب « داجاما » وزوده بأثنين من المرشدين ، الا أنهما تمكنا من الفرار عندما تأكدا ان البرتغاليين من المسيحيين مما أدى الى استخدام البرتغاليين العنف مع الاهالى (١٤). ولهذا لم يغامر « داجاما » بالرسو باسطوله فى منبسه ، عندما شك فى احتمال قيام ملكها بتدمير سفنه واغراقها انتقاما لما فعله ضد أهالى موزمبيق ، وعندما وصل البرتغاليون بعد ذلك الى ميناد مالندى - الواقعة حاليا فى كينيا - لقى داجاما فيها ترحيبا من ملكها ، خوفها أو ضعفا (١٥). فلما عزم على مغادرتها بعد عدة أسابيع ، طلب من صاحبها امداده بملاح يرشده الى الهند ، فاستجاب له الملك وامده بملاح ماهر قاد أسطوله الى قاليقوط ، فوصلها فى مايو سنة ٢٤٩٨(١٦). واذا كان ذلك ما أوردته الكتابات البرتغالية حول هذا الموضوع فان أول من أشار اليه من المؤرخين العرب قطب الدين النهروالى الذى أشار الى أن البرتغاليين « دلهم شخص ماهر يقال له أحمد بن ماجد ، صاحبه كبير الفرنج وقال لهم : لا تقربوا الساحل من ذلك المكان ، وتوغلوا فى البحر ثم عودوا، فلا تناكلم الاموالج ، فلما فعلوا ذلك ، صار يسلم من الكسر كثير من مراكبهم. فكثروا فى بحر الهند ... وصارت الامداد تترادف عليهم من البرتغال . وصاروا يقطعون الطريق على المسلمين أسرا ونهباً ، ويأخذون كل سفينة غصبا ، الى أن كثر ضررهم على المسلمين وعم أذاهم على المسافرين » (١٧). وعلى هذا النص اعتمد المستشرق الفرنسى « جبريل فران G.Ferrand » . فيما ذهب اليه من أن

---

(١٣) Howe, Sonia : Op. Cit., pp. 193 â 195.

(١٤) Strandes, J. : The Portuguese period in East Africa, pp.20 - 24.

(١٥) Strong, A. : The History of Kiolwa , (J.R.A.S) London, 1895, pp.397,428.

(١٦) جيان وثائق تاريخية وجغرافية عن افريقية الشرقية ، ص ٢٠٩ .

(١٧) قطب الدين النهروالى ، محمد بن احمد الحنفى المكى : « البرق اليمانى فى الفتح العثمانى» مخطوطة نشرها حمد الجاسر عام ١٩٦٧ ، ص ١٨ - ١٩ .

أحمد بن ماجد العربى المسلم هو الملاح الذى قاد أسطول « فاسكو داجاما » من مالندى الى موطن التوابل فى قاليقوط [١٨]. ومن المرجح ان دور ابن ماجد انحصر فى اسداء النصح وتقديم المشورة للقائد البرتغالى « فاسكو داجاما » وامداده بالمعلومات التى ساعدت على سلامة سفنه ، وتعليمه الطريق قولا ووصفا ، وليس عملا وقيادة . أما الملاح الذى قام بمهمة ارشاد الاسطول البرتغالى الى الهند ، فهو ذلك الملاح الهندى الذى أشارت اليه المصادر البرتغالية . وبذلك « لا تلقى المسئولية كاملة على ابن ماجد فى وصول البرتغاليين الى الهند . خاصة وان البرتغاليين آنذاك لم يكشفوا على أهدافهم الحقيقية ، ولهذا كان من السهل عليهم العثور على من يتعاون معهم ، طالما كانت معاملتهم حسنة ، وتكفلوا باعطاء الاجر المناسب »[١٩].

وعلى أية حال ، فقد استغرقت رحلة « فاسكوداجاما » ثلاث سنوات (١٤٩٧–١٤٩٩) عاد بعدها من الهند الى لشبونه فى شهر سبتمبر سنة ١٤٩٩ . وقام «فاسكوداجاما» أثناء رحلته بمهاجمة احدى السفن التجارية العربية واستولى على ما بها من بضائع ، ثم أمر باغراقها بمن تحملهم من الركاب . كما قام أثناء رحلته الثانية الى الهند فى سنة ١٥٠٢ بتكليف أحد قادته بالاقامة على رأس خمس سفن حربية عند مدخل البحر الاحمر لمهاجمة السفن الاسلامية ولمنع السفن المختلفة من المتاجرة أثناء ابحارها فى مياه المحيط الهندى الا بتصريح خاص من قبل البرتغاليين [٢٠]. وقد اشتط « فاسكو داجاما » فى مهمته عندما قام فى شهر يناير سنة ١٥٠٣ بمهاجمة سبع سفن اسلامية واستولى عليها ، بل أنه قام بقتل بعض ركابها وأسر البعض الاخر وفى ذلك يورد المؤرخ « بامخرمة» فى

---

(١٨) Ferrand, G. : Le pilote Arabe de vasco de Game, pp. 290 - 307, Art Shihab Al â Din, in ENC. of Islam, Vol. Iv, p.368.

(١٩) محمد عبد العال أحمد (دكتور) : أضواء جديدة على ملامح فاسكودى جاما ، مجلة معهد الدراسات والبحوث الافريقية بجامعة القاهرة ، العدد الخامس ١٩٧٦ ، ص ١٥٥ – ١٦٧، ١٧٨ .

(٢٠) Hunter, F. M.An account of the British settlement at Aden, p.162.

حولياته (عن سنة ٩٠٨ هـ التى يوافق مطلعها اليوم السابع من يوليو سنة ١٥٠٢م). ان : « فى هذه السنة ظهرت مراكب الفرنج فى البحر المتوسط الهند وهرموز وتلك النواحى ، وأخذوا نحو سبعة مراكب وقتلوا أهلها وأسروا بعضهم[٢١]. «ثم يشير ابن اياس » فى حولياته عن سنة ٩١٢هـ التى يوافق مطلعها ٢٤ مايو ١٥٠٦ م) . «وفى هذه السنة قويت شوكة الفرنج ، وحصل على المسلمين منهم ضرر عظيم فى ناحية الهند وهرموز ، وأهلكهم الله » [٢٢]. ولم يكتف البرتغاليون بذلك بل انهم هددوا جده فى سنة ١٥٠٥ [٢٣]، وتمكن بعض جواسيسهم من التسلل الى مكة نفسها [٢٤]. على هيئة حجاج فى زى عربى وكشف أمرهم ، وكان ملكهم قد أقسم أن يستولى على مكة وأن يقوم بنبش قبر الرسول – ﷺ – فى المدينة المنورة [٢٥]. وتعتبر الرحلة التى قام بها « فاسكو داجاما» الى الهند بداية للمرحلة الاولى فى تاريخ البرتغاليين (بلاد الشرق ، اذ تطورت أغراضهم فى خلال فترة لا تتجاوز عشر سنوات تمتد بين عامى ١٤٩٩و١٥٠٩ من مجرد الرغبة فى كشف الطريق البحرى الى الهند لتحقيق بعض المكاسب الاقتصادية [٢٦]، الى الرغبة فى احتكار التجارة الشرقية والسيطرة عليها وعلى مصادرها الاصلية ، بل والى اقامة أول حكومة استعمارية أوربية فى بلاد الشرق . ولا شك أن تفوق البرتغاليين الحربى كان عاملا أساسيا فى تصور موقفهم السريع أثناء تلك الفترة بحيث كانوا يمتلكون سفنا حربية وقد تركز نشاط البرتغاليين فى تلك الفترة فى تثبيت اقدامهم على سواحل المحيط الهندى ، وفى

---

(٢١) بامخرمه ، أبو محمد بن عبد الله الطيب بن عبد الله (ت ٩٤٧ – ١٥٤٠) قلادة النحر فى وفيات أعيان الدهر ، مخطوطة السنة الثامنة بعد التسعمائة ، لوحة ١١٩٠ .

(٢٢) بامخرمة : نفس المصدر ، لوحة ١١٩٢

(٢٣) Stripling,G.W.F. : The Ottoman Turks and the Arabs, p.28.

(٢٤) ابن اياس : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١٩١ .

(٢٥) Kammerer. A. : Op. Cit., Tome 2., p. 144.

(٢٦) عيس بن لطف الله : « روح الروح فيما حدث فى المائة التاسعة من الفتن والفتوح » ، مخطوطة ص ٩.

(٢٧) السيد مصطفى سالم (دكتور) : الفتح العثمانى الاول لليمن ١٥٣٨ – ١٦٣٥ ، ص٥٠-٥١ .

مهاجمة السفن والمراكز التجارية العربية والاسلامية فى مياخ الخليج العربى والبحر الاحمر وبحر العرب والمحيط الهندى بوجه عام[٢٨] وكان استيلاء البرتغاليين فى الطريق البحرى المباشر بين مصر والهند . وقد أعقب ذلك استيلاء البرتغاليين على ملقا فى سنة ١٥١١ فى أقصى شبة حزيرة الملايو فى الطرف الجنوبى الشرقى من آسيا . والتى كانت تعد من أعظم قواعد التجارة العالمية ، حيث تتجمع منتجات منطة الشرق الاقصى والهند الصينية بصفة خاصة . كذلك أدى استيلاء البرتغاليين على هرمز الى اغلاق الخليج العربى [٢٩]، والى سيطرتهم على مصايد اللؤلؤ فى الخليج ، وعلى تجارة الخيول الفارسية والعربية التى كانت ترسل من هرمز الى بلاد الهند .

وبعد أن تمكن البرتغاليين من الوصول الى قاليقوط فى سنة ١٤٩٨م ، أخذت التجارة الشرقية التى كانت تصل من المحيط الهندى – الذى كان أشبه بوعاء العسل بما فيه من خيرات – تتحول الى طريق رأس الرجاء الصالح ، بحيث لم تعد مصر المركز الرئيسى الذى تتجمع فيه السلع-الشرقية ، فيشتريها البنادقة وغيرهم . ولما زصبح البرتغاليون يتحكمون فى منابع هذه السلع من أرجاء المحيط الهندى بعد حركة الكشوف فلم تعد هناك حاجة الى وساطة مصر أو البندقية ، تلك الوساطة التى أدت الى ارتفاع أثمانها فى الاسواق الاوربية . اذ كان ثمن قنطار الفلفل على سبيل المثال يتراوح بين ٢٫٥ و ٣ بندقيا فى قاليقوط ، ويصبح ثمنه بعد وصوله الى الاسكندرية ٨٠ بندقيا ، على حين صار يباع فى لشبونة البرتغالية بعد الكشف الجغرافى بسعر يتراوح بين ٢٠ و ٤٠ بندقيا ، أى أن اسعار السلع انخفضت بواقع نصف قيمتها على أكثر تقدير . كما أن السفن البرتغالية وفرت على المستهلك الاوربى مشقة الحصول على السلع الشرقية حتى من لشبونة التى

---

(٢٨) مهمد عبد العال أحمد (دكتور) : البحر الاحمر والمحاولات البرتغالية الاولى للسيطرة عليه . نصوص جديدة مستخلصة من مشاهدات المؤرخ اليمنى «بامخرمة» كما سجلها فى مخطوط (قلادة الحر) دراسة وتحقيق ، ص ١٠٠

(٢٩) عبد العزيز محمد الشناوى (دكتور) : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترعلى عليها جـ١ ، ص٦٩٨-٦٩٩

أصبحت مركزا لتجميع هذه السلع وتسويقها ، اذ صارت السفن البرتغالية تنقل السلع الشرقية مباشرة الى مناطق الاستهلاك مثل انجلترا والاراضى الاوربية المنخفضة وغيرها من الدول الاوربية (٣٠) .

وهكذا تمكن البرتغاليون من تحويل التجارة العالمية الى طريق رأس الرجاء الصالح عقب وصولهم الى الهند فى سنة ١٤٩٨ ، وبذلك حرمت مصر وعالم البحر المتوسط من تيارها المتدفق فى مطلع القرن السادس عشر الميلادى .

(٣٠) ابراهيم على طرخان (دكتور) : المرجع السابق ، ص ٢٩٣ .

الفصل الثـالث

أثر تحول التجارة العالمية الى طريق رأس الرجاء الصالح على مصر وعالم البحر المتوسط اثناء القرن السادس عشر

أدى تحول التجارة العالمية الى طريق رأس الرجاء الصالح فى نهاية القرن الخامس عشر ومطلع القرن السادس عشر لميلاديين الى احداث تغير واضح المعالم فى الواقع الاقتصادى والسياسى والاستراتيجى الذى عاشته مصر وعالم البحر المتوسط فى مطلع العصور الحديثة ، وخاصة أثناء القرن السادس عشر أو بالاحرى حتى نهاية الفترة التى ظهرت فيها انعكاسات هذا الحدث التاريخى الهام وردود الفعل المختلفة ازاءه ، والنتائج التى ترتب عليه ، واستمرت مع تغير تدريجى ، وتطور بطئ حتى عودة التجارة العالمية الى هذا الطريق التقليدى القديم عبر مصر وعالم البحر المتوسط بشل واضح فى نهاية القرن الثامن عشر .

وسوف نعالج فيما يلى الاثر الذى أحدثه هذا التحول للتجارة العالمية الى طريق رأس الرجاء الصالح على مصر وعالم البحر المتوسط فى المجالات الاقتصادية والسياسية والاستراتيجية حتى يمكننا التعرف على حقيقة أبعاده ، أثناء القرن السادس عشر .

أولاً : الاثر الاقتصادى لتحول التجارة العالمية الى طريق رأس الرجاء الصالح عى مصر وعالم البحر المتوسط اثناء القرن السادس عشر :

مما لا شك فيه أن العامل الاقتصادى يشكل احدى الدعامات الكبرى التى تستند الى أى دولة فى قيامها وبقائها ، وأنه اذا تطرق الضعف الى هذه الدعامة فان ذلك يعد نذيراً بتداعى الدولة وانهيارها . ودولة سلاطين المماليك فى مصر والشام والحجاز كانت تتمتع أيام عنفوانها وقوتها باقتصاد متين ، استند الى هذا الحجم

الهائل من التجارة العالمية النشطة الى كانت تمر عبر بلادها من جهة ، والى تمتعها بحالة من الامن والاستقرار النسبى من جهة أخرى ، هذا فضلا عن امتلاكها لقوة ضاربة يحترمها الاصدقاء ويخفها الاعداء ، ونظام مماليكى كان فى عهد كان فى عهد قوته يعترف فيه المملوك بفضل أستاذه ، ويحترم فيه الصغير من هو أكبر منه سنا ودرجة . وهكذا حققت دولة سلاطين المماليك توازنا يدعو الى الاعجاب فى سياستها الداخلية والخارجية جعلتها موضع احترام سكانها فى الداخل وجيرانها فى الخارج وذلك خلال القرنين الاوليين من بداية عهدها وقبل نصف قرن ن انهيارها عام ١٥١٧ .

غير أن السلطنة المملوكية تعرضت فى نصف القرن الاخير من حياتها منذ عهد السلطان قايتباى فى سنة (٩٧٢هـ . / ١٤٦٧ م .) لكثير من مظاهر التدهور الاقتصادى نتيجة لعوامل متعددة ، وكان تحول التجارة العالمية الى طريق رأس الرجاء الصالح بعد وصول البرتغاليين الى الهند فى سنة ١٤٩٨ ، وما ترتب عليـه من اضعـاف للنشاط التجارى وللعوائد المالية للماليك من جهة ، وما صاحب ذلك من مجهود حربى لمواجهة الخطر البرتغالى فى وقت انهار فيه نظام الاقطاع الحربى الذى استند اليه كيان الدولة منذ بداية عهدها من جهة أخرى ، وجاء ذلك من ناحية الترتيب الزمنى فى نهاية تلك العوامل ، فقد كان هذا العامل الاخير أشبه بالقشة التى قصمت ظهر البعير . ولكن نتعرف على الابعاد الحقيقية لهذا الحدث التاريخى المتمثل فى أثر تحول التجارة العالمية الى طريق رأس الرجاء الصالح على مصر وعالم البحر المتوسط أثناد القرن السادس عشر ، فأنه ينبغى علينا أن نتعرف على عوامل التدهور التى ظهورت فى كيان الدولة المملوكية فى نصف القرن الاخير من حياتها لما لها من أثر كبير على اعطاء هذا الحدث التاريخى حجمه الحقيقى وبعده التأثيرى ، وخاصة بعد أن ارتكز اليه منفردا الكثيرون من الباحثين متأثرين بأنه كان آخر الاحداث البارزة التى كان لها تأثيرا سلبيا فى حياة الدولة المملوكية فى نهاية عهدها .

ومن العوامل التى اشتركت مع هذا العامل الاخير فى احداث التدهور الاقتصادى للدولة المملوكية فى نهاية عهدها وخاصة منذ عهد السلطان قايتباى الذى بدأ عام (٨٧٢ هـ /١٤٦٧م) ظهور عبث المماليك الجلبان[١] مع أهالى البلاد الامنين بشكل ملحوظ ، ونهب أموالهم وممتلكاتهم ، والتمرد بين حين وآخر على السلطان بدعوى عدم الرضا عما يخصصه لهم من نفقة وأموال ومطالبتهم بالمزيد . ولم تسلم فئة من فئات المجتمع من أذى المماليك وفسادهم حتى « أنهم رجموا الامراء من الطباق بالحجارة وكبوا عليهم الماء المتنجس بالاقذار وخطفوا عمائم الفقهاء » ، كما يروى ابن اياس فى حوادث عام (٩٠٤ هـ / ١٤٩٨ م) [٢]. بل ان المماليك الجلبان لم يستطيعوا أن يكفوا أيديهم عن أذى الناس حتى فى أوقات الخطر والشدة وقد روى ابن اياس فى حوادث عام (٩٢١هـ /١٥١٥ م) انه عندما نودى فى العسكر للتجريدة وللخروج لمواجهة العثمانيين أن المماليك الجبان « نزلوا من القلعة وأطلقوا فى الناس النار ، وأخذوا بغال القضاة والعلماء والتجارة ، وهجموا عليهم الحارات والبيوت ، ونزلوا الفقهاء من على بغالهم فى وسط الاسواق ، وأخذوهم من تحتهم »[٣] وكان من الطبيعى أن يترك ذلك أثره فى الحالة الاقتصادية اذ لم تلبث ان أغلقت الطواحين قاطبة ، وامتنع الخبز فى الاسواق وكذلك الدقيق ، ووقع القحط بين الناس ، وضج العوام ، وكثر الدعاء على السلطان ، وعلقت أسواق القماش من المماليك ، واختفى الصنايعية والخياطون ، واضطربت أحوال القاهرة ، واختفى جماعة من التجار خوفا من المماليك [٤]. وتجدر الاشارة الى أن عبث المماليك كان معظمه من المماليك الجلبان . الذين دأب سلاطين المماليك مع افتقار دولتهم على شرائهم كبارا وقد تجاوزوا سن البلوغ لانهم فى هذه الحالة كانوا أرخص ثمنا من المماليك

---

(١) المماليك الجلبان هم المماليك الذين جلبهم السلطان لنفسه عن طريق الشراء من خارج مصر، وكان السلاطين يقربوهم اليهم على حسبا المماليك الاخرين مما سبب الغيرة وبين غيرهم من المماليك .

(٢) ابن اياس : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٤٠٠ .

(٣) ابن اياس : نفس المصدر ، ج ٤ ، ص ٤٧٤ .

(٤) ابن اياس : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٤٧٤ – ٥٧٥ .

الصغـــار الـذين ينشأون فى قصورهم وهؤلاء المماليك الكبار كان يصعب تعليمهم آداب السلوك وتغيير أسلوبهم الذى اعتادوه فى صغرهم مما جعلهم أداة هدم ومعول تخريب فى الدولة . وتكاد لا تمر سنة واحدة من الخمسين سنة الاخيرة من عمر دولة سلاطين المماليك دون ان يشير ابن اياس الى فتنة أو ثورة أو اضطراب احدثه المماليك الجلبان فى الدولة وترتب عليه انهيارا فى اقتصادياتها من جهة أو أخرى (٥).

كذلك لم يلتزم سلاطين المماليك نوعا من الاقتصاد فى نفقاتهم الخاصة ليخففوا عى رعاياهم الاعباء الثقال الملقاه على عواتقهم ، وانما استمر المماليك –سلطانا وأمراء وجندا– يعيشون عيشة البذخ والاسراف فى الوقت الذى يئن الناس من كثرة الالتزامات المفروضة عليهم ، فالسلطان قايتباى الذى أعلن نفسه (٨٩٤هـ/ ١٤٨٨ م) أمام القضاة والامراء أن جميع ما فى خزائن الدولة من أموال قد نفذ ، اذ به فى العام التالى (٨٩٥هـ / ١٤٨٩م) يقيم حفلا لمناسبة ختان ابنه محمد الذى تسلطن بعده وكان فى السابعة من عمره . ويتكلم ابن اياس عن هذا الحفل فيقول ما نصه « وكان المهم بالقلعة سبعة أيام متوالية ، وكان نوادر المهمات ، فاجتمع سائر مغانى البلد ، ورسم السلطان بأن تزين القاهرة ، فزينت زينة حافلة حتى زينوا داخل الاسواق ... فكانت تلك الايام مشهودة لم يسمع بمثلها . ودخل على السلطان من التقادم ما لا ينحصر من مال وخيول وقماش وسكر وأغنام وأبقار وغير ذلك ، مما يزيد عن خمسين ألف دينار . فكان من جملة ما أهداه المقر الشهابى أحمد بن العينى طست وأبريق ذهب زنته نحو ستمائة مثقال برسم الختان ... » (٦). واستمرت مظاهر الاسراف والتبذير حتى عهد السـلطان الغـورى الذى يقول عنه ابن اياس فى حوادث سنة (٩٢٢هـ – ١٥١٦ م) أن خـاصكيتة تكاملت فى تلك السنة « نحو ألف ومائتى خاصكى

---

(٥) سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور) : التدهور الاقتصادى فى دولة سلاطين المماليك (٨٧٢–٩٢٣ هـ ١٤٦٨ – ١٥١٧م) فى ضوء كتابات ابن اياس ص ٧٠ .

(٦) ابن اياس : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٢٧١ .

من مشـــترواته» [٧]. هذا كله فضلا عن المنشآت الضخمة التى ظل السلاطين يقيـمونها حتى أواخر عهـد دولتـهم . ونذكر على سبيل المثال لا الحصر ما عدده ابن اياس فى حوادث سنة (٩٠١هـ - ١٤٩٥ م) من منشآت اقامها الاشـراف قايتباى أيام دولته : فأقام خلال حكمه من المبانى الفاخرة أربع منشآت فى الحجاز . ومدرستين بالشام ، ومدرسة بالاسكندرية ، والقلعة التى أنشأها مكان المنار القديم بالاسكندرية ، ومدرسة بغزه ، وجوامع بمصر والقاهرة ، فضلا عن المدارس السبل والمكاتب والزوايا والاسبلة والقناطر والربوع ، كما أنشأ وجدد بالقلعة عدة منشآت[٨].

ومن العوامل التى زادت من سوء الاحوال الاقتصادية فى نهاية عهد السلطنة المملوكية أمور طبيعية لم ترحم البلاد . اذ يروى ابن اياس كيف انتشر وباء الطاعون فى مصر عدة مرات فى السنوات التالية (٨٧٣ هـ - ١٤٦٨ م) - (٨٨٨هـ - ١٤٨٣ م) - (٨٩٧ هـ - ١٤٩١ م) - (٩٠٣ هـ - ١٤٩٧ م) - (٩٠٩ هـ - ١٥٠٣ م) - (٩١٢ هـ - ١٥٠٦ م) - (٩١٩هـ - ١٥١٣م) . ومن هذا يبدو أن الناس ما كادوا يفيقون من موجة موجات الطاعون حتى يتعرضون لموجة كاسحة جديدة .[٩] و يذكر ابن اياس عن الطاعون الذى وقع فى دولة الاشراف قايتباى ، وانه « فتك فى الناس فتكا ذريعاً » حتى لقد بلغ عدد من مات به وأبلغ اسمه فعلا لديوان المواريث نحو من مائتى الف انسان . ويعلل ابن اياس فى حوادث هذا العام ، هذه الطواعين بالفساد الذى عم البلاد . وانها جاءت نقمة من الله بعد أن « كثر بها الزنا واللواط وشرب الخمر وأكل الربا وجور المماليك فى حق الناس »[١٠].

ومن العوامل الطبيعية التى أثرت فى الاوضاع الاقتصادية فى نهاية عهد

---

(٧) ابن اياس : نفس المصدر ، ج ٥ ، ص ٦ .
(٨) ابن اياس : نفس المصدر ، ج ٣ ، ص ٣٢٩.
(٩) عبد المنعم ماجد (دكتور) : طوما باى ، ص ٨٩ - ٩٠ .
(١٠) ابن اياس : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٢٨٧.

السلطنة المملوكية ظاهرة انخفاض النيل[11] وتعرض الحاصلات لبعض الافات مما كان يعود على الحياة الاقتصادية بأفدح العواقب . وقد أوضح ابن اياس فى حوادث سنة (٨٩١ هـ - ١٤٨٦م) أن فيها « تناهى سعر البرسيم كل فدان خضر باثنى عشر ديناراً ، وأبيع الدريس كل مائة قتة بأربعمائة درهم ... وسبب ذلك أن حَبّ البرسيم كان غاليا فى تلك السنة ، وكان النيل خسيسا . والذى طلع من البرسيم أكلت غالبة الدودة . وكان سعر الغلال جميعه مرتفعا فى هذه السنة ، حتى غلا سعر الرواية الماء من عدم العلف لجمال السقايين » [12].

وفى القوت الذى تعرض فيه الفلاح فى مصر لهذه الازمات الاقتصادية التى جاءت لفعل الطبيعة . ما بين وباء ونقص فى ماء النيل . وآفات تلتهم المحاصيل.. اذ به لا يسلم من خطر العربان الذى دأبوا على افساد البلاد والاعتداء على الفلاحين ونهب مواشيهم ومحاصيلهم مما جعل الريف يتعرض لازمات تخريبيه زادت الاحوال الاقتصادية فى البلاد سواء على سوء . وقد أفاض ابن اياس فى وصف عبث العربان بأرجاء مصر وتعديهم على العباد وذلك فى ذكره لاحداث السنوات التالية (٨٧٣هـ - ١٤٦٨م) - (٨٧٦هـ - ١٤٧١ م) - (٩٠٤هـ - ١٤٩٨م) - (٩١٨ هـ - ١٥١٢ م) - (٩٢٠ هـ - ١٥١٤م) - (٩٢٢ هـ - ١٥١٦ م) [13]. ولم تقف سلطنة المماليك مكتوفة الايدى أمام عدوان العربان ، وانما خرجت الجيوش الى الصعيد والبحيرة والشرقية والجيزة للضرب على أيديهم . ويؤكد ابن اياس كيف تزايد فساد العربان فى سنة (٩١٨هـ - ١٥١٢ م) حتى « تحالفت سبع طوائف من العربان (بالبحيرة) أن يكونوا كلمة واحدة على العصيان .. وقد آل أمر تلك الجهات الى الخراب » [14] . كذلك يروى ابن اياس أن خطر العربان اشتد فى تلك السنة نفسها فى الصعيد واستمر حتى عام (٩٢٢هـ - ١٥١٦ م) الذى نهب فيه بنوا عطية

---

(١١) عبد المنعم ماجد (دكتور) : طومای بای ، ص ٨٨ - ٨٩ .

(١٢) ابن اياس : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٢٢٤ .

(١٣) ابن اياس : نفس المصدر ، ج ٣ ٤ ، ٥ .

(١٤) ابن اياس : نفس المصدر ، ج ٤ ، ص ٢٥٦ .

والنعايم « ضياع الشرقية ، وأخذوا منها نحوا من أربعمائة رأس من الغنم ودخلوا وادى العباسة » [١٥].

هناك كذلك عوامل خارجية أثرت فى اقتصاديات الدولة المملوكية فى نهاية عهدها ، وهى تتمثل فى طمع الاعداء فى أراضى الدولة ومحاولتهم غزوها بعد أن اتضح لهم أنها فى ذلك الدور الاخير من عمرها أضعف من أن تستطيع الدفاع عن كيانها . ويشير ابن اياس فى حوادث سنة (٨٧٢هـ - ١٤٦٧م) الى ما كان بين سلطنة المماليك وشاه سوار من سوار من أمراء التركمان على الحدود الشمالية للدولة - من حروب [١٦]. كما يشير فى حوادث سنة (٨٨٨ هـ - ١٤٨٣م) الى أن على بن دولات بن دلغادر هاجم ملطية فى جميع كبير من العساكر «فانزعج السلطان لهذا الخبر » [١٧]. أما هجمات العثمانيين فيشير اليها ابن اياس فى حوادث سنة (٨٩٠ هـ - ١٤٨٥م) و (٨٩١ هـ - ١٤٨٦ م) و (٨٩٣هـ - ١٤٨٧م)[١٨] وغيرها . هذا بالاضافة الى بعض الهجمات التى تعرضت لها سلطنة المماليك فى هذا الدور ، وجاءت من ناحية البحر المتوسط ، اذ دأب الفرنج وقراصنتهم على مهاجمة شواطئ الدولة وموانيها وقطع الطريق على سفنها التجارية فى عرض البحر . من ذلك ما يشير اليه ابن اياس فى سنة (٨٧٨هـ- ١٤٧٣م) من أنه «جاءت الاخبار من الاسكندرية بأن الفرنج قد تعبثوا ببعض سواحلها وأسروا من المسلمين تسعة أنفار ، وفعلوا مثل ذلك بثغر دمياط » [١٩]. وذكر ابن اياس أحداثا مشابهة تشير الى عدوان الفرنج فى البحر المتوسط على موانى دولة المماليك وسفنها فى حوادث سنة (٩١٣هـ - ١٥٠٧م) و (٩١٤ هـ - ١٥٠٨ م) و (٩١٥ هـ - ١٥٠٩م) [٢٠].

---

(١٥) ابن اياس : المصدر ج ٥ ، ص ٧٩ .
(١٦) ابن اياس : نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٤٥٠ .
(١٧) ابن اياس : نفس المصدر ، ج ٣ ، ص ١٩٩ .
(١٨) ابن اياس : نفس المصدر ج ٣ ، ص ٢١٤ ، ٢٢٢ ، ٢٣٧ .
(١٩) ابن اياس : المصدر السابق ، ج ٣ ص ٨٩ .
(٢٠) ابن اياس : نفس المصدر ، ج٣ ١١١ ، ١٣٠ ، ١٥٠ .

ومن الواضح أن خطورة هذه الهجمات المعادية على أطراف السلطنة المملوكية وسواحلها فى نهاية القرن الخامس عشر ومطلع القرن السادس عشر الميلاديين لا تفق من الناحية الاقتصادية عند حد ما كانت تحدثه من خراب وتدمير ، وانما كانت تتطلب للحد من خطرها ومقاومتها نفقات باهظة تلقى على خزانة الدولة مزيدا من الاعباء ، فى وقت اشتد طمع الجند ازدادت شراهتهم للمال ، وصاروا لا يتحكرون ولا يخرجون فى تجريدة الا بعد أن يتقاضوا الثمن أضعافاً مضاعفة . وكانت هذه الحروب الدفاعية هى فى نفس الوقت حروبا استنزافية تلقى أعباء جديدة ثقيلة على خزانة الدولة وبالتالى فانها زادت الاوضاع الاقتصادية سواء فوق سوء .

واذ كانت كل هذه العوامل قد أثرت فى اضعاف اقتصاديات السلطنة المملوكية فى نهاية عهدها ، فأنه لا يخفى علينا أن العامل الاساسى فى تدهور الحياة الاقتصادية فى أواخر عصر سلطنة المماليك . انما يكمن فى كساد تجارتها. ذلك أنه من المعروف أن دولة المماليك بنت قوتها واستمدت ثروتها من قيامها بدور الوسيط التجارى بين الشرق والغرب ، وفى عصر انسدت فيه معظم طرق التجارة الداخلية بسبب ظهور التتار على مسرح الشرق الاوسط ، بحيث لم يبق خارج سيطرتهم الا طريق البحر الاحمر - عبر اراضى دولة المماليك الى البحر المتوسط . ولكن اكتشاف البرتغاليين لطريق رأس الرجاء الصالح ووصولهم الى الهند فى سنة ١٤٩٨ حرم سلطنه المماليك من المورد الاول لثروتها وقتها ، الى جانب ما كانت تعانى منه آنذاك من تدهور اقتصادى على النحو الذى أشرنا اليه مما أنزل ضربة قاصمة بوضعها الاقتصادى وكان هذا الحدث التاريخى الخطير أشبه بالقشة التى قصمت ظهر البعير .

وقد حاول السلطان الغورى مواجهة الخطر البرتغالى وأرسل حملته الاولى التى هزمت فى موقعة ديو عام ١٥٠٩ . وكان عليه أن يواصل جهوده بعد أن علم - كما يروى ابن اياس فى حوادث عام (١٩١٩ هـ - ١٥١٣ م) أن الافرنج[21] قد زاد تشويشهم عى التجار فى البحر الملح (البحر الاحمر) وصاروا

(٢١) ابن اياس : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١٠٩ .

يخطفون البضائع من المراكب ، وقد ملكوا كمران وهى من بعض جهات الهند (والصحيح أنها جزيرة قمران المواجهة للساحل اليمنى المطل على البحر الاحمر شمالى الحديدة)، وقد تكامل من مراكب الفرنج بالبحر نحو عشرين مركبا ، وكثرت الاشاعات بسفر السلطان الى السويس » [٢١]. لكى يتفقد بنفسه بناء أسطوله فى البحر الاحمر لمواجهة البرتغاليين الذين حاصروا آنذاك « مدينة سوان وان الشريف بركات امير مكة خرج الى جدة .. خوفا على البندر من الفرنج أن يهجموا عليه» [٢٢].

ويصور ابن اياس ما أصاب اقتصاد الدولة المملوكةى آنذاك من خراب نتيجة لكساب تجارتها فى عبارة ذكرها فى حوادث سنة (٩٢٠ هـ - ١٥١٤ م) فيقول : « وكان فى تلك الايام ديوان المفرد وديوان الدولة وديوان الخاص فى غاية الانشحات والتعطيل ، فان بندر الاسكندرية خراب ولم تدخل الى القطائع (السفن) فى السنة الخالية . وبندر جده خراب بسبب تعبث الفرنج على التجار فى بحر الهند ، فلم تدخل المراكب بالبضائع الى بندر جده نحوا من ست سنين ، وكذلك جهة دمياط » [٢٣].

وأمام هذا التدهور الاقتصادى الذى منيت به الدولة المملوكية طوال الخمسين سنة الاخيرة من عمرها نتيجة للعوامل التى أشرنا اليها والتى انتهت بتحول التجارة العالمية الى طريق رأس الرجاء الصالح وانحسارها عن مصر وعالم البحر المتوسط منذ وصول البرتغاليين الى الهند عام ١٤٩٨ ، فقد حاول سلاطين المماليك فى تلك الفترة أن يعالجوا ذلك التدهور . وقد لجأوا الى أساليب عديدة لتعويض خزانة الدولة عما فقدته ، ولتمكينهم من النهوض بالاعباء الملقاة على عاتق حكومتهم ، فضلا عن اشباع المطالب الخاصة بالسلاطين أنفسهم . واذا كانت هذه الاساليب قد نجحت فى توفير بعض الاموال المطلوبة للسلاطين ، الا

---

(٢١) ابن اياس : المصدر السابق . ج ٤ ، ص ٣٥٩.
(٢٢) ابن اياس : نفس المصدر ، ج ٤ ، ص ٣٣١ .
(٢٣) ابن اياس : نفس المصدر ، ٣٥٩ .

أنها من الناحية الاقتصادية زادت الطين بلة ، وأسرعت بالخراب الذى حل بالدولة وبمرافقها مما عجل بنهايتها [٢٤] .

مـن ذلـك ما لجأ اليه سلاطين الممالى من تطبيق لسياسة الاحتكار التى توسـعوا فيها منذ عهد السلطان برسباى الذى أصدر مرسوما فى عام ١٤٣٨ يحرم به شـراء التوابل من غير مخازن السلطات . وقامت هذه السياسة على أساس احتكـار السلاطين أصنافا معينة من البضائع لا يجوز لاى فرد آخر أن يتاجر فيها ، مما ضـمن للسـلاطين ايراد ضخما وخاصة من وراء بعض حاصلات الشرق التى احتـكر سـلاطين المماليك بيعها للتجار الاوربيين وأما المتجر السلطانى فالمقصود به أن السلطان كان يستغل أمواله بتشغيلها فى التجارة طلبا للكسب ، وبذلك ينافس أرباب الاعمال والتجار فى أرزاقهم . ويروى ان اياس عن السلطان الغورى فى حوادث سنة (٩١٩هـ - ١٥١٣ م) أنه كان « يشترى القمح ويرسله الى الشام فانه كان بها غلاء عظيم ، حتى قيل وصل فيها كل أردب قمح الى سبعة أشرفية. فكان يشترى القمح من مصر ويرسله الى البلاد الشامية ، فانشحطت القاهرة من الخبز والدقيق بسبب ذلك ، وكادت أن تكون غلوة مع وجود القمح الجديد »[٢٥] وهكذا استغل السلطان الغورى الفارق فى سعر القمح بين مصر والشام ليحصل على فرق الثمن ، غير مبال بما يعانيه شعبه فى مصر والشام جميعاً من جراء هذا الاستغلال .

كما تحايل سلاطين المماليك من أجل الحصول على المال عن طريق مصادرة أموال الناس وأملاكهم . فكان يكفى أن تظهر على أحد رجال الدولة دلائل النعمة حتى يكون هدفا سهلا للسلطان يقرر عليه المبالغ الضخمة ليدفعها ، والا فبئس المصير . وكانت أعمال المصادرات تشتد عسفا كلما امتد الوقت بدولة المماليك وازداد عسرها المالى ، حتى اذا ما جاء عصر الغورى - الذى تحولت فى عهده التجـارة الشـرقية الى طريق رأس الرجاء الصالح - كانت سياسة المصادرات قد

---

(٢٤) سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور) : التدهور الاقتصادى فى دولة سلاطين المماليك ص ٧٨

(٢٥) ابن اياس : المصدر السابق ٤ ، ص ٣٠٢

بلغت أشدها . ويروى ابن اياس فى حوادث سنة (٩٠٧ هـ - ١٥٠١ م) أن المماليك عندما طلبوا النفقة من السلطان الغورى « ظل يصبرهم نحوا من أربعة أشهر حتى جعة الاموال من المصادرات » [٢٦]. ثم يقول ابن اياس فى حوادث سنة ٩١٥هـ انه « صودر فى هذه السنة جماعة كثيرة من أعيان الناس »[٢٧] . ولم تقتصر هذه المصادرات على الاموال السائلة والعقارات وانما امتدت الى غيرها ، حسب حاجة السلطان . وعندما اشتدت حاجة السلطان الى الاخشاب لبناء السفن فى السويس لمنازلة البرتغاليين فى سنة (٩١٩هـ - ١٥١٣ م) ، فان رجاله « صاروا يقطعون أشجار الناس من الغيطان غصبا باليد ، ويرسلونه السويس لاجل عمارة المراكب هناك » [٢٨].

وثمة نوع آخر من المصادرات لجأ اليه سلاطين المماليك فى ذلك الدور لتدبير المال اللازم لهم ، وتمثل ذلك فى قطع ارزاق الناس - وخاصة الفقاء والمتعممين وحرمانهم من مرتباتهم العينية أو انقاصها . حتى انتهى الامر بأن امتدت أيدى السلاطين الى الاوقاف الشرعية لحرمان مستحقيها من نصيبهم . وقد اعترض على ذلك التصرف آنذاى قاضى قضاة الحنفية ، على أن تلك المعارضة لم تحل بين سلاطين المماليك وبين تنفيذ أطماعهم فى الاوقاف فيروى ابن اياس فى حوادث سنة (٩١٤ هـ - ١٥٠٨ م) كيف أن السلطان الغورى « تعرض للرزق الاحباسية والاوقاف .. فحصل للناس الضرر الشامل ولاسيما أولاد الناس ... وكانت حادثة مهولة لم يسمع بمثلها » . ثم يضيف ابن اياس - فى حسرة وألم قائلا « وأنا من جملة من وقع له ذلك »[٢٩] أى أنه كان من جملة من صودرت اقاطعاتهم . وما زال ابن اياس يقف للسلطان الغورى ليشكو لهحاله ، حتى رق له وأمر باعادة اقطاعه اليه فى العام التالى (سنة ٩١٥ هـ - ١٥٠٩) [٣٠].

---

(٢٦) ابن اياس : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١٩

(٢٧) ابن اياس : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١٥٢

(٢٨) ابن اياس : نفس المصدر ، ج ٤ ، ص ٣٠٧

(٢٩) ابن اياس . نفس المصدر . ج ٤ ، ص ١٥٠

(٣٠) ابن اياس . نفس المصدر . ج ٤ ، ص ١٧٣

وثمة وسيلة أخرى لجأ اليها سلاطين المماليك للحصول على المال وهى التلاعب بالعملة والتى كان من شأنها حدوث مزيد من التدهور الاقتصادى للسلطنة . ويذكر ابن اياس فى حوادث سنة (٨٧٩ هـ - ١٤٧٤ م) أن السلطان قايتباى ضرب فلوسا جددا وأراد أن يجعل سعرها أغلى من الفلوس العتق ليجنى السلطان الفرق بين السعرين . وكانت الفلوس تقيم بالوزن لا بالعد ، فجعل السلطان كل رطل من الفلوس الجدد بست وثلاثين ، فى حين كان كل رطل من الفلوس العتق بأربعة وعشرين « فخسر الناس فى هذه الحركة الثلث من أموالها»[٣١] . ولاشك فى أن التلاعب بالعملة على هذا النحو من شأنه أن يخلق حالة من عدم الاستقرار بالسوق ، الامر الذى يزيد من ارتباك الأوضاع الاقتصادية بالدولة . كما فرض السلاطين المماليك مكوسا وضرائب لاشباع رغبتهم فى الحصول على الاموال ، فالسلطان قايتباى عندما احتاج الى أموال لاخراج تجريدة ضد العثمانين فى سنة (٨٩٢ هـ - ١٤٨٦م) أمر المحتسب بجمع اعيان التجار وفرض عليهم أربعين الف دينار قائلا لهم « سادعونى بشئ من المال على خروج التجريدة »[٣٢]. ولكن التجار ضجوا من ذلك ، ومازالت المفاوضات جارية بين الطرفين حتى قبل التجار أن يدفعوا اثنى عشر ألف دينار . وبالاضافة الى الضرائب المباشرة التى كان يفرضها السلطان على التجار على ، يشترونها من السلطان بالاثمان التى يحددها هو ، ويخسرون فيها أموالا طائلة ، مما أدى الى زعزعة الحالة الاقتصادية فى الاسواق . ويذكر ابن اياس فى حوادث سنة (٩١٧ هـ-١٥١١م) ان السلطان الغورى « أرمى على التجار قاطبة شاشات وأرزا وأثوابا صوفا ، وأرمى على السوقة زيتا وعسلا وزبيباً وأصناف بضائع يخسرون فيها الثلث ، وصاروا يستحثونهم فى سرعة الثمن لاجل النفقة ، فغلقت الاسواق بسبب ذلك وأقامت مغلوقة أياماً »[٣٣] .

---

(٣١) ابن اياس : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٠٦ .
(٣٢) ابن اياس : نفس المصدر ، ج ٣ ، ص ٢٤٢.
(٣٣) ابن اياس : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص٢٤٢ .

ولم يكن أهل الريف – من المقطعين وغيرهم بمنجاة من ظلم السلاطين عندما زادت الازمة الاقتصادية ، وانما امتدت يد العسف اليهم ، ففى الوقت الذى كان رجال السطان يضيقون على التجار فى العاصمة لسلب أموالهم ، كان الشف فى الاقاليم ينفذون تعاليم السلطان بجمع الاموال من المقطعين كما لجأ السلطان الى جمع خراج الارض من المزارعين قبل استحقاقه وقبل جمع المحصول الجديد، بل حتى قبل موسم فيضان النيل ، مماعرضهم لكثير من المظالم . ومن ذلك ما أورده ابن اياس فى حوادث سنة (٩١٨هـ – ١٥١٢ م) من أن السلطان الغورى رسم « لكاشف الشرقية وكاشف الغربية بأن ينزلوا على البلاد ويستخرجوا من الفلاحين الحمايات والشياخة وقدوم الكشاف عن سنة ثمان عشرة وتسعمائة الخراجية قبل أن تدخل وقبل أن تنزل النقطة وينادى على النيل ، فحصل للمقطعين غاية الضرر ، وصارت الكشاف تنزل على البلاد وتكبس على الفلاحين ، ويستخرجون منهم الاموال بالضرب ، والذى يهرب يقبضون على نسائهم وعى أولادهم . فخرب غالب البلاد ، ورحلت عنها الفلاحون [٣٤]. وتوضح الفقرة الاخيرة من عبارة ابن اياس مدى التدهور الاقتصادى الذى حل بريف مصر آنذاك لحرص المماليك على جمع الاموال بكافة الطرق بعد أن فقدوا عوائد التجارة عقب تحولها الى طريق رأس الرجاء الصالح منذ نهاية القرن الخامس عشر وأثناء القرن السادس عشر الميلاديين .

ولم يكن صعيد مصر أحسن حالاً من الوجه البحرى اذ كان رجال السلطان الغورى يغتصبون الكثير من الخيل ونحوها فى أوقات الحاجة ، فكانوا ينزلون على كل بلد ويفرضون عليه فرسين قيمتهما مائة دينا فاذا كانت البلدة كبيرة فرضوا عليها أربعة . ويروى ابن اياس فى حوادث (سنة ٩٢٢ هـ – ١٥١٦م) أن الفلاحين ضجوا من ذلك « واخلوا من البلاد ، وتركوا زروعهم فى الارض ورحلوا. وخرب بعض البلاد فى هذه الحركة .. »[٣٥] وهكذا أدت هذه السياسة

(٣٤) ابن اياس : نفس المصدر ، ج ٣ ، ص ٢٦٢.
(٣٥) ابن اياس : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٣١ – ٣٢ .

التى استخدمها الغورى الى خراب الزرع والضرع .

وزاد من ارتباك الاوضاع الاقتصادية فى عهد السلطان الغورى ما عرف باسم المشاهرة والمجامعة ، وهى ضريبة تجمع من السوقة وتدفع للمحتسب كل شهر ليوردها للخزائن السلطانية . وقد بلغ من قسوة هذه الضريبة أن زادت شهريا على الالفى دينار . ويقول ابن اياس فى حوادث (سنة ٩٢٢ هـ - ١٥١٦ م) أن أن هذه الضريبة كانت « من أكبر أسباب الفساد فى حق المسلمين » (٣٦) . نظرا لان الباعة اضطروا الى تعويض قيمة هذه الضريبة عن طريق رفع أثمان البضائع فأشتد الغلاء وعز وجود أصناف كثيرة من البضائع حتى اضطر السلطان الى الغائها فى السنة المذكورة .

وفى الوقت الذى كان التجار داخل البلاد يتعرضون لهذه المظالم التى يقع جزء منها بدوره على المستهلك نتيجة للضائقة المالية التى اجتاحت البلاد ، فقد تعرض التجار الاجانب الوافدون على موانى الدولة فى مصر والحجاز وغيرها لنفس السياسة التعسفية التى طبقها سلاطين المماليك فى تلك الفترة الاخيرة من حياة الدولة المملوكية الامر الذى ظهرت معالم الطريق الجديد حول افريقيا الى الهند . وهكذا ذبلت الاسكندرية ودمياط وجدة وغيرها من ثغور الدولة وأقفرت أسواقها بعد أن أنصرف عنها التجار تجنب لدفع المكوس الباهظة التى فرضها سلاطين المماليك . ويقول ابن اياس عن مدينة الاسكندرية فى حوادث (٩٢٠هـ - ١٥١٤م) عندما زارها السلطان الغورى أنها كانت « فى غاية الخراب بسبب ظلم النائب وجور القباض . فانهم صاروا يأخذون من التجار العشر عشرة أمثال . فامتنع تجار الفرنج والمغاربة من الدخول الى الثغر ، فتلاشى أمر المدينة ، وآل أمرها الى الخراب ، حتى قيل طلب الخبز فلم يوجد بها ، ولا الأكل ووجد بعض الدكاكين مفتحة والبقية لم تفتح ... » (٣٧) .

---

(٣٦) ابن اياس : نفس المصدر ، ج ٥ ، ص ٣٢ .

(٣٧) ابن اياس : المصدر السابق ، ج ٤ ٤٢٤ .

وما يقال عن الاسكندرية ينطبق على غيرها من ثغور الدولة . اذ يقول ابن اياس فى حوادث سنة (٩٢٢هـ - ١٥١٦ م) ما نصه « وكان حسين نائب جده يأخذ العشر من تجار الهند المثل عشرة أمثال ، فامتنعت التجار من دخول بندر جده وآل أمره الى الخراب ، وكذلك الاسكندرية ودمياط . فامتنعت تجار الفرنج من الدخول الى تلك البنادر من كثرة الظلم ، وعز وجود الاصناف التى كانت تجلب من بلاد الفرنج »[٣٨].

وواضح من كل ما تقدم أن تدهور الاحوال الاقتصادية فى أواخر عصر دولة المماليك لم يكن نتيجة عامل واحد أو سبب بعينه ، وانما جاء وليد أسباب وعوامل عدة تضافرت لتهز قواعد تلك الدولة هزا عنيفا ، حتى فقدت أسباب رخائها وثروتها[٣٩] وكان تحول التجارة العالمية عن مصر وعالم البحر المتوسط عقب وصول البرتغاليين الى الهند عن طريق رأس الرجاء الصالح فى سنة ١٤٩٨ من أبرز عوامل التدهور الاقتصادى وفى نهايتها من ناحية التوقيت الزمنى ، مما جعل هذا الحدث التاريخى الهام أشبه بالقشة التى قصمت ظهر البعير كما سبق أن أشرت . ولا يمكن فهم أبعاد هذا الحدث الهام دون التعرف على العوامل الاخرى التى عرضناها والتى أدت الى تدهور الاوضاع الاقتصادية فى الدولة المملوكية ، حيث تضافرت جميعها فى انهيار الدولة اقتصاديا ، وبالتالى هزيمتها استراتيجيا وسياسيا أمام الدولة العثمانية فى سنة (٩٢٣ هـ - ١٥١٧ م) وهو ما سوف نعالجه فى الصفحات التالية مع اظهار انعكاسات هذا الحدث التاريخى على مصر وعالم البحر المتوسط أثناء القرن السادس عشر الميلادى .

(ثانيا) : الاثر السياسى والدبلوماسى لتحول التجارة العالمية الى طريق رأس الرجاء الصالح على مصر وعالم البحر المتوسط أثناء القرن السادس عشر :

شهدت سلطنة المماليك فى نهاية عهدها منذ أواخر القرن الخامس عشر

(٣٨) ابن اياس : نفس المصدر ، ج ٥ ، ص ٨٣ .
(٣٩) سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور) : التدهور الاقتصادى فى دولة سلاطين المماليك ص ٨٨ .

ومطلع القرن السادس عشر الميلاديين الكثير من الاضطرابات الياسية الداخلية التى جاءت فى نفس الوقت الذى تمكن فيه البرتغاليون من الدوران حول افريقيا والوصول الى الهند فى سنة ١٤٩٨ ، وبداية سيطرتهم على التجارة الشرقية ، وبالتالى حرمان مصر وعالم البحر المتوسط من أهم الموارد المالية فى ذلك الحين . وقد أدى هذا التحول الذى أثر فى اقتصاديات الدولة المملوكية بوجه خاص الى التأثير بالتالى على الحياة السياسية فيها والتى اتسمت بالتنافس والصراع لاعتبارات متعددة ، زاد تفاقمها عندما ضاقت الموارد المالية وتدهورت اقتصاديات البلاد نتيجة لتحول التجارة العالمية عنها الى طريق رأس الرجاء الصالح .

وكدليل على الاضطرابات الذى ساد الحياة السياسية فى أواخر عهد السلطنة المملوكية ما أورده الدكتور محمد محمد أمين فى دراسته لوثيقة تفويض من عصر العادل طومان باى ، صدرت فى (١٢ رجب ٩٠٦ هـ - أول فبراير ١٥٠١م) من الاشرف جان بلاط ، ويستدل منها على أن طومان باى العادل رفع اثنين من كبار الامراء الى عرش سلطنة المماليك قبل أى يلى هو نفسه العرش . وأن هذه الوثيقة تمثل فترة اضطراب وقلق وشديدين فى أواخر عصر سلطنة المماليك . والوثيقة رغم صغر حجمها فانها تلقى الضوء على العلاقات التى سادت بين كبار الامراء التنافسين على العرش ، وهى تدور بين أربعة أشخاص تولى ثلاثة منهم عرش سلطنة المماليك ، وتمثل نوعا من تقسيم الغنائم بين المشتركين فى الصراع بعد أن تم توزيع المناصب الكبرى عليهم ، وذلك فى الفترة التى أعقبت وفاة السلطان قايتباى ، وحتى تولية السلطان الاشرف قونصوه الغورى . وقد ولى الحكم فى هذه الفترة القصيرة ، والتى لم تتجاوز الخمس سنوات خمسة سلاطين تولى أحدهم وهو محمد بن قايتباى السلطنة مرتين ، وانتهى الامر بقتله على يد الامراء المماليك ، كما تولى أحدهم وهو قونصوه عرش السلطنة مدة ثلاثة أيام فقط ، ثم خلعه الامراء وهذه الفترة تمتد بين عامى (٩٠١ هـ - ١٤٩٦م) و (٩٠٦هـ - ١٥٠١ م) وكانت هذه الفترة هى بداية النهاية بالنسبة لسلطنة المماليك ، وبخاصة أن هذه الاضطرابات الداخلية جاءت فى نفس الوقت الذى حرمت فيه مصر من التجارة العالمية ،

وبالتالى حرمت من أهم مواردها المالية حينذاك[٤٠].

وتجدر الاشارة كذلك الى ظاهرة الانقسام فى صفوف المماليك التى بدت عند قيام السلطان قانصوه الغورى بمواجهة زحف السلطان سليم الاول العثمانى فى عام (٩٢٣ هـ - ١٥١٦ م) على بلاد الشام،[٤١] وكان ذلك انعكاسا للاحوال الاقتصادية السيئة التى كان منها المماليك فى نهاية عهد سلطنتهم، فالسلطان الغورى كان يتخوف من نائبه على الشام سيباى ويظن أنه يسعى الى أن يحل محله، خاصة وأن نواب الشام كثيرا ما كانوا يثورون ضد سلاطينهم، وأحيانا يتولون السلطنة من دونهم. كما كان المماليك الذى صاحبوا الغورى الى الشام فى نزع فيما بينهم. فمماليك الجلبان بلغ عددهم فى عهد الغورى ثلاثة عشر ألفا، وأصبحوا يعادون مماليك السلاطين قبله، الذين عرفوا بالمماليك السلطانية أو القرانص أو القراصنة، وكان أساس النزاع بين الفريقين تقريب الغورى لمماليكه الجلبان على حساب المماليك الاخرين، بل أنه كان يتذبذت بينهما أحيانا مما يثير الغيرة والحقد بينهم، فى وقت كانت تعانى فيه البلاد من التدهور الاقتصادى ووجود قحط آنذاك[٤٢]. وأثناء المعركة التى دارت بين الغورى وسليم الاول فى مرج دابق يوم الاحد (١٥ رجب ٩٢٢هـ - ٢٤ أغسطس ١٥١٦ سرت اشاعة بأن الغورى يريد أن يتخلص من القراصنة، حتى أنه طلب من مماليكه الجلبان ألا يقاتلوا. مما جعل القراصنة الذين كانوا فى المقدمة يتوقفون عن القتال، الامر الذى ترتب عليه الهزيمة الكاملة، وفروا المماليك بجميع فئاتهم. وكان خاير بك أول من هرب من الامراء، وتبعه جان بردى[٤٣]، ومن المراجح زنهما كانا متفقين من الباطن مع السلطان سليم الاول، حيث كان كلاهما يرى نفسه أنه أحق بالسلطنة من الغورى. وقد حاول الغورى أن يوقف فرار المماليك - سيما من

---

(٤٠) محمد محمد أمين (دكتور): تفويض من عصر العادل طومان باى «صانع السلاطين» مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، المجلد السابع والعشرون ١٩٨١ ص ٥٦ - ٦١.

(٤١) Holt, P.M. : Egypt and the Fertile Crescent 1561 - 1922, A political Histoey p. 38.

(٤٢) عبد المنعم ماجد (دكتور): طومان باى، ص ١٢٢.

(٤٣) Holt, P.M. : Op Cit., pp. 38,39.

الجلبان – حيث أصبح فى نفر قليل ، وكان ينادى بصوته : « هذا وقت المرؤة هذا وقت النجدة » ، الا أن المماليك استمروا يفرون [٤٤] ، مما ترتب عليه هزيمة الغورى، ومقتله فى تلك المعركة ، وهذا يوضح مدى التمزق الذى أصاب وحدة الصف المملوكى الذى تواكب مع ظاهرة التدهور الاقتصادى الناتج عن تحول التجارة العالمية الى طريق رأس الرجاء الصالح عن مصر وعالم البحر المتوسط آنذاك .

– الاثر الدبلوماسى :

واذا انتقلنا الى النشاط الدبلوماسى الذى ظهر فى مصر وعالم البحر المتوسط نتيجة لتحول التجارة العالمية الى طريق رأس الرجاء الصالح فى نهاية القرن الخامس عشر وأثناء القرن السادس عشر فاننا سنجد أن البنادقة قد أحسوا بمدى خطورة تحول التجارة العالمية الى طريق رأس الرجاء الصالح على أيدى البرتغاليين منذ وصولهم الى الهند فى سنة ١٩٤٨ ، والذى أدى الى فقدانهم لمصدر ثروتهم الناتج عن اشتغالهم بالتجارة العالمية آنذاك . لهذا فان البنادقة أخذوا يراقبون مشروعات البرتغاليين وتحركات سفنهم ، ويحاولون من جانبهم اقناع سفراء ملوك الهند فى لشبونة بعدم مقدرة البرتغاليين على نقل السلع الشرقية بدون مساعدة مالية من البندقية ، وكانت هضبة الدكن فى شبه جزيرة الهند مكونة من مملكتين هما مملكة « باهمانى Bahmani » التى أسسها « باهمان شاه » عام ١٣٤٧ ، ومملكة « فيجايانجر Vijayandgar » فى جنوبها ، وفى نهاية القرن الخامس عشر انقسمت مملكة « باهمانى » وحدها الى خمسة أقسام ، وهى المعروفة بملوك الطوائف وهم: بنو عماد شاه ، وبنو نظام شاه ، وبنو بريد شاه ، وبنو عادل شاه ، وبنو قطب شاه [٤٥]. وقد أصبح لهؤلاء الملوك سفراء لدى ملك البرتغال فى لشبونة بعد تحول التجارة العالمية الى طريق رأس الرجاء الصالح فى نهاية القرن الخامس عشر الميلادى .

---

(٤٤) عبد المنعم ماجد (دكتور) : طومان باى ، ص ١٢٥ –١٢٧ .

(٤٥) Lane-Poole, S. : Medieval India Under Mohammedan Rule A. D. 712. 1764., pp. 163, 180 .

وقد حرص البنادقة على تكوين تحالف مع المماليك لمواجهة النشاط التجارى البرتغالى الذى سيطر على طريق رأس الرجاء الصالح وحول التجارة العالمية اليه ولهذا جاءت سفارات البندقية الدبلوماسية المتكررة الى بلاط السلطان المملوكى قونصوه الغورى ، وأشهرها سفارة « باندنو سانوتو Banedetto Sanuto » الى الغورى فى سنة ١٥٠٣ م ، وأشار هذا السفير على السلطان الغورى أن يبعث برسله الى أمراء الهند لحملهم على قطع علاقاتهم بالبرتغاليين ، وقفل موانيهم فى وجه السفن البرتغالية . كذلك طلب السفير من الغورى أن يعمل على تخفيض الاثمان الباهظة التى تباع بها التوابل فى الاسكندرية حتى يستطيع البنادقة منافسه خصومهم فى الاسواق الاوربية[٤٦] .

غير أن السلطان الغورى رأى أن يبعث برسالة الى بعض الدول الأوربية ، لتعمل هذه الدول على وقف حملات البرتغال على الهند ، وهدد باتخاذ اجراءات عنيفة ضد المسيحيين فى بلاده ، ولا سيما بالقدس . بل أنه هدد كذلك بقفل الاماكن المقدسة ، وقام بحمل هذه الرسالة راهب اسبانى فرنسكانى فى بيت المقدس اسمه الاخ ، مورو Mouro ، وكلفه الغورى بالمرور فى طريقة بالبندقية ، فقصد هذا الراهب الى روما حيث التقى بالبابا يوليوس الثانى فى ربيع عام ١٥٠٤ وأحسن البابا لقاءه ووعده بالكتابة الى ملك البرتغال لوقف ارسال الحملات الحربية الى الهند وقد أتم هذا الراهب جولته فى بلاط كل من أسبانيا والبرتغال دون أن تحقق مهمته الدبلوماسية أى جدوى . وعندما زاد احساس البندقية بخطورة الموقف ، أرسلت سفارة دبلوماسية أخرى الى الغورى فى سنة ١٥٠٤ ، وتركزت مهمتها حول تقديم عروض أحسن وأقوى للسلطان نظرا لاطراد عجز البنادقة عن مقاومة البرتغاليين الذين عمروا أسواق أوربا بالمنتجات الشرقية ، لدرجة أن قام حزب كبير فى البندقية يطالب الحكومة بالشراء من لشبونة وليس من الاسكندرية . ولذا اقترحت من جديد سفارة عام ١٥٠٤ ، أن يعوق السلطان الغورى الاسواق بالتوابل حتى يستطيع منافسه البرتغال ، وأن يستخدم نفوذه لدى

(٤٦) نعيم زكى فهمى (دكتور) : المرجع السابق ، ص ٣٧٨ .

أمراء الهند لقطع صلاتهم بالبرتغاليين ثم انها اقترحت كذلك شق قناة فى برزخ السويس ، ونظرا لانها أهملت موالاة المشروع ، فقد ترك دون تنفيذ (٤٧) .

وقد اتجه السلطان قونصوه الغورى الى مواجهة النشاط البرتغالى بالقوة عندما أصدر أمره فى سبتمبر سنة ١٥٠٥ باعداد حملة حربية بقيادة الامير حسين الكردى نائب جده . وتكونت من خمسين سفينة من نوع « الاغربة» وتحركت الحملة من القاهرة وسارت فى النيل عن طريق القناة (خليج أمير المؤمنين) فى شرق الدلتا الى البحيرات المرة الى السويس ومنها الى ينبع فجده ، ثم غادرت جدة واستولت فى طريقها على سواكن عام ١٥٠٦ وسوف نتحدث عن هذه الحملة بالتفصيل عند معالجة الاثر الاستراتيجى ، غير أنه يهمنا أن نشير فى هذا الصدد الى أن الغورى قد ارسل سفيره الترجمان تعرى بردى الاسبانى بنداء الى أوربا فى أبريل سنة ١٥٠٦ ، واستغرقت رحلة هذا الترجمان ثمانية عشر شهراً ، زار فيها قبرص التابعة للسلطنة المملوكية آنذاك ، وأصطحب منها من أرشده الى رودس حيث استقبله الرئيس « امرى دامبواز Aimery d' Amboise » ثم خرج تغرى بردى من رودس الى البندقية كسابقتها حيث وقع اتفاقية تجارية جديدة معها . ولم تحقق هذه السفارة كسابقتها أى جدوى كما حدث مع سفارة الراهب مورو من قبل ، وعاد تغرى بردى الى مصر فى سبتمبر عام ١٥٠٧ (٤٨) .

وعندما يئست البندقية من مقدرة المماليك على التغلب على البرتغاليين واعادة التجارة العالمية الى طريقها التقليدى القديم ، فانها لجأت الى التعاون مع الصفويين علهم ينجحون فيما فشل المماليك فى تحقيقه ، مما أدى الى تدهور العلاقة بين السلطنة المملوكية والبندقية . اذ حدث أن قبض السلطان الغورى على بعض البنادقة ومعهم خطابا من الشاه اسماعيل الصفوى للاستعانة بدولة أوربية للقيام بهجوم بحرى على سواحل مصر ، على حين يقوم الصفوى بمهاجمتها برا ، ولم يذكر ابن اياس اسم هذه الدولة ، ولكن المصادر الاوربية أشارت الى أن هذه الدولة هى

---

(٤٧) Charles, Roux. J. L'Isthme et le Canal de Suez. T.I. p.45.

(٤٨) ابراهيم على طرخان (دكتور) : المرجع السابق ، ص ٢٩٦ .

جمهورية البندقية . وهذا ما جعل السلطان الغورى يقبض على قنصل البندقية فى دمشق ، وجئ به مكبلا الى القاهرة ، كما قبض عى زملائه الاخرين فى طرابلس والاسكندرية ، وحقق معهم ، وحينئذ لم يسع الغورى الا أن ينفذ ما سبق أن هدد به وهو قفل الاماكن المقدسة فى القدس ، فقبض عى جميع مسيحى القدس وأغلق كنيسة القيامة وصادر محتوياتها فى يناير سنة ١٥١١ ، وفى نفس الوقت علم بخيانة الترجمان تغرى بردى ، اذ كانت الدول الاوربية بضعف المماليك الحربى وعدم تحصين السواحل المصرية التحصين الكافى فقبض عيه فى مارس ١٥١١ م [٤٩].

وقد توالت احتجاجات الدول الاوربية على تصرف الغورى ، وجاءت الى مصر سفارة فرنسية من قبل الملك لويس الثانى عشر ملك فرنسا فى مارس سنة ١٥١٢ م ، وكان هدف هذه السفارة عقد اتفاق تجارى مع مصر واطلاق حرية التجارة فى موانى مصر والشام والسماح للحجاج بزيارة الاماكن المقدسة كالمعتاد ، ووعدت السفارة بمساعدة فرنسا ضد بلاد البرتغال ، غير أن السفير الفرنسى لم ينجح الا فى اطلاق سراح الاسرى الفرنسيين . ولما انتشرت أنباء السفارة الفرنسية، أسرعت البندقية وأوفدت بعثة دبلوماسية على رأسها « دومينكو تريفزانى Domenico Trevisani » .

واستطاع هذا السفير أن يعقد أول اجتماع مع السلطان الغورى فى مايو سنة ١٥١٢ م ، بدأت البعثة عملها وفق برنامج مفصل محدد فى لين وسلاسة مع شئ من العناد والصلابة يحمل على الأعجاب . وكان يظاهر البعثة بعض قطع من الاسطول التجارى البندقى الذى مر بكريت وقبرص والاسكندرية ، فسر السلطان الغورى مما أظهره البنادقة ، أصدقاؤه القدماء ، من اخلاص ، ونجحت مهمة السفير فى اطلاق سراح المسجونين ، وأعيدت الصداقة والصلة بين السلطنة المملوكية والبندقية ، وتعهد البنادقة بتزويد المماليك بالاسلحة والاخشاب لمواصلة نضالهم ضد

---

(٤٩) ابراهيم على طرخان (دكتور) : المرجع السابق ص ٢٩٧ .

البرتغاليين . ثم غادر « تريفزانى » مصر فى أغسطس سنة ١٥١٢ [٥٠] ومن الواضح أن الغورى كان يهدف آنذاك الى تجديد علاقاته مع البنادقة حتى يحصل على مساعداتهم له فى مواجهة النشاط البرتغالى المتزايد فى البحار الشرقية .

وعندما تم للعثمانيين السيطرة على مصر بدخول السلطان سليم الاول مدينة القاهرة فى اليوم الثالث من شهر المحرم عام ٩٢٣ هـ الموافق السادس والعشرين من شهر يناير عام ١٥١٧ م وامتدت اقامته فيه ثمانية أشهر ، فقد أدرك العثمانيون اهمية مصر كمعبر للتجارة العالمية ، ومدى ما أصابها من تدهور اقتصادى نتيجة لتحول هذه التجارة الى طريق رأس الرجاء الصالح على أيد البرتغاليين منذ وصولهم الى الهند فى سنة ١٤٩٨ . ولهذا فقد حرص السلطان سليم الاول على انعاش حركة التجارة ، التى كان يرد الى مصر آنذاك جزء منها عبر الطرق البرية ، ومن المناطق المطلة على البحر الاحمر والخليج العربى الداخلية ، أى من النواحى الواقعة شرقى مصر وجنوبها وغربها ،والتى كان من دواعى استمرار الحركة التجارية فيها رحلة الحج الى الازاضى المقدسة فى الحجاز حيث كان الحجاج يحضرون معهم الكثير من المتاجر الشرقية لتغطية تكاليف رحالتهم ، ولممارسة النشاط التجارى عبر الطرق المذكور . ولهذا فقد أراد السلطان سليم أن يضمن تسويق ما يصل الى مصر من هذه التجارة عن طريق البنادقة الذين يقومون بتوزيعها فى أوربا وذلك بعقد معاهدة تجارية معهم لهذا الغرض . وكان للعثمانيين خبرة سابقة فى هذا المجال حيث عقد السلطان محمد الثانى اتفاقية مع الجنويين فى الحادى عشر من مارس عام ١٤٥٤ ، واتفاقية أخرى مع البنادقة فى الثامن عشر من أبريل من نفس السنة أى فى العام الثانى مباشر لفتح العثمانيين للقسطنطينية[٥١] .

وهكذا عقد السلطان سليم الاول معاهدة مع البندقية فى الثانى والعشرين من شهر المحرم عام ٩٢٣هـ الموافق الرابع عشر من فبراير عام ١٥١٧ م لتشجيع البنادقة على القدوم الى الاسكندرية بسفنهم وبضائعهم ومباشرة نشاطهم التجارى فى جو

---

(٥٠) ابراهيم على طرخان (دكتور) : المرجع السابق ص ٢٩٨ .
(٥١) نعيم زكى فهمى (دكتور) : المرجع السابق ، ص ٤٣٥ - ٤٣٨

من الطمأنينة والعدالة الامن وقد نشر الاستاذ « اتين كومب Etienne Combe »
نصوص هذه المعاهدة باللغة الفرنسية(٥٢) ونشرت بعد ذلك مترجمة الى العربية(٥٣)
وجاءت فى ديباجتها ملاحظة تفيد بأن التعليمات التى أوردتها موجهة بصفة
خاصة الى حاكم مدينة الاسكندرية وموظفيها العموميين ومفتشى وضابط الشرطة
كى يحاطوا علما بما تم الاتفاق عليه بين المتعاقدين على الامتيازات السابق منحها
لهم ايام المماليك بعد موافقة السلطان سليم الاول عليها . واشارت المادة الأولى من
هذه المعاهدة الى أن جميع البرءات الممنوحة للبنادقة من قبل صار الموافقة
والتصديق عليها . وان رعايا البندقية يعاملون بالعدل ويقابلون بترحاب من الجميع
ولا يحق لاى فرد أن يهينهم أو يتكبر عليهم فى الموانى المصرية عامة ، وان من
حقهم البيع والشراء والاخذ والعطاء ، ولا يدانوا لخطأ ارتكبه غيرهم من أبناء الامم
الاخرى بالمدن المصرية ، وان يعلن هذا لجميع القضاة والهيئات المسئولة ، وليس
من حق اى فرد الخروج على هذه القوانين ، كما يجب معاملتهم حسب الاصول
والعادات المرعية بدون أى تغيير أو تعديل .

وأوردت المادة الثانية من هذه المعاهدة بين العثمانيين والبنادقة الالتزام بعدم
تكدير البنادقة أو الاستيلاء على ممتلكاتهم أو متاجرهم بالقوة أو على مراكبهم أو ما
داخل مخازنهم كما لا يحق لاى فرد ان يجبرهم على البيع اذا لم يوافقوا على
ذلك ، كما لا يجبرون على دفع عوائد غير عادية أو لا لم يوافقوا على ذلك ،
كما لا يجبرون على دفع عوائد غير عادبة أو لا لزوم لها . بينما أشارت المادة
الثالثة الى أنه بامكان قنصل البندقية أن يبيع ويشترى بالنقد بدون حدود . وحددت
المادة الرابعة أن القنصل يحصل على مرتبة مجمدا كل أربعة شهور . وأشارت المادة
الخامسة الى أن القنصل دون سواه هو الذى يباشر الشئون القانونية والقضائية لمواطنيه
وبيت فى الامور لصالحهم أما من يرفض الانصياع لحكم القنصل ويلجأ الى

---

(٥٢) Crombe. E. Precis de l Histoire d Egypt T III p. 6 ff (Wiet G). La Traite Veneto - Ture De 1517

(٥٣) عيه ,كى فهمى دكتر مرجع سبق ص ٤٢٩ ٤٣٥ عبد العزيز محمد شنـوى (دكتور) الدولة العثمانية دولة سلاميه مفترى عليها الجزء الثانى ص ٧٠٠ - ٧٠٦

القضاء الوطنى الاسلامى لينقض قانونا أو حكما أصدره القنصل ، فلا يستمع له ولا يحق للقاضى استقباله أو نظر شكواه وعليه أن يعيده الى قنصله ، واذا رغب القنصل فى طرده أحد البنادقة فعلى القاضى أن يعينه فى ذلك . كما منح القنصل حق ابداء الرأى فى سفر الافراد على سفن بلاده ، ولا يحق لاى فرد كان أن يغادر الاسكندرية على ظهر احدى سفن البندقية ليعود الى وطنه أو يبارحها لاى قطر شاء الا بعد الحصول على تأشيرة خروج من القنصل نفسه .

وحددت المادة السادسة من المعاهدة الاجراءات المسموح باتخاذها ازاء سفن البنادقة عند وصولها الى الاسكندرية فأشارت الى أنه اذا وصلت اى سفينة من البندقية الى الاسكندرية أو باسم البنادقة ، فلا يحق لاى موظف أن يرتقيها ويحصل منها على ما يريد من معلومات أو بيانات ، ولا أن يحتك بأى فرد من أفرادها ويسمح لهم بصعود السفينة فى حالة الشراء فقط ، ويدخل ضمن السلع المشتراه السلع التى تحملها السفن « كالعسل والفاكهة » . وحرمت المادة السابعة على أى فرد من أفراد الشعب أو لقبطانها على سفن الميناء أن يستولوا على أى سفينة للبنادقة تصل للميناء ، أو على حمولتها أو قلوعها أو مجاديفها لاى سبب سواء كان قرضا أو شراء . وأشارت المادة الثامنة الى أنه يصير تنفيذ كل التجديدات أو المبانى اللازمة أو الاعمال الضرورية فى فندق البنادقة . واذا رغب القنصل فى بناء مبنى جميل خاص به فله ما يشاء ، وممنوع منعا باتا التعرض له أو رفع أجور العمال أو أسعار المواد اللازمة للبناء . وممنوع على أى فرد مضايقتهم أو التعرض لهم اذا رغبوا فى استخدام صناع من البندقية أو من الاجانب دون الوطنيين . ونصت المادة التاسعة على أنه اذارغب قنصل من الاجانب دون الوطنيين . ونصت المادة التاسعة على أنه اذا رغب قنصل البندقية فى مقابلة أى فرد من الحكومة فى دواوينهم وامتطى صهوة جواده أو رغب فى الخروج الى الحدائق العامة أو أى مكان فى اطراف الاسكندرية فله أن يفعل ما يشاء وليس لاى فرد أن يعترضه .

وقد اشارت المادة العاشرة الى أن السلع الخاصة بالبنادقة والتى تتعرض للغرق يصير انقاذها وترد لاصحابها ، أما السلع التى تقذفها الامواج الى الشاطىء نتيجة

الغرق لاحد السفن فهى ترد لاصحابها ان عروفا أو اثبتوا شخصياتهم وملكياتهم لهذه السلع أو ترد لقنصل البندقية أما بالنسبة للسفن التى تصل للشاطئ سليمة بعد انقاذها فيجب صيانتها وجاء فى المادة الحادية عشر أن سفن البنادقة التى تلجأ لميناء الاسكندرية لسوء الاحوال الجوية ولا ترغب فى تفريغ حمولتها لها أن تتم رحلتها اذا لم يكن عليها سلع للاسكندرية ، واذا كان عليها سلع خاصة بالاسكندرية ، فلا يحق لها أن تفرغها فى أى ميناء الا فى الاسكندرية نفسها . واذا كانت هذه السفن تحمل سلعا لم ينص عليها فى المعاهدات ولا يتاجر فيها الا فى الاسكندرية فتمنع من التعامل او الملاحة على طول سواحل مصر .

أما بالنسبة للعلاقات السياسية فقد أوردت المادة الثانية عشرة من المعاهدة المعقودة بين البندقية والسلطان سليم الاول عام ١٥١٧م أنه اذا حدث أى حدث لاحد رعايا السلطان فى البندقية أو الجزر التى تقع تحت سيطرتها فلا يسأل القنصل عن هذا ، كما انه لا يتحمل النتائج المترتبة على الحادث . أما من يكون مديونا لاحد رعايا السلطان فانه يحجز حتى يوفى الدين ويسرى ذلك على الضامن . ويجب أن يكون جميع رعايا السطان فى أمان تام فى موانى البندقية والبلاد الخاضعة لها كما اعفت المادة الثالثة عشر القنصل البندقى من دفع ضريبة الايراد او ضرائب اخرى ما عدا فى حالات صدور أوامر خاصة بذلك من السلطان أو من القضاء واشترطت المادة الرابعة عشر انه اذا اسر القراصنة على أسر سفن للبنادقة ثم جاءوا لبيعها فى موانى السلطان فمحذور على أى فرد شراؤها أو التعامل مع القراصنة ويجب تحرير السفينة وما عليها من متاجر وردها للتجار .ونصت المادة الخامسة عشر من المعاهدة أنه اذا حدث خلاف بين عربى وأجنبى سواء كان من البنادقة أو من غيرهم أو القنصل أو تاجر أو مواطن عادى أو عضو فى وكالتهم فلا يحق لاى فرد اهانته أو الحاق الضرر به . واشترطت المادة السادسة عشرة أن كل هذه المنح والشروط والامتيازات الممنوحة للبنادقة تسجل فى سجل خاص ويتعرف عليها كل مسئول بالولاية وكل من له علاقة بالاجانب أوب الحكم فى مصر . وبموجب المادة السابعة عشرة يكون لقنصل البندقية السلطة التامة اذا رغب فى أن يقيم نائبا

عنه « قنصل بالنيابة » أو نائب قنصل فى البرلس وله أن يفعل ذلك كلما شاء دون استئذان السلطان .

وقد قررت المادة الثامنة عشرة أن قنصل البنادقة قد عرض أنه حسب المعتاد آنذاك كانت تصل بعض السفن من كريت أو اقطار تابعة للبندقية تجلب كميات من الزيت اللازم للسفن وكان المعتاد بيعها على السفن ولكن سلطات الاسكندرية كانت ترفض هذا البيع لكى تبيع مالديها فى مستودعاتها . هذا الامر كما أشارت تلك المادة كان ينبغى أن يتدارك ، فسفن البندقية كانت تستطيع منذ عقد المعاهدة فصاعدا بيع هذا الزيت دون انزاله للساحل ولا يعترضها أى فرد . وفى حالة وصول هذه السفن فى بولاق تتبع القواعد المرسومة فى هذا الميناء . وقد أشار قنصل البندقية — فى المادة التاسعة عشرة — الى العبيد والفقراء الاجانب الذين يعيشون فى الاسكندرية واعتادوا الورود الى فندق البادقة لكى يأكلوا . وكان اذا مات أحد العبيد بالفنادق فالقنصل مطالب بدفع ثمنة ، وكان الثمن يفرض مرتفعاً، وقد اشترطت هذه المادة أن هذا يصير ممنوعا منذ ذلك الحين . كذلك حظرت المادة العشرون على موظفى الجمرك والحمالين والكشافين مضايقة البنادقة فى حالة اعادة تسليمهم الفواكه أو سلع أخرى تحملها سفنهم . وفيما يتعلق برسوم وأجور الحمالين والكشافين فقد نصت المادة الحادية والعشرون ، على أن يدفع واحد عن كل سلة توابل مملؤة ويحملها الكشاف البحرى ويحصل الحمال على دينار واحد عن كل سلة يحملها . وقررت المادة الثانية والعشرون انقاص وتخفيض الضرائب التى تدفع عمن يموت من الاجانب فى بلاد السلطان ، كما قررت المادة الثالثة والعشرون أن الافرنجى الذى يرد للقاهرة من الاسكندرية أو رشيد أو دمياط لا تحصل منه ضرائب لافى المعقودة بين السلطان سليم الاول والبندقية عام ١٥١٧ بالاشارة الى ان السماسرة الذين يعملون لدى الوسطاء التجاريين لهم حق استخدام تراجمه لا يمنع عنهم معاونة التراجمة الرسميين لقاء رسوم معينة. كما قررت المادة الخامسة والعشرون أنه فى حالة نقل البضائع المستوردة أو المصدرة من الجمرك للسفن وبالعكس لا يطلب القنصل ولا التاجر بشئ ما ، كما لا يحق منع التجار من توزيع وبيع الفواكه المحفوظة والمسكرة والطازجة للمسافرين . هذا بينما حددت

المادة السادسة والعشرون أنه لا يجوز اطلاقا مضايقة القنصل أو التجار أثناء تجوالهم وتنزهم فى حدائق الاسكندرية وعلى ضفاف القنصل أو التجار أثناء تجوالهم وتنزهم فى حدائق الاسكندرية وعلى ضفاف القناة أو مكان آخر . وأكدت المادة السابعة والعشرون على حق التجار البنادقة فى شحن وتوزيع وتفريغ سلعهم فى قواربهم وسفنهم الخاصة ، كما أكدت المداة الثامنة والعشرون أن للبنادقة حق شحن وتوزيع وتفريغ سلعهم فى قواربهم وسفنهم الخاصة . وسوغت المادة التاسعة والعشرون للكشافيين بالقيام بعملهم فى حالات الشحن والتفريغ يكون بموافقة ومرافقة البنادقة . وما يفسده أو يستهلكه الحمالون يجب أن يعوض عنه البنادقة .

واشترطت المادة الثلاثون ، بأنه لا يتصدى أى فرد للقنصل أو لتجار البنادقة الا عن طريق القضاء وأمام المحاكم ، ويراعى ألا يؤخذ الابن بجريرة الاب ، ولا الاب بجريرة الابن ، الا اذا كان أحدهما ضامنا للآخر شخصيا وماليا ، أما الديون فاستعادتها تكون حسب الشريعة . كما اشترطت المادة الحادية والثلاثون كذلك أن جميع التجار ومرافقوهم الذى يصلون الى موانى مصر يعاملون بكل احترام واعتبار من الجميع . وفى خاتمة المعاهدة نصت المادة الثانية والثلاثون على أن قنصل البندقية فى الاسكندرية قد قدم مذكرة قرر فيها أن البنادقة كانوا يتمتعون أيام دولة المماليك الشراكسة بالاعفاء من ضريبة البهار . ولكن حدث أن فرضت حكومة السلطان قانصوه الغورى رسوما جديدة بلغت خمسة آلا دينار سنويا . ويطالب القنصل باعادة تقرير هذا الاعفاء الضريبى وتقرر الاستجابة لهذا الطلب.

كانت هذه هى البنود الثانية والثلاثون للمعاهدة التى عقدت بين السلطان سليم الاول والبنادقة عقب فتح العثمانيين لمصر فى سنة ١٥١٧ . وهى تشكل دليلا تاريخيا على حرص الاتراك العثمانيين على تشجيع رعايا جمهورية البندقية على تكثيف نشاطهم التجارى والاقتصادى مع مصر التى غدت ولاية عثمانية حتى تعود الحركة التجارية بقدر الامكان التى نشاطها المعهود قبيل تحول التجارة العالمية الى طريق رأس الرجاء الصالح . ولاشك أن هذه المعاهدة تعد أبلغ رد على الفردية الى يرددها بعض المؤرخين والباحثين المتحاملين على الدولة العثمانية والذين يدعون

أنها فرضت على ولاياتها العربية العزلة عن أوربا . كما أن هذه المعاهدة تميزت بوجود فارق بينها وبين المعاهدات التى عقدها السلطان سليمان المشرع وخلفاؤه تباعا مع الدول الاوربية فى هذا الصدد . فبينما كان الهدف من المعاهدات الاخيرة هو تشجيع رعايا الدول الاوربية على توثيق صلاتهم التجارية مع ممتلكات الدولة العثمانية بوجه عام ، فقد كانت معاهدة البندقية تستهدف تشجيع رعايا جمهورية البندقية على تكثيف نشاطهم التجارى فى مصر والاسكندرية بوجه خاص . كذلك ترجع أهمية معاهدة البندقية إلى أن كثيرا من نصوصها ، أو نصوصا على غرارها ، قد أدرجت بعد ذلك فى المعاهدات اللاحقة التى عقدتها الدولة العثمانية مع الدول الاوربية ، اذ كان هناك تنافس بين الدول على الحصول على أكبر قدر من الامتيازات لرعاياها آنذاك ، فكانت كل دولة أوربية تحرص على أن تجئ المعاهدة التى تعقدها مع الدولة العثمانية جامعة وشاملة لكل الامتيازات التى سبق تقريرها لغيرها (٥٤).

ففى عهد السلطان سليمان المشرع خطت الدولة العثمانية خطوات هامة فى سياسة الانفتاح تجاريا مع عدد من الدول الاوربية لتنشيط الحركة التجارية التى أصابها الضعف الملحوظ عقب تحول التجارة العالمية الى طريق رأس الرجاء الصالح . اذ عقد السلطان سليمان المشرع مع فرانسوا الاول ملك فرنسا معاهدة عام ١٥٢٨ جددت فيها الدولة العثمانية الامتيازات التى سبق أن منحها سلاطين دولة المماليك الجراكسة للفرنسيين « وأهل كتالونيا Les Catalans » وكانت المعاهدات الجديدة تكفل لتجار فرنسا ورعاياها الامن والطمأنينة على أرواحهم وأموالهم ومتاجرهم فى اثناء تواجدهم فى ممتلكات الدولة . كما تكفل لهم حرية المتاجرة والتنقل برا وبحرا دون أن يمسهم سوء ودون أن يتعرضوا لمضايقات من السلطات العثمانية . بل انها تنظم اقامتهم فى احياء أو خانات خاصة مع عدم المساس بكنائسهم وعدم فرض ضرائب عقارية عليها . كما تمنع السفن العثمانية التى تقوم برحلات بحرية

---

(٥٤) عبد العزيز محمد الشناوى (دكتور) : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها ، ص٧٠٦-٧٠٧.

بين استانبول وموانى الشام ومصر من عرقلة نشاط السفن الفرنسية التى تعمل على هذه الخطوط الملاحية . وترتبط معاهدة ١٥٢٨ بمعاهدة البندقية لعام ١٥١٧ من حيث الهدف ، اذ كانت موادها مقصورة فى الغالب على بلاد الشام ومصر بعامة ، والاسكندرية بخاصة

ولاشك أن ابرام هذه المعاهدة كان مشجعا لملك فرنسا « فرنسوا الاول » والسلطان سليمان المشرع . نظرا للعلاقات الودية الوثيقة بينهما . على عقد معاهدة هامة أكثر شمولا عرفت باسم « معاهدة صداقة وتجارة بين الامبراطورية العثمانية وفرنسا » وقد عقدت فى شهر فبراير سنة ١٥٣٥ وتقرر فيها منح تجار فرنسا وسائر رعاياها الذين يذهبون الى أقاليم الدولة العثمانية ببعض الامتيازات فى مقابل منح الرعايا العثمانيين امتيازات مناسبة مماثلة لها تقريبا . وسوف نعرض فيما يلى لنصوص هذه المعاهدة لابراز أهميتها فى تنفيذ سياسة التنشيط التجارى التى تبنتها الدولة العثمانية مع الدول الاوروبية وخاصة المطلة منها على البحر المتوسط لتعويض ما فقدته من نشاط تجارى نتيجة لتحول التجارة العالمية الى طريق رأس الرجاء الصالح عن مصر وعالم البحر المتوسط منذ نهاية القرن الخامس عشر وأثناء القرن السادس عشر الميلاديين .

وتقع معاهدة عام ١٥٣٥ بين الدولة العثمانية وفرنسا فى ست عشرة مادة وقررت المادة الاولى منها السماح لرعايا الدولة العثمانية وفرنسا وتابعيهم بالتجول فى جميع ممتلكات الدولتين بما فيها المدن والثغور والجزر وسائر الاقاليم التى تدخل فى حوزة كل من السلطان وملك فرنسا ، على أن يكون هذا التجول بهدف ممارسة العمليات التجارية والعودة الى بلادهم بكامل حريتهم دون أن يقع اعتداء عليهم أو على متاجرهم . بينما نصت المادة الثانية على أن العمليات التجارية تشمل البيع والشراء والمبادلة فى كافة السلع غير الممنوع الاتجار فيها ، ونقلها برا وبحرا بعد سداد الرسوم المقررة ، بحيث يدفع الفرنسيون فى اقاليم الدولة العثمانية ما يدفعه العثمانيون ، وأن يسدد العثمانيون فى فرنسا ما يدفعه الفرنسيون ، دون أن يدفع أى من الطرفين ضرائب أو مكوسا جديدة أخرى

وجاء فى المادة الثالثة من هذه المعاهدة أنه « فضلا عن هذا ، كلما يعين ملك فرنسا فى استانبول [٥٥]. أو بيرا أو غيرهما من مدن الدولة العثمانية أحد رجال القانون ، كالقنصل المعين حاليا فى الاسكندرية ، فيجب أن يقابل هذا القانون والقنصل بطريقة لائقة . وأن يحتفظ كل منهما بسلطته الخاصة بحيث يكون لكل منهما الحق فى الفصل فى جميع القضايا والخلافات المدنية والجنائية التى تقع فى دائرته ، طبقا لعقيدته وقانونه بين التجار ورعايا ملك فرنسا الاخرين ، بدون أن يمنعه من ذلك أى قاض أو صوباشى[٥٦] ، أو أى موظف آخر ولكن اذا رفض أحد من رعايا ملك فرنسا اطاعة الاوامر الصادرة من القانون أو القنصل فلهما فى هذه الحالة فقط أن يستعينا بالصوباشى أو أحد ضباط السلطة فى تنفيذ الاحكام . وعى هؤلاء الصوباشية أو الضباط الآخرين أن يقدموا مساعدتهم الضرورية والتى تكفل اجتبار الاخرين على تنفيذ أحامهم . ولكن ليس للقاضى أو أى ضباط تابعين لحكومة السلطان أن يحكموا فى المنازعات التى تنشأ بين التجار ورعايا ملك فرنسا ، حتى لوطلب التجار المذكورون ذلك . واذا نظر القضاة بمجرد المصادفة فى قضية فان حكمهم يكون لاغيا وباطلاً .

أما المادة الرابعة من المعاهدة العثمانية الفرنسية عام ١٥٣٥ فقد منعت استدعاء أو الاعتداء على التجار ورعايا ملك فرسنا ، أو محاكمتهم فى الدعاوى المدنية التى يقيمها عليهم العثمانيون أو جباة الخراج أو غيرهم من رعايا جلالة السلطان . مالم يكن بيد المدعين مستندات بخط المدعى عليهم ، أو حجة رسمية صادرة من القاضى الشرعى أو رجل القانون الفرنسى أو القنصل . وفى حالة وجود هذه المستندات والحجج لا يجوز للقضاة الشرعيين أو الصوباشية أو أى موظفين آخين سماع الدعوى ومحاكمة هؤلاء الرعايا الفرنسيين الا فى حضور ترجمان قنصل

---

(٥٥) وردت فى النصين الفرنسى الانجليزى « القسطنطينية » وهذا ما درجت عليه المصادر والمراجع الاوربية من الاصرار على تسمية استانبول بالقسطنطينية من قبيل التعصب للتسمية المسيحية البيزنطية من قبل .

(٥٦) الصوباشى لفظة تعنى ضابط فى الجيش العثمانى ويكلف أحيانا بالعمل « كمستلم » على مدينة أو حاكم لتقسيم ادارى صغير

فرنسا . كما نصت المادة السادسة من تلك المعاهدة على أنه لا يجوز محاكمة التجار الفرنسيين ومستخدميهم وخدمهم وجميع رعايا ملك فرنسا الاخرين فيما يختص بالمسائل الدينية أمام القضاة الشرعيين والصناجق البكوات والصوباشية أو غيرهم ، بل تكون محاكمتهم أمام الباب العالى . ولا يمكن اعتبارهم مسلمين أو النظر اليهم على أنهم مسلمون الا اذا رغبوا فى ذلك اعترفوا صراحة وبدون اكراه يقع عليهم . ولهم الحق فى ممارسة شعائر دينهم .

أما المادة السابعة من المعاهدة الفرنسية المعقودة عام ١٥٣٥ فانها تنص على أنه اذا تعاقد شخص أو أكثر من شخص من رعايا ملك فرنسا مع أحد العثمانيين أو اذا استولى على سلع منه أو اقترض مبالغ ، ثم غادر بلاد جلالة السلطان قبل أن يقوم بالوفاء بالتزاماته أو ديونه . فلا يسأل رجل القانون الفرنسى أو الفرنسى أو الفضل أو أقارب الدين أو أى شخص فرنسى آخر عن ذلك مطلقا . ولا يتعرض له أحد يتعرض له أحد بإيذاء ولا يكون ملك فرنسا ملزما بشئ . ولكن يمكنه أن يستوفى طلب المدعى من المدعى عليه ، ومن أملاكه لو وجدت له أملاك فى الاراضى الفرنسية ، كما نصت المادة الثامنة على أنه لا يجوز القاء القبض على تجار فرنسا ووكلائهم وخدمهم وسائر الرعايا الفرنسيين ، واكراههم على العمل فى خدمة السلطان العثمانى أو أى شخص آخر فى البر والبحر ، ما لم يكن باختيارهم وطوعهم . وكذلك لا يجوز استخدام سفنهم أو قواربهم أو ما يوجد بها من معدات أو مدافع أو ذخائر أو سلع الا بموافقاتهم ورضائهم .

وقررت المادة العاشرة أنه بمجرد تصديق السلطان وملك فرنسا على هذه المعاهدة فان جميع رعاياهما الموجودين عندهما أو عند تابعيهما أو على سفنهما أو فى أى مكان تابع لسلطتهما ، فى حالة الرق ، سواء كان ذلك بشرائهم أو بوقوعهم فى الاسر وقت الحرب أو باحتجازهم أو أشخاص آخرين يعينون لهذا الغرض . واذا زكان أحد الاسرى قد تحول عن دينا فلا يكون تغيير عقيدته الدينينة مانعا من اطلاق سراحه . كما أوردت تلك المادة أنه « منالان فصاعداً لا يجوز للسلطان ، ولا لملك فرنسا ، ولا قادة الاساطيل البحرية ، ولا لقواد الجيش ، ولا

لاى أشخاص آخرين تابعين لاحد العاملين أو لمن يستأجرانهم لذلك ، سواء فى البر أو فى البحر ، أخذ أو شراء أو بيع أو حجز أسرى الحرب بصفة أرقاء ، واذا حاول أحد القراصنة أو غيره من رعايا العاهلين أسر أحد رعايا الطرف الآخر أو اغتصاب أملاكه أو أمواله ، فيجب احاطة حاكم الجهة علما بذلك ، وعليه ضبط الفاعل ومعاقبته بتهمة تعكير السلام بين الدولتين ، وليكون عقابه عبره لغيره ، ورد ما يكون عنده من الاشياء المغتصبة الى من أخذت منه . واذا لم يضبط الجانى فوراً واستطاع الهروب دون محاكمة فيجب نفيه من بلاده مع جميع شركائه . وتقوم الحكومة التابع لها هؤلاء الجناة بمصادرة ممتلكاتهم ، ودفع التعويضات عن الاضرار التى أصابت المجنى عليه ، من ممتلكات الجناة وهذا لا يمنع من مجازاتهم اذا تم القبض عليهم فيما بعد . وللمجنى عليه أن يستعين على الحصول على التعويضات من ضمن هذا الصلح ، وهما السر عسكر عن السلطان ، وأكبر القضاة عن ملك فرنسا .

ونصت المادة الثانية عشرة عى أنه اذا وصلت الى أحد موانى أو سوحل الدولة العثمانية احدى السفن التابعة لرعايا ملك فرنسا سواء كان وصولها بطريق الصدفع أو غير ذلك فيجب تزويدها بما يلزمها من مواد تموينية وغيرها من الضروريات فى مقابل دفع الثمن المناسب بدون الزامها بتفريغ شحناتها أو دفع رسوم ، ثم يباح لها السفر الى حيث تريد . واذا وصلت الى استانبول وأرادت السفر منها بعد حصولها على جواز الخروج من أمين الجمرك ، ودفع الرسوم المقررة ، وتفتيشها بمعرفة أمين الجمرك المشار اليه ، فلا يجوز زيارتها أو تفتيشها فى أى مكان آخر ، الا عند الحصون المقامة عند مدخل بوغاز غاليبولى ، بدون أن تدفع شيئا مطلقا لرحيلها ، سواءعند هذا البوغاز أو فى أى مكان آخر خروجها ، سوى ما سبق دفعه ، سواء كان الطلب باسم السلطان أو أحد ضباطه .

وأشارت المادة الثالثة عشرة أنه اذا تحطمت أو غرقت بطريق الصدفة أو غير ذلك احدى السفن التابعة لرعايا أحد العاهلين فى البلاد التابعة لهما ولقضائهما ، فان جميع الافراد الناجين من هذا الخطر يظلون متمتعين بحريتهم ، ولا يحال بينهم

وبيس أخذ وجمع ما يكون لهم من الامتعة وغيرها . أما اذا غرق جميع من بها فان البضائع التى يمكن انقاذها تسلم الى القنصل أو أحد رجال القانون فى القنصلية أو من يمثلها ، ليسلمها الى من تتعلق بورثتهم ، بدون أن يستولى القبود ان باشا أو الصنجق بك أو الصوباشى أو القاضى أو أى ضابط أو رعايا السلطان على شئ منها، والا توقع عليهم العقوبات . على هؤلاء أن يقدموا التسهيلات والمساعدات لمن يعهد اليهم باستعادة البضائع .

كما نصت المادة الرابعة عشر على أنه اذا هرب أحد العبيد التابعين لاحد رعايا السلطان وادعى هذا العثمانى أن عبده قد لاذ بأحد رعايا ملك فرنسا وخذم فى سفينته أو فى منزله ، فان هذا العثمانى لا يستطيع أن يجبر الفرنسى على عمل شئ سوى السماح له بالبحث عن العبد فى سفينته أو فى داره . واذا أسفر البحث عن العثور على العبد فان الفرنسى يعاقب بمعرفة قنصله ويرد العبد لسيده . واذا لم يوجد العبد فى سفينته أو دار الفرنسى ، فيجب ألا يتعرض الفرنسى للأيذاء مطلقا، وعلى أى نحو من الانحاء بسبب هذا الحادث .

أما المادة الخامسة عشر فقررت أن كل فرد من رعايا ملك فرنسا لم يكن قد اقام بأراضى الدولة العثمانية مدة عشر سنوات كاملة بدون انقطاع لا يلزم بدفع الخراج أو أى ضريبة أيا كان اسمها ، ولا يلزم بحراسة الاراضى المجاورة أو مخازن السلطان ، ولا بالعمل فى ترسانة ، أو أى عمل اخر بطريق الاكراه . ويمنح رعايا الدولة العثمانية امتيازات مقابلة فى بلاد فرنسا . وتضمنت المعاهدة اقتراح ملك فرنسا بدعوة البابا وملك انجلترا ، أخيه وحليفه الابدى ، وملك اسكتلندا للانضمام لهذه المعاهدة .

وأخيرا قررت المادة السادسة عشرة من المعاهدة الفرنسية المعقودة عام ١٥٣٥ أن يتم تبادل وثائق التصديق على المعاهدة بمعرفة العاهلين فى خلال ستة أشهر من تاريخ التوقيع عليها ، مع الوعد من كليهما بالمحافظة على تنفيذها ، والتنبية على جميع القضاة والضباط ورعاياهما بمراعاة جميع احكامها بكل دقة . وحتى لا يدعى أحد الجهل بها ، يجب نشر نسخ منها بعد التصديق عليها فى استانبول

والاسكندرية ومارسليا وناربون Narbonne ، وفى جميع المدن والموانى المشهورة التابعة لكل من الطرفين [٥٧].

وتجدر الاشارة الى أن هذه المعاهدة العثمانية الفرنسية التى عقدت فى عام ١٥٣٥ بين السلطان سليمان المشرع والملك فرانسوا الاول قد جددت بعد ذلك عدة مرات وأضيفت اليها أحكام جديدة فى أعوام ١٥٦٩، ١٥٨١ ، ١٥٩٧ ، ١٦٠٤ ، ١٧٣٩ . كما أصبحت هذه المعاهدة تجدد تلقائيا كلما ارتقى عرش الدولة العثمانية سلطان جديد . وقد أرسى هذا التقليد فى اليوم الثامن والعشرين من شهر مايو عام ١٧٤٠ السلطان العثمانى محمود الاول (١٧٣٠ – ١٧٥٤) اعترافا منه بفضل فرنسا حين تدخل فى صيف عام ١٧٣٩ « الماركيزدى فيلنيف Marquise de Villeneuve » السفير الفرنسى فى بلغراد لانهاء حالة الحرب بين الدولة العثمانية وروسيا . وكان من نتائج مساعيه الحميدة ابرام معاهدة بلغراد فى اليوم الثامن عشر من سبتمبر عام ١٧٣٩ [٥٨].

وتجدر الاشارة كذلك الى أن تلك العاهدة العثمانية الفرنسية التى عقدت عام ١٥٣٥ قد نصت فى مادتها الخامسة عشرة على دعوة ملك انجلترا وغيره الى الانضمام اليها والاستفادة من أحكامها ، بشرط أن يقوم ملك انجلترا بابلاغ السلطان العثمانى ، فى خلال ثمانية شهور من تاريخ التوقيع على المعاهدة بصدور تصديق الحكومة الانجليزية عليها . ويطلب اعتماد هذا التصديق اذ اراد السلطان سليمان المشرع وفرنسوا الاول ، تحويلها من معاهدة ثنائية الى معاهدة جماعية ، حتى تتحقق أكبر فائدة منها فى تنشيط الحركة التجارية فى البحر المتوسط ، بعد أن أضعفها تحول التجارة العالمية الى طريق رأس الرجاء منذ مطلع القرن السادس عشر. غير أن هذه الدعوة لم تجد استجابة من ملك انجلترا ، وظلت السفن الانجليزية التى تتردد على الموانى العثمانية تبحر فى الموانى والمياه العثمانية تحت الاعلام الفرنسية ،

---

(٥٧) Hurewitz, J.C. : Diplomacy in the Near and Middle East. Vol. I pp. 15.

(٥٨) عبد العزيز محمد الشناوى (دكتور) : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها جـ ٢ ، ص٧٠٨ – ٧١٤.

طبقاً لاوامر الحكومة العثمانية . ثم ازداد عدد السفن الانجليزية التى تشق طريقها الى موانى الدولة العثمانية فى الحوض الشرقى للبحر المتوسط منذ النصف الثانى من القرن السادس عشر ، وتطلعت انجلترا الى منافسة البنادقة والفرنسيين فى هذه المنطقة (٥٩)، وبدا ذلك واضحا عندما تمكن أحد التجار الانجليز واسمه « أنطونى جنكنسن Anthony Jenkinson»من مقابلة السلطان سليمان المشرع عام ١٥٥٣ فى حلب ،وهو يستعد للزحف على فارس آنذاك ، ونجح فى الحصول على موافقة السلطان له على الاتجار داخل ممتلكات الدولة العثمانية على قدم المساواة مع البنادقة والفرنسيين ، وعلى ألا يدفع أكثر من الرسوم المقررة (٦٠) . على أن هذا الحادث الاول من نوعه لم يفتح لانجلترا عهدا تجاريا مهما على الرغم من الامتيازات الواسعة التى منحها السلطان سليمان المشرع لذلك التاجر الانجليزى (٦١) .

غير أن النشاط التجارى الانجليزى سيزداد بعد ذلك بربع قرن تقريبا ، عندما استقبلت الحكومة العثمانية بعثة انجليزية فى عام ١٥٧٨ ، واستطاعت هذه البعثة أن تحقق نجاحا كبيراً فى وضع الحجر الاساسى للتجارة الانجليزية فى الدولة العثمانية بولاياتها المختلفة ومن بينها مصر بطبيعة الحال ، مما كان من شأنه تنشيط الحركة التجارية فى البحر المتوسط التى كان قد أضعفها تحول التجارة العالمية الى طريق رأس الرجاء الصالح منذ مطلع القرن السادس عشر . وكان من بين معالم هذا النجاح أن السلطان مراد الثالث (١٥٧٤ - ١٥٩٦) أرسل رسالة مؤرخة فى الخامس عشر من مارس عام ١٥٧٩ الى الملكة اليزابيث الاولى ، وكان مما جاء فيها « ان البلاد العثمانية ستبقى دائما مفتوحة للتجار الانجليز ... ونحن (أى السلطان العثمانى) سوف لا نتقاعس عن تقديم المساعدة والمعونة لاى فرد منهم(أى من الانجليز) يبتغى تقدير صداقتنا واحساسنا ومساعدتنا ، بل سنعد ارضاءهم جزءا من واجبنا » (٦٢) .

(٥٩) Hoskins. H.L. British Routes to India, p.2-4.

(٦٠) Hurewitz. J.C op. Cit.. Vol. I.pp 5-6.

(٦١) زكى صالح (دكتور) مجمل تاريخ العراق الدولى فى العصر العثمانى ص ١٢

(٦٢) زكى صالح (دكتور) المرجع السابق ص ١٤

على أن هذه الرسالة لم تكن مقنعة فى نظر ملكة انجلترا ، لانها لم تشتمل على تحديد موضوعات تتصل بتيسير ممارسة الرعايا الانجليز نشاطهم التجارى ، وتطلعت الملكة الى عقد اتفاق يكون أوفى بالغرض تخصيصا وشمولا ومهدت له بمنح التجار العثمانيين امتيازات داخل بلادها تكون مماثلة لما يحصل عليه التجار الانجليز من امتيازات فى بلاد الدولة العثمانية . وما أن تلقى السلطان مراد الثالث الرسالة الملكية حتى أصدر فى شهر يونيو سنة ١٥٨٠ « براءة » تضمن للتجار الانجليز امتيازات واسعة النطاق . وكان مما جاء فيها على لسان السلطان « وعلى هذا فاننا نمنح جميع افراد شعبها ورعاياها حرية المجئ الى امبراطوريتنا بأمن وسلام ، مع كل ما لديهم من متاجر وسلع بحرا فى سفن كبيرة وصغيرة ، وبرا فى عربات، دون أن يتعرض لهم أحد بأذى ، ولهم أن يمارسوا عمليات البيع والشراء دون عائق ، وعليهم أن يراعوا عادات وأوامر بلادهم (الانجليزية) [٦٣].

وكان من الطبيعى أن تلقى هذه المعاهدة معارضة عنيفة من جانب السفير الفرنسى فى استانبول حتى أنه سعى لدى السلطان لوقف تنفيذها . ونجحت مساعيه ولكن إلى أمد قصير . ففى العام التالى مباشرة صدر العقد التأسيسى الاول لانشاء « شركة الليفانت The Levant Company »فى الحادى عشر من شهر سبتمبر عام ١٥٨١ ، وهى شركة انجليزية مارست اختصاصات سياسية وتجارية واسعة فى شرق البحر التوسط[٦٤] فهى التى كانت ترشح سفراء انجلترا فى استانبول وتدفع لهم مرتباتهم ، وكان جميع قناصل انجلترا وكل موظفيها الدبلوماسيين فى ممتلكات الدولة العثمانية يعدون مستخدمين فى الشركة ويتقاضون منها مرتباتهم . وظل هذا التقليد ساريا اكثر من قرنين حتى سنة ١٨٠٣ . أما الاختصاصات التجارية لهذه الشركة فقد حصلت من الملكة اليزابيث الاولى ملكة انجلترا على حق احتكار المتاجرة فى الحوض الشرقى للبحر المتوسط . وكان نشاطها كثيفا فى الاناضول وحلب والاسكندرية وغيرها من أساكل الشام ومصر والساحل الغربى

---

(٦٣) Hurewitz. J.C. : op. Cit., Vol I., p. 7 - 9.

(٦٤) Epstein. M.Early History of the Levant Company. p.52.

لشبه جزيرة الاناضول . ولم يمتد نشاط الشركة بوضوح الى العراق الذى كان اكثر تأثيرا بنشاط « شركة الهند الشرقية الانجليزية The East India Compauy» التى أنشأتها بريطانيا فى ٣١ ديسمبر سنة ١٦٠٠(٦٥) . وفى سنة ١٥٨٣ عينت الحكومة الانجليزية « وليم هاربورWillaiam Harborn» سفيرا لها فى استانبول ومنحته سلطات متشعبة على جميع التجارة الانجليزية فى ولايات الدولة العثمانية وخولته اختصاصات واسعة فى تعيين القناصل . وغدا « هاربورن » سفيرا الى جانب صفته كممثل لشركة الليفانت . واستغل هاتين الصفتين فى حمل السلطان مراد الثالث على تنفيذ معاهدة ١٥٨٠ وقدم مع أوراق اعتماده الهدايا للسلطان وكبار رجال الدولة ، وسرعان ما أثمرت جهوده . وعلى هذا تعتبر سنة ١٥٨٣ بداية التاريخ الفعلى والرسمى لتنفيذ معاهدات الامتيازات المتبادلة بين التجار الانجليز فى املاك الدولة العثمانية فى انجلترا . وفى سنة ١٦٠٤ حصلت الحكومة الانجليزية على موافقة السلطان أحمد الاول على أن تبحر السفن الانجليزية داخل المياه والموانئ العثمانية تحت الاعلام الانجليزية ، بينما كانت السفن الاجنبية – باستثناء سفن البنادقة – مضطرة الى رفع العلم الفرنسى . وفى عام ١٦٤١ عقد الملك شارل الاول ملك انجلترا معاهدة مع السلطان ابراهيم الاول العثمانى كفلت لشركة الليفانت حرية التجارة فى جميع أنحاء الدولة العثمانية . ثم عقد السلطان محمد الرابع (١٦٤٨ – ١٦٨٧) معاهدة مع انجلترا فى شهر سبتمبر سنة ١٦٧٥ جددت فيها الامتيازات التجارية التى سبق منحها فى معاهدات سابقة وأضيفت اليها مواد جديدة . وأطلق على المعاهدة الجديدة اسم «المعاهدة النهائية للامتيازات العثمانية وانجلترا Final Treaty of Capitualations btween the Ottoman Empire and England» وهى تقع فى خمس وسبعين مادة(٦٦) ، وتمثل هذه المعاهدة المرحلة الثانية المهمة فى تاريخ الامتيازات التجارية البريطانية فى الدولة العثمانية التى ضمنت للتاجر الانجليزى حرية التجارة داخل البلاد العثمانية ،

(٦٥) Hoskins H.J Op. Cit pp.45.

(٦٦) Hurewitz, J.C. : Op. Cit I., pp. 25 à 32

والسماح له بمرور بضائعه عبرها ، والتمتع بما يكفى حماية نفسه وماله . وقد ضمنت الامتيازات اسميا مثل ذلك للتاجر العثمانى فى البلاد الانجليزية . غير أن الجانب العثمانى لم يستفد فى الواقع سوى ما يأخذه السلطان أو الباشوات من رسوم على البضائع الانجليزية تبلغ عادة ثلاثة فى المائة من ثمن البضاعة(٦٧) . ولم يحدث بعد عقد معاهدة عام ١٦٧٥ شئ يذكر حتى عام ١٨٠٩ حين نجحت انجلترا فى استمالة الدولة العثمانية اليها بعد فترة جفاء بينهما ، كما استطاعت انجلترا فى اليوم الخامس من شهر يناير سنة ١٨٠٩ أن تعقد مع الدولة العثمانية معاهدة الدردنيل المعروفة باسم « معاهدة السلام والتجارة والتحالف السرى Treaty of Peace, Commerce and Secret Alliance »وقد جاء فى مادتها الرابعة أن جميع الامتيازات التى سبق تقريرها فى معاهدة عام ١٦٧٥ والمعاهدات السابقة عليها تظل ملحوظة ومرعيه كأن لم يطرأ عليها تعطيل . وقد عقدت الدولة العثمانية تباعا معاهدات أخرى على شاكلتها مع عدد من الدول الاوربية الاخرى(٦٨) .

واذا كانت انجلترا قد حرصت على مشاركة البنادقة والجنويين والفرنسيين وغيرهم فى التجارة التى تصل الى موانى البحر المتوسط فى القرن السادس عشر ، ونجحت فى ذلك الى حد بعيد بعد تأسيسها لشركة الليفانت على وجه الخصوص عام ١٥٨١ ، فانه لم يكد هذا القرن يوشك على الانتهاء حتى أصبحت التجارة التى تصل الى موانى ذلك البحر لاتفى بحاجة السوق الانجليزية من البضائع والمنتجات الشرقية(٦٩) ولهذا اتجه البريطانيون الى كسر احتكار البرتغاليين والهولنديين للتجارة الشرقية فى بحار الشرق فتحولت السفن البريطانية كذلك الى طريق رأس الرجاء الصالح ونفذت الى البحار الشرقية وتم اتصالها المباشر بالهند . وكان لانجلترا الدور الكبير فى تنشيط طريق رأس الرجاء الصالح فى نهاية القرن السادس عشر وفى

---

(٦٧) زكى صالح (دكتور) : المرجع السابق ، ص ١٦ .

(٦٨) عبد العزيز محمد الشناوى (دكتور) : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها ج٢ ، ص٧١٥-٧١٩ .

(٦٩) Hoskins , H,L. : British Routes to India. pp.13.

أعقابه . بالاضافة الى نشاطها التجارى فى البحر المتوسط ، وزاد ثقل بريطانيا فى المحيط الهندى بشكل ملحوظ بعد تأسيسها « لشركة الهند الشرقية الانجليزية The East India Company» فى ٣١ ديسمبر عام ١٦٠٠[٧٠] . وعلى الرغم من ذلك فقد بدت رغبة أنجلترا واضحة فى استخدام الطريق التقليدى القديم عبر مصر والبحر المتوسط بعد أن تبينت مميزاته فى نهاية القرن الثامن عشر وخاصة عند تسيير الخط الملاحى البحرى البخارى فى مطلع القرن التاسع عشر[٧١] .

وهكذا نشطت الدبلوماسية المملوكية ثم العثمانية من جهة ، والدبلوماسية الاوربية وخاصة لدى الدول ذات المصالح التجارية فى البحر المتوسط من جهة أخرى كالبندقية وفرنسا وانجلترا ، خلال القرن السادس عشر وفى أعقابه ، لعقد المعاهدات التجارية لتنشيط الحركة التجارية فى البحر المتوسط – على النحو الذى أوضحناه – بعد أن أضعفها تحول التجارة العالمية الذى طريق رأس الرجاء الصالح على أيدى البرتغاليين فى مطلع القرن المذكور .

(ثالثا) : الاثر الاستراتيجى لتحول التجارة العالمية الى طريق رأس الرجاء الصالح على مصر وعالم البحر المتوسط أثناء القرن السادس عشر :

كان لتحول التجارة العالمية الى طريق رأس الرجاء الصالح فى نهاية القرن الخامس عشر ومطلع القرن السادس عشر الميلاديين على أيدى البرتغاليين أبرز الاثر من الناحية الاستراتيجية على مصر وعالم البحر المتوسط بعد أن حرما من هذه التجارة . ورغم الجهود الدبلوماسية التى بذلت من الاطراف المعنية المختلفة على النحو الذى عالجناه فيما سبق ، فانها لم تحقق الاهداف المرجوه منها من أجل العودة الى الطريق التقليدى عبر مصر وعالم البحر المتوسط . وقد استجوبت هذا على أهالى البلاد الاصليين من جهة أولى ، وعلى المماليك من جهة ثانية ، ثم

---

(٧٠) Fisher, H.A.L. : op., Cit, p.602.

(٧١) Hoskins, H.L. : The Growth of British Interests in the Route to India Jowrnal of Indian History, II. p. 167.

على العثمانيين من جهة ثالثة ، ضرورة اللجوء الى استخدام القوة ضد النشاط البرتغالى والنشاط الاسبانى المواكب له فى العداء للمسلمين سواء فى البحر المتوسط من جهة أو فى البحار الشرقية من جهة أخرى . ولهذا فان النشاط الاستراتيجى سيبدو واضحا فى هذين النطاقين وسوف يستمر من الناحية الزمنية طوال القرن السادس عشر الميلادى . وسوف يكون للاتراك العثمانيين الفضل فى تشكيل تغطية استراتيجية للحفاظ على أمن العالم الاسلامى فى مصر وعالم البحر المتوسط من جهة . وعالم البحر الاحمر من جهة أخرى طوال القرن السادس من جهة . وعالم البحر الاحمر من جهة أخرى طوال القرن السادس عشر ، حتى أفل نجم البرتغاليين فى البحار الشرقية فى نهاية القرن المذكور . وقد جاءت هذه التغطية الاستراتيجية العثمانية للمنطقة المذكورة فى وقت كانت تتعرض فيه لفراغ سياسى نتيجة لانقسام الصف المملوكى من جهة أولى ، وفشل المماليك فى صد الغزو البرتغالى للبحار الشرقية من جهة ثانية ، هذا فضلا عن انهيار الاوضاع الاقتصادية من جهة ثالثة . ويعد هذا الدور اكبر مكرمة للعثمانيين فى جوهر علاقاتهم بأشقائهم المسلمين فى عالمى البحرين المتوسط والاحمر فى القرن السادس عشر .

الاثر الاستراتيجى فى البحر المتوسط :

ففيما يتعلق بالاثر الاستراتيجى فى البحر المتوسط فاننا نجد أن المغرب العربى قد تعرض فى أثناء القرن الخامس عشر ومطلع القرن السادس عشر الميلاديين للهجمات الاسبانية على سواحله والتى كانت تواكب النشاط البرتغالى الذى حول التجارة العالمية الى طريق رأس الرجاء الصالح آنذاك . اذ كانت خطة أسبانيا بعد أن تخلصت من آخر دولة اسلامية فيها وهى دولة بنى الاحمر فى غرناطة فى سنة ١٤٩٢ . تقوم على غزو بلاد المغرب العربى ، هادفه بذلك الى تعقب المسلمين الذين هاجروا الى الموانى المغربية ، نظراً للدور الفعال الذى قاموا به فى تنشيط حركة الجهاد فى غربى البحر المتوسط وشنهم الغارات المستمرة على سواحل أسبانيا ، محاولين اثارة بقايا المسلمين هناك . وقد بدأت أسبانيا منذ عام (٩١١هـ- ١٥٠٥م) بانزال حملاتها على سواحل المغرب الاوسط ، وبخاصة

ميناء « المرسى الكبير » فى غرب الجزائر ، ثم أخذ نطاق العمليات الاسبانية يتسع منذ عام ١٥٠٨ حين تولى قيادة الاساطيل الاسبانية « بدرو نافارا Pedro Navarra» الذى تمكن من الاستيلاء على « حجر باديس » [٧٢] . ووهران وبجاية[٧٣] عام (٩١٥هـ - ١٥٠٩م) ، كما تمكن من تدمير ميناء طرابلس فى السنة التالية . تحت هذا الضغط الاسبانى اضطرت دلس[٧٤] والجزائر الى دفع جزية لاسبانيا لان الزيانيين[٧٥] اثبتوا عجزهم عن حماية هذه الموانى نتيجة للتفكك السياسى الذى اصاب دولتهم ، وللثورات الداخلية التى تشبت ضدهم كرد فعل على كثرة الضرائب التى فرضوها فى تلك الفقرة على الاهالى بحجة مواجهة الغزو الخارجى، مما اثر تأثيراً سيئا على الوضع الداخلى ، واضطرت السلطات الزيانية ذاتها الى عقد صلح مع اسبانيا فى سنة ١٥١٢م . اعترفوا فيه باستيلاء اسبانيا على عدة موانى فى غرب الجزائر [٧٦] .

على أن حركة الجهاد البحرى للمغاربة فى الحوض الغربى للبحر المتوسط اشتد ساعدهم من جديد فى العقد الثانى من القرن السادس عشر ولمعت قيادات جديدة من بين رؤساء البحر ، اصبح لها فى تلك الفترة تأثيرها الواضح فى بلاد المغرب العربى من امثال بابا عروج واخيه خير الدين بارباروسا ، وكانا من البحارة العثمانيين الذين شاركوا فى عمليات الجهاد البحرى ضد المحاولات الاسبانية العدوانية ، وكونوا قوة اسلامية جديدة كانت تهدف الى انقاذ مسلمى الاندلس من اضطهاد الكاثوليك المتعصبين . وحماية سواحل المغرب العربى من الغزو الاسبانى.

---

(٧٢) حجر باديس أو صخرة باديس وتقع فى اقصى غرب الساحل الجزائرى المطل على البحر المتوسط .

(٧٣) بجاية : مدينة ساحلية جزائرية تصل على البحر المتوسط وتقع فى شرق الجزائر العاصمة وتبعد عنها بحوالى ٢٥٠ كيلو متر . وكانت مركزاً ثقافياً هاما فى العصور الوسطى .

(٧٤) ميناء دلس الجزائرى يقع على بعد ٨٠ كيلو متر شرقى ميناء الجزائر .

(٧٥) الزيانيون : نسبة الى الدولة الزيانية التى ظهرت فى القرن الثالث عشر بعد ضعف دولة الموحدين وكانت عاصمتها تلمسان . وكانت فى صراع دائم مع الدولة الحفصية فى تونس والدولة المرينية فى المغرب الاقصى ، ودخلت تحت سيطرة العثمانيين فى عام ١٥١٧م.

(٧٦) شوقى عطا الله الجمل (دكتور) : المغرب العربى الكبير فى العصر الحديث ، ص ٢٦-٣٥.

وقد تعددت خيوط علاقات العثمانيين بالمغرب العربى مع تحول هذه القوة الى باشوية سياسية فى الجزائر ناهضت المعاقل الاسبانية على السواحل الجزائرية والتونسية والليبية ووصلت بحكمها فى اتجاه المغرب الى تلمسان ، ووجده ، ودبدو، وبادس [٧٧].

وقد تمكن عروج بالتعاون مع اخيه خير الدين ، من تكوين امارة مستقلة فى جزيرة جربة[٧٨] ، واتخذها قاعدة بحرية لنشاطها منذ عام ١٥٠٤ م ، وجمعا فيها الكثير من المتطوعين من هذه القاعدة . وذاعت شهرته فى الجهاد ضد غارات الاسبان ، حتى ان رجال القبائل فى الجزائر طلبوا منه تقديم العون لهم لاسترداد ميناء بجاية من يد الاسبان ، فاجابهم الى طلبهم ونجح فى استرداد هذا الميناء ، ثم نقل قاعدة نشاطه من جزيرة جربة الى ميناء جيجلك فى الجزائر ، وتمكن من صد هجوم اسبانى على ميناء الجزائر وهدد الحصون التى اقامها الاسبان امام الساحل وشدد هجماته عليها ، وتمكن من بسط نفوذه على اقاليم المغرب الاوسط ، الاقليم تلو الاخر . وأصيبت السلطات القديمة بالضعف أمام سلطان عروج ، ونجح فى سنة ١٥١٧ فى مد نفوذه على « تلمسان » عاصمة بنى زيان ، وقام عروج بعد أن نجح فى القضاء على حكم بنى زيان ، بوضع حاميات فى ميديا ومليانة[٧٩]، وامتد نفوذه الى حدود المغرب الاقصى ، ولكن آخر حكام بنى زيان، استنجد بأسبانيا لاسترداد عرشه الضائع ووجد الاسبان فى هذا الاستنجاد فرصة لهم للتدخل فى شئون الجزائر ، ووصلت حملة أسبانية الى سواحل الجزائر وتمكنت من التوغل فى أرض الجزائر ومحاصرة تلمسان وأحدثت فوضى فى داخلية البلاد أدت الى نشوب ثورة ضد حكم بابا عروج ، بل أن الامر انتهى بقتله سنة

---

(٧٧) ابراهيم شحاته حسن (دكتور) اطوار العلاقات المغربية العثمانية ، قراءة فى تاريخ المغرب عبر خمسة قرون (١٥١٠ – ١٩٤٧ م) ، ص ١١٩.

(٧٨) تقع جزيرة جربة فى مواجهة ساحل تونس من ناحية الجنوب الشرقى المطل على البحر المتوسط وهى من أشهر المواقع السياحية التونسية حاليا لموقعها الجغرافى الممتاز . بينما تقع مدينة جيجل على ساحل الجزائر شرقى مدينة الجزائر بحوالى ٣٥٠ كيلو متر .

(٧٩) تقع ميديا جنوب مدينة الجزائر بحوالى ٨٨ كيلو متر ، بينما تقع مليانه غرب مدينة الجزائر بحوالى ١٣٠ كيلو متر .

١٥١٨م[٨٠] . وقد أثارت أعمال أسبانيا العدوانية ضد البلدان المغربية أبناء المغرب المقيمين بالاسكندرية آنذاك ، فقاموا بعمل عدائى ضد الاسبان المقيمين فيها ، وأحرقوا لهم خانا [٨١].

ولهذا لم يكن أمام خير الدين بار باروسا ، الذى خلف أخاه عروج . من سبيل للسيطرة على الموقف ، سوى الاتصال بالدولة العثمانية ، التى غدت القوة الاسلامية الكبرى المسيطرة على مصر والشام والحجاز فى سنة ١٥١٧ ، فطلب خير الدين من السلطان سليم الاول مد يد العون له فى جهاده ضد الخطر الاسبانى[٨٢] . وقد أرسل له السلطان سليم الاول مد يد العون له فى جهاده ضد الخطر الاسبانى [٨٣]. وقد أرسل السلطان سليم الاول فى سنة ١٥١٨ ، ألفين من الجنود الانكشارية ، كما سمح له بتجنيد أبناء الأناضول . ويعتبر هذا الاتصال بين خير الدين والدولة العثمانية بداية انضمام المغرب الاوسط الى الدولة العثمانية . وقد أرعج هذا التقارب . القيادات المغربية القديمة ، التى كانت قائة فى المناطق المغربية الاخرى ، خشية أن يقضى على ما تبقى لها من نفوذ وسلطان ، مما ضاعف من جهوذ خير الدين ، فكان عليه أن يواجه الخطر الاسبانى من ناحية ، وأن يتصدى للقوى الداخلية المعارضة من ناحية أخرى . خاصة وأن هذه القوى حاولت أن توحد جهودها مع جهود الاسبان للقضاء على قوة خير الدين ، الذى نجح فى مجابهة هذه الاخطار ووحد اقطار شمال افريقية ، وأصبحت دولته بمثابة خط الدفاع الامامى للدولة العثمانية فى الحوض الغربى للبحر المتوسط[٨٣] . وقد منحه السلطان سليمان المشرع (١٥٢٠ - ١٥٦٦م) لقب « بيلر باى افريقية » Beylerbery ثم من بعد لقب « قبودان باشا Kapudan Pass وقد ازداد نفوذ الدولة العثمانية قوة فى بلاد المغرب ، بعد أن تمكن مراد أغا فى (١٣ شعبان

(٨٠) جلال يحيى (دكتور) : المغرب الكبير ، العصور الحديثة وهجوم الاستعمار ص ٢٢ - ٢٣ .
(٨١) عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم (دكتور) . المغاربة فى مصر فى العصر العثمانى ،ص١٨.
(٨٢) صلاح العقاد (دكتور) : المغرب العربى ، دراسة فى تاريخه الحديث واوضاعه المعاصرة ، ص٩-١٥.
(٨٣) عبد الرحمن بن محمد الجيلالى : تاريخ الجزائر العام ، ج ٣ ص ١١٣ .

٩٥٨هـ - ١٦ اغسطس ١٥٥١ م) من تخليص الغرب من يد الاسبان ، وفرسان القديس يوحنا ، وأصبحت طرابلس قاعدة من قواعد الجهاد البحرى فى شمال افريقيا (٨٤) .

تلك هذ الصورة السياسية التى كان يمر بها المغرب الاسلامى والتى رجحت فيها كفة أسبانيا بعد احرازها النصر على المسلمين فى المغرب فى معركة «ليبانتو» فى سنة ١٥٧١م . حيث عجزوا بعد هذه المعركة عن مد نفوذهم فى الحوض الغربى للبحر المتوسط ، كما عجزوا عن تحرير الجيوب التى احتلتها أسبانيا والبرتغال على سواحل اقليم المغرب الاقصى (٨٥) . بل ان وهران فى المغرب الاوسط بقيت تحت الحكم الاسبانى حتى قرن نهاية القرن الثامن عشر . وقد حالت أسبانيا بعد معركة « ليبانتو» بعامين احتلال تونس وعادة حلفائها الحفصيين . غير أن المسلمين بقيادة « العلج على » تمكنوا فى العام التالى من اخراج الاسبان وحلفائهم الحفصيين وبصورة نهائية من تونس فى سنة ١٥٧٤ . وقد ظلت حالة عدم الاستقرار هذه تسود المغرب الاسلامى طوال القرن السادس عشر ، وحتى الاقاليم التى خضعت للحكم العثمانى عانت كثيرا من النظم الادارية التى خضعت لها مما أحدث ارتباكا فى أحوالها (٨٦) .

ولاشك أن هذه الظروف التى كانت تمر بها بلدان المغرب الاسلامى أثرت على وضعية اقتصاد البلاد مما جعل الكثيرين من فئة التجار يتجهون الى بلدان المشرق العربى ويستقرون فيها لممارسة نشاطهم . وكذلك فعل الحرفيون وبعض القبائل المغربية فأصبحت هذه الظروف بمثابة عامل طرد من المغرب الى المشرق، قابلة من الجانب الآخر عامل تمثل فى اقطار المشرق وبخاصة مصر التى وفرت لهؤلاء المهاجرين والوافدين اليها من المغاربة الحرية التامة لممارسة نشاطاتهم المختلفة

---

(٨٤) صلاح العقاد (دكتور) : المغرب العربى ، ص ١٩-٢٥ .
(٨٥) جلال يحيى (دكتور) المرجع السابق ، ص ٢٣ - ٢٦ .
(٨٦) عبد الجليل التميمى (دكتور) الخلفية الدينية للصراع الاسبانى - العثمانى على الايالات المغربية فى القرن السادس عشر ، المجلة التاريخية المغربية ، عدد (١٠ - ١١) ، تونس يناير ١٩٧٨ .

سواء أكانت تجارية أم مهنية ، فاتخذوها موطنا لهم ، واستقروا فى مدنها وقراها[٨٧].
وكان ذلك يحدث قبل نهاية العصر المملوكى فى سنة ١٥١٧ ، وطوال العصر العثمانى وخاصة فى القرن السادس عشر ، ذلك لان الوجود العثمانى البحر فى سواحل المغرب العربى ومصر[٨٨]، مما جعل المغاربة يشعرون بوحدة بلادهم مع بلاد المشرق العربى فى ظل الحكم العثمانى .

وبالاطلاع على أرشيف الشهر العقارى بالاسكندرية والذى يضم وثائق محكمة الاسكندرية الشرعية العائدة الى منتصف القرن العاشر الهجرى والسادس عشر الميلادى نتبين وجود العديد من الوثائق التى تشير الى دور المغاربة فى تنشيط الحركة التجارية والحرفية ، فضلا عن الحياة الاجتماعية والثقافية فى الموانى والمدن الداخلية فى مصر والشام وخاصة فى مدينة الاسكندرية [٨٩] . كما تشير هذه الوثائق كذلك الى وجود نشاط تجارى نسبى كانت تقوم به الجاليات الاوربية وبعض مواطنى جزر البحر الاحمر المتوسط فى الموانى الداخلية فى مصر والشام وخاصة فى مدينة الاسكندرية آنذاك [٩٠].وقد خفف هذا النشاط التجارى الى حد كبير من حدة العزلة التى أحدثها تحول التجارة العالمية الى طريق رأس الرجاء الصالح عن مصر وعالم البحر المتوسط أثناء القرن السادس عشر ، مما يؤكد أن الحركة التجارية لم تتوقف تماماً ، بل أنها نشطت نسبيا استنادا الى الطرق البرية الاخرى التى نشطت لتعويض النطقة عما أفتقدته ، والتى كانت رحلة الحج السنوية تشكل محورا لحركتها الدائبة .

---

(٨٧) عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم (دكتور) : المغاربة فى مصر فى العصر العثمانى ص١٩ .
(٨٨) ابراهيم شحاته حسن (دكتور) : اطوار العلاقات المغربية العثمانية ، ص ١٣٨ .
(٨٩) أنظر المجموعة الوثائقية الأولى وعددها ثلاث عشرة وثيقة ، أصولها محفوظة بأرشيف الشهر العقارى بالاسكندرية وتخص محكمة الاسكندرية الشرعية بدفتر سجل مبايعات رقم (١) وتعود للفترة من ٢٤ شعبان سنة ٩٥٧ هـ / ١٥٥٥٠ م الى ١٧ شعبان سنة ٩٥٨هـ / ١٥٥١م ، ولم يسبق نشرها .
(٩٠) أنظـــر المجـــموعة الوثائقية الثانية وعددها سبع وثائق ، وأصولها محفوظة بأرشيف الشهر العقارى بالاسكندرية وتخـــص محكـــمة الاسكندرية الشرعية بدفتر سجل مبايعات رقم (١) وتعود للفترة من ٢٤ شعبان سنة ٩٥٧ هـ - ١٥٥٠ م الى شعبان سنة ٩٥٨هـ / ١٥٥١م ، ولم يسبق نشرها .

الاثر الاستراتيجى فى البحار الشرقية :

كان لتحول التجارة العالمية عن مصر وعالم البحر المتوسط الى طريق رأس الرجاء الصالح منذ وصول البرتغاليين الى الهند فى نهاية القرن الخامس عشر وأثناء القرن السادس عشر الملاديين ، أبلغ الاثر على استراتيجية الامن فى البحار الشرقية بوجه عام ، وفى البحر الاحمر بوجه خاص . وكانت دولة المماليك تشكل أكبر قوة اسلامية متواجدة فى هذا البحر بحكم سيطرتها على مصر والحجاز الى جانب سيطرتها على الشام فى نهاية العصور الوسطى وحتى سقوطها على أيدى الاتراك العثمانيين فى عام (٩٢٣ هـ / ١٥١٧م) . كما كانت من أكثر الدولة تأثرا بأية متغيرات تحدث فى هذا البحر ، كتحول التجارة العالمية عنه الى طريق رأس الرجاء الصالح . مما أدى الى ضياع العوائد والرسوم الجمركية الضخمة التى كانت تجنيها الخزانة المملوكية فى الموانى التابعة لها والمطلة على البحر المذكور . ولهذا كان على الدولة المملوكية – للاعتبارات الامنية والاقتصادية – أن تتصدى للبرتغاليين فى البحار الشرقية عامة ، والبحر الاحمر بوجه خاص ، للقضاء على تلك المنافسة البرتغالية الخطيرة ، خاصة بعد أن عجز الطاهريون فى سواحل اليمن– التى شكلت خط المواجهة الاول مع البرتغاليين فى أقصى جنوب الجزيرة العربية والبحر الاحمر – من جهة ، وكذلك السلطنات الاسلامية على الساحل الغربى للهند(٩١) من جهة أخرى ، عن مواجهة الخطر البرتغالى المتزايد من المحيط الهندى(٩٢) . وكان هؤلاء جميعا قد أستنجدوا بالدولة المملوكية باعتبارها اقوى الممالك الاسلامية ذات المصالح الاقتصادية المباشرة مع الهند آنذاك (٩٣) .

وقد أستعان المماليك بالعثمانيين الذى شاركوهم غيرتهم الدينية من جهة(٩٤) .

---

(٩١) ابن الديبع ، عبد الرحمن بن على محمد الشيبانى : الفضل المزيد على بغية المستفيد فى أخبار مدينة زبيد ، مخطوطة ، ص ٣١ ب .

(٩٢) الملبارى ، زين الدين المعبرى : تحفة المجاهدين فى بعض أحوال البرتكاليين ، ص ٤٠ .

(٩٣) قطب الدين النهروالى : البرق اليمانى فى الفتح العثمانى ، مخطوطة ص ٤ (أ) .

(٩٤) الموزعى ، شمس الدين عبد الصمد بن اسماعيل : « كتاب الاحسان فد دخول اليمن تحت ظل عدالة آل عثمان » مخطوطة ، ص ٦.

وبالبندقية التى حرمت مثلهم من التجارة الشرقية التى كانت تقوم بتوزيعها فى أسواق أوربا وتجنى من ورائها الارباح الطائلة من جهة أخرى ، وذلك للقضاء على تلك المنافسة البرتغالية الخطيرة . كما أرسلت البندقية سفيرها (فرانسوا تالدى) الى القاهرة للتفاوض مع السلطان الغورى سرا فى الوسائل الممكن أتباعها لمنع توسع البرتغاليين التجارى فى مياه الهند وذلك بناء على تعليمات مجلس العشرة الصادرة فى البندقية فى ٢٤ مايو سنة ١٥٠٤[٩٥] . وقد أدى ذلك أيضا الى تشجيع السلطان الغورى على أرسال حملة بحرية الى الهند لتعقب البرتغاليين ومحاولة طردهم من البحار الشرقية واعادة التجارة الى طريقها التقليدى القديم عبر مصر والشام والبحر المتوسط ، وذلك فى ٤ نوفمبر سنة ١٥٠٥ بقيادة حسين الكردى نائب جده[٩٦] .

وقد أحرز المماليك أنتصارا جزئيا أمام الاسطول البرتغالى فى مياه الهند بعد وقت قليل من وصوله الى « ديو » التى كانت أهم موانى سلطنة « كجرات » . كما أنتصر الاسطول المملوكى على أسطول برتقالى مكون من ثمانى سفن وذلك فى خريف عام ١٥٠٨ م[٩٧] . غير أن البرتغاليين تمكنوا بقيادة « فرانسيسكو داليدا Francisco D, Almeida » نائب ملك البرتغال فى الهند من أحراز نصر حاسم على المماليك فى موقعة « ديو » فى اليوم الثانى من فبراير سنة ١٥٠٩[٩٨] . كما حاول بعد ذلك « الفونسو البوكيرك Albuquerque » الذى عين نائباً لملك البرتغال أحتلال المراكز البحرية الهامة فى المحيط الهندى حتى تمكن من السيطرة على البوابات البحرية الثلاثة الموصلة اليه وهى مضايق باب المندب ، وهرمز ، وملقا عند الطرف الجنوبى لشبه جزيرة الملايو[٩٩] . كما تمكن من السيطرة على جزيرة

---

(٩٥) نعيم زكى فهمى (دكتور) : المرجع السابق ، وقد نشر فى ملاحق كتابه مجموعة التعليمات التى اصدرها مجلس العشرة فى البندقية للسفير البندقى « فرانسو تالدى » المبعوث الى السلطان الغورى بالقاهرة فى ٢٤ مايو سنة ١٥٠٤ ، ص ٤٢٩ - ٤٣٥ .

(٩٦) ابن اياس : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٨٥.

(٩٧) سعاد ماهر (دكتورة) : البحرية فى مصر الاسلامية وآثارها الباقية ص ١٣٢ .

(٩٨) اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، ج ٢ ، ص ٢٦ .

(٩٩) Prestage, E. : The Protuguese pioneers. pp.53 - 60.

سقطرى فى سنة ١٥٠٧ وعلى مشيخة هرمز فى سنة ١٥٠٨ [١٠٠] . ثم حاول مهاجمة عدن فى ٢٤ مارس سنة ١٥١٣ ، غير أنه فشل فى ذلك أمام استبسال أهالى عدن وحصانة مدينتهم الطبيعية ، مما جعله يكتفى بالقيام بأعمال تخريبية واغراق السفن الراسية فى الميناء [١٠١] .كما فشلت محاولات « البوكيرك» فى الوصول الى جده ، التى كان يتوقع وصول قرات قوات مملوكية اليها ، مما جعله يخفى فشله بادعاء أن الرياح بددت أحلامه وأضطرته للعودة الى جزيرة قمران ، التى بقى فيها مدة شهرين ، واصل فيها أعماله التخريبية فى موانى البحر الاحمر الجنوبية كميناء زيلع ، كما ضرب عدن بمدافعه مدة خمسة عشر يوما قبل عودته الى الهند فى اليوم الرابع من أغسطس سنة ١٥١٣ . وعلى الرغم من فشل « البوكيرك» فى تحقيق أهداف البرتغاليين فى البحر الأحمر ، فقد قدم لحلفائه من بعده غزو هذا البحر عن طريق المعلومات التى توفرت لديه عن طبيعة البحر ومراكزه المختلفة وحركة التجارة فيه ، فضلا عن تعرفه على امكانات القوى المسيطرة عليه ، والقوى التى يمكن أستقطابها الى جانب البرتغاليين كالاحباش آنذاك [١٠٢] .

وعندما أرسل المماليك حملتهم الثانية لضرب البرتغاليين فى مياه الهند والتى أنطلقت من ميناء السويس ، ومرت بميناء جدة ، ثم وصلت الى سواحل اليمن فى منتصف شهر يونيو سنة ١٥١٦ ، فقد أضطر قائدها حسين الكردى أن يقتحم المدن التهامية ومن بينها زبيد [١٠٣] فى اليوم الحادى والعشرين من نفس الشهر واصطدم بالطاهريين هناك وأنتهز فرصة صراعهم مع الامام الزبيدى شرف الدين من جهة ، ومع أشراف جيزان من جهة أخرى ، وأبقى قوة مملوكية على رأسها الامير برسباى فى تهامة ، ثم أتجه بعد ذلك الى عدن الاتراك العثمانيون فى

---

(١٠٠) صلاح العقاد (دكتور) : التيارات السياسية فى الخليج العربى ص ١٤ .

(١٠١) السيد مصطفى سالم (دكتور) : الفتح العثمانى الاول لليمن ١٥٣٨ - ١٦٣٥ ، ص٧٢-٧٣ .

(١٠٢) Wilsin, A. : Op. Cit., p. 120 .

(١٠٣) Ross, E., D. : The Portuguese in India and Arabia Betweein 1507 - 1517. Journal of the Royal Asiatic society m London, part Iv, October 1912. p.560.

سنة ١٥٣٨ . وقد رأى المماليك أن قوتهم لن تسمح لهم بمهاجمة البرتغاليين فى مياه الهند آنذاك ، فاكتفوا باتخاذ سواحل تهامة اليمن كخط دفاع أول عن البحر الاحمر ، بينما أعتبروا جده خط الدفاع الثانى . هذا فى الوقت الذى تمكنت فيه قواتهم فى اليمن من دخول صنعاء بعد أن قضوا على السلطان عامر بن عبد الوهاب الطاهرى فى اليوم الخامس عشر من مايو سنة ١٥١٧[١٠٤] . وكانت هذه الجهود هى أقصى ما بذله المماليك لتأمين البحر الأحمر من الخطر البرتغالى . ولاشك أن خطة المماليك واستراتيجتهم لتأمين البحر الاحمر التى كانت ترتكز على تدعيم سيطرتهم فى جهات البحر ، واتخاذ عدن قاعدة لهم فى جنوبه ، هى نفاس الخطة والاستراتيجية التى اتبعها العثمانيون فيما بعد أثناء سيطرتهم على اليمن فى الفترة من ١٥٣٨ الى ١٦٣٥[١٠٥].

اذا كان على العثمانيين بعد أن ورثوا حكم السلطنة المملوكية فى سنة ١٥١٧ أن يحملوا لواء الحرب بأنفسهم ضد الاسبان فى البحر المتوسط كما سبق أن أشرنا ، وضد البرتغاليين فى البحار الشرقية وخاصة فى البحر الاحمر . وكان العثمانيون بذلك يحاولون معالجة أهم المشكلات السياسية والاقتصادية التى واجهوها فى مصر بعد أن حول البرتغاليون طريق التجارة العالمية عنها وعن عالم البحر المتوسط الى طريق رأس الرجاء الصالح [١٠٦] .وكان البرتغاليون يواصلون أرسال حملاتهم البحرية سنويا الى البحر الاحمر لمهاجمة ميناء جده دون جدوى كما هاجموا ميناء الشحن اليمنى ونهبوه عام ١٥٢٣ أثناء توجههم الى ميناء مصوع لتنسيق التعاون بينهم وبين الاحباش [١٠٧] .

كما وجه البرتغاليون أسطولا يقوده « دى سيلفرا » الى عدن من جديد وأجبروا حاكمها على عقد معاهدة معهم نصت على أن تدفع عدن جزية سنوية

-

(١٠٤) يحيى بن الحسين : انباء ابناء فى تاريخ اليمن ، مخطوطه ص ١٦ (أ) .

(١٠٥) السيد مصطفى سالم (دكتور) : المرجع السابق ، ص ٨٩ .

(١٠٦) محمد محمود السروجى (دكتور) : سياسة مصر العربية فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، ثورة العسير ، ١٨٦٤ - ١٨٦٦ ، ص ٩٢ .

(١٠٧) Marston, T.E. : Britain's Imperial Role in the Red Sea Area p.23.

للبرتغاليين ، وأن تفتح ميناءها لاستقبال سفنهم ، وعلى أن يسمح لسكان عدن بحرية الملاحة بشرط عدم توجههم الى ميناء جده ، وتم ذلك فى شهر فبراير سنة ١٥٣٠ (١٠٨).

ويجدر الاشارة الى أن حاكم عدن الامير مرجان الذى عقد خليفته المعاهدة المشار اليها مع البرتغاليين كان قد أرسل رسالة الى السلطان العثمانى سليم الاول (١٥١٢ - ١٥٢٠) كتبها على لسان السلطان عامر بن عبد الوهاب الطاهرى الذى كان قد قتل أثناء صراعه مع المماليك موقع عليها من قبل بعض الفقهاء والتجار فى عدن يؤكدون ما جاء بها ، وأشتكى فيها من أعمال المماليك فى اليمن مما أضطر الى مهادنة البرتغاليين حتى لا يعرض عدن لعدوانهم (١٠٩) . كما ارسل حاكم عدن الذى عقد المعاهدة المشار اليها هو الاخر رسالة الى السلطان سليمان الشرع (١٥٢٠ - ١٥٦٦) يبلغه بالدخول فى طاعته . وكان يهدف من وراء ذلك أن يقوى من جانبه بالاستعانة بهذه القوة الاسلامية المتمثلة فى السلطنة العثمانية ليتمكم من مواجهة البرتغاليين اذا هاجموا عدن من جديد (١١٠). والى جانب دعوة القوى المحلية فى الجزيرة العربية للعثمانيين لمساندتهم ضد الخطر البرتغالى ، فضلا عن رغبتهم فى أعادة فتح الطرق البحرية التجارية وتأمينها ضد هذا الخطر ، فقد كان أمام العثمانيون سبب آخر يجعل الحرب مع البرتغاليين ضرورة حتمية ، وهو تحالفهم مع أعدائهم الشيعة الصفويين فى فارس الذين كانوا على عداء مذهبى مع الدولة العثمانية ، فضلا عن حرص العثمانيين على الدفاع عن الاماكن الاسلامية المقدسة فى الحجاز ضد الخطر البرتغالى لينالوا بذلك شرف حماية الحرمين الشريفين بما يعزز مكانتهم لدى العالم الاسلامى .

---

(١٠٨) Kammerer, A. : Op. Cit., Tome II,P. 288.

(١٠٩) بامخرمة : أبو الطيب عبد الله بن أحمد بن على قلادة النحر فى وفيات اعيان الدهر ، مخطوطة ج ٣ ، ق ٢ ، ص ١٢٠٥ - ١٢٠٦ .

(١١٠) R.B. : Op. Cit., pp. 55,59.

وقد اقتضت استراتيجية العثمانيين لمواجهة الخطر البرتغالى ضرورة السيطرة على اليمن لموقعه المتحكم فى مضيق باب المندب من جهة [١١١] ، ومد نفوذهم الى العراق مما زدى الى دخول أمراء البصرة والقطيف والبحرين فى طاعة الدولة العثمانية فى أعقاب فتح بغداد فى سنة ١٥٣٤ من جهة أخرى ، بحيث أصبح العثمانيون يواجهون البرتغاليين مباشرة فى البحر الاحمر والخليج العربى على السواء آنذاك ، ولاشك أن هذه الاستراتيجية تمكن العثمانيين من أمتلاك موطئ صالح للوثوب على البحرية البرتغالية فى البحار الشرقية[١١٢] ، وتطويق أعدائهم الشيعة الصفويين فى فارس من الجنوب ، ومد سيطرتهم شرقا الى أقاص العالم الاسلامى ، واستعادة التجارة العالمية الى طريقها التقليدى القديم عبر مصر وعالم البحر المتوسط من جديد .

وبناء على ذلك فقد وجه العثمانيون حملة بحرية الى جنوب البحر الاحمر بهدف ضرب البرتغاليين فى مياه الهند عام ١٥٢٦ وتكونت من عشرين سفينة ، غير أنها لم تزد عن أن تكون حملة استطلاعية نجحت نسبيا فى القضاء على بعض القيادات المملوكية المناوئة فى اليمن مما مهد السبيل أمام العثمانيين فى السيطرة عليها [١١٢]. غير أن تلك الحملة لم تتمكن من القيام بعمل ايجابى يذكر فى الهند ضد البرتغاليين ، الذين قويت شوكتهم هناك نتيجة للامدادات المستمرة لهم من جهة ، ولتحالفهم مع الصفويين من جهة أخرى . ولهذا وجه العثمانيون حملة قوية بقيادة سليمان الخادم أبحرت من ميناء السويس فى ٢٧ يونيو سنة ١٥٣٨ متجهة الى جنوب البحر الاحمر بهدف الوصول الى الهند لمواجهة الخطر البرتغالى. وقد اتصل سليمان الخادم بالامراء الحاكمين فى جهات البحر الاحمر وخاصة

---

(١١١) الهمدانى ، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب : صفة جزيرة العرب ، ص ٥١ .
الواسعى ، عبد الوسع بن يحيى : تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن فى حوادث وتاريخ اليمن ، مخطوطة ، ج ١ ، ق١ ، ص ١٨٧ ب.

(١١٢) ابن داعر ، عبد الله بن صلاح الدين بن داود : الفتوحات المرادية فى الجهات اليمانية ، مخطوطة ، ج ١ ، ق ١ ، ص ١٨٧ ب .

(١١٣) ابن داعر : المصدر السابق ، مخطوطة ، ج ١ ص ١٨٨(أ) .

أمراء الساحل اليمنى مثل أميرى عدن والشحر وطالبا اليهم اعلان ولائهم للدولة العثمانية ، بينما رواغهم عامر بن داود الطاهرى حاكم عدن مما كان سببا فى قتله غدرا عقب احتلالهم لها فى اليوم الثانى عشر من ربيع الاول سنة ٩٤٥ هـ / اليوم الثامن من أغسطس سنة ١٥٣٨ (١١٤). بل ان سليمان الخادم قد أمر كذلك بقتل كل من بقى من آل طاهر(١١٥) ، كما أمر بمصادرة ممتلكاتهم بحجة أنهم أتفقوا مع البرتغاليين وقبلوا تسليم عدن اليهم ، وقد أنكر كثيرون من المؤرخين هذه التهمة عنهم حيث أضطروا أمام مدافع البرتغاليين وسفنهم أن يهادنوهم حتى تصل اليهم المساعدات العثمانية(١١٦) على أن أسلوب سليمان الخادم الذى أتصف بالغدر أفقد العثمانيين ثقة أهالى جنوب الجزيرة العربية كما ضيع عليهم فرصة تكوين جبهة اسلامية فى المحيط الهندى لمواجهة الخطر البرتغالى واعادة التجارة العالمية الى طريقها التقليدى القديم . وقد جعل سليمان الخادم بعد أن حاصر قلعة « ديو» البرتغالية على الساحل الغربى للهند أن يقرر رفع الحصار بعد أن أدخل عليه نبأ وصول نجدة برتغالية الى هناك والعودة الى سواحل الجزيرة وذلك فى اليوم الخامس من نوفمبر سنة ١٥٣٨(١١٧) . وبذلك أكتفى العثمانيون باتمام فتح السواحل اليمنية حتى يمكن عن طريقها تأمين البحر الاحمر من أقصى الجنوب من الخطر البرتغالى آنذاك (١١٨).

بل أن العثمانيين رأوا من واجبهم آنذاك مواجهة النشاط البرتغالى المتزايد فى الخليج العربى . وكان البرتغاليون قد سبقوا العثمانيين فى الوصول الى السواحل الغربية للخليج منذ مطلع القرن السادس عشر وسيطروا على مسقط وهرمز والبحرين بهدف سد طريق التجارة الشرقية الذى كان يمر بالخليج والعراق والشام

---

(١١٤) Playfair, R.L. : Op. Cit., P. 101.

(١١٥) الجرافى ، عبد الله بن عبد الكريم : المقتطف من تاريخ اليمن ، ص ٨٨ .

(١١٦) أحمد حسين شرف الدين : اليمن عبر التاريخ ، ص ٢٦٢ .

(١١٧) Deneson, R.E. : The protuguese In India and Arabia, J.R.A. S., Part 1 ., Januray 1922, P.7.

(١١٨) العقيلى ، محمد بن أحمد عيسى العقيلى : تاريخ الخلاف السليمانى أو الجنوب العربى فى التاريخ ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٣٠٧ .

ويصل الى البحر المتوسط ومنه الى الموانى الاوربية . وقد زاد من خطورة الوجود البرتغالى فى الخليج العربى آنذاك اتفاقة وتحالفه مع الصفوريينى فى فارس مما شكل تهديداً خطيراً للدولة العثمانية . وكان العثمانيون قد سيطروا على شمال العراق الذى شمل الموصل وديار بكر عقب أنتصارهم على الصفويين فى موقعة جالديران سنة ١٥١٤ ، بينما أعلن ذو الفقار حاكم بغداد أنذاك انفصاله عن الدولة الصفوية وولاءه للسلطان الاول وخطب باسمه على منابر بغداد [١١٩] .

غير أن طاهما سب ابن اسماعيل الصفوى تمكن من السيطرة على بغداد عام ١٥٣٠ وأعاد الحكم الصفوى اليها . ولهذا وجه السلطان سليمان المشرع حملة كبرى بقيادة أبراهيم باشا ، زحف الى حلب واستولت بعد ذلك على العاصمة الصفوية تبريز للمرة الثانية ، ثم سيطرت على أذربيجان ، وزحفت بعذ ذلك الى بغداد التى دخلت تحت السيطرة العثمانية سنة ١٥٣٤[١٢٠] .وقد أعلن حاكم البصرة راشد بن مغامس ولاءه للعثمانيين عقب دخولهم بغداد ، غير أن العثمانيين رأوا بعد ذلك ضرورة السيطرة على البصرة وتم لهم ذلك فى سنة ١٥٤٦ . كما زحفوا على الاحساء حتى يقفوا فى وجه الخطر المغولى الذى كان قد سيطر على هرمز ومسقط والبحرين كما سبق أن أشرنا . ولهذا فان فتح العثمانيين للعراق كان يشكل ضرورة من ضروريات استراتيجية تأمين البلاد العربية التى دخلت تحت السيطرة العثمانية من الخطر البرتغالى المتحالف مع الصفويين ، ومحاولة أيجابية من الجانب العثمانى بارسال حملات مباشرة لضرب مراكز الربتغاليين عام ١٥٥٢ ، فان أجلاء البرتغاليين عن السواحل الغربية للخليج العربى لن يتم الا على أيدى اليعاربة وخاصة بعد أنضمام البرتغال الى أسبانيا عام ١٥٨٠ وهزيمة الاخيرة أمام أنجلترا فى عام ١٥٨٨ . وعلى أية حال فان للعثمانيين الفضل فى أغلاق العراق فىّ وجه الاطماع البرتغالية فى ذلك الحين ، وتأمين طرق التجارة البرية عبر العراق لتخفف من وطأة تحول التجارة العالمية الى رأس الرجاء

(١١٩) عبد العزيز سليمان نوار (دكتور) : الشعوب الاسلامية ، ص ١٣٧ .

(١٢٠) عبد العزيز نوار (دكتور) : تاريخ العرب المعاصر ، مصر والعراق ، ص ٣٣٧.

الصالح على أيدى البرتغاليين .

أما بالنسبة لاستراتيجية الامن فى البحر الاحمر فقد حرص العثمانيون عقب فتحهم لليمن عام ١٥٣٨ على أبقاء عدن فى قبضتهم عن طريق ترك حامية قوية هناك لتدعيم سيطرتهم عليها [١٢١] .وعندما تعرضت هذه الحامية الى تمرد الاهالى وثورتهم فقد وجهت الدولة العثمانية أسطولا قويا يقوده « برى باشا » لاقرار الامور فى عدن فى سنة ١٥٥١ [١٢٢] . تمكنت من طرد البرتغاليين الذين كانوا قد أنتهزوا الفرصة ونفذوا الى هناك ، كما أبقى « برى باشا » حامية قوية فى عدن وأبحر عائداً الى مصر [١٢٣] . وقد أرتبطت استراتيجية العثمانيين للحفاظ على أمن البحر الاحمر بدعم وجودهم فى عدن باعتبارها قاعدة أساسية لتحقيق ذلك . بل أنهم حرصوا كذلك على تحصين ميناء جده من جهة . كما دعموا وجودهم فى مصوع وسواكن وجعلوها تحت أشراف حاكم جدة من جهة أخرى ، كما أستعانوا بأحد الزعماء الوطنيين وهو نائب « أركيكو Arikiko » للمعاونة فى أعمال الحكومة بمصوع ، واستعانوا أيضا بآخر مثله فى سواكن ، وكلفوهما بجباية الضرائب من القبائل المنتشرة على الساحل الغربى للبحر الاحمر [١٢٤] .

وكان العثمانيون يهدفون الى دعم وجودهم على الساحلين الشرقى والغربى للبحر الاحمر ضمانا لمنع تسرب القوى البرتغالية الى هناك .

بل أن العثمانيين قد حرصوا كذلك على تدعيم وجودهم فى اليمن كلما أمكن كما حدث فى عهد السلطان سليم الثانى (٩٧٤ - ٩٨٢ هـ / ١٥٦٦- ١٥٧٤ م) وذلك لتثبيت حكمهم هناك أمام مقاومة الامامة الزيدية من جهة ، وللتصدى للنشاط البرتغالى المتزايد فى المحيط الهندى من جهة ثانية ، هذا فضلاً عن محاولة اجتذاب الهند والشرق الاقصى من جهة ثالثة ، ولهذا أرسل العثمانيون

---

(١٢١) Sanger, R. : The Arabian Peninsula, p.220

(١٢٢) Hunter. F.M. : Op. Cit., p, 163 .

(١٢٣) محمد عبد اللطيف البحراوى (دكتور) : فتح العثمانيين عدن عام ١٥٣٨ ، ص١٢ .

(١٢٤) Plowden, W. : Travels in Abyssinia and the Galla Country, pp. 2,3.

حملة سنان باشا [١٢٥]. التي وصلت الى اليمن فى سنة (٩٧٦هـ/١٥٦٩م) وأعتبرت فتحا عثمانيا جديدا لتلك البلاد[١٢٦] . وقد أظهرت هذه الحملة أن الدولة العثمانية ظلت تواصل مهمتها حتى هذا التاريخ فى التصدى للبرتغاليين فى البحار الشرقية [١٢٧] .بتدعيم مركزها فى اليمن آنذاك ، وتأمين البحر الاحمر من أقصى الجنوب [١٢٨] . بل أن نضال العثمانيين ضد البرتغاليين قد أمتد كذلك الى الساحل الشرقى لافريقيا فى عهد السلطان العثمانى مراد الثالث (١٥٧٤ - ١٥٩٥) حيث أرسل القائد البحرى « ميرال بك Mirale Bey » فى سنة ١٥٨٨ بقوة عثمانية لتخليص البلاد الاسلامية الواقعة على الساحل الشرقى لافريقيا من السيطرة البرتغالية . وقد قوبل هذا القائد العثمانى بالترحاب من قبل سكان الامارات الاسلامية فى « مدغشقر » و « براوا » و« قسيمايو » اذ نظروا اليه نظرة المخلص من يد الاجنبى ، وفضلوا التبعية للعثمانيين المسلمين عن الخضوع للسيطرة البرتغالية[١٢٩] ، وهكذا أتخذ الصراع بين العثمانيين والبرتغاليين على السواحل الافريقية الشرقية بما فيها موانى الساحل الغربى للبحر الاحمر صورا متعددة ، منها أن ادولة العثمانية كانت تؤيد وتعاون الممالك الاسلامية المحيطة بهضبة الحبشة والتى سميت بممالك الطراز . بينما كان البرتغاليون يؤيدون الحبشة ويحرضونها على محاربة الممالك الاسلامية المحيطة بها . وقد ظل هذا الصراع قائما حتى منتصف القرن السابع عشر عندما فترت الحمية نسبيا لدى الجانبين البرتغالى والعثمانى وضعفت قواهما . اذ اضطر البرتغاليون الى التنازل عن مكانتهم فى البحار الشرقية لمنافسيهم الهولنديين والانجليز والفرنسيين الذى أسسوا شركات استعمارية لهم فى المحيط الهندى بينما قرر العثمانيون الرحيل عن اليمن والاكتفاء بسيطرتهم على الحجاز فى سنة ١٦٣٥ ، ولم يبق تحت سيادتهم سوى بعض الثغور الافريقية فى

---

(١٢٥) قطب الدين النهروالى : المصدر السابق ، ص ٣١٣ .

(١٢٦) Hammer, J. : Op. Cit., Tome 6, p.367.

(١٢٧) السيد مصطفى سالم (دكتور) : المصدر السابق ، ص ٢٧٨ .

(١٢٨) عمر عبد العزيز عمر (دكتور) : دراسات فى تاريخ العرب الحديث ، ص ١٠٣ .

(١٢٩) Coupland, R. : Op. Cit. p.59.

جنوب البحر الاحمر كميناء مصوع . وقد فعل العثمانيون ذلك بعد أن خبا نجم البرتغال فى البحار الشرقية وفقدت استقلالها بانضمامها الى اسبانيا فى عام ١٥٨٠ وهزيمة الاسطول الاسبانى الارمادا أمام الاسطول الانجليزى فى عام ١٥٨٨[١٣٠] . وبدأت تحل محل البرتغاليين قوى أوربية جديدة أكثر ادراكا منهم لمصالحها التجارية فضلا عن استنادها الى شركات برجوازية احتكارية[١٣١] مثل هولندا التى دخلت حلبة الصراع فى البحار الشرقية لتحقيق أهدافها الاستعمارية عندما أسست شركة الهندية الشرقية الهولندية The Dutch East India Company فى سنة ١٥٩٤[١٣٢] ، ثم أعقبتها انجلترا التى أسست « شركة الهند الشرقية الانجليزية The East India Company فى سنة ١٦٠٠[١٣٣] بينما كانت قد أنشأت من قبل « شركة الليفانت The Levant Company» فى سنة ١٥٨١ ، التى كانت لها اختصاصات سياسية وتجارية واسعة فى شرقى البحر المتوسط [١٣٤] . وكذلك أسست فرنسا « شركة الهند الشرقية الفرنسية Compagine des Indes » فى سنة ١٦٦٤ والتى احتكرت نقل التجارة الفرنسية مع جزر الهند الشرقية ومدغشقر عن طريق رأس الرجاء الصالح[١٣٥] ، مما أدى فى النهاية الى تحطيم الاحتكار البرتغالى لتجارة الشرق الذى استمر قرابة قرن من الزمان منذ أو وصلت السفن البرتغالية الى الهند عن طريق رأس الرجاء الصالح فى سنة ١٤٩٨ .

وجدير بالذكر أن الدولة العثمانية ظلت تحافظ على اغلاق البحر الاحمر فى وجه السفن الاوربية طوال القرن السادس عشر وتعارض فى فتحه كطريق ملاحى حفاظاً على أمنها وعلى سلامة الاماكن الاسلامية المقدسة فى الحجاز بعد أن أصبح السلطان العثمانى « حامى حمى الحرمين الشريفين » وهو أمر يعزز مكانته

---

(١٣٠) Fisher, H.A.L. : History of Europe, Vol. 1., p. 606.

(١٣١) صلاح العقاد (دكتور) : التيارات السياسية فى الخليج العربى ص ٢١ .

(١٣٢) Hoskins. H,L. : British Routes to India . pp. 4.5.

(١٣٣) Phillips, C.H. : The East India Company 1784 - 1834, p, 15.

(١٣٤) Epstein, M. : Op. Cit., 52.

(١٣٥) Hoskins, H.L : The Growth of British Interest in the Route to India, (J.O.F H.) p. 169.

لدى العالم الاسلامى ، وظل البحر الاحمر قاصرا على السفن العربية والعثمانية المحدودة لتمخر عبابه[136] ، ويبدا أن الدولة العثمانية كانت تخشى حتى بعد زوال الخطر البرتغالى من فتح البحر الاحمر للتجارة الدولية الى ما سوف يترتب على ذلك من انتعاش مصر الاقتصادى مما يؤدى الى زيادة قوة المماليك ويشجعهم على الانفصال عن كيانها كما كان السلطان العثمانى يرى أن الفوائد الجمركية التى يمكن أن تعود على مصر من هذا الطريق لا تفيد منها الدولة العثمانية شيئاً ، بينما تزيد من قوة المماليك ، بل أن الباب العالى كان يخشى أن يؤدى هذا الطريق الملاحى الهام للسفن الاوربية الى زيادة النفوذ الاجنبى فى مصر بما يقطع الامل فى بقائها فى حظيرة السلطنة العثمانية .

على أن السلطان العثمانى فيما بعد ، لم يجد غضاضة فى السماح للسفن الاجنبية بنقل التجارة عبر البحر الاحمر حتى ميناء جده فقط ، ليشكل بذلك حصيلة للحجاز من العوائد الجمركية التى كانت تكفى لسد نفقات رعاية الحرمين ولا تحمل الدولة العثمانية مثل هذه النفقات فى وقت كانت تنوء فيه ميزانيتها بأعبائها الثقيلة ، هذا بالاضافة الى أن الباب العالى كان يرى أن النشاط التجارى فى البحر الاحمر سوف يؤدى الى اضعاف التجارة فى الخليج العربى والعراق ، وهو الطريق الآخر الذى كانت تصل البضائع عبره الى موانى البحر المتوسط والى عاصمة الدولة العثمانية نفسها ، بعد أن أفل نجم البرتغاليين فى المحيط الهندى فى نهاية القرن السادس عشر . ولهذا فقد ظلت الدولة العثمانية حريصة على تطبيق هذا المبدأ حتى نهاية القرن الثامن عشر ، مما جعلها تحتج بشدة لدى بريطانيا لوصول بعض سفنها الى السويس آنذاك[138] . وكانت شركة الهند الشرقية البريطانية تبذل جهودها بصفة دائمة لاحياء طريق التجارة القديم عبر البحر الاحمر ومصر والبحر المتوسط لنقل التجارة والمسافرين بين انجلترا والهند آنذاك ، حتى

---

(١٣٦) Rebath E. : Mer Ruge et Golfe d' Aqaba dans, L' evolution du Droit Internationnal, Societe Egyptienne de Droit International, Janviet, 1962, pp.20,21.

(١٣٧) عبد العزيز الشناوى (دكتور) · الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها ، ج ١ ١٠-١٢ .

حصــل الانجليز على اتفاق مع على بك الكبير (١٧٦٩ - ١٧٧٣) بحقهم في تجاوز جده شمالا بمراكبهم الى السويس ، بعد أن كان محرما عليهم ذلك[(١٣٨)] ، وقد ظل الحال على ذلك في عهد خلفه محمد بك أبي الذهب (١٧٧٣ - ١٧٧٤ م) وتابعهم الفرنسيون في الحصول على مثل هذه الامتيازات بعد قليل [(١٣٩)].

وعلى أية حال فقد شكل العثمانيون تغطية استراتيجية للحفاظ على أمن العالم الاسلامي في مصر وعالم البحار المتوسط من جهة ، وفي منطقة البحر الاحمر التي تضم الاماكن الاسلامية المقدسة في الحجاز من جهة أخرى طوال القرن السادس عشر ، حتى أفل نجم البرتغاليين في البحار الشرقية في نهاية القرن المذكور. وقد جاءت هذه التغطية الاستراتيجية العثمانية للمنطقة المذكورة في وقت كانت تتعرض فيه لفراغ سياسي واستراتيجي نتيجة لانقسام المماليك وفشلهم في صد الغزو البرتغالي الذي كان يهدد المنطقة من جهة ، هذا فضلا عن انهيار الاوضاع الاقتصادية لديهم من جهة . ويعد هذا الدور أكبر مكرمة للعثمانيين في جوهر علاقاتهم بأشقائهم المسلمين في عالمي البحرين المتوسط والاحمر والخليج العربي في القرن السادس عشر ، كما يؤكد وحدة المنطقة في مجال التخطيط الاستراتيجي لقضية أمنها وسلامتها .

وفي ختام هذا البحث فانه يمكن القول بأن تحول التجارة العالمية الى طريق رأس الرجاء الصالح كان له أثرا واضحا في مقدرات مصر وعالم البحر المتوسط اقتصاديا وسياسيا ودبلوماسيا واستراتيجيا أثناء القرن السادس عشر الميلادي بالقدر الذي أوضحناه على مدار هذا البحث ، وقد تبينا أن الطرق البرية المؤدية الى مصر وعالم البحر المتوسط سواء من ناحية الشرق من العراق والشام والجزيرة العربية ، أو من ناحية الجنوب من أواسط القارة الافريقية ، وخاصة من الصومال وأثيوبيا

---

(١٣٨) Aitchison, C.U. : A Collection of Treaties, Engagements and Sanads, relating to India and the Neighbouring Countries, Vol XI.p. 123.

(١٣٩) Marston, T.E. : Op. Cit. pp. 31 , 32 .

والسودان وصعيد مصر ، أو من ناحية الغرب من أرجاء المغرب العربى من طرابلس الغرب وتونس والجزائر ومراكش ، فضلا عن النطاق الداخلى للبحر الاحمر حتى مضيق باب المندب ، الذى أمنه الوجود العثمانى فى اليمن ، قد مر عبرها قدر نسبى من التجارة العالمية . وقد ساعد على تنشيط حركة التجارة العالمية فى الطرق البرية والبحرية المشار اليها رحلة الحج السنوية الى الاماكن الاسلامية المقدسة فى الحجاز ذهابا وعودة ، على الرغم من الحصار البرتغالى للمنافذ البحرية المؤدية للمحيط الهندى أثناء القرن السادس عشر الميلادى . وتوضح الوثائق الملحقة بالبحث والمحفوظة بأرشيف الشهر العقارى بالاسكندرية والتى تخص محكمة الاسكندرية الشرعية والعائدة الى منتصف القرن العاشر الهجرى والسادس عشر الميلادى استمرارية النشاط التجارى النسبى فى مصر وعالم البحر المتوسط فى ذلك الحين ، على نحو ما توضحه موضوعات هذه الوثائق التى استخلصتها قرين كل وثيقة ، وهى تعد نماذج لمئات الوثائق التى تضمها سجلات المحاكم الشرعية أثناء القرن العاشر الهجرى والسادس عشر الميلادى ، كما أنها تتعلق بتجارة نوعيات عديدة من سلع التجارة الشرقية التى تبادلها سكان مصر مع الاوربيين الذين وفدوا اليها آنذاك ، بالاضافة الى تأجير وكالات تجارية لهم ومراكب ودواب لنقل التجارة، مع استخدام للعملات المعاصرة فى أوربا والشرق ، هذا فضلا عما صاحب ذلك من نمو للعلاقات الاجتماعية الممثلة فى العديد من عقود الزواج ومختلف المعاملات الاخرى (١٤٠).

(١٤٠) أرشـــيف الشهر العقارى بالاسكندرية ، محكمة الاسكندرية الشرعية دفتر مبايعات رقم (١) ويعود للفترة من ٢٤ شعبان سنة (٩٥٧ هـ / ص ١٥٥٠ م) الى ١٧ شعبان سنة (٩٥٨هـ / ١٥٥١م) ص ٢٤ مادة ١٠٩ ، ص ٣٦ مادة ٤٧١ ، ص ١٠٢ مادة ٢٨٤ ، ص٢٠٧ مادة ٩١٨ ، ص ٢٣١ مادة ١٠١٦ ص ٣٢٧ مادة ١٣٩٢ ، ص ٣٢٨ مادة ١٣٩٥، ص ٣٣٩ مادة ١٤٣٧ ، ص ٤١٣ مادة ١٧٣٢ ، ووثائق تتعلق بنشاط التجار المغاربة بالاسكندرية ولم يسبق نشرها ، وتمثل المجموعة الأولى ، ص ٩٢ مادة ٤٣٥ ، ص ٩٦ مادة ٤٥٦ ، ص ٦٠ مادة ٢٧٠ ، ص ١١٤ مادة ٥٤٠ ، ٣٢٨ مادة ١٣٩٤ ، ص ٣٢٨ ، مادة ١٣٩٣ ، ص ٣٢٠ مادة ١٣٦٤ ، وهى وثائق تتعلق بالنشاط التجارى للجاليات الأوربية وبعض مواطنى جزر البحر المتوسط فى مدينة الاسكندرية فى الفترة المذكورة .

غير أن هذا القدر من التجارة العالمية ، وهذا النشاط التجارى النسبى الذى شهده سكان مصر وعالم البحر المتوسط أثناء القرن السادس عشر ، لم يوفر لهم نفس المستوى من الازدهار الاقتصادى الذى عاشوا فى ظلاله الوارفة قرونا عديدة قبل تحول التجارة العالمية الى طريق رأس الرجاء الصالح .

البحـــث الثاني

التنافس الدولى فى جنوب البحر الأحمر فـــى النصف الأول من القرن التاسع عشر



البحث الثاني

التنافس الدولي في جنوب البحر الأحمر في النصف الأول من القرن التاسع عشر (١)

من أهم النتائج التى أسفر عنها استقلال الولايات المتحدة الأمريكية فى أوائل الربع الأخير من القرن الثامن عشر ، ظهور التدخل الأمريكى فى أسواق التجارة الشرقية فى المحيط الهندى عامة والبحر الأحمر على وجه الخصوص . تلك الأسواق التى احتكرها الأوربيون منذ مطلع العصور العصور الحديثة ، وكاد البريطانيون – بصفة خاصة – ينفردون بالسيطة عليها (٢) عندما بدأت الطلائع الأولى للتدخل الأمريكى هناك فى الظهور . إذ بدأ بعض المغامرين الأمريكيين فى أوائل القرن التاسع عشر يحرمون حول المحيط الهندى الذى كان يمثل بخيراته « وعاء العسل » الذى طتالما اغترف منه البريطانيون وكادوا يحتكرونه لأنفسهم احتكاراً كاملاً .

ولهذا فان البريطانيين سيقفون حائلا دون هذا التدخل الأمريكى فى أسواق التجارة الشرقية فى المحيط الهندى عامة والبحر الأحمر على وجه الخصوص ، بعد أن شكل منافساً خطيراً لهم فى هذا الميدان الهام .

– أثر الصراع الأمريكى على أسواق التجارة الشرقية : ولا شك أن هذه المناقشة الأمريكية كانت انعكاسا طبيعياً للصراع البريطانى الأمريكى قبيل استقلال الولايات المتحدة الأمريكية وفى أعقابه ، كما أنها كانت تعبيراً عن المعاناه التى أحس بها الأمريكيون وهم يسعون إلى نيل استقلالهم وإلى بناء دولتهم ودعم مستقبلهم فى شتى المجالات . فرغبة الولايات الانجليزية فى أمريكا الشمالية فى الحصول على الاستقلال عن إنجلترا توفرت بعد معاناة بالغة تزايدت درجتها نتيجة لفرض قوانين الملاحة « Navigation Acts » (١٦٥١ – ١٦٦٠) التى

---

١ – قدم هذا البحث فى ندوة « البحر الأحمر فى التاريخ والسياية الدولية المعاصرة » التى أقامها سمنار الدراسات العليا للتاريخ الحديث بكلية الآداب بجامعة عين شمس فى أسبوعه العلمى الثالث (١٠ – ١٥ مارس ١٩٧٩ م) ، ونشر مختصراً ضمن بحوث الندوة ١٩٨٠ .

٢ - Graham, G,S. : Great Britain in the Indian Ocean 1810 - 1850 , PP. 282, - 287.

أضرت كثيراً بمصالح تلك الولايات (١).

فعلى الرغم من أن الغرض من اصدار قوانين الملاحة لم يكن يقصد به الاضرار بالمستعمرات الانجليزية فى أمريكا الشمالية ، بل كان قبل كل شئ يقصد به العمل على تقوية البحرية البريطانية ، وتوجيه ضربة قاضية للبحرية الهولندية . ولكن هذه القوانين أضرت بالمستعمرات المذكورة اضراراً بالغا (٢) ، ثم جاءت بعد ذلك محاولة البريطانيين احتكار التجارة الأمريكية ، فزاد غضب سكان المستعمرات الانجليزية الأمريكية بطبيعة الحال .

ولهذا فقد تاقت الولايات الأمريكية للاستقلال عن حكومة انجلترا ، لاسيما وأن ظروفها الداخلية ، وبعدها عن انجلترا (٣) قد خلق الرغبة القوية لديها للاستقلال ، هذا فضلاً عن أن حكام تلك المستعمرات كانوا فى كثير من الأحيان من المغامرين الذين لاذمام لهم ، فتجاهلوا القوانين ، وامتدت إليهم يد الفساد والرشوة ، وطغى عليهم الجشع فسادت ادارتهم ، وارتفعت الشكوى قوية منهم .

بل وحتى بعد قيام ثورة عام ١٦٨٨ فى إنجلترا حل البرلمان الانجليزى محل الملكية فى الاشراف على المستعمرات ، ولكن المصالح التجارية لاعضاء البرلمان لم تعمل على تحسين الحالة بل زادتها سوءاً . إذ عمل البرلمان على تضييق حرية المستعمرات من الناحية الاقتصادية ، وبدأ أولا فى الاصرار عل تنفيذ قوانين الملاحة ، ثم حرم قيام صناعات فى المستعمرات الأمريكية وجزر الهند الغربية الفرنسية (٤) ، مما أثر كثيرا فى نفسية الأمريكيين .

وهنا صممت الولايات الانجليزية الأمريكية على ضرورة الاستقلال عن الحكومة البريطانية ، وجاء الموقف الأوربى فى النصف الثانى للقرن الثامن عشر

---

١ - محمد مصطفى صفوت (دكتور) : الجمهورية الحديثة ، ص ٤٣ .

٢ - محمد محمود السروجى (دكتور) : سياسة الولايات المتحدة الخارجية منذ الاستقلال إلى منتصف القرن العشرين ، ص ١١ .

٣ - حسن صبحى (دكتور) : معالم التاريخ الأمريكى ١٤٩٢ - ١٩١٧ ، ص ٣٩ .

٤ - محمد مصطفى صفوت (دكتور) : المصدر السابق ، ص ٤٤ .

والظروف الخارجية لانجلترا ذات أثر حاسم فى مصير هذه الولايات الأمريكية ، بحيث شجعت مختلف الظروف السياسية تلك الولايات على الوصول إلى نيل الاستقلال . إذ كانت الحرب بين فرنسا وإنجلترا فى أوربا وأمريكا الشمالية وآسيا أول خطوة فى سبيل الاستقلال . فكان انتصار البريطانيين حاسماً على الفرنسيين فى كندا على تلال ابراهام تلك التلال التى بدأ عليها تاريخ الولايات الامريكية . وقد ساهمسكان هذه الولايات بنصيب كبير فى طرد الفرنسيين من أمريكا الشمالية بحيث تلاشى الخطر الفرنسى ولم تعد الولايات الانجليزية الأمريكية بحاجة لالحماية البريطانيين ولا لإستمرار بقائهم فى العالم الجديد . إذ كانت تلك الولايات لاتجرؤ على القيام بثورة صريحة ضد انجلترا طالما كان الخطر الفرنسى موجودا فى كندا وفى غربى هذه الولايات . ومعنى ذلك أن تلك الولايات كانت فى حاجة إلى قوة الاسطول والجيش البريطانيين لدرء ذلك الخطر الفرنسى . ولكن عندما انسحب الفرنسيون من شمال أمريكا وفقنا لمعاهدة باريس سنة ١٧٦٣ ، وبعد حرب السنوات السبع ، فقد بقى البريانيون وحدهم ، مما أدى إلى تقوية روح التذمر بينهم والسخط من بقائهم ، وزكى ذلك الشعور لدى الامريكيين ضرورة العمل لنيل الإستقلال .

وقد ساعد على تنمية العداء لدى الأمريكيين ضد البريطانيين أن الحكومة البريطانية لم تقتنع بما كان موجوداً فى أمريكا من قيود على التجارة والملاحة ، خاصة وأن انتصارها على الفرنسيين كان عاملا على تقوية روح السيطرة لديها . إذ ف٦همت الحكومة البريطانية أنها أدت خدمة كبيرة لهذه المستعمرات وغالت فى تقدير مجهودها ومابذلته من تضحيات غالاه شديدة . وكان من نتيجة ذلك الشعور أن تمادت فى تقييد التجارة الأمريكية من جهة ، كما صممت منجهة أخرى على فرض ضرائب جديدة على المستعمرات لكى تقوم بجزء من النفقات ، هذا فضلاً عن رغبتها فى تكوين جيش أمريكى (١) .

ومن الطبيعى ألا تكون هذه السياسة مرضية لسكان المستعمرات الانجليزية

1 - Guitteau, W. : The History of the United States, P. 107,

الامريكية ، الذين لم يتركوا أوطانهم ليجدوا الضيق والحرج فى مواطنهم الجديدة . كما أن الكثيرين من المهاجرين كانت تجرى فى عروقهم دماء الحرية التى ورثوها عن آبائهم وأجدادهم وعن بيئتهم القديمة . والتى عملت البيئة الجديدة على تغذيتها دائماً وتقويتها . ثم أن هذه المستعمرات قد وصلت بالرغم من التضييق على حرياتها الاقتصادية إلى درجة كبيرةمن الاستقلال فى إدارة شئونها الداخلية ، بحيث كانت كل منها إلى حد ما جمهورية صغيرة ، وعلى درجة من الثروة والرخاء المادى تدعوها إلى طلب المزيد من الحرية والاستقلال .

وهكذا لم يكن غريبا أن ثارت الولايات الإنجليزية ، الذى لم يعد يستع فهم مطالبها ، فضلاً عن عدم تقديره لمصالحها حق قدرها . وانتقدت هذه الولايات بجرأه وقوة موقف البرلمان الإنجليزى وأنكرت بشدة مايدعيه من سلطان على المستعمرات . ثم بدأت بعد ذلك الثورة الأمريكية المسلحة ضد سيطرة الإنجليز وتسلطهم على الولايات الانجليزية الأمريكية ، وأعلن الكونجرس الأمريكى استقلال الولايات المتحدة وانفصالها عن انجلترا فى ٤ يوليو سنة ١٧٧٦ م (١) .

وقد وقع على عاتق قادة الثورة الأمريكية المحافظة على الوحدة الجديدة بين الولايات الأمريكية من جهة (٢) ، وحسن استغلال الظروف الأوربية لكى تحقق مطالب الولايات المتحدة فى الحرية والاستقلال منجهة أخرى . ومن حسن حظ هذه الولايات أن الجو الأوربى كان ملائماً للسياسة الخارجية الأمريكية . فسياسة فرنسا التقليدية فى ذلك الوقت كانت تدعوها دائما إلى القعود لإنجلترا كل مرصد ، كما كانت الرغبة كبيرة لدى الفرنسيين للانتقام من الانجليز . ذلك لأن فرنسا البربونية ماكانت تسطيع أن تنسى استيلاء انجلترا على ممتلكاتها فى الهند وفى أمريكا الشمالية . وقدحانت الفرصة لفرنسا فى الثورة الامريكية لطرد الانجليز بدورهممن مستعمراتهم الانجليزية الامريكية ، فقدمت فرنسا كل مساعدة يمكنه للأمريكيين الثائرين . بحيث أدت العلاقات السيئة المتورترة بين فرنسا وإنجلترا فى

1 - Elson, H. W. : History of the United States of America, P. 232.

2 - Commager, H. S. : Living Ideas in America, P. 126.

ذلك الوقت إلى توثيق الصلات مابين فرنسا التى كانت على وشك الثورة ، والولايات الامريكية الثائرة ، حتى لقد استطاع مندوب هذه الولايات فى باريس أن يمهد الطريق لعقد تحالف فرنسى أمريكى كان من شأنه أن يدعم مركز الثورة الامريكية ويقوى جانبها خاصة حربى معها فى أعقاب موقعة « سراتوجا » التى انتصر فيها الامريكيون على الجنود الانجليز فى أكتوبر سنة ١٧٧٧ م (١) .

وبعد عقد هذا الحلف بين الفرنسيين والولايات المتحدة الأمريكية فقد أرسلوا حملة عسكرية لمساعدتها ، وقام الاسطول الفرنسى بقطع المواصلات بين انجلترا وقواتها فى أمريكا ، وأحرز بالفعل بعض الانتصارات على الأسطول الانجليزى ، ثم توالت الهزائهم على الانجليز فى الشرق والوسط والجنوب ، ونزلت بهم خسائر فادحة حين سلمت قواتهم عند « يوركتون » فى أكتوبر سنة ١٧٨١ (٢)

ولا شك أن نجاح الولايات المتحدة فى سياستها الخارجية لم يكن مقصورا على التحالف مع فرنسا ، ذلك لأن السياسة الأمريكية الخارجية كانت ترمى إلى ضم كل الدول المناوئة لانجلترا إلى جانب القضية الأمريكية . وكانت إنجلترا قد اتبعت فى سياستها البحرية سياسة تفتيش السفن المحايدة ، مما جعلها تجر على نفسها سخط كل الدول الأوربية التى لها تجارة بحرية مهمة ، ولذا لم يكن غريبا نجاح الأمريكيين فى علاقتهم مع هولندا وأسلبانيا ، وهما وأن كانتا دولتيين مستضعفتين فى أوربا ، إلا أنهما مدتا المساعدة والعون ألولايات المتحدة بالأسلحة والذخائر الحربية التى ساعدتها فى تحقيق النصر على القوات الانجليزية .

ولهذا فقد إضطرت إنجلترا فى آخر الأمر إلى إنهاء الحرب بعد أن وجدت ألا فاذدة من إستمراها بعد الهزائم الكبيرة التى منيت بها . وبذلك ظفرت الولايات المتحدة باستقلالها . ورأت إنجلترا ألا سبيل إلى اصلاح موقفها السياسى إلا بالتراضى مع أبنائها الثائرين فى الضفة الأخرى للأطلنطى . وبدأت مفاوضات

---

١ – حسن صبحى (دكتور) : معالم التاريخ الأمريكى ، ص٧٠ .
٢ – محمد مصطفى صفوت (دكتور) : المصدر السابق ، ص ٤٨ .

الصلح فى أبريل سنة ١٧٨٣ ، ولم توقع معاهدة الصلح بصفة نهائية إلا بعد أن تقرر السلام فى أوربا بين الانجليز والفرنسيين . وهكذا كانت معاهدة سنة ١٧٨٣ اعترافا ضمنيا من جانب إنجلترا بخطأ سياستها الاستعمارية القديمة . إذ أخذت إنجلترا درسا عنيفا فى أمريكا ، ولذا عدلت فى سياستها الاستعمارية بحيث استطاعت رغم هذه الخسارة الكبرى أن تصبح أكبر أمبراطورية إستعمارية فى العالم (١) . كما أن هذه المعاهدة جددت العلاقات الانجليزية الأمريكية لوقت معلوم ، ولكنها لم تؤثر كثيرا فى علاقات الولايات المتحدة بأوربا بوجه عام . وبعد أن فازت الولايات المتحدة باستقلالها وجمهوريتها فقد كان عليها أن توطد مركزها السياسى وألا تتورط فى حروب خارجية حتى تخلق من سكان هذه الولايات المتعددة المنازع المختلفة المشارب شعباً واحداً تربطه رابطة القومية ، وأن تجعل له هدفا واحدا هو إستقلال الولايات وإتحادها وضمان حقوقها . وكان على الولايات المتحدة أيضاً أن تدعم أسس نظامها الجمهورى ، كما توحى إليها بيئتها وظروفها وآمالها ، وأن تحقق مبدأ حكم الشعب نفسه بنفسه وإنماء نظم الحكم المحلية وفقا للدستور الاتحادى الديمقراطى والذى وضعته الولايات المتحدة فى موتمر فيلادلفيا فى سنة ١٧٨٧ (٢) واستطاعت الولايات المتحدة أن تصبح مثلا حيا يحتذى فى القارتين الأمريكيتيين .

وقد ساعد الولايات المتحدة على النمو فى أعقاب الاستقلال انهماك أوربا فى مشاكلها المعقدة وحروبها الطويلة مع نابليون ، وثوراتها المتعددة وحركاتها القومية (٣) . كل هذا كان من شأنه أنم يعطى الولايات المتحدة الأمريكية فرصة الهدوء والنمو والاتساع وإستغلال أراضيها الواسعة وثرواتها العظيمة (٤) ، ولعل أهم الصفقات التى أجرتها أيةدولة فى العالم فى العصور الحديثة هى صفقة شراء « لويزيانا » من نابليون . الأول وبذلك استطاعت الولايات المتحدة أن تضم إليها

---

١ - محمد مصطفى صفوت (دكتور) : المصدر السابق ، ص ٤٠٩ .

2 - Pratt, JW. : A History of United States Foreign Policy P. 5.

3 - Fisher, H,. : A History of Europe. PP. 963, 964.

٤ - حسن صبحى (دكتور) معالم التاريخ الأمريكى ، ص ١٠٧ - ١١٠ .

حوض المسيسى أطول أنهار العالم (١) ، فكانت أكبر أمبراطورية استطاعت دولة شراءها . وكان ضم تلك الأراضى بالغ الأثر فى حياة الجمهورية الأمريكية ، فتهيأت لها الظروف للتوسع إلى المحيط الهادى ، فضلا عن النشاط الذى ستمارسه أيضا فى المحيط الأطلسى والهندى ، ذلك النشاط الذى يهمنا بالدرجة الأولى فى هذا البحث ، والذى وجد فيه لأمريكيون فرصتهم لمشاركة الإنجليز فى الاهتمام بالتجارة الشرقية ، بل ولمنافستهم باحتكار بعض سلع هذه التجارة على نحو ما حدث مع محصول البن اليمنى المربح والهام ، والذى كانت تنفرد اليمن بين دول العالم بانتاجه جحيذاك . وكان الأمريكيون يقومون نقله بواسطة سفنهم من ميناء مخا على الساحل اليمنى المطل على البحر الأحمر إلى القارة الأمريكية .

وقد ظل الأمريكيون يقومون بهذا النشاط البحرى التجارى المتزايد فى المحيط الهندى والبحر الأحمر فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ، على الرغم من صدور « مبدأ منرو The Monroe Doctrine » فى شهر ديسمبر سنة ١٨٢٣ ، ولا يجب أن يغيب عنا أن هذا المبدأ لم يعوق الأمريكيين عن القيام بنشاطم البحرى والتجارى المتزايد فى المحيط الهندى والبحر الأحمر والبحار الشرقية بوجه عام . ولكن الدافع الأول للمناداة بمبدأ منرو هو الدفاع عن حق الشعوب الأمريكية وشعوب العالم الجديد فى تقرير مصيرها ، وفى الدفاع عن حقها فى الحرية والاستقلال أمام مطالب أوربا (٢) .

ولا شك أن مبدأ منرو كان وليدا للظروف السياسية التى أحاطت بأمريكا فى أواخر الربع الأول للقرن التاسع عشر ، وقد وجدت الولايات المتحدة فى حكومة إنجلترا ، وكان على رأسها « كاننج » أكبر نصير لها فى رفع علم الحرية فى أمريكا الجنوبية ، وإن كان هدف إنلترا المباشر هو المحافظة على مصالحها الاقتصادية والتجارية أولا وقبل كل شئ . فلقد رأت إنجلترا أن هذه المصالح تتعرض لخطر

1 - American History Association - Pamphlets, No. 222., Far Western Frontiers, Essay by Harvey L. Carter, PP. 18 - 19.

2 - Pratt, j. w., Op. cit., PP 79, 80

شديد إذا عادت أمريكا الجنوبية إلى حكم الأسبانى مرة أخرى أو خضعت للحكم الفرنسى . ولما وثقت الولايات المتحدة من تأييد إنجلترا الصادق لها فى مجال حماية أمريكا الجنوبية ، خاصة بعد أن عملت روسيا على رفع فرنسا لترسل حملة إلى هناك ، وجدت الولايات المتحدة فى نفسها القوة لتنادى بمبدأ منرو (١) .

على أن تفوق البحرية الانجليزية ، وتصميم إنجلترا على منع أى أعتداء على أمريكا الجنوبية ، هو الذى جعل لمبدأ منرو قوة فى أول الأمر ، لأن الولايات المتحدة كانت لاتزال دولة لم تستكمل بعد قوتها ، ولم تكن تستطيع لأى خطر أوربى دفعاً . وبحق « لكاننج » وزير خارجية إنجلترا فى بداية العشرينات للقرن التاسع عشر ن يقول ، أنه عضد الدنيا الجديدة ، لكى يحفظ التوازن فى العالم القديم » (٢) ، ولهذا فرن فرنسا إذا كانت قد عولت على إقرار الأمور فى أسبانيا كما يشتهى الرجعيون وأضحاب مبدأ إعادة الحقوق الشرعية وكبت رغبات الشعوب ، فلقد صممت إنجلترا على منعها بالقوة إذا حاولت ارسال حملة فرنسية عبر الأطلنطى والقضاء على الجمهوريات الناشئة التى أصبحت تربطها بإنجلترا أوثق الروابط التجارية . ولذا حين قررت دول التحالف الخماسى الأوربى عقد مؤتمر « فيرونا » فى ديسمبر سنة ١٨٢٣ كان عزم إنجلترا على التخلى عن ذلك التحاالف نهائيا ، فى الوقت الذى كانت رسالة الرئيس منرو فى طريقها إلى أوربا .

وعلى الرغم من أن مبدأ منرو لم تعترف به أوربا رسميا إلا فى أوائل القرن العشرين ، فلا شك أنها احترامه بالفعل فثى مواطن متعددة ، مما جعل الولايات المتحدة فى مبدأ الأمر بمنجاة من التورط مع الدول الأخرى الأوربية ، كما وضع أساسا ثابتا لسياسة دفاعية ، بحيث أصبح المبدأ الأول للسياسة الأمريكية خلال القرن التاسع على وجه الخصوص . كما عبر مبدأ منرو عن موقف الدنيا الجديدة للجمهورية بازاء العالم الملكى القديم ، وحدد موقف الولايات المتحدة الأمريكية إلى حد كبير إزاء جمهوريات أمريكا الجنوبية وأمريكا الوسطى . ولم يوضع هذا المبدأ

---

1 - Pratt, j. w., Ibid., PP 81, 85 .

٢ – محمد مصطفى صفوت (دكتور) : المصدر السابق ، ص ٥٣ .

حقيقة تحت الاختبار الجدى إلا فى أوائل القرن التاسع عشر وطبق بنجاح فى النصف الثانى لذلك القرن (١) .

وجدير بالذكر أن الولايات المتحدة قد ذهبت فى تفسير مبدأ منرو مذاهب شتى تطورات مع الزمن وفقا لمصالحها الخاصة ، إذ كان هذا المبدز مكوناً من جزئين أساسيتن ، أولهما : عدم تدخل الولايات المتحدة فى شئون أمريكا أو فرض نظامها السياسى أوالأقتصادى عليها . وكانت الولايات المتحدة تعترف بذلك التفسير طالما كانت قوتها محدودة ، ومشاغلها الداخلية والأمريكية كبيرة ، ولكن حين بدأت تشعر بنمو قوتها وإزدياد هيبتها الخارجية ، أخذت تطبق ذلك المبدأ على أساس جزئه الثانى فقط ،هو منع دول أوربا من التدخل فى شئون أمريكا (٢) .

ولهذا فإن مبدأ منرو لم يعوق الأمريكيين عن القيام بنشاط بحرب وتجارى فى البحار الشرقية ومن بينها البحر الأحمر منذ أوائل القرن التاسع عشر عندما بدأوا يشعرن يمقدرتهكم على تحقيق ذلك و، مما سيجعلهم يشكلون منافسا بحريا وتجاريا خطيرا للانجليز فى تلك البحار ،

ظهور النشاط التجارى الانجليزى والامريكى فى البحار الشرقية وجنوبى البحر الأحمر :

وهكذا فقد كان من أهم نتائج الثورة الأمرى؛كية وإستقلال الولايات المتحدة هو تدخل الأمريكيين فى أسو اق التجارة الشرقية التى احتكرها الأوربيون منذ مطلع العصور الحديثة . إذ بدأ المغامرون الأمريكيون وفى مقدمتهم مواطنو ماسا شوستس Masaachusetts الذين كانوا يشكلون مجتمعا بحريا نشيطا بارسال سفنهم نصف الكرة الأرضية فى أوائل القرن التاسع عشر وتتجول فى المحيط الهندى وجنوب المحيط الهادى ، وتصل إلى شرق افريقيا والبحر الأحمر محاولة شق طريفقها الوصول إلى أسواق التجارة فى تلك المناطق (٣) .

---

1 - Coolidge, A. C. : The United States as A World Power, P. 96.

٢ - محمد مصطفى صفوت (دكتور) : المصدر السابق ، ص ٥٧ .

3 - Coupland, R : east Aferica and its Invaders, P. 362.

غير أن هذه الأسواق كانت مغلقة حينذاك بواسطة المحتركين الانجليز عن طريق النظام التجارى الذى وضعته شركة الهند الشرقية الانجليزية« Eaast India Company » التى أنشئت فى ٣١ دسيبر سنة ١٦٠٠ فى عهد الملكة « اليزابيث الأولى .Elizabeth I » (١) واحتكرت التجارة الشرقية بوجه عام (٢)

وكانت شركة الهند الشرقية الانجليزية تعتبر أن التجارة اليمنية مجالا هما من مجالات نشتاطها التجارى فى جنوب البحر الأحمر ، وحققت فعلا من وراء تلك التجارة أرباحا كبيرة ، وذلك بواسطة الأعداد الضخمة منالتجار الهنود المعروفين باسم « البابنيان » فى مخا والحديدة وجده وقد قامت الشركة بعدة محاولات مبكرة لاقامة وكالات تجارية لها فى الموانيب اليمنية منذ أوائل القرن السابع عشر بدأت بارسال سفينة تجارية تابعة لها إلى جزيرة سقطرىالواقعة جنوبى الساحل الجنوبى للجزيرة العربية وعلى مقربة من رأس جورد فوى على الساحل الشرقى لرفريقا ،. وكان يقود هذه السفينة الضابط البحرى الانجليزى « وليم كيلنج William Keeling » الذى حاول الوصول إلى عدن ليقيم وكالة تجارية فيها ، غير أن البريطانيين لم يتمكنوا من تحقيق أغراضهم نظرا لوجود العثمانيين فى اليمن فى ذلك الحين (١٥٣٨ - ١٦٣٥) .

على أن البريطانيــين إرسلوا بعد ذلك إلى مينــاء عــدن السفــينة البريطــانيــة « أسنشون Ascension » يقودها الضابط البحرى البريطانى « الكسندر شاربى Alexander Sharpy » وذلك لاقامة علاقات تجاريةمع بلاد اليمن (٣) ، وقد وصل « شاربى » إلى عدن فى ٨ أبريل سنة ١٦٠٩ ، واستقبله حكامها فى بداية الأمر استقبالا طيبا (٤) . غير أن العثمانيين لم يلبثوا أن اعتقلوه وصادروا حمولة سفينته ، ثم أطلقوا سراحه ورحلوه إلى مخا وهى الميناء الحيوى لليمن حيــنذاك وبذلك فشــلت محــاولة البريطانيين آنذاك لاقامة علاقات تجارية مع

1 - Hoskions, H. L. : British Routes to India, PP. 4 - 5.

2 - Coupland, R · OP Cit., P. 362

3 - Ingrams, H. · The Yemen, Imams, and Revelutions, P. 46.

4 - Playfair, R L A History of Arabia Fleix or Yemen, P. 105.

الموانى اليمنية .

وقد عادوت شركة الهند الشرقية الانجليزية محاولتها فى العام التالى مباشرة فى سنة ١٦١٠ فأرسلت ثلاث سفن بريطانية إلى عدن يقودها « سيرهنرى ميدلتون Sir Henry Middleton » فوصلت إليها فى اليوم العاشر من نوفمبر من السنة المذكورة ، وكان يتولى زمان الأمور فيها الحاكم العثمانى جعفر باشا (١) . وقد ترك « ميدلتون » السفينة الإنجليزية « بيركورن Peppercorn » فى عدن ، وتوجه بالسفينة « دارلينج Darling » إلى مخا حيث استقبله حاكمها العثمانى « رجب أغا » بكل مظاهر الترحيب ، غير أن هذا الترحيب لم يدم طويلا ، فسرعان ما هاجم بعض الجن،ود العثمانيين « سير ميدلتون »وقتلوا ثمانية من رجاله ، وساقوه أسيرا إلى صنعاء (٢) . ومعه عدد من رفاقه . كما أن العثمانيين جهزوا قوة قوامها ثلاثمائة وخمسين مقاتلاً عثمانيا وحاولا الاستيلاء على السفينة « دارلنج » غيرأن بحارتها استبسلوا فى الدفاع عنها ولم يمكنوا العثمانيين من الاستيلاء عليها رغم ما دار من قتال عنيف . وفى صنعاء أبدى الوالى العثمانى تعجبه من جرأة «الصليبيين » الذين يحاولون الاقتراب من الجزيرة العربية والأماكن المقدسة الاسلامية . وبعد أن استطلع العثمانيون رأى الأستانة أطلقوا سرح « هنرى » ومراقبيه ، غير أنهم أنذروهم ألا يعودوا على الإطلاق إلى الجزيرة العربية (٣) ، فرجعوا إلى سفينتهم ورحلوا عن المنطقة بخفى حنين (٤) .

وقد أعقب هذه المحاولات الثلاث محاولة رابعة فى سنة ١٦١٢ (٥) عندما توجهت بعثة إنجليزية يقودها القبطان « جون ساريز John Saris (٦) قوامها ثلاث

---

1 - Hunter, F. M. : An account of the British Settlement at Aden, P. 164.

٢ - السيد مصطفى سالم (دكتور) : الفتح العثمانى اتلأول لليمن (١٥٣٨ - ١٦٣٥) ، ص ٤٢٧ .

٢ - أحمد فضل العبدلى : هدية الزمن فى أخبار ملوك لحج وعدن ص ١٠١ .

4 - Playfair, R. L. : OP. cit., PP. 105 - 108 .

5 - Marston, T.E.: britAin's Imperial Role i the Red Sea Area, P. 25.

6 - Hunter, F. M. : OP. Cit, P. 164.

سفن لزيارة ميناء مخا اليمنى . وكان يتولى زمام الأمور فيها حينذاك حاكم عثماني يدعى « أدهر » وهو يوناني المولد بعد عزل حاكمها السابق « رجب أغا » . وقد رحب « أدر » بالبعثة الانجليزية وطلب من « ساريز » أن ينسى المعاملة السيئة التى لقيها « سير هنرى ميدليتون » على يد سلفه « رجب أغا » . وقد أصدر الوالى العثمانى فى اليمن فى ذلك الوقت تعليمات تسمح للأجانب بحرية التجارة على السواحل اليمنية مع السفن الهندية الانجليزية ، كما سمح أيضا بشراء كل ما يلزمهم من ميناء مخا اليمنى (١) .

وهكذا حقق الانجليز بعض النجاح فى جولتهم الرابعة نتيجة لتساهل العثمانيين معهم ، ذلك التساهل الذى كان مبعثه إطمئنان فى تبادل المنفعة الاقتصادية مع الأجانب ورواج الحركة التجارية فى ممتلكاتهم من جهة أخرى . على أن « ساريز » وجد حينذاكم أن الظروف المحيطة لا تشجع على استمرار اشتغاله بالتجارة مما دفعه إلى الرحيل عن مخا بعد أن حقق هذا القدر المعقول من النجاح .

على أن هذا التساهل العثمانى مع الاجانب قد ظهر أيضا عندما عاود الانجليز نشاطهم للمرة الخامسة فى سنة ١٦١٨ حين وصل إلى مخا القبطان « شلنج Shilling » على ظهر السفيتنة « آن رويال Anne Royal » لإقامة وكالة تابعة للشركة الهند الشرقية الانجليزية . وفى ذلك الوقت كا يحكم مخا « رجب أغا » الذى سبق أن وقع فى أسره « سير هنرى ميدلتون » موضحاً أنه فعل ذلك تنفيذا للتعليمات التى صدرت إليه من الوالى العثمانى فى صنعاء ،. على أن السياسة العثمانية حينذا سمحت للانجليز بمزاولة نشاطهم التجارى بحرية تامة فى ميناء مخا ، وبتشييد وكالة تشرف على مصالحهم هناك ، وبتحديد ضرائب الاستيراد والتصدير بنسبة ٣ ٪ فقط تدفع نقد أو عينا (٢) . وبذلك ظل موقف العثمانيين متأرجحا أزاء محاولات الانجليز اقامة علاقات تجارية مع الموانى

1 - Playfairr, R. L. : OP. cit., P. 108 .

2 - Palyfair, R. L. OP. Cit., P. 110.

اليمنية بين الرفض والقبول حتى استقر موقفهم نسبيا فى سنة ١٦١٨ باتاحة الفرصة للانجليز لمزاولة نشاطهم التجارى فى الموانى اليمنية (١) .

وتجدر الاشارة إلى أنه مما خفف من حدة الضربة الاقتصادية الشديدة التى أصيبت بها اليمن نتيجة لتحول طريق التجارة إلى رأس الرجاء الصالح ، انتشار زراعة البن فى اليمن واستمرار تصديره لبدان الشرق الأوسط وأوربا عن طريق البحر الأحمر ، وطريق رأس الرجاء الصالح فى وقت واحد . وقد وصلت سفارة عثمانية إلى اليمن فى سنة ١٧١٢ للتفاهم مع الامام على أساس قصر تصدير البن اليمنى عن طريق البحر الأحمر بدلا من طريق رأس الرجاء الصالح الذى أضر كثيرا بدخل السلطان العثمانى . وكانت أساليب السفارة العثمانية قائمة على أسس دينية لحث الإمام على تحقيق تلك الغاية . غير أن الإمام رفض الاستجابة لمطلب اعثمانيين (٢) الذين كانوا قد خرجوا من اليمن بعد أن مكثوا فيه قرابة قرن من الزمان (١٥٣٨ - ١٦٣٥) - وذلك حفاظاً على دخله الخاص .

كما حرص الانجليز على انتهاج سياسة محددة ازاء الأئمة الزيديين بعد جلاء العثمانيين عن اليمن تركزت على مساندتهم لحكم الأئمة حتى يجدوالهم نصير داخل اليمن يمكن أن يسهم فى تسهيل عمليات التبادل التجارى ، وخاصة ما كان يتعلق منها بتجارة البن اليمنى فى ميناء مخا .، وقد استمرت هذه العلاقات الودية لمدة قرنين من الزمان على نحو مايؤكده « هارولد انجرامز » موضحاً أن الإنجليز الذين احتلوا عدن فى سنة ١٨٣٩ مدينون بالكثير لأسلافهم الذين سعوا لإيجاد علاقات طيبة مع الأئمة (٣) .

وجدير بالذكر أن الهولنديين قد سعوا من جانبهم إلى تنشيطالتجارة الهولندية اليمنية فى أوائل القرن الثامن عشر ، واستمرت تلك المساعى فترة غير قصيرة ، وكانت تعتمد على محصول البن اليمنى حتى نقل الهولنديون زراعة هذا المحصول

---

1 - Crichton, A. : History of Arabia, Ancient and Modern, Vol. 11, PP. 153, 154 .

2 - Marston, T. E : OP. Cit., PP. 26, 28 .

3 - Ingrams, H OP. Cit. PP. 51, 52.

إلى جزر الهند الشرقية وجزر الهند الغربية فى نهاية القرن الثامن عشر . كما انتقلت زراعة البن أيضا إلى أمريكا الجنوبية ، مما أدى فى النهاية إلى أن تصبح اليمن غير منفردة بانتاج ذلك المحصول الهام (١) من حدة الاضرابات الداخلية ، الأمر الذى جعلنا نقول أن استقرار اليمن مرتبطا – ألى حد كبير – بقدراته التجارية وخاصة فيما يتعلق بتصدير البن ، حتى أن عدن وقعطبة وتعز وأبو عريش أصبحت دويلات منفصلة عن بعضها وعانى الأئمة من ركات التمرد التى كانت شائعة حينذاك . وقد أكد هذه الصورة « كارستن نيبور Karsten Niebuhr » ارإحالة الدنماركى الذى زاد بلاد اليمن فى سنة ١٧٦٢ فى مؤلفه المشهور (٢) الذى ترجم إلى عدة لغات والذى ضمنه تفاصيل أول رحلة عملية جديدة قامت بدراسة جغرافية ونباتات اليمن وأحواله الاجتماعية فى القرن الثامن عشر ، مما وجه أذهان الأوربيين إلى أهمية اليمن حينذاك .

وجدير بالذكر أن تجارة البن اليمنى كان لها أثر كبير فى عودة النشاط التجارى للطريق البحرى القديم عبر البحر الأحمر فى أوائل القرن السابع عشر ، بعد أن كانت التجارة الشرقية قد تحولت إلى طريق رأس الرجاء الصالح عقب وصول البرتغال إلى الهند فى نهاية القرن الخامس عشر . وقد ساعد على ذلك أن البن اليمنى كان سلعة شائعة ومحبوبة فى أوربا وأمريكا على السواء (٣) .

وبعد أن عادر الهولنديون اليمن فى سنة ١٧٦٢ وفقدوا كل أمل فى استمزلز وكالاتهم التجارية فيها ، انفسح المجال أمام الانجليز للاشتغال بتصدير البن والتجارة اليمنية إلبى بلدان أوربا ، بينما كان التجار الهنود « البانيان » يحتكورون تلك التجارة داخل اليمن ذاتها ويسهلون العمليات التجارية مع الانجليز والسفن الانجليزية (٤) .

ومن هنا حرص الانجليز على مواصلة اهتمامهم بانشاء وكالات تجارية لهم

---

١ – عبد الحميد البطريق (دكتور) : من تاريخ اليمن الحديث ١٥١٧ – ١٨٤٠ ، ص ٤٦ .

• قدر نيبور تجارة البن المصدرة من وانى اليمن حينذاك بما يوازى خمسة آلاف جنيه استرلينى شهريا .

2 - Karsten Niebuhr : Beschreibung Von Arabien, Copenhagen 1772.

3 - Waterfield, G : Sultans of Aden, P. 6.

4 - Marston, T. E. Cit., P. 29.

فى الموانى اليمنية وخاصة بعد أن بدأ نشاطهم يظهر بوضوح فى طريق البحر الأحمر ومصر نتيجة لاتفاقهم مع المماليك فى الربع الأخير من القرن الثامن عشر ، حتى أن شركة « الليفانت الانجليزية Levant Company » التى اختصت بالحوض الشرقى للبحر المتوسط والتى تأسست سنة ١٥٨١ (١) اتهمت شركة الهند الشرقية الانجليزية بانتهاك سيطرتها على التجارة فى شرقى البحر المتوسط حينذاك (٢) .

وتحقيقاً لتلك الأهداف الإنجليزية رأت حكومة بومباى وخاصة بعد وصول الحملة الفرنسية إلى مصر فى عام ١٧٩٨ ضرورة القيام بنشاط واسع النطاق مستعينة بقواتها الهندية للسيطرة على المراكز الاستراتيجية فى المدخل الجنوبى للبحر الأحمر للحيولة دون أية محاولة فرنسية للوثوب إلى الهند من جهة . ولحماية جهودها الرامية إلى تنشيط التجارة المتبادلة مع سواحل البحر الأحمر والسواحل اليمنية من جهة أخرى . ولهذا تحركت من بومباى قوة بحرية فى شهر أبريل سنة ١٧٩٩ قوامها ثلاثمائة أوربى وهندى يقودها « الكولونيل جون موارى Colonel John Murray » واتجهت نحو المدخل الجنوبى للبحر الأحمر (٣) . وقد قامت هذه القوة باحتلال جزيرة « ميون أو بريم Perim » الواقعة فى أضيق نقطة ببوغاز باب المندب (٤) الذى يصل البحر الأحمر بخليج عدن وذلك فى اليوم الثالث من شهر مايو وظلت تحتلها حتى أوائل شهر سبتمبر من السنة المذكورة . غير أن البريطانيين تبينوا أن المضايق فى المدخل الجنوبى للبحر الأحمر لا يمكن السيطرة عليها من جزيرة بريم بواسطة المدفعية الساحلية (٥) كما أن مناخ الجزيرة ردئ للغاية (٦)

---

١ – صلاح العقاد (دكتور) : التيارات السياسية فى الخليج العربى ص ٢٨ .

2 - Marston, T. E. OP. Cit., PP. 31, 32.

3 - Graham, G. S. ; OP. Cit., P. 287.

4 - Geroge, H.B. : A Historical Geography of the British Empire, P. 124.

5 - Playfair, R. L. OP. Cit., PP. 122 - 123 .

٦ – صلاح الدين البكرى اليافعى : فى جنوب الجزيرة العربية ، ص ١٥ .

صالحة للشرب (١) . ولـهذا سحب « موراى » قواته من جزيرة بريم خاصة بعد أن اطمأن لحسن نوايا سلطان لحج وعدن الذى أبدى موافقته على بقاء البريطانيين مؤقتا فى عدن خلال الفترة التى يحتاجونها وقد اتجه « موارى » بقواته إلى عدن حيث استقبله سلطانها استقبالا طيبا (٢) وبذل « موراى » محاولاته للتحالف مع السلطان لضمان اتخاذ عدن محطة داذمة للسفن البريطانية ، غير أن هذا الموضوع تأجل الاتفاق عليه (٣) . واضطرت هذه القوة البحرية البريطانية أن تنتظر فى عدن حتى شهر مارس سنة ١٨٠٠ لتستعين بالرياح الموسمية للتوجه عائدة إلى الهند .

على أن شركة الند الشرقية الانجليزية كانت تبذل جهودها بصفة دائمة لتنشيط التجارة المتبادلة بين سواحل البحر الأحمر وممتلكاتها فى الهند ، غير أن هذا النشاط التجارى بدأ يتدهور نتيجة للسياسة التى انتهجتها الدولة العثمانية حينذاك وسايرها فيها سلطان لحج وعدن . فالبن اليمنى الذى كان يرسل إلى أوربا والهند أخذ طريقه إلى مصر أو حملته القوافل من جدة إلى مكة ليجمع أخيرا فى عاصمة الدولة العثمانية . بل أنه بين عامى ١٧٩٨ - ١٨٠١ اشترت السفن الأمريكية كميات كبيرة من البن اليمنى وبدأت تتعامل مباشرة مع المنتجين الأصليين (٤) .ولهذا سارعت ادارة الشركة إلى ارسال « الكومودور سير هـوم بوفهام Commodore Sir Home Popham H.M.S. Rodeny » قائد السفينة الانجليزية « رودنى » على رأس بعثة إلى البحر الأحمر للعمل على احياء التجارة بين هذه المناطق وممتلكات الشركة .

بل أن حكومة الهند البريطانية كلفت « السير هوم » أيضا بمهمة نقل القوات التى كانت ستنضم لجيش « الجنرال بيرد General Baird » من بومباى إلى مصر

---

1 -The Middle East, A Political and Economic Survey, 1958, P. 103.

2 - Ingramns, H. : OP. Cit., P 50.

3 - Aitchison, C. U. :A Collection of Treaties, Engagem. ents, and Sanads relating to India and the Neighbouing Countries, vol. xl., P. 123.

4 - Marston, T E. : OP. Cit., P. 31 .

، وتم لها ذلك بعد أن عبرت هذه القوات صحراء مصر الشرقية من القصير إلى النيل ، وكانت قوات « الجنرال بيرد » ستتعاون مع القوات البريانية الأخرى الآتية عبر البحر المتوسط لطرد الفرنسيين من مصر والبحر الأحمر . وسيكون هذا التعاون بين القوات البريطانية من الشمال والجنوب ظاهرة واضحة فى استراتيجسة الدفاع البريطانى عن المصالح الامبراطورية منذ ذلك الحين ، كما كانت هذه الحادثة دلالة على أول استخدام للبحر الأحمر من قبل بريطانيا فى الاغراض العسكرية الحديثة (١) .

وكان جهود شركة الهند الشرقية الانجليزية اتنشيط التجارة مع الموانى اليمنية تبدوا واضحة فى المحاولات التى بذلها فى هذا السبيل « الدكتور برنجل Dr. Pringle » الطبيب البريطانى الذى عمل فى بومباى ثم صاحب « موراى » فى رحلته السابقة إلى الموانى اليمنية وأقام فى مخا فى سنة ١٨٠٠ (٢) فقد أوصل فى شهر مايومن نفس السنة عدة خطابات وهدايا من الحاكم العام للهند إلى على منصور امام صنعاء (٣) ، لحثه على اصدار تعليماته لحكام الموانى اليمنية بعدم مضايقة السفن الانجليزية عند قيامها بعمليات التبادل التجارى فى تلك الموانى ، وتزويدها بما تحتاج اليه لمواصلة رحلاتها ، وقد استقبل امام صنعاء الدكتور « برنجل » بحفارة وتكريم ، وأصدر تعليماته لحكام الموانى اليمنية فى مخا والحديدة واللحية تقديم كافة التسهيلات والاحتياجات الازمة للسفن الانجليزية بالأسعار العادية . كما تم الاتفاق على حماية البحارة على الشاطئ والمحافظة على شحنات السفن بقدر الامكان إذا جنحت أو تحطمت . وفضلا عن ذلك فقد وافق الامام على منصور أيضا على بناء مستشفى بحرى فى مخا لاستقبال المرضى من الأسطول التجارى الانجليزى . وقد غادر « الدكتور برنجل » صنعاء متجها إلى مخا بعد نجاحه فى الحصول على كل هذه التسهيلات .

---

1 - Marston, T. E. : OP. Cit, P. 32.

2 - Playfair, R. L. : OP. Cit., P. 123 .

3 - Marston. T. E : OP. Cit.PP 32 33.

وكان اهتمام الانجليز بالتجارة مع اليمن قد ازداد بعد نجحت المنافسة الأمريكية في أخذ معظم كميات البن المصدرة من اليمن إلى خارج البلاد ، ويرجع السبب في ذلك إلى الأسعار التى كانت تتعامل بها شركة الهند الشرقية الانجليزية والتى كانت فى مركز لا يمكنها من منافسة عروض الأمريكيين حينذاك ، كما أن الضعف المتزايد للأئمة الزيديين والصراع المستمر بين القبائل اليمنية قد انعكس على انتاج البنم فى اليمن مما أدى إلى إضعاف محصوله (١) ، ونتج ع ذلك زيادة الطلب فى الوقت الذى سيقل فيع العرض إلى حد كبير .

وقد استمرت جهود شركة الهند الشرقية الانجليزية لتدعيم تجارتها مع اليمن ، ورعاية مصالحها فى منطقة البحر الأحمر وخاصة عندما عينت « السر هوم » مندوبا لها فى الجزيرة العربية فى سنة ١٨٠٢ (٢) ، ومنتحته صلاحيات كاملة تمكنه من عقد المعاهدات التجارية تبعا لما تتطلبه المصالح الانجليزية . وطلبت اليه التوصل إلى عقد معاهدات التجارية تبعا لما تتطلبه المصالح الانجليزية . وطلبت اليه التوصل إلى عقد معاهدات تجارية مع إمام صنعاء وسلطان لحج وعدن على وجه الخصوص . ولهذا فقد أبحر « السير هوم » من « كلكتا » ، متجها إلى مخا ، حيث وجه بعثة إلى امام صنعاء شكلها من « المستر اليوت » و« الملازم لامب » و « الدكتور برنجل » لتعرض عليه اقتراح التوصل إلى عقد معاهدة تجارية . غير أن الامام رفض مواد المعاهدة المقترحة ، ولم يشأ أن يزيد تعاونه عن هذا الحد حتى لا يؤدى إلى التدخل الأجنبى فى شئون بلاده . وقد مات « مستر إليوت » بالحمى فى صنعاء بينما غادرها « الملازم لامب » و « الدكتور برنجل » فى اليوم الرابع من سبتمبر من السنة المذكورة وهما يحملان رفض الامام إلى الحاكم العام للهند ويمثله « السير هوم بوفهام » (٣)

غير أن « السير هوم » لم يفقد فى تحقيق بعض النجاح لشركة الهند الشرقية

---

1 - Aitchison, C. U. : Op. eit., Vol. XI. p. 111.

2 - Aitchison, C. U. : Ibid. Vol. xl, P. 111.

3 - Playfair, R. L : OP. Cit. PP. 124 - 126.

الانجليزية ، فتوجه إلى عدن وبذل جهوده لاقناع السلطان أحد بن عبد الكريم العبدلى سلطان لحج وعدن بعقد معاهدة للصداقة والتجارة ، وتم ابرام المعاهدة فى اليوم السـادس من سبتمـبر سنة ١٨٠٢ ، وصدق عليها « السير هوم » نيابة عن « اللورد ولسلى Lord Welleasly » الحاكم العام للهند حينذاك وبناء على رغبته ، كما اعتمدها الأمير أحمد باصهى أمير عدن نيابة عن السلطان العبدلى (١) .

وقد نصت هذه المعاهدة على ايجاد اتصال بين شركة الهند الشرقية الانجليزية أو أية رعية بريطانية تحت حكم الحاكم العام للهند ورعية السلطان أحمد بن عبد الكريم العبدلى (٢) ، ووافق الجانبان على اعتبار ميناء عدن مفتوحا لاستقبال البضائع التى تحلها السفن الانجليزية على أن تدع النسبة ٢ ٪ ضرائب جمركية لمدة عشر سنوات ترفع بعدها هذه النسبة إلى ٣ ٪ فقط . ونصت المعاهده كذلك على حرية الرعايا البريطانيين فى العمل فى أراضى السلطان ونقل ثرواتهم لمن يشاءون ، كما تعهد السطلان ببذل جهوده لاستعادة ديون الرعايا البيريطانية من رعاياه . وفى حالة حدث أى نتزاع بين الرعايا البريطانيين فيجب أن يرفعوا دعواهم للوكيل البريطانى فى عدن ليجرى أحكامه فى قضاياهم بموجب القوانيين المتبعة فى بلادهم وأخـيرا تعهـد السلـطان فى هـذه المعاهـدة بأن يبيـع لبريطـانيا قطـعة من الأرض غربى لتقـيم عليهـا شركة الهند الإنجليزية مبانيها بالشكل الذى ترتضيه (٣) .

ومن الواضح أن هذه المعاهدة تعد بداية التدخل البريطانية فى شئون عدن وعند المدخل الجنوبى للبحر الأحمر . كما أنها تنتقض من السلطة الشرعية لحكام هذه المنطقة من قبل ، فضلا عن الاعتراف للوكيل الانجليزى – الذى كان لا يعدو أن يكون قنصلا لبلاده – بالتدخل فى نظر المازعات للرعايا البريطانيين فى عدن ورفع نتائجها إلى حكومة الهند البريطانية لتقرير ماتراه ، فإن ذلك كله لا يتفق مع يسيادة

---

١ – أحمد فضل العبدلى : المصدر السابق ، ص ١٣٦ .

2 - Hurewitz, j. C. : Displomacy in the Near and Middle Esat, Vol. 1., P. 126.

3 - Aitchison, G. U., OP. Cit., Vol. Xi. PP. 199, 122.

سلطان احج وعدن ، كما يعطى الفرصة للبريطانيين للتدخل فى شئون سلطته ، ولهذا فقد وصف « هارولد جاكوب » هذه المعاهده بأنها رائعة بالنسبة للبريطانيين خاصة إذا ما أدخلنا فى اعتبارنا الأطراف التى عقدتها والزمن الذى عقدت فيه (١) . بينما اعتبرها « توم ليتل » أول تورط لبريطانيا فى جنوب الجزيرة العربية (٢) .

ويبدو تزايد اهتمام حكومة الهند الانجليزية بالتجارة فى منطقة البحر الأحمر من خلال التصريح الذى أدلى به « اللورد فالنتيا Lord Valentia » الذى وصل إلى الهند على رأس بعثة بريطانية فى سنة ١٨٠٥ موضحا أهمية طريق البحر الأحمر بالنسبة للتجارة الهندية ، ويؤكد ضرورة العمل على إيجاد أفضل الوسائل لتدعيم قوة بريطانيا فى البحر الأحمر حتى يمكنها مواجهة أى تقدم عدائى من ناحية الغرب ، هذا بالاضافة إلى العمل على زيادة حجم التجارة الهندية فى المنطقة ، وتبعا لذلك فقد قام « فالنتيا » بزيارة معظم الموانى الهامة فى البحر الأحمر مبتدئا بعدن وجميع معلومات قيمة عن حالة التجارة . وأخيرا أشار « فالنتيا » إلى أهمية احتلال بريطانيا لعدن اعتبرها « جبل طرق الشرق » وأوصى بانشاء وكاة تجارية فى عدن ، وبتعيين مقيم دائم بها ليتمكن البريطانيون من أحتكار التجارة اليمنية وخاصة تجارة البن الرائجة من جهة ، واحتكار التجارة مع بربرة على الساحل الافريقى المواجه من جهة أخرى . بل أنه قد أوصى أيضتا بالتحالف مع أتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب من ناحية الشرق والأحباش من ناحية الغرب ، لضمان حماية المصالح التجارية لبريطانيا فى منطقة البحر الأحمر .

غير أن « فالنتيا » أوضح فى نفس الوقت أن الحبشة لن تحقق الكسب السريع والفائدة المباشرة للبريطانيين على النحو الذى يمكن أن تحققه عدن للمصالح البريطانية ، بل أنه أشار أيضا إلى أن سيطرة البريطانيين على جزيرة قمران ستتيح لبريطانيا سيطرة مباشرة على تجارة الحبشة ، وكانت شركة الهند الشرقية الانجليزية ترغب فى تحقيق ذلك . وقد أورد « فالنتيا » كل هذه الآراء والتوصيات فى تقريره

---

1 - Jacob, H. : Kings of Arabia, P. 65.

2 - Little, T. : South Arena of Conflict, London, Pall Mall, 1968.

المطول الذى أرسله إلى « جورج كاننج » وزير الدولة البريطانى للشئون الخارجية . ويعتبر هذا التقرير على جانب كبير من الأهمية لأنه يوضح الأوضاع القائمة فى منطقة البحر الأحمر ووجهجة النظر البريطانية أزاءها فى ذلك الحين (١) .

على أن اللورد « فالنتيا » قد أنهى تقريره هذا بجملة أعادة كتابتها بعد ذلك بخمسة وستين عاما « اللورد روبرت نابيير Lord Robert Napier » الذى قاد الحملة البريطانية على الحبشة فى سنة ١٨٦٨ إذ قال « أنه فيما يتعلق بالحبشة فانها بلد مسيحية يجب أن تتحرر من الحكم المستبد الذى يتحكم فى مقدراته ، كما يجب تطويقه بعيدا عن سيطرة المسلمين . وإننا بتحقيق ذلك سنفتح سوقا رائجة لمنتجاتنا » . وبذلك ولدت زسس السياسة البريطانية أراء الحبشة ، تلك السياسة التى استمرت حتى وصلت إلى هناك الحملة البريطانية فى سنة ١٨٦٨ ، حيث ظهرت للبريطانيين الطبيعة الحقيقية للحبشة والصعوبات التى تكتنفها . وقد لقى هذا التقرير الذى قدمه « فالنتيا » اهتماما كبيرا لدى المسئولين بوزرة الخارجية البريطانية (٢) .

وعلى أية حال « فإن فالنتيا » أرسل أخيرا سكرتيره « هنرى سولت Henery Salt » فى بعثة إلى الحبشة عاد بعدها يوصى بضرورة بذل الجهود لكى يحصل الأحباش على منفذ بحرى لبلادهم على البحر الأحمر يتيح لهم الاتصال بالمستعمرات البريطانية فى بلاد الشرق . غير أن أقتراحات « فالنتيا » هذه لم يحفل بها أحد إلى أن أهتم بتنفيذها « هنرى سولت » نفسه الذى أصبح بعد ذلك القنصل العامك لبريطانية فى مصر (٣) .

أما بلنسبة لتحركات « سولت » فيمكن تتبعها من خلال التقرير الذى قدمه لوزارة الخارجية البريطانية وأوضح فيهأنه وصل إلى مصوع ثم انتقل إلى « تيجرى » فى الحبشة حيث قدم مامعه من هدايا إلى « بحر نيجوس Bahr Negos ، حاكم

---

1 - Marston, T. E. : OP. Cit., PP. 43, 35 .

2 - I. O., 1/1., Valentin to Canning, 9 / 13 / 8.

3 - Marston T. E. : Op Cit., P 34 .

هذه المنطقة ، غير أن « سولت » لم يجد ما يشجعه على إقامة علاقات تجارية . مستقرة نتيجة ارفض الأحباش لهذا الاتجاه ولضعفهم عن السيطرة على المنطقة الساحلية ، مما جعله يشك فى نجاح أى تدخل بريطانى فى الحبشة حينذاك (١) . وقد أرفق « سولت » بتقريره هذا صورا للمراسلات التى دارت بينه وبين حكومة بومباى وتضم استفسارات من تلك الحكومة عن هذه الرحلة وأهدافها ، مما كان يظهر وجود نوع من السباق بين شركة الهند الشرقية الانجليزية ووزارة خارجية بريطانية فيذلك الحين .

وجدير بالذكر أن الرسائل المرسلة من مجلس ادرة شركة الهند الشرقية الانجليزية ومقره فى لندن كانت تصل إلى الحكم الانجليزى العام فى كلكتا فى فترة تتراوح ما بين خمسة إلى ثمانية شهور ، أما المرسلات التى كانت تتطلب ردوداً حول الأمور الرسمية فقد كانت تستغرف فترة تصل إلى عامين كاملين .

على أن « سولت » قد أرسل أيضا تقريرا سياسيا إلى حكومة الهند عن الأوضاع السياسية فى البحر الأحمر موضحا أن البريطانيين يمكنهم الحصول على ما يريدونه فى اليمن إذا تحالفوا مع شريف أبى عريش أو إمام صنعاء . وكان شريف أبى عريش أو « شريف اللحية » كما يسميه « سولت » يحكم منطقة تهامة ، وهى الأراضى الساحلية المنخفضة الممتدة من ميناء اللحية للبحر الأحمر . وذكر « سولت » أنه شاهد سفينة فرنسية فى خليج أنسلى Annsley Bay » وأوضح أنها جاءت إلى هناك بغرض شراء قطعة من الأرض المطلة على هذا الخليج . وقد أوصى « سولت » فى تقريره أيضا بضرورة التحالف مع اتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب فينجد لمنع الفرنسيين من التسلسل إلى ايران من جهة ولفتح طريق البحر لأحمر أمام البريطانيين مرة أخرى عن طريق ميناء عدن وجزيرة كمران واستبداله بالطريق البرى الذى كان مهددا حينذاك والمار بالبصرة والخليج العربى .

وتجدر الاشارة إلى أن الرأى قد اسقر فى انجلترا على إرسال « هنرى سولت » مرة ثانية إلى منطقة البحر الأحمر فى سنة ١٨٠٩ . وقد وصل إلى ميناء مخا

---

1 - I. O. 1. / 1., Salt to F, O. 3 / 4 / 11, Report on his Expedition .

اليمنى فعلا فى شهر نوفمبر من السنة المذكورة ، حيث وجد أسعار البن قد ارتفعت بفضل وجود التجار المنافسين من الأمريكيين حتى بلغ سعر البالة ٧٥ دولارا الأمر الذى سبب متاعب كثيرة لشركة الهند الشرقية الانجليزية نتيجة لارتفاع الأسعار ، وعلى أية حال فقد أوضح « سولت » أنه لم تكن توجد فى البحر الأحمر حينذاك سفن معادية للبريطانيين ، كما لم تكن توجد لمحمد على أية سفن هناك فى ذلك الحين ، مما كان يجعله يرى أنه من السهل على البريطانيين السيطرة على أى موقع يريدونه فى منطقة البحر الأحمر .

وهكذا كانت تحركات البريطانيين فى البحر الأحمر على مقربة من عدن فى مطلع القرن التاسع عشر ، وقد نمت هذه التحركات بتوجيه من قبل شركة الهند الشرقية الانجليزية فى بعض الأحيان ، كما كانت بتوجيه من قبل وزارة الخارجية البريطانية فى أحيان أخرى ، حتى رجع « سولت » إلى انجلترا ، ولم يعد إلى المنطقة ثانية الا عندما عين قنصلا عاما لبريطانيا فى مصر لدى حكومة محمد على . ولا يعنى هذا أن محاولات البريطانيين للحصول على امتيازات لتجارتهم فى المنطقة قد توقفت ، بل أنهم انتهزوا كل فرصة ممكنة لتحقيق أغراضهم .

وتجدر الاشارة إلى أنه قد نوقشت لدى الدوائر البريطانية أهمية احتلال البريطانيين لميناء عدن اليمنى فى نهاية القرن الثامن عشر عندما احتلت قوات بونابرت مصر فى سنة ١٧٩٨ ، وكانت تتطلع لشن غزو فرنسى على الهند فى ذلك الحين . وقد نتج عن قيام الحرب بين بريطانيا والأمريكيين فى الفترة ما بين عامى ١٨١٢ و١٨١٤ أن بدأ بعض الساسة الانجليز عيدومن التفكير فى احتلال عدن . بل أن « هنرى سولت Henery Salt » قنصل بريطانيا فى مصر اقترح على حكومة بومباى وجوب ارسا احدى بطاريات الساحل العسكرية إلى سلطان عدن لمساعدته فى الدفاع عن ميناء عدن ، نظرا لأن البريطانيين كانوا فى حرب مع الأمريكيين الذين كانوا مرتبطين بعلاقات ودية مع تلك الموانى ، والتى كانت معظم سفنهم تفوق فى تسلحها السفن التجارية البريطانية التى كانت تبحر إلى تلك الموانى

1 - Marston, T. E. : OP. Cit., PP. 39, 40 .

، وعلى الرغم من ذلك فإن هذا الاقتراح لم يوضع موضع التنفيذ خاصة بعب توقيع الصلح مع الأمريكيين ، كما أن التهديد الفرنسي تضاءل نسبيا حينذاك (١) .

وقدحدث فى شهر يوليو سنة ١٨١٨ أن لكأ أحد الأعراب فى الوكالة البريطانية فى ميناء مخا اليمنى . غير أن الحرس الهنود أبعدوه بالقوة م،ما أثار بعض العرب الذين تجمعوا وأهانوا عددا من الضباط البريطانيين الموجودين بالوكالة . بل أن لوكيل البريطانى فى مخا وهو « الملازم دومنكيتى Lieutenant Domincetti » بالقوة فى وقت غير مناسب ، كما هوجمت الوكالة وتعرضت للنهب والسلب . وقد أطلق حاكم مخا سراح الوكيل البريطانى وأمر بترحيله إلى الهند ، وأغلقت بطبيعة الحال الوكالة البريطانية فى المدينة .قود انتهزت حكومة بوبماى هذا الحادث واستغلته لمصلحتها بعد مرور عامين من حدوثه خاضصة وأنها كانت تنقب عن سبب مناسب يبرر تدخلها . وقد طلبت من امام صنعاء أينزل العقا بالحاكم السابق لمخا لمسئوليته عن تلك الحادثة . بل أن الحاكم العام للهند زمر بتوجيه قوة كافية إلى مخا لتدعيم مطالب حكومة الهند البريطانى مستقبلا فى الميناء اليمنى . كما كانت تهدف حكومة « بومباى » إلى فرض معاهدة على امام صنعاء يوالفق فيها على أن يكون للوكيل البريطانى فى مخا حرس خاص مثلما لنظيره فى البصرة وبغداد ، ويكون هذا الحرس من القوة بحيث يكفل للمقيم الحماية والاحترام . كما أن كل العاملين فى الوكالة البريطانية يجب أن يكونوا تحت الحماية البريطانية وتابعين من الناحية القضائية للوكيل البريطانى . أما من الناحية تالتجارية فيجب انقاص نسبة الضرائب الجمركية على التجارة البريطانية من ٣ر٥ إلى ٢ر٤ ٪ . وهذه المطالب دون شك كان من الصعب على الامام أن يتقبلها وهى تنتقص من سيادته وتضعف من إيرادته .

وقد أصدرت حكومة الهند البريطانية تعليماتها إلى « الكابتن وليام بروس Captain William Bruce » المقيم البريطانى فى « بوشير » ليمثلها فى هذه المفاوضات ، ولهذا أبحر « بروس » إلى مخا فى ٣٣ أغسطس سنة ١٨١٩ يرافقه أسطول قوى يقوده « الكابتن لملى Captain Lumley » ،

وقد تسلم « بروس » فى ٢٤ أكتوبر سنة ١٨١٩ اجابة آمام صنعاء التى أبدت فيها مشاعره الودية ، وأنه أرسل مبعوثه الفقيه حسين للتفاهم معه . وقد طلب الفقيه حسين من المبعوث البريطانى مرافقته إلى صنعاء حيث يمكن احضار حاكم مخا السابق للتحقيق فى الواقعة ، غير أن « بروس » أوضح أنه لحين تقديم الاعتذار المطلوب فإنه لا يمكنه التوجه إلى صنعاء (١) .

وجدير بالذكر أن « وليم بروس » مبعوث حكومة الهند البريطانية للتفاوض مع امام صنعالء بشأن الوكالة البريطانية فى مخا قد طلب من « هنرى سولت » قنصل بريطانيا فى مصر حينذاك تأكيد تبعية مخا لمحمد على ، وكان هذا الطلب هو أول علامة مميزة الوجود المصرى فى اليمن ، وأول استخدام للأساليب الدبلوماسية نقوم به شركة الهند الشرقية الانجليزية فى تعاملها وعلاقتها مع الحكومة المصرية (٢) .

بل أن حاكم بومباى « الفنستون Elphinstone » طلب من « سولت » القنصل البريطانى فى مصر حينذاك تأكيد تبعية اليمن لمحمد على واستئذانه – فى حالة الضرورة – فى قيام جكومة بومباى بمحاصرة الموانى اليمنية ، وبأن حدوث ذلك لايعنى وجود أية نية لدى البريطانيين لغزو اليمن (٣) .

وقد أجاب « سولت » على « بروس » موضحا أن محمد على قد منح الامام الولايات التى سيطر عليها ابنه ابراهيم من « الدولة » حاكم الحديدة ، مقابل كمية معينة من محصول البن اليمنى ترسل كخراج سنوى للباب العالى . وفضلا عن ذلك كان محمد على على علم تام بأهداف حكومة بومباى ، وكان يأمل أن تقدم ترضية مناسبة من قبل لامام عن الاهانة التى ألحقت بوكيل الشركة البريطانية فى مخا ، وأبدى استعداه للتوسط لحل هذه المشكلة فى الوقت الذى تحدده الشركة مما يظهر تفوق مركزه فى اليمن حينذاك .

غير أن الحوادث تطورت بسرعة وظهر أثناءها اتجاه الامام ومبعوثه للماطلة فى

---

1 - Playfair, R. L. : OP. Cit., PP. 134, 136.

2 - I. O. Egypt, V. 7. Bruce (Mocha) to Salt, 10 / 6 / 20.

3 - I. O. Egypt, V. 7. Elphinstne to Salt, 10 / 6 / 20.

تحقيقالمطالب البريطانية مما أدى بالمبعوث البريطانى إلى توجيه تحذير للسفن الراسية فى مخا بأن الميناء محاصر بقطع الأسطول البريطانى فى اليوم الثالث من شهر ديسمبر سنة ١٨١٩ . وقد بدأ قصف الميناء بمدفيعية الأسطول فى اليوم السادس والعشرين من الشهر المذكور حتى تم اسقاط البرجين الرئيسين المدافعين عن المدينة فى اليوم الثلاثين من نفس الشهر ، (١) واضطر حاكم مخا فى اليوم التالى إلى اصدا قرار بمنع أى شخص من اهانة الرعايا البريطانيين والا تعرض لعقبات قاسية . كما لم يجد امام صنعاء بدأ من الموافقة على تخفيض نسبة الضرائب على التجارة البريطانية من ٣ر٥ ٪ إلى ٣ر٤ ٪ ، واضطر الامام إلى توقيع المعاهدة التى اقترحتها بريطانيا فى ١٥ يناير سنة ١٨٢١ وأرسل صورة معتمدة منها إلى المبعوث البريطانى فى ميناء مخا اليمنى (٢) .

على أنه يلاحظ فى نفس الوقت أنه قد ظهر اهتمام لقيل من قبل بريطانيا بميسناء عدن فى سنة ١٨٢٠ عندما قام السلطان أحمد العبدلى سلطان لحج وعدن بابلاغ القبطان « هنز » الذى وصل إلى ميناء عدن بأنه يرغب فى أن يكون للانجليز موطىء قدم فى تلك الميناء . ،كان غرضه من ذلك دعم العلاقات التجارية مع شركة الهند الشرقية الانجليزية . كما أن السلطان العبدلى قام بابلاغ « هتشنسون Hutchinson » وكيل شركة الهند الشرقية الانجليزية فى مخا أنه سوف يمنح الشركة حق إنشاء وكالة بريطانية فى عدن نظير قيام بريطانيا بمساعدته ضد القبائل اليمنية المجاورة لسلطنته . وكان على « هتشنسون » أن يجيب عليه بقوله أن حكومة الهند لا ترغب فى القيام بأية ترتيبات سياسية ، ولكنها تقصر نشاطها على دعم العلاقات التجارية مع الموانى اليمنية (٣) .

وهكذا تمكنت بريطانيا من تدعيم نفوذها التجارى فى الموانى اليمنية المطلة على الجزء الجنوبى من البحر الأحمر ونالت شركة الهند الشرقية الانجليزية مكانة

---

1 - I. O. Egypt, V. 7. Bruce to Salt, 1 / 20 / 21.

2 - Graham, G. : Op. cit. PP. 287, 288 .

3 - Hutchinson to Henery Salt, January 24, 1823, PP. 40. 56, See Marston, T. E. : OP. Cit., PP. 137, 139.

تجارية ممتازة فى المنطقة وبهذا استحور البريطانيون فى وقتا مبكر على مزايا تجارية هامة ضمنت فى معاهدة رسمية اضطر امام اليمن التوقيع عليها تحت بهديد مدفعية قطع الأسطول البريطانى التى نفذت إلى البحر الأحمر (١) كما أن معاهدة الصداقة والتجارة التى عقدتها بريطانيا مع سلطان لحج وعدن فى سنة ١٨٠٢ كانت بداية لسلسلة من المعاهدات المماثلة مع أهالى المنطقة لضمان المصالح التجارية البريطانية فى الطريق البحرى إلى الشرق عبر البحر الأحمر (٢) .

وإذا كانت بريطانيا قد حققت هذا القدر من النجاح فى الجزء الجنوبى من البحر الأحمر ، فانها لم تتمكن رغم الجهود التى بذلتها لاخراج الفرنسين من مصر أن تحل محلهم ، أو تبقى على قواتها من محبوسة هناك بعد جلاء الفرنسيين ، فاضطرت أخيرا إلى سحب قواتها من مصر بعد صلح اميان فى سنة ١٨٠٣ . بل أن البريطانيين فشلوا فى تنفيذ خطتهم المبينة على تكوين حزب قوى موال لهم من المماتليك ومساندته حتى يمسك بمقاليد الأمور فى مصر لتحقيق بريطانيا أغراضها عن طريقه . وكان البريطانيون قد أخذوا معهم عند انسحابهم « محمد الألفى » وهو أحد زعماء المماليك ليجعلوا منه نواة هذه القوة الموالية لهم . وقد عاد الألفى إلى مصر بعد أن نسق خطه مع الانجليز الذين زاد خوفهم من عودة نابليون اليها ثانية بعد أن أبرم معاهدة مع السلطان العثمانى فى سنة ١٨٠٦ . ولهذا أرسل الانجليز حملة « فريزر Fraser » فى سنة ١٨٠٧ لتثبت من عدم محاولة الفرنسيين العودة اليها فى الوقت الذى كان محمد على قد ظهر على مسرح الأحداث فيها وسيطر على الموقف هماك ، تسانده قوة شعبية تصدت للبريطانيين فى رشيد وقد شكل فشل حملة « فريزر » فى رشيد ضربة قوية للنفوذ البريطانى فى مصر ، كما خسرت بريطانيا عددا كبيرا من جنودها الذين اشتركوا فى تلك

1 - Playfair, R. L : OP. Cit., PP. 137 , 139.

2 - Ghorbal, S . The Beginnigs of the Egyptian Question and the Rise of Mohamed Aly; P 125

3 - Fortescue, J W A History of the British Army Vol V P 17

الحملة (١) .

وإذا كانت بريطانيا قد خسرت جولتها فى مصر فى سنة ١٨٠٧ فقد كان لها فى نفس الوقت السيادة البحرية الكاملة فى البحر المتوسط ، خاصة وأن البريطانيين كانوا قد احتلوا جبل طارق ١٧٠٤ (١) فسيطروا بذلك على مدخله الشمالى ، كما أنهم كانوا قد احتلوا أيضا جزيرة مالطة فى سنة ١٨٠٧ ، وهى نقطة استراتيجية هامة فى وسطه (٢) ، ثم انهم ضموها إلى مستعمراتهم بعد انعقاد مؤتمر فيينا فى سنة ١٨١٥ (٣) . بل أن بريطانيا اطمأنت بعض الشئ باتفاقها مع محمد على بشأن جلائها عن مصر ، عندما تعهد بمقاومة أى محاولة أوربية تستهدف احتلال الأراضى المصرية أو المرور بها للوصل إلى الهند عبر البحر الأحمر (٤) .

ورغم جلاء الفنسيين عن مصر فى سنة ١٨٠٢ فقد ظلت رغبتهم فى العودة اليها والتحكم فى طريق البحر الأحمر قائمة ، ولهذا أوفد « بونابرت » ، « الكولونيل سباستانى Sebastiani » إلى مصر للتعرف على نيات البريطانيين لدراسة الأوضاع الجديدة هوناك فى نهاية عام ١٨٠٢ . وقد حاول « سباستيانى » أن يقوم بواجبه على خير وجه ونجح فى ذلك حتى أختيرا سفيرا لفرنسا لدى الدولة العثمانية فى سنة ١٨٠٦ (٥) .

وقد ظل « نابليون » حتى نهاية حياته السياسية مهتما بمصر وبالطريق الموصل للشرق عبر البحر الأحمر . وكان يرسل مبعوثه لجميع البيانات والمعلومات الهامة ولعرقلة مصالح ومساعى أعدائه البريطانيين فى هذه المناطق .

---

1 - A Red Book on Gibraltar. Issued by the Spanish Govenment, Madred, 1965, PP 13, 16.

2 - George, H. B. : OP. Cit., PP. 13, 19.

٣ - حسن صبحى (دكتور) : التنافس الاستعمارى الأوربى فى المغرب ١٨٨٤ ، ١٩٠٤ ، ص ١٥.

4 - Kirk, G. E. : A Short History of the Middle East, P. 75.

5 - Hoskins, H. L. : British Routes to India, P. 61.

وعندما فرغت فرنسا من تصفية مشاكلها الناجمة عن الأوضاع غير المستقرة فيها ، فضلا عن مشاكلها الخارجية مع الدول الأوربية التى نجمت عن الحروب النابليونية ، فانها أخذت تبحث عما يعوضها عن مستعمراتها المفقودة (١) .

ولا شك أن أنظار الفرنسيين قد اتجهت إلى المناطق الساحلية الهامة الممتدة من البحر الأحمر إلى الخليج العربى ، وكانت كلها لا تزال فى أيدى أصحابها العرب . وكانت فرنسا تدرك أن العقبات التى تواجه تحقيق أطماعها فى هذه الجهات تكم بالدرجة الأولى فى الأطماع البريطانية المنافسة من ناحية بالإضافة إلى العرب أصحاب البلاد الأصليين من ناحية أخرى .

وقد حاولت فرنسا أن تعيد العلاقات التجارية مع السيد سعيد سلطان زنجبار فى سنة ١٨١٧ بعد عودة « البوربون » إلى العرش ، ورحب السلطان باعداة علاقاته القديمة مع فرنسا (٢) ، غير أن الفرنسيين أرسلوا بعضسفنهم الحربية إلى زنجبار فى سنة ١٨٤٠ وطلبوا من ابن السلطان أن يصرح لهم باقامة بعض المبانى والحصون فى « وجاديشو » لخدمة أغراضهم التجارية . ولما اعتذر ابن السلطان وممثله « هلال » عن تلبية مطلبهم فقد أبحروا إلى مدينة نوسى بى Nossi - Be ، الواقعة على مقربة من ساحل مدغشقر الغربى حيث أنزلوا قواتم ونفذوا أغراضهم بالقوة .

وقد احتاج السيد سعيد سلطان زنجبار مستنكرا العدوان الفرنسى وأبرق إلى « بالمرستون » ينبئه بما حدث وطلب مساندة بريطانيا له فى مقاومته لهذا العدوان والاسطضطر لمفاوضة الفرنسيين إذ لن تتحرك الحكومة البيريطانية لمساعدته ، غير أن بريطانيا لم تحرك ساكنا لنجدة سلطان زنجبات لأنها لم تكن تهتم بالسلطان ذاته . بل كان يهمها بالدرجة الأولى حينذاك مواصلاتها فى البحر الأحمر والمحيط الهندى . وقد رأى البريطانيون فى هذه المحاولات الفرنسية فى تلك المناطق البعدة ما يشغل الفرنسيين عما هو أجدى وأهم ، إذ طالما كانت التحركات الفرنسية بعيدة

1 - Coupland, R. : OP. Cit., P. 436 .

2 - Coupland, R. : OP. Cit., P. 424 .

عن « ممبسا » جنوبا فهى لا تهدد المصالح البريطانية عبر طريق البحر الأحمر ، وهو ما يهم بريطانيا فى المقام الأول بطبيعة الحال .

على أن ما أثار البريطانيين فعلا وأقلقهم على مصالحهم فى جنوب البحر الأحمر فى أوائل القرن التاسع عشر تلك المنافسة الأمريكية التى تمثلت فى جهود التجارة الأمريكيين منمواطنى « ماساشوستش » الذين نافسوا التجار الهنود المنطلقين من المستعمرات الانجليزية فى الهند على التجارة الشرقية بوجه عام وتجارة البن اليمنى بوجه خاص (١) . كما حاول التجار الأمريكيون منافسة التجار الهنود فى بيع المنسوجات القطنية فى تجارة الرقيق والبخور والبان والصمغ والجلود واعاج . بل أن الأمريكيين كانوا يجمعون مخلفات الطيور البرية « Cuano » من جزر « كوريا موريا » المواجهة للساحل الجنوبى للجزيرة العربية ، وذلك قبل قبيام بريطانيا بمحاولتها الفاشلة لأخذ كميات من تلك المخلفات لاستخدامها فى تسميد الأرض فى الجزر البريطانية نفسها .

وقد تبينت شركة الهند الشرقية الانجليزية منذ أوائل القرن التاسع عشر أن الأمريكيين يعتبرون منافسين جادين لها . فعلى الرغم من بعد بلادهم عن ميدان التجارة فى البحر الأحمر والمحيط الهندى ، فانهم كانوا يحضرون من بلادهم النائية للاشتراك فى النشاط التجارى هناك ..بل أن التجار الأمريكيين أخذوا يرسلون سفنهم إلى الموانى اليمنية وخاصة ميناء مخا ، حيث يحصلون على ثالاثة أرباع أجمالى محصول البن اليمنى الذى كان يبلغ فى عام ١٨٠٩ ثلاثة عشر ألف بالة . وقد أدت منافستهم هذه فى مجال التجارة إلى رفع سعر البالة من ٥٦ دولار (أى حوالى ١١ جنيها استرلينيا) إلى ٧٥ دولارا(أى حوالى ١٥ جنيها استرلينى) ، وقد قام التجار الأمريكيون باستخدام الطريق الموصل إلى البحر الأحمر عبر طريق رأس الرجاء الصالح مع المرور بمحاذاة الساحل الشرقى لافريقيا ،. وقد وفر ذلك عليهم نفقات النقل التى كانت تحصل عليها شركة الهند الشرقية الانجليزية والشركات الفونسية الأخرى التى اتخذت من جزر موريشيوس

1 - Coupland, R : OP. Cit., P. 362 .

يمثله التاجر الأمريكى « تشالز ميليت Charles Millet » فقد أبحر هذا التاجر من بلاده بسفينته الشراعية المعروفة باسم « آن Ann » ووصل إلى ميناء مخا فى ٢٠ يونيو سنة ١٨٢٦ ومعه حمولة ضخمة من البضائع القطنية والمسامير والتبغ حيث أفرغ سفينته لدى التجار الذين كانوا يقومون ببيعها لحسابه حتى يعود اليهم فى رحلته التالية . وكان « ميليت » هذا يقو بشحن سفينته بكميات هائلة من من محصول البن اليمنى يأخذ معه إلى بلاده ، ثم يعاود رحلاته إلى بلاد الشرق بصفة منتظمة ، ويعتبر « ميليت » مثالا للتجار الأمريكيين الذين كان لم دور فعال فى التجارة الشرقية فى ذلك الحين (١) .

جهود البريطانيين لمواجهة المنافسة الأمريكية وغيرها فى جنوب البحرالأحمر:

وعلى هذا النحو من الجهود بذلتها التجار الأمريكيون للمشاركة فى التجارة الشرقية بوجه عام وتجارة البن اليمنى بوجه خاص منذ أوائل القرن التاسع عشر فد أحسن البريطانيون بأنهم يواجهون منافسا خطيرا لمصالحهم فى جنوب البحر الأحمر والمحيط الهندى (٢) . ففى خالال ثمانية عشر شهرا بين عامى ١٨٣٢ ، ١٨٣٤ وصلت إلى ميناء زنجبار على الساحل الشرقى لأفريقا ٣٢ سفينة أمريكية عرجت كثيرات منها إلى جنوب البحر الأحمر ، هذا فى الوقت الذى لم تصل إلى الميناء المذكور سوى سبع سفن بريطانية لاغير . وقد وصلت إلى ميناء مخا اليمنى مجموعة كبيرة من تلك السفن الأمريكية لنقل كميات من البن اليمنى الذى كان يلاقى ترحيبا بالغا وسوقا رائجة فى الولايا المتحدة حينذاك (٣) .

ولا شك أن حكومة الولايات المتحدة الأمريكية كانت تساند التجار الأمريكيين فى جهودهم اتلرامية إلى مشاركة الانجليز بل منافستهم فى العمليات التجارية بالأسواق الشرقية بعد أن كانوا ينفردون باحتكارها منذ انشاء شركة الهند الشرقية الانجليزية فى عام ١٦٠٠ ، ومما يؤكد ذلك الاتجاه لدى حكومة الولايات المتحدة

---

1 - Waterfield, G. : OP. Cit., P. 30 .

2 - marston, T. E. : OP. Cit., P. 39.

3 - Waterfield, G. : OP. Cit., P. 41 .

الأمريكية هو قيامها بعقد أول معاهدة مع سلطان مسقط وزنجبار فى سنة ١٨٣٣ – حيث كانت سفنه تبحر بالتجارة فى أرجاء المحيط الهندى والبحر الأحمر وكانت تهدف إلى ضمانت حسن سير عمليات التبادل التجارى مع التجار الأمريكيين (١) . أما بالنسبة لسطان مسقط وزنجبار فقد أقبل على عقد هذه المعاهدة بعد أن تبين الفوائد الجملة التى ستعود عليه نتيجة لارتباطه مع التحجار الأمريكيين وحكومتهم ، وبعدد أن زصبح لهم دور فعال غفيمنافسة احتكار الانجليز للتجارة الشرقية فى المحيط الهندى والبحر الأحمر منذ أوائل القرن التاسع عشر .

وتشير بعض الدراسات الوثائقية إلى أن بريطانيا لم تكن تواجه منافسة من قبل الأمريكيين حول ميدان التجارة الشرقية عامة وتجارة البن اليمنى على وجه الخصوص الأمريكيين فحسب ، بل إنها واجهت نفس المنافسة من قبل على الذى وصلت قواته إلى تهامة اليمن اتعقب « تركجة ببلمز » » المتمرد عليه والذى فر من الحجاز إلى اليمن فى سنة ١٨٣٣ . إذ وضح أن محمد على كان يبغى من الوصول إلى تهامه اليمن حينذاك السيطرة على تجارة البن اليمنى المربحة ، منافسة البيرطانيين كذلك فى هذا الميدان . ومما يؤكد ذلك قيامه بفرض ضرائب باهظة على التجار النتابعيين لشركة الهند الشرقية الانتجليزية بلغت نسبتها ٧٫٤ ٪ فى الموانى اليمنية

ونتيجة لذلك فقد قام « اللورد بالمرستون » وزير الخارجية البريطانية بتوجيه تعليماته إلى « كامبل » القنصل البرطيانى فى مصر فى أول مارس سنة ١٨٣٧ ليطلب بشكل قاطع من محمد على رفع القيود المفروضة على التجارة البريطانية على وجه السرعة ، لأن برطيانيا لن تسمح للمصريين بأن يواصلوا تطبيق هذا النظام الذى ينطوى على العداء الكامل للتجارة البريطانية ، وإنه رذا لم ترفع هذه القيود فان الحكومة البريطانية سوف تأخذ فى اعتبارها فور اتخاذ كافة الإيجراءات التى تضمن المحافظة على « شرف بريطانيا العظمى » وعلى مصالحها التجارية فى

---

1 - Coupland, R. : OP. : Cit., P. 365.

منطقة البحر الأحمر (١) . هذا فى الوقت الذى كان الأمريكون يبذلون فيه جهدهم ويحصلون على نصف حجم التجارة الموجودة فى الموانى اليمنية فى ذلك الحين (٢) .

وقد أكد هذه الجهود الأمريكية للسيطرة على التجارة اليمنية عامة وتجارة البن بصفة خاصة فضلا عن عمليات النقل البحرى ، ما أشار إليه « كامبل » القنصل البريطانى فى مصر الذى كتب إلى وزارة الخارجية البريطانية فى شهر نوفمبر سنة ١٨٣٧ مشجعا الحكومة البريطانية على تبنى فكرة الاسراع بامتلاك عدن فى الوقت الذى قامت فيه لجنة « مجلس العموم البريطانى » باقرار خط بحرى يربط انجلترا بالهند . وكان بعض الخبراء لا يزالون يشيرون إلى استخدام مخا أو سقطرى أو بريم أو قمران كمحطة للبواخر البريطانية على هذا الطريق . فإن « الكولونيبل كامبل » أشار إلى أهمية عدن فى هذا السبيل بقوله .

It would not prevent the Possibility of any attempt by Mohammed Ali (Viceroy of Egypt) and others to extend their conquests bryond the Sea, but, moreover besided its advantageousPosition as a coal depot of our cmmunication between Bombay and Suez, it would most Probably throw the whole trade of Mocha coffee into that port, and giveto England the whole command of that article a Ggreat quantity of whihch is at present bought by Americans (٣) وهذا يعنى أن « كامبل » القنصل الانجليزى فى مصر كان يعتقد فى أوائل نوفمبر سنة ١٨٣٧ أن أحتلال البريطانيين لعدن لن يمنع فقط زية محاولة محتملة يقوم بها محمد على وآخرون لمد نفوذهم فيما وراء البحر الأحمر ، إلى

1 - F. O. 78 / 318, from Palmerston to Campbell, March 1., 1837 .

2 - Waterfield, G : OP. Cit, PP. 32.

3 - I. O., Factory Records, Persia, Vol. 58, Colonel Patric Campbell, British Consul - General in Egypt, to Lord Palmerston, Foreign Minister, Alexandria. November I. 1837.

جانب موقع عدن الممتاز كمحطة لتزويد البواخر الانجليزية بالفحم على طريق المواصلات البريطانية البحرية بين بومباى والسويس . بل أنه رأسى أيضا أن عدن فضلا عن ذلك ستجتذب تجارة البن اليمنى الهامة والمربحة بأكملها من ميناء مخا ، وتصبح بريطانيا مسيطرة تماما على تلك التجارة وتكسر احتكار الأمريكيين لها بعد أن كانوا يستحوزون على كميات هائلة من محصول البن ويقومون بنقلها إلى الولايات المتحدة بواسطة السفن الأمريكية .

وهكذا شكل التجار الأمريكيون فى ذلك الوقت المبكر منذ بداية النصف الأول من القرن التاسع عشر وأثناءه ، منافسا خطيرا للنشاط التجارى لشركة الهند الشرقية الانجليزية فى منطقة البحر الأحمر والمحيط الهندى رغم بعد الولايات المتحدة الأمريكية عن البحار الشرقية . وقد وجه ذلك البريطانيين إلى ضرورة السيطرة على عدن للاستئثار بتجارة البن اليمنى بعد تحويلها من مخا إلي ذلك الميناء . فضلا عن احتكار الأسواق التجارية بمنطقة البحر الأحمر لتحطيم المنافسة الأمريكية وغيرها بعد أن بدت خطورتها بشكل ملحوظ .

وجدير بالذكر أنه قد نشب تنافس حاد بين المصريين والبريطانيين فى أعقاب احتلال بريطانيا لعدن حول تجارة البن اليمنى على وجه الخصوص . ففى نهاية شهر فبراير سنة١٨٣٩ توجه إلى عدن مبعوث الشيخ الشرزبى حاكم اقليم الحجرية اليمنى ليوضح أن الشيخ الشرزبى يرغب فى زيارة « هينز » المقيم السياسى البريطانى فى عدن بعد أن تلقى عدة رسائل من الحاكم المصرى فى اليمن يعرض منحة مكافآت عظيمة وعدوا كريمة إذا هو سلم اقليمه للمصريين . وأوضح مبعوث الشيخ الشرزبى أيضا أمن رئيسه يرغب فى أن يتفق مع الانجليز لتجد صادرات اقليمه الخصب طريقا ومخرجا لها عبر عدن وليس عن طريق الموانى اليمنية الأخرى التابعة لحكم محمد على مثل ميناءى مخا ، والحديده ، كما أوضح أيضا أن الحاكم المصرى فى تهامه حذر الشيخ الشرزبى بأنه توجه إلى عدن فإن الانجليز – سوف يقبضون عليه نظرا لما بين الجانبين المصرى والانجليزى حينذاك من علاقات طيبة .

وقد أوضح « هينز » لرئاسة بومباى ما حدث موضحاً أنه ليس من المستغرب أن السلطات المصرية ستكون قلقة للغاية لحصرها على امتلاك اقليم الحجرية ، إذ كان دخل هذاالاقليم من محصول البن اليمنى فقط من خلال تصديره عبر ميناء مخا يبلغ ٦٠ر٠٠ ستون ألف دولار « أى ما يعادل ٠٠ ر ١٢ جنيه استرلينى » سنويا ، و أن المصريين كانوا على علم تام بأن الشيخ الشرزبى إذا وجد معبرا لتجارة البن عبر عدن ، فإن ميناء مخا الذى يسيطرون عليه ستقل قيمته كثيرا ، وأن تلك الخطوة ستشكل الخطوة الأولى نحنو الانهيار الاقتصادى الذى كان لابد من حدوثه فى مخا إذا استمر العلم البريطانى يرفرف علي ميناء عدن (١) ولهذا فقد عقد « هينز » مع الشيخ عون بن يوسف الشرزبى شيخ الحجرية المعاهدة التى حددت أن ما يرتضيه البريطانيون فى عدن سيكون محل التنفيذ (٢) . وواضح من ذلك أن الشيخ الشرزبى حاكم الحجرية كان يعتقد أن التعامل مع البريطانيين سوف يوفر عليه كثيرا من الضرائب التى فرضتها الادارة المصرية على الصادرات بعد أن أصلحت الموانى اليمنية من جهة . فضلا عن خشيته من احتكا محمد على لمحصول البن اليمنى الهام من جهة أخرى .

وإذا كان قد سبق أن أثير حوار علمى بعيد المدى حول تحديد ماهية الدوافع الحقيقية لإحتلال البريطانيين لعدن فى ١٩ يناير سنة ١٨٣٩ ، ورؤى أنها تتلخص فى رغبة البريطانيين فى استخدام عدن محطة لتموين السفن البريطانية بالفحم والمياه والمؤن اللازمة ، نظرا لموقعها المتوسط بين بومباى والسويس من جهة وصلاحية مينائها للملاحة طوال فصول السنة من جهة أخرى . كما اتخذها البريطانيون مركزا لوقف توسع محمد على وتصفية نفوذه فى الجزيرة العربية حتى لا يهدد طريقى مواصلاتهم إلى الهند عبر الخليج العربى والبحر الأحمر على السواء . بل أن البريطانيين رأوا أن عدن يمكن أن تكون قاعدة

---

1 - I. O Secret Department, Bombay to Secret Committee, Vol. 6, Febrnary 25 1839.

2 - I. O., Bombay Secret Proceedings, Haines to Bombay Government, April 13, 1854.

دفاعيــة أمامية ، (١) فيما وراء نطاق حدودهم لمواجهة المنافسة الضارية من قبل روسيا القيصرية التى كانت تسعى للوثوب على المصالح البريطانية عبر استامبول والعراق وايران من جهة أخرى ، ومن قبل فرنسا التى كانت تتسلسل لتحقيق غايتها بضرب بريطانيا فى الشرق عبر البحر المتوسط ومصر من جهة أخرى ، هذا فضلا عن الدور الذى كانت تلعبه النمسا أيضا فى ذلك الحين محاولة السيطرة عليجزيرة سقطرى الواقعة أمام القرن الإفريقى وعند المدخل الجنوبى لخليج عدن من جهة ثالثة على نحو ماورد بصريحات بعض المسئولين البريطانيين فى ذلك الحين (٢) . أما مسألة جنوح السفينة الهندية « دوريا دولت » على الساحل اليمنى القريب من عدن وتعرضها للنهب والسلب وطلب الانجليز الحصول على التعويض اللازم من سلطان لحج و عدن . ثم نقل ملكية عدن إلى الحكومة البريطانية ورفض السلطان ذلك لك فلم يكن هذا الحادث سوى ذزيعة مباشرة للاحتلال ومن نوع الأحداث المناسبة للاستثمار لحدمة الأهداف البريطانية خدمة ممتازة (٣) .

إذا كانت هذه الدوافع كلها قد أدت إلى احتلال البريطانيين لعدن ، فان رغبة البريطانيين فى الاستحواز على التجارة اليمنية بوجه عام واحتكار تجارة البن اليمنى المربحة حينذاك بشكل ملحوظ ، تعتبر من أهم دوافع البريطانيين لإحتلال عدن فى نهاية العقد الرابع من القرن التاسع عشر .

وبعد إحتلال البريطانيين لعدن فى ١٩ يناير سنة ١٨٣٩ ، ونجاحهم فى اخراج المصريين من اليمن فى ٩ مايو فى سنة ١٨٤٠ (٤) . فقد قام محمد على بتسليم منطقة تهامة القريبة من عدن والممتدة على الساحل اليمنى المطل على البحر الأحمر (٥) للشريف حسين بن على بن حيدر حاكم أبى عريش عاصمة

---

1 - Graham, G. S. : Op. Cit., PP. 301, 306.

2 - Marston, T. E. : OP. Cit., d 58 .

3 - Grabam, G. S. : OP. Cit., P. 293.

4 - Douun, G. : Histoire du Régne du Khedive Ismail, Tome III, ére Partie, P. 233 .

٤ – عبد الحميد البطريق (دكتور) : المصدر السابق ، ص ١٠٣ .

المخلاف السليمانى بشمالى اليمن ليحكمها ممثا عن الباب العالى (١) .

وتجدر الاشارة إلى أن الحسين بن على بن حيدر حاكم تهامة الجديد قد فرض ضرائب باهظة على التجار والأهالى فى المناطق التابعة له بحجة أنه يقوم باعداد جيش كبير يهاجم به عدن لينتزعها من أيدى البريطانيين .

كما رفع الحسين نسبة الضرائب على البريطانيين فى ميناء مخا حتى بلغت ٧٪ من قيمتها . بل أنه أهان الرعايا البريطانيين فى مخا ورفض ارسال المؤن اللازمة إلى عدن . ثم ذهب إلى أبعد من ذلك عندمال أنزل العلك البريطانى عن مبنى الوكالة الانجليزية فى مخا (٢) ، وأرسل خطابا إلى المقيم السياسى البريطانى فى دعن فى شهر سبتمبر سنة ١٨٤٠ أتهم فيه « عبد الرسول » وكيل البريطانيين فى مخا بأنه « كاذب ومنافق » ، كما اتهم الانجليز بأنهم يعملون على تخفيض الضرائب بما يؤثر تأثيرا سيئا على دخل حكومته فى تهامة اليمن (٣) .

وعندما علمت حكومة لندن وخاصة وزارة الخارجية البريطانية عن طريق مجلس شئون InfIndiadia Board « الذى كا يدير شئون شركة الهند الشرقية فب لندن، بالتصرفات العدائية التى قام بها الشريف حسين حاكم تهامة ضد الوكالة البريطانية فى مخا ، فقد ثارت ثورة عارمة حفاظا على مصالح بريطانيا فب البحر الأحمر . ولما كانت وزارة الخارجية البريطانية لا تعلم حقيقة الأوضاع القائمة فى المنطقة واستناد إلى أن كل ما فتحه محمد على فى الجزيرة العربية قد آل إلى الدولة العثمانية ، فان الوزارة قد احتجت على الباب العالى فى الآستانة (٤) ، وقد سارع الباب العالى إلى إرسال أشرف بك إلى مخا لاقرار الأمور بما يتفق والمصالح البريطانية . وقد مر بمصر أثناء توجهه إلى مخا فى شهر مارس سنة ١٨٤٢ ، (٥)

1 - Marston, T. E. : OP. Cit., d 100 .

2 - F. O., 78 / 3 / 85, Haines to Secret Committee, 9 / 14 / 40.

3 - Morston, T. E. : OP. Cit., P. 102.

4 - I. O. B S. C. 18421 : Government of India to Bombay, 1 / 28 / 42, enclosing Aberdeen to Fitzgerald 12 / 22 / 41.

5 - F. O., 78 / 502, Barnett to F. O., 3 / 20 / 42 .

وأعطيت له صلاحيات عزل الشريف حسين نفسه إذا استدعت .الضرورة ذلك على نحو ما أخطرت الحكومة البريطانية « هينز » بذلك فى شهر مايو من تلكم السنة .

وعلى أية حال فقد ضاق أهالى تهامة بىء الصرائب التى فرضها الحسين عليهم فى تهامة ، فضلا عن الضرائب التى فرضها على البضائهع الانجليزية . وبأوا يفرون من مخا والحديدة متجهين إلى عدن فى عهد الحسين الأمراض فى اليمن مما جعله يخشى على رجاله ويصدر أوامره لجميع السفن الراسية فى مخا والحديدة بافراغ شحناتها ونقل المنرضى فقط إلى عدن . وقد بلغ معدل الداخلين إلى عدن شهريا حوالى ألف ومائتين من سكان تهامة .

وقد ترتب على ذلك أن ازادا تعداد السكانم فى عدن وبدأت المدينة تتوسع لتستقبل المهاجرين والتجار والداخلين اليها حتى بلغ عدد منازل المدينة ألفى منزل بنيت منالحجارة والطين فوق بقايا مدينة عدن القديمة . وفى سنة ١٨٤٢ بلغ تعداد سكان عدن عشر ألف نسمة وانتعشت المدينة واستعادت بعض مجدها الغابر ، خاصة بعد أن أصبحت ميسناء حرا مفتوحا للتجارة فى سنة ١٨٥٠ (١) .

وقد أجرى أحصاء رسمى لسكان عدن فى سنة ١٨٥٦ ووجد أن تعداد السكان حينذاك قد بلغ ٢٠٫٦٥٤ نسمة . وفى سنة ١٨٧٢ أجرى أحصاء آخر فى عدن أظهر مدى التزايد المستمر فى تعداد السكان الذى بلغ حينذاك ٢٨٩ ، ٢٩ نسمة . وكان تعداد الجنود بينهم ٤٣٣ ، ٣ ، أما بقية السكانت فكان بينهم ٢٤١ ، ٨ يمنيا ، و ٣٤٦ ، ٤ صوماليا و ٦١٤ ، ٢ هنيا مسلما ، و٤٣٥ ، ١ يهوديا و ٨٥١ هنديا من البانيان غير المسلمين ، و ١٨٢ بريطانيا مدنيا ، أما الباقون فكانوا من الأتراك ،والايرانيين والمصريين والأكراد والصينيين وبعض الأوربيين ، وأمريكى واحد فقط . وكان ذلك الأمريكى هو « المستر وليم كرمان » الذى يشتغل بالتجارة . وقد عينته حكومة الولايات المتحدة الأمريكية قنصلا فخريا فى عدن فى سنة ١٨٧٩ ، غير أن القنصلية الأمريكية الرسمية أنشئت فى سنة

١ – حمزة على ابراهيم لقمان : تاريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية ، ص ٢٢١ .

١٨٩٥ ، وكان القنصل الرسمى فى عدن حينذاك هو « مستر ماسترن » (١) .

ولا شك أن تزايد سكان عدن على النحو المشار اليه إنما يؤكد حرص البريطانيين على تنشيط تلك المدينة بحيث تجتذب النشاط التجارى من الموانى اليمنية الأخرى أمثال مخا والحديدة ، وكان ذلك نتيجة طبيعة لجهود البريطانيين فى كسر احتكار التجار الأمريكيين للتجارة اليمنية عامة وتجارة البن اليمنى على وجه الخصوص . وقد واجه البريطانيون مواقف الحسين بن على بن حيدر حاكم تهامة بتركيز جهودهم لنقل النشاط التجارى من موانيه ليتركز هذا النشاط فى عدن ، واتفق مع البريطانيين فى هذا الموقف إمام صنعاء الذى كان يعدى الحسين ويرغب فى استرجاع تهامة من قبضته ومن تبعيتها للدولة العثمانية . غير أن المقيم السياسى البريطانى فى عدن « هينز Captain Haines » لم تكن لديه تعليمات بعقد اتفاق مع امام صنعاء للتعاون عسكريا ضد الشريف الحسين حاكم تهامة ، وهذا قد جعله يرد محاوبتين من جانب الامام لطلب التعاون . غير أنه عرض على الامام أن يفتح ميناء عدن من جانب الامام لطلب التعاون . غير أنه عرض على الرمام أن يفتح ميناء عدن لتصدير البن اليمنى بدلا من تصديره عن طريق مخا ، بل أن المقيم السياسى «هينز » أخطر « المجلس السرى The Secret Board » لشركة الهند الشرقية الانجليزية فى ١٠ ابريل سنة ١٨٤٢ بأن إمام صنعاء عاد مرة أخرى وعرض عليه تعون بريطانى يمنى لحصار ميناء مخا فى مقابل تنازل الامام لبريطانيا عن تهامة بعد تخليصها من حكم الحسين (٢) ، وقد وصل الأمر بالامام إلى هذا الحد مكاية بالحسين نظرا لأنه لم يكن قادرا على التغلب عليه حينذاك .

وفى نفس الوقت وجه الشريف الحسين ضربة اقتصادية ضد البريطانيين فى عدن عندما هبط بالضريبة الجمركية على البن المصدر من مخا على السفن الأمريكية إلى ٣ ٪ فقط . بل أنه تنازل أيضا عن رسوم الرسو فى سنة ١٨٤٢ ، وكان يهدف من وراء ذلك إلى توجيه عمليات تصدير البن إلى مخا بدلا من عدن

---

١ - حمزة على ابراهيم لقمان : نفس المصدر ، ص ٢٢٢ .

2 - Marston, T. E. : OP. Cit., PP. 103, 105 .

حتى أنه أقنع « مستر ويب Mr. Webb » قائد السفينة الأمريكية « راتلر Rettler » بأخذ شحنات البن الازمة له بصفة دورية من مخا (١) . وكان طبيعيا أن يرحب هذا التاجر الأمريكى باستيراد البن من مخا بدلا من عدن بتلك الشروط المرضية ، وحتى يتفادى منافسة البريطانيين للأمريكيين فى هذا المجال .

وأزاء هذا الموقف فقد رأت حكومة الهند البريطانية أن تسعى من جانبها لاقامة علاقات ودية مع الحسين بن على بن حيدر بعد أن ملك زمام الأمور فى تهامة محاولة استرضاءه . ولهذا أصدرت تعليماتها إلى « كابتن مورسى » للتقدم تجاه ميناء مخا لمحاولة استرضاء الشريف حسين واقام علاقات ودية معه . وقد نجح « كابتن مورسبى captain Morsby » فى الاتفاق مع شريف مخا وعقد معه معاهدة تجارية تتفق والمصالح البريطانية فى البحر الأحمر (٢) ، وكانت السياسة البريطانية قد اتجهت حينذاك إلى اغفال أمر الدولة العثمانية صاحبة السيادة فى سواحل البحر الأحمر (٣) ، وشرعت تتحالف ع بعض الأماكن التى فى حوزتهم . وقد تمكنت بريطانيا من وضع أقدامها فى تلك الارجاء باتباعها لهذه السياسة .

وعندما قتل إمام صنعاء فى شهر ديسمبر سنة ١٨٤٩ فقد تعرضت اليمن لحالة من الفوضى والإضطراب ، وتوقفت الطرق المؤدية إلى مخا والحديدة ، بل أن الضرائب بالهظة التى فرضها الترك فى مخا أدت إلى توقف الحركة التجارية بها وتدفقت التجارة بعد ذلك عدن فى سنة ١٨٥٠ (٤) ، مما أدى إلى زيادة عدد سكانها على النحو الذى أشرنا إليه نتيجة لإنتعاشها من الناحية التجارية على وجه الخصوص .

وجدير بالذكر أن العثمانيين بعد أن إستقروا فى تهامة سنة ١٨٤٩ حاولا أن

---

1 - I. O., B. S. C. 1842, Haines to Bombay, 5 / 31 / 42 .

2 - I. O., B. 8. Memorandum on the Turksh Claim to Sovereignty over the Eastern Shores of the Red Sea .. etc., PP. 14, 15 .

٣ – محمد صبرى (دكتور) : مصر فى أفريقية الشرقية ، هرر وزيلع وبربرة ، ص ١٧ .

4 - Marston, T. E. : OP. 152. 153 .

يسطوروا على مناطق إنمتاج اليمن لتحويل تصديره إلى مخا والحديدة بدلا من عدن . غيرأنهم لم يفقوا فى ذلك نظرا لرفض القابئل الزيدية للسيطرة التركية على بلادهم . وأصبح لذلك معظم محصشول البن اليمنى يصدر لخارج اليمن عن طريق عدن حيث يتفادى التجار دفع الضرائب التى كان يفرضها الأتراك فى ميناءى مخا والحديدة ، مما أدى إلبى إضمحلال الحركة التجارية فيها ، وأثر ذلك بالتالى تأثيرا بالغاً على إقتصاديات اليمن .

وقد حدث ذلك فى الوقت الذى حرص فيه البريطانيون على أن يظل ميناء عدن حرا (١) " Free Port " . كما أن الغالبية العظمى من السفن إتجهت إلى ميناء عدن وفضلته عن غيره لإعتبارات معينة أهمها أن الرسو فى عدن يوفر على التجار دفع ضريبة قدرها ٥ ٪ للجمرك العثمانى بالنسبة للسفن البريطانية ، أما بالنسبة للسفن غير البريطانية فكان عليها أن تدفع ضريبة ١٢ ٪ إلى جانب ضريبة أخرى تدفع على كل بالة بن . هذا فضلا عن أن الرحلة فى البحر الأحمر كانت خطيرة نسبياً نظراً لكثرة الشعاب المرجانية ، وكان يمكن تجنبها أو إختصارها إذا ما أتيحت لتلك السفن فرصة الرسو فى ميناء عدن (٢) .

وهكذا تحولت مخا إلى مدينة خاملة وأصبحت تجارتها ضئيلة ودخلها تافه ، كما أن القلة الباقية فيها من سكانها كانوا على إستعداد للرحيل إلى عدن إذا ما سمح لهم بذلك . وكان « هينز » المقيم السياسى البريطانى فى عدن حينذاك يرقب كل ما يدور عند المدخل الجنوبى للبحر الأحمر وفى الموانى الواقعة هناك . وقد أبلغ حكومته فى بومباى فى شهر مايو سنة ١٨٥٠ عن حالة الإنهيار التى إعترت ميناء مخا اليمنى (٣) ، مما سيؤدى بالتالى إلى إزدهار النشاط التجارى فى عدن نتيجة لهجرة معظم سكان مخا اليها . وقد تحولت كل تجارة البن اليمنى المتجمعة من جميع مناطق إنتاج البن إلى ميناء عدن فى سنة ١٨٥٢ حيث أصبح يتم تصديره إلى أوربا وأمريكا من هناك . وقد بلغت كميات البن المنقولة من مناطق

---

1 - Waterfield, G. : OP, Cit., P. 200 .

2 - Merston, T. E. : OP. Cit., P 159 .

3 - Merston, T. E. : Ibid., P. 162.

زراعتها إلى عدن فى السنة المذكورة أربعة آلاف حمولة ، وكل حمولة منها زنتها ثلاثمائة وطل وقد جذبت تجارة البن اليمنى إلى عدن تجارة الأمريكيين الضخمة التى بلغ حجمها أكثر من ٢٨,٠٠٠ ثمانية وعشرون ألف جنيه إسترلينى فى سنة ١٨٥٢ ، كما تضاعف حجمها فى العام التالى هذا مع العلم بأن الحجم الكلى للتجارة فى عدن كان يقدر حينذاك بحوالى ٦٠٠,٠٠٠ ستكائة ألف جنيه إسترلينى سنوياً (١) . وكان ذلك دليلاً على نجاح البريطانين فى كسر إحتكار الأمريكيين لتجارة البن اليمنى التى كان يعتبر ميناء مخا مركزها الرئيسى خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر ، وأصبحت هذه التجارة فى قبضة البريطانيين وتتم تحت إشرافهم فى ميناء عدن بعد سيطرتهم عليها فى عام ١٨٣٩

وختاما لهذا البحث فإننى أرجوا أن أكون قد وفقت فى توضيح أبعاد التنافس الدولى فى جنوب البحر الأحمر فى النصف الأول من القرن التاسع عشر وخاصة فيما يتعلق بالتنافس البريطانى الأمريكى هناك حينذاك رغم ضآلة المادة العلمية التى خلقتها لنا المصادر التاريخية حول هذا الموضوع الهام . كما أننى أرجو أن أكون قد وفقت أيضا فى القاء مزيد من الضوء على تطور النشاط التجارى فى الموانى اليمنية فى الفترة المذكورة موضحا أثر ذلك على النمو السكانى فى تلك الموانى . فضلا عن إبراز الأمية البالغة التى كان يحظى بها محصول البن اليمنى فى النصف الأول من القرن التاسع عشر لدى العالم المعاصر حينذاك مما أثار تنافس دوليا حول إحتكار تجارته على النحجو الذى أشرنا اليه .

1 - I. O., Haines to Bombay, May 29, 1952, Letters from Aden, Vol. 32.

البحـــث الثالث

سياسة بريطانيا فى البحر الأحمر أثناء الحرب العالمية الأولى

(١٩١٤ - ١٩١٨)

البحث الثالث

سياسة بريطانيا في البحر الأحمر
أثناء الحرب العالمية الأولى
(١٩١٤ - ١٩١٨)

أحدث قيام الحرب العالمية الأولى فى سنة ١٩١٤ واستمرارها حتى سنة ١٩١٨ تأثيرات عميقة على الأوضاع القائمة فى منطقة البحر الأحمر - التى يشكل اقليم عسير جزءا هاما منها - وعلى السياسة التى اتبعتها بريطانيا فى تلك المنطقة أثناء فترة الحرب . إذ انقسم العالم فى تلك الحرب الى معسكرين متصارعين ، تكون المعسكر الأول من الامبراطوريات الألمانية والنمساوية والعثمانية فى جانب ، وتكون المعسكر الثانى من روسيا وفرنسا وبريطانيا ومستعمراتها واليابان والبلجيك وصربيا والجبل الأسود فى الجانب الآخر . وحرص الجانبان المتصارعان على اتخاذ الخطوات الدبلوماسية ولحربية لكسب المعركة فى ميادين الحرب المختلفة . وأصبحت منطقة البحر الأحمر - بما فيها عسير - أحد ميادين تلك الحرب . وأن انحصر الصراع فيها بالدرجة الأولى بين اعثمانيين والبريطانيين نظرا لما كان لكلا الجانبين فى تلك المنطقة من قوات ونفوذ ومصالح مختلفة منذ وقت مبكر .

وقبل أن نستعرض سياسة بريطانيا فى عسير أثناء الحرب العالمية الأولى ، فاننا سوف نتتبع بايجا تطور مركز العثمانيين والبريطانيين فى منطقة البحر الأحمر منذ مطلع العصور الحديثة وحتى قبيل قيام الحرب العالمية الأولى حتى نتفهم طبيعة الصراع العثمانى البريطانى الذى سينعكس على اقيلم عسير فى بداية تلك الحرب

- تطور مركز العثمانيين فى منطقة البحر الأحمر قبيل الحرب العالمية الأولى :

اهتم العثمانيون بالسيطرة على البحر الاحمر بعد احتلالهم لمصر مباشرة فى سنة ١٥١٧ . ويرجع هذا الاهتمام بالدرجة الاولى الى محاولتهم أهم المشكلات السياسية والاقتصادية التى واجهتها مصر منذ أن كشف البرتغاليون طريق رأس الرجاء الصالح فى أواخر القرن الخامس عشر الميلادى ، وحولوا التجارة الشرقيةالى هذا

الطريق الجديد . وقد رأت الدولة العثمانية أن تقوم بعمل حاسم لوقف النفوذ البرتغالى والمتغلغل فى المحيط الهندى والجزء الجنوبى من البحر الأحمر . لانقاذ العالم الاسلامى من هذا الخطر الصليبى المتعصب ، وحماية الأماكن الاسلامية المقدسة فى الحجاز ، والوقوف الى جانب القوى الاسلامية فى الهند ، وبسط العثمانية على الطريق التجارى القديم بين الشرق والغرب واستعادة أهميته السابقة ، (١) ومد سيطرتهم شرقا إلى زقاصى العالم الاسلامى . ومن ثم بدأ الاتراك العثمانيون يتطلعون الى الاستيلاء على السواحل الغربية لشبه الجةزيرة العربية ، ووضع ايديهم على المراكز العربية التجارية الواقعة على ساحل البحر الأحمر مثل هرر وسواكن ومصوع حتى لا يمكنوا البرتغاليين من توطيد اقدامهم فى تلك المناطق .

وكانت الحجاز اسبق اقطار الجزيرة العربية الى الدخول فى حظيرة الدولة العثمانية بعد أن دلالت المماليك فى مصر . رذ أرسل شريف مكه ابنه الى السلطان سليم حاملا معه مفاتيح الكعبة ، ومعبرا له عن فروض الطاعة والولاء (٢) و لسيضمن بقاءه فى منصبه ، وليتمتع بالجماهعة العثمانية ضد اعتداء البرتغاليين . كما تمكن العثمانيون من السيطرة على اليمن — بما فيها عسير — فى سنة ١٥٣٨ ، وقنعوا بالبقاء فيها بعد أن فشلوا فى التغلب على البرتغاليين فى مياه الهند ، وأغلقوا البحر الاحمر وحولوه الى بحيرة عثمانية .

غير أن العثمانيين لم يستطيعوا البقاء فى اليمن أكثر من قرن واحد من الزمان (٣) ، بعد أن واجههوا تيار عنيفا من التذمر والعداء والثورات المستمر والمقاومة العنيفة الضارية ، التى كان يشترك فيها مع الزيديين فى تالجبال اخوانهم الشافعيون فى تهامة وعسير ، على الرغم من اتفاقهم المذهبى مع العثمانيين . كما كانت المنافسة البرتغالية قد هدأت منذ أواخر القرن السادس عشر وقلت أهمية البحر الأحمر بزيادة الاقبال على طريق رأس الرجاء الصالح . هذا الى جانب صعوبة

---

1 - Serjeant, R. B. : The Portuguese off the South Arrabian Coast, P. 2.

٢ — ابن اياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، ج٣ ، ص ١٣٤ — ١٣٦

٣ — السيد مصطفى سالم (دكتور) : الفتح العثمانى الأول لليمن ١٥٣٨ — ١٦٣٥ ص ٤٧٧ .

توصيل الامدادات الى تلك الايالة التى تبعد عن عاصمة الدولة بما يقرب من ألفى ميل ، فضلا عن التكاليف الباهظة التى كانت تتحملها الدولة نتيجة لما كانت تنفقه على جنودها للابقاء على ولائهم (١) .

ولهذا خرج العثمانيون من اليمن – بما فيها عسير – فى ٢٢ أكتوبر سنة ١٦٣٥ وقنعوا ببقائهم فى الحجاز حيث الأماكن الاسلامية المقدسة ،غيرأنهم ظلوا يدعوم سياذدتهم الاسمية على الأرض اليمنية التى لم يعودوا اليها الا فى منتصف القرن التاسع عشر ، عندما أستنجد – فى أوائل هذا القرن – أمام اليمن الزيدى بالباب العالى وبوالى مثر محمد على لانقاذه من هجمات الوهابيين على بلاده (٢) مما جعل محجمد على – بناء على تكليف من السلطان العثمانى – يسيطر على عسير وتهامه نظير تعهد الامام بدفع حزية سنوية من محصول البن اليمنى للباب العالى . ويعدها الى امام صنعاء فى نهاية العقد الثانى من القرن التاسع عشر، وكان يعنى ذلك عودة اليمن – بما فيها عسير – الى حظيرة الدولة العثمانية (٣) .كما تمكن محمد على من اقامة حكومة تابعة له فى تهامه وعسير فى منتصف العق الرابع من القرن التاسع عشر عقب اخماده لفتنة « تركجه بيلمز » فى الحجاز وتعقبه الى مخا فى تهامة التى هرب منها الى بومباى (٤) . واضطر محمد على الى الخروج من اليمن ومن الجزيرة العربية عقب مؤتمر لندن فى سنة ١٨٤٠ بعد أن سلم تهامه وعسير الى الشريف الحسين بن على بن حيدر – الذى كان يحكم المخلاف السليمانى فى جنوب عسير ليتولى حكمها ممثال عن الدولة العثمانية (٥)

وقد استمر الحسين يحكم تهامه وعسير حتى ارسل العثمانيون حملتهم الى اليمن فى سنة ١٨٤٩ (١) ، وهى الحملة التى لم تتمكن من البقاء فى صنعاء

---

٢ – عبد الواسع بن يحى الواسعى : تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن فى حوادث وتاريخ اليمن ، ط ٢ ، ص ٢٢٥ .

2 - Jacob, H. F. Kings of Arabia, P. 25.

٣ – حسين مؤنس (دكتور) : الشرق الاسلامى فى العصر الحديث ص ١٩٦ .

٤ – عبد الحميد البطريق (دكتور) : من تاريخ اليمن الحديث ١٥١٧ – ١٨٤٠ ، ص ٧٢ .

5 - Bury, G. W. : Arabia Infelix or the Turks in Yemen, P. 14 .

عقب هجوم القبائل اليمنية عليها (٢) . وقد اضطرت هذه الحملة الى العودة الى تهامه حتى تصل اليها الامدادات لاستعادة سيطرتها على صنعاء وبسط العثمانية عليها (٣) ، وذلك فى الوقت الذى حرصت فيه الدولة العثمانية على تشديد على البلاد العربية التابعة لها .

واستمرت الأوضاع على هذا النحو حتى عام ١٨٦٣ حين نبت بعض الاضطرابات فى اليمن والحجاز ضد الحكم العثمانى ، كما تجمعت قبائل عسير الواقعة بين المنطقتين تحت راية اميرها محمد بن عائض الذى حاول الاستيلاء عا تهامه فى الجنوب وتهديد الاراضى الحجازية فى الشمال .

وقد شجع النجاح الذى أحرزته تلك القبائل على مقاومة السلطات التركية الحاكمة التى أزعجها هذا الانتصار ، وتحرج موقف متصرف الحديدة التركى فى تهامة على ياور باشا ، فطلب النجدة من عزت حقى باشا حاكم عام الحجاز . غير أن السلطات التركية الحاكمة فى الحجاز لم يستطيع القيام بعمل ايجابى حاسم للقضاء ، على ثورة عسير . فلجأ الباب العالى الى والى مصر اسماعيل للاستعانة به فى أخضاعها وبذل اسماعيل جهودا عسكرية وبلوماسية لحل تلك الازمة ، غير أنه لم يكن على استعداد لأن يقدم تضحيات كبيرة كتلكم التى قدمها محمد على ثم يكون حاله فى النهاية شأن جده من قبل . ولهذا فقد آثر سياسة اللين وعدم المخاطرة بالدخول فى حرب طويلة ضد الثوار ، وبذل كل المساعى الممكنة للوصول الى تسوية سلمية بين الطرفين المتنازعين (٤) ونجح فى ذلك ونال تقدير الباب العالى ، وأعاد « العساكر المصرية » الى مصر فى شهر يناير سنة ١٨٦٦ بعد انتهاء مسألة عسير (١) .

---

١ – محمد بن أحمد عيسى العقيلى : من تاريخ المخلاف السليمانى أو الجنوب العربى فى التاريخ ، ج١ ، ث٢ ، ص٥٥٣ .

2 - Hogarth, D. G. : Arabia, P. 111.

3 - Scott, H. : In the High Yemen, P. 228.

٤ – محمد محمود السروجى (دكتور) : سياسة مصر العربية فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، ثورة العسير ، ١٨٦٤ – ١٨٦٦ ، فصله من مجلة كلية الآداب جامعة الاسكندرية ، ديسمبر ١٩٥٥ – ص ٩٦ – ٩٧ .

غير أن الثورة فى عسير اشتعلت من جديد فى سنة ١٨٧١ بعد فتح قناة السويس بعامين ، وقام محمد بن عائض أمير عسير بغزو المخلاف السليمانى الواقع جنوبى عسير وتمكن من طرد الحامية العثمانية التى كانت تسيطر عليه ، واضطرها الى الرحيل بحرا الى الحديدة التى كانت مركزا لتجمع القوات العثمانية فى اليمن ، ثم تقدم امير عسير صوب تهامه حتى وصلت طلائع جيشه الى مخا وزبيد ، واشتبكت قواته مع العثمانية فى الحديدة فى شهر نوفمبر سنة ١٨٧١ (٢) ، وكان يتولى زمام الأمور فيها القائد العثمانى على باشا الحلبى (٣) ، غير أن قوات عسير منيت بالهزيمة ، وارتدت الى عسير بخفى حنين (٤) .

وعندما وصلت أخبار أغارة الجيش العسيرى على نهامه الى عاصمة الدولة العثمانية ، فقد رأت من الضرورى لابقاء اليمن تابعة لها ، وللمحافظة على الحامية العثمانية هناك ، ان تجرد حملة توية للقضاء على أمير عسير المتمرد . ولهذا وصلت حملة عثمانية الى ميناء قنفدة سنة ١٨٧١ (٥) ، تمكنت من القضاء على أمير عسير محمد بن عائض ، وسيطر العثمانيون على عسير وضموها الى المنطَقة الخاضعة لنفوذهم فى تهامة .

ثم انضمت هذه الحملة الى القوات المتمركزة فى الحديدة ، والتى زحفت بعد ذلك الى صنعاء وسيطرت عليها فى ٢٦ ابريل سنة ١٨٧٢ (٦) ، وبذلك عادت اليمن الى حوزة الدولة العثمانية بعد أن انحسر نفوذها عن اليمن قرابة قرنين من الزمان . وأصبح العثمانيون يسيطرون على الساحل الشرقى للبحر الاحمر الممتد من الحجاز فى الشمال الى اليمن فى الجنوب ، والذى يتوسطه اقليم عسير الذى أصبح هو الآخر تحت السيطرة العثمانية .

من هذا العرض الموجز نتبين حقيقة مركز العثمانيين على الساحل الشرقى للبحر الاحمر فى الحجاز واليمن بما فيها عسير ، حيث ظل نفوذهم قائما هناك

---

١ – شوقى عطا الله الجمل (دكتور) : الوثائق التاريخية لسياسة مصر فى البحر الاحمر ١٨٦٣ – ١٨٧٩ ، ص ٤٢ .

Bury, g. W. : OP. Cit., P. 14 .

٣ – عبد الله عبد الكريم الجرافى : المقتصف من تاريخ اليمن ، ص ٢٠٥ .

حتى قيام الحرب العالمية الاولى فى سنة ١٩١٤ .

– تطور مركز البريطانيين فى منطقة البحر الأحمر قبيل الحرب العالمية الاولى :

أما بالنسبة لمركز البريطانيين فى منطقة البحر الأحمر فقد كانت تمثله فى البداية شركة الهند الشرقية (الانجليزية) " East India Company " التى وقعت الملكة « اليزابيث الأولى Elizabeth » وثيقة انشائها فى ٣١ ديسمبر سنة ١٦٠٠ (١) ، والتى قامت برعاية المصالح البريطانية فى الهند والخليج العرى والبحر الأحمر وجنوبى الجزيرة العربية . وقد أستمرت نشاط هذه الشركة يتزايد منذ انشائهاحتى سنة ١٨٥٨ حيث بلغت أجهزتها من التضخم فى المسئولية ، مما حدا ببريطانيا الى انشاء وزارة شئون الهند « India Office » فى هذا التاريخ لتكون تلك الاجهزة تحت الاشراف المباشر للحكومة البريطانية فى لندن (٢) .

ورغم أن بريطانيا كانت قد قنعت منذ انشائها لشركة الهند الشرقية (الانجليزية)بطريق رأس الرجاء الصالح لتحقيق مصالحها التجارية مكتفية بالحقوق التى حصلت عليه من السلطان العثمانى ، ومن بينها حق الاتجار والرسو فى الموانى العثمانية فى لاد الشرق بوجه عام ، فاننا نجدها تبذل عدة محاولات متكررة لاحياء طريق البحر الاحمر الذى يمكن بواسطته نقل المسافرين والبريد وبعض المتاجر الهامة فى فترة مختصرة . وسيظهر التنافس واضحا بين الانجليز والفرنسيين حول استعادة هذا الطريق القديم ، وستخذ هذا التنافس ميدانه بالذات فى مصر التى تمثل حلقة الاتصال بين البحرين الأحمر والمتوسط (٣) .

وفى أعقاب استقلال على بك بمصر عن الدولة العثمانية فى سنة ١٧٦٩

---

1 - Marston, T. E. : Britain's Imperial Role in the Red Sea Area 1800 - 1878, P. XXI .

٢ – جمع البريطانيون معظم وثائق شركة الهند الشرقية (الانجليزية) ووزارة شئون الهند واودعوها مكتبة وزارة شئون الهند بلندن ومنها حصلنا على الوثائق التى نستند اليها فى هذا البحث .

٣ – محمد أنيس (دكتور) الدولة العثمانية والشرق العربى ، ص ١٨٧

وسيطرته على الحجاز فى السنة التالية مباشرة ، نجد أن فرنسا استصوبت التفاهم مع الدولة العثمانية باعتبارها صاحبة السيادة الشرعية فى مصر والحجاز ، لكى تسطر على البحر الاحمر وتستعيد امبراطوريتها الفرنسية فى الهند ، بينما فضلت انجلترا الاتفاق مع السلطات المملوكية باعتبارها صاحبة النفوذ الفعلى فى مصر والحجاز للمحافظة على مصالحها فى البحر الاحمر الموصل لامبراطوريتها الواسعة فى الهند ، خاصة بعد انسحاب فرنسا من أمريكا بمقتضى معاهدة فرساى فى سنة ١٧٧٣ . ولم تأبه بريطانيا لاحتجاج الدولة العثمانية على وصول السفن البريطانية الى ميناء السويس عبر البحر الأحمر باعتبار أن هذا النشاط التجارى شمالى جده يعرض الاماكن المقدسة فى الحجاز للخطر (١) .

وعندما وصلت الحملة الفرنسية الى مصر فى سنة ١٧٩٨ قامت شركة الهند الشرقية (الانجليزية) بنشاط واسع النطاق للسيطرة على المراكز الاستيراتيجية فى المدخل الجنوبى للبحر الاحمر للوقوف فى وجه أية محاولة فرنسية للوثوب الى الهند (٢) . فأرسلت فى شهر ابريل سنة ١٧٩٩ قوة بحرية انجليزية من مباى ، قامت باحتلال جزيرة « بريم » الواقعة فى أضيق نقطة ببوغاز باب المندب (٣) ، وظلت تحتلها حتى أوائل شهر سبتمبر من السنة المذكورة . كما اشتركت حكومة الهند (البريطانية) بقوة حربية وصلت الى ميناء لبقصير لتطويق الفرنسيين من ناحية الجنوب واخراكهم من مصر . وأصبح محور السياسة البريطانية طوال القرن التاسع عشر يدور حول السيطرة على المراكز الاستراتيجية الهامة فى طرق المواصلات الى الهند وخاصة البحر الأحمر الذى يعد أقصر هذه الطرق واسهلها ، واستخدمت لتحقيق ذلك كافة الأساليب البلوماسية والعسكرية (٤) .

فقد عقدت حكومة الهند (الإنجلزية) معاهدة مع السلطان أحمد بن عبد

---

١ – صلاح العقاد (دكتور) : التيارات السياسية فى الخليج العربى ، ص ٣٨ .

2 - Graham, G. S. : Great Britain in the Indian Ocean 1810 - 1850, P. 287 .

3 - George, H. B. A Historical Geography of the British Empire, P. 124.

4 - Aitchison, C. M. : A Collection of Treaties, Engagements and Sanads relating to India and the Neighbouring Countries, Vol. XI, P. 123.

اكريم العبدلى سلطان لحج وعدن فى اليوم السادس من سبتمبر سنة ١٨٠٢ (١) اعتبرت بمجوجبها عدن ميناء مفتوحا لاستقبال البضائع التى تحملها السفن البريطانية (٢) . كما عقدت أيضا معاهدة أخرى مع امام صنعاء فى ١٥ يناير سنة ١٨٢١ كفلت للوكيل البريطانى فى مخا الحماية والاحترام ، وفحت هذا الميناء للتجارة البريطانية بعد أن كانت قد قصفته بمداف أسطولا قبيل عقد تلكم المعاهدة (٣) . وسعت بريطانيا بعد ذلك الى السيطرة على عدن بعد أن تبينت أهميتها البالغة بالنسبة للمصالح البريطانية (٤) ، لتصفية نفوذ محمد على الذى امتد الى الخليج العربى من الشرق ومضيق باب المندب من الغرب ، وأوشك أن يسبق البريطانيين فى السيطرة على عدن . كما اعغتبرتها مركزا متقدما لمواجهة النفوذ الروسى المتطلع للوصول الى المحيط الهندى عبر ايران ، وفرنسا التى كانت تفكر فى استعادة امبراطوريتها فى الهند ، والنمسا التى بدأت تحوم حول جزيرة سقطرى . بل أن بريطانيا أرادت بسيطرتها على عدن كسر احتكار التجار الامريكيين لتجارة البن اليمنى التى كانت رائجة فى أوروبا وامريكا حينذاك (٥) ، فضلا عن اتخاذ عدن محطة لتموين الخط الملاحى لبواخرها بين السويس وبومباى بالفحم والمؤن ، بعدأن أثبتت تقارير خبرائها البحريين صلاحية ميناء عدن من ناحية طبيعته الجغرافية لاستقبال البواخر فى جميع فصول السنة ، إلى جانبحصانته من الناحية الاستراتيجية . وبد أم مارست بريطانيا أساليب الضغط الدوبلوماسية والحربية مع السلطان محسن العبدلى سلطان لحج وعدن لنقل ملكية عدن الى بريطانيا دون جدوى ، فقد اقتحمت عدن وسيطرت عليها بالقوة فى اليوم الناسع عشر من يناير سنة ١٨٣٩ . واتخذتها بعد ذلك قاعدة لبسط نفوذها فى منطقة البحر الأحمر حتى جعلته قبيل الحرب العالمية الأولى زشبه ببحيرة بريطانية (١) .

---

1 - Hurewitz, J. C. : Diplomacy in the Near and Middle East, Vol. I. P. 126

2 - Aitchison, C. M. : OP. Cit., Vol, XI., PP. 119, 122.

3 - Graham, G. : OP. Cit, PP. 227, 228 .

٤ - جاد طه (دكتور) : سياسة بريطانيا فى جنوب اليمن ، ص ٧٢.

٥ - فاروق عثمان أباظة (دكتور) : التنافس الدولى فى جنوب البحر الأحمر فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ، ص ٣٠ .

وقد نجحت بريطانيا بعد أن قلصت نفوذ محمد على فى منطقة البحر الأحمر فى مؤتمر لندن سنة ١٨٤٠ ، فى أن تقيم فى مصر الخط الحديدى بين السويس والاسكندرية فى عهد خلفه عباس الاول بين عامى ١٨٥٦ ، ١٨٥٨ (٢) ، ثم اشترت أسهم مصر فى شركة قناة السويس فى سنة ١٨٧٥ ، ثم احتلت مصر والقناة كلية فى سنة ١٨٨٢ ، كما عقدت معاهدة عدوه مع الاحباش والمصريين فى سنة ١٨٨٤ ، هذا فضلا عن سيطرتها على ميناءى زيلع وبربره بعد أن أبعدت المصريين عنهما فى نفس السنة (٣) ، وعن هرر فى السنة التالية ، ثم وطدت نفوذها فى السودان بعقد اتفاقية الحكم الثنائى مع مصر فى سنة ١٨٩٩ .

ولم يكن هذا هو كل ما حققته بريطانيا فى منطقة البحر الأحمر قبيل الحرب العالمية الأولى ، بل أنها كانت قد تعاطفت مع أصدقائها الطليان حتى سيطروا على الساحل الغربى للبحر الأحمر الممتد من مصوع شمالا الى عصب جنوبا ، والذى كان تابعا من قبل لمصر ، وعرف تحت حكم الايطاليين بمستعمرة ارتيريا فى سنة ١٨٩٠ (٤) . وكانت بريطانيا تهدف من وراء ذلك الى الحيولة دون امتداد النفوذ الفرنسى المنافس لها والمتمركز فى أوبوك وتاجورة ليسيطر على هذا الساحل ، على حين لم يكن الطليان من القوة حينذاك بحيث يشكلون خطرا على المصالح البريطانية هناك .

وعندما تحسنت العلاقات بين بريطانيا وفرنسا بعقد الوفاق الودى بين الجانبين فى سنة ١٩٠٤ ، فقد بدأت بذلك مرحلة جديدة من مراحل العلاقات البريطانية الفرنسية انعكست بطبيعة الحال على منطقة البحر الأحمر . وكان من عوامل توثيق تلك العلاقات بين الجانبين وتدعيمهما ظهور المنافسة الالمانية . وخاصة بعد

---

١ - فاروق عثمان أباظة (دكتور) : عدن والسياسة البريطانية فى البحر الأحمر ١٨٣٩ - ١٩١٨ ، ص ١٩٦ .

٢ - عمر عبد العزيز عمر (دكتور) : ادراسات فى تاريخ مصر الحديث ، ص ١٨٠ ، ٣٩٧ .

٣ - جلال يحى (دكتور) : العلاقات المصرية الصومالية ، ص ١٨٤ .

٤ - السيد محمد رجب حراز (دكتور) : التوسع الايطالى فى شرق أفريقيا وتأسيس مستعمرتى ارتيريا والصومال ، ص ٢٧٤ .

أن تحالف العثمانيون مع الالمان بعقد المعاهدة الدفاعية السرية بينتما فى اليوم الثانى من شهر أغسطس سنة ١٩١٤ ، وهو نفس اليوم الذى أعلنت فيه المانيا الحرب على روسيا ، وقامت بعدها بارسال الاسطول العثمانى لضرب الموانى الروسية على البحر الاسود فى ٢٩ أكتوبر سنة ١٩١٤ . ومن هنا ردت روسيا هى هذا الاعتداء العثمانى باشهار الحرب على الدولة العثمانية . كما أعلنت بريطانيا وفرنسا الحرب على العثمانيين فى اليوم لخامس من نوفمبر سنة ١٩١٤ ، مما جعل الدولة العثمانية بدورها تعلن الحرب على الدولتين فى ١١ نوفمبر سنة ١٩١٤ ، فأصبحالعداء صريحا بينها وبين دول الوفاق (١) .

– أهمية موقف العرب فى الصراع العثمانى البريطانى فى مطلع الحرب العالمية الأولى :

نظرا لسيطرة العثمانيين على مناطق عربية هامة كالشام والعراق ومعظم الجزيرة العربية قبيل قيام الحرب العالمية الأولى فى سنة ١٩١٤ ، فقد ازدادت أهمية موقف العرب فى ترجيح كفة انجلترا وحلفائها على الدولة العثمانية المتحالفة مع الالمان فى مطلع تلك الحرب (٢) . اذ كانت الدولة العثمانية عن طريق سيطرتها على تلك المناطق العربية .يمكنها أن تهدد مصالح انجلترا فى نقطتين هامتين ، أولهما قناة السويس التى تمثل المدخل للبحر الأحمر ، وثانيهما طريق الخليج العربى حيث تقع آبار النفط الهامة للشركة البريطانية الفارسية .

كما كانت بريطانيا تدرك مدى الخطر الذى يهددها فى الجزيرة العربية نفسها اذا كان الترك يستطيعون اتخاذ مراكز عديدة على طول سواحل البحر الأحمر لبث الألغام التى تدمر البواخر البريطانية ، كما كان يمكنهم أن يهاجموا القاعدة الانجليزية فى عدن بعد أن يجتذبوا الى جانبهم حكام المناطق المحيطة بها والخاضعين للحماية البريطانية حينذاك ، والذين سبق أن فصلت بريطانيا بلادهم عن منطقة النفوذ العثمانى فى اليمن بموجب اتفاقية الحدود الانجليزية التركية المعقودة فى ٩

1 - Lenczonski, G. : The Middle East in World Affairs, PP. 37, 38.

2 - Brémon, E. : Yemen et Saoudia, P. 78.

مارس سنة ١٩١٤ (١) بل كان يمكن للاتراك أن يبعثوا برسلهم من تلك المناطق العربية التي يسيطرون عليها الى مصر والسودان وداخل أفريقيا لامداد أهالى البلاد بالسلاح وأثارة مشاعرهم ضد قوات دول الوفاق .

وثمة أمر خطير كان البريطانيون يهتمون به ويتوجسون نت نتائجه لتعلقة بالدعاية السياسية ضدهم هو « الخليفة السلطاني اذا أعلن الجهاد ، ونال تأييد شريف مكه له ، تمكن من تحويل الحجاز الى مركز لبث الدعاية المهيجة ، لا لتثير البلاد العربية فحسب ، بل لتحرك كذلك الاقوام الكثيرة الاسلامية وغير العربية التى تعيش تحت حكم دول الوفاق أو على أطراف المناطق التابعة لها » (٢) .

ومن هنا كانت منطقة البحر الأحمر والجزيرة العربية على وجه الخصوص مسرحا للصراع البدلوماسى والحربى على السواء بين العثمانيين والبريطانيين ، مما جعل كلا الجانبين يستميتان فى محاولات كسب ود الامراء والزعماء المحليين على اختلاف درجات قوتهم وأهميتهم . وكان يزيد من عنف هذا الصراع اعتماد الاتراك على ما لخلافتهم من نفوذ معنوى فى الجزيرة العربية وحمايات عثمانية موزعة فى أرجائها من جهة ، واستناد بريطانيا من جهة أخرى الى مناطق نفوذها الواقعة على بعض سواحل الجزيرة وخاصة فى عدن ، الى جانب سلسلة معاهدات الحماية التى عقدتها مع شيوخ القبائل اليمنية المحيطة بها فى جنوبى اليمن فى الرب الاخير من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين .

ومن الملاحظ أن النفوذ العثمانى فى الجزيرة العربية قبيل الحرب العالمية الأولى كان يمتد على مساحات أوسع وأبعد مدى من النفوذ البريطانى ، فقد كانت بريطنيا تختار النقط والمواقع الاستراتيجية التى يهمها الاستيلاء عليها دون أن تهمتم كثيرا بضيق الرقعة المحتلة أو اتساعها ، وهذا ما فعلته عند سيطرتها على عدن . وقد كان هذا الفارق المساحى يعتمد على أساس تاريخى ، فضلا عما كان يصاحب

---

١ - فاروق عثمان أباظة (دكتور) : الحكم العثمانى فى اليمن ١٨٧٢ - ١٩١٨ ، ص ٤٧٥ - ٤٧٨ ، يمكن الاطلاع على ترجمة لنص الاتفاقية باللغة العربة .

٢ - جورج انطونيوس : يقظة العرب ، ترجمة حيدر الركابى ، ص ١٤٨ - ١٤٩ .

من نفوذ معنوى للخليفة العثمانى فى الجزيرة العغربية (١) . ولهذا كانت الجزيرة خاضعة للنفوذ العثمانى أساسا ، على حين كان النفوذ البريطانى لا يمثل الا منافسا زاحفا يحتل نقطا معينة لحماية خطوط مواصلات الامبراطورية البريطانية .

غير أن النفوذ الفعلى للعثمانيين فى الجزيرة العربية كان ضعيفا بوجه عام ، ولم يكن يبدو واضحا الا حيث وجدت القوات العثمانية . وكانت الحامية العثمانية الموجودة حينذاك فى الجزيرة العربية مؤلفه من أربع فرق وموزعة بين الحجاز وعسير واليمن ، أى على طول الساحل الشرقى للبحر الاحمر .

فبالنسبة للحجاز كانت سلطة الشريف حسين شريف مكه على القبائل كافية لتشكيل قوة من بيهنا يمكنها الاشتراك فى الهجوم على البريطانيين فى مصر اذا أراد الحسين ذلك . بل كان باسصتطاعته أيضا أن يجمد من البدو ما لا يقل عن الأربعين ألفا ببنادقهم ، على حين كان يستحيا عل الترك أن يتوصلوا الى اثارة البدو بدون مساعدته .

ورغم أن الحامية العثمانية فى الحجاز وعسير كانت مؤلفة من فرقتين ، تمرد القبائل هناك كان قد وصل حدا لا يتجرأ معه الترك على التوغل فى داخل البلاد ، بل ظلوا محصنين فى قلاعهم ومراكزهم البعيدة . وقد فرض هذا الوضع على الاتراك ضرورة الحصول على موادرة الحسين اذا أرادوا أن يتوصلوا الى تجنيد العشائر العربية . وكان تأييد الحسين للترك سيمكنهم من توجيه حامياتهم المحصورة كيفما شاءوا ، كمما سيساعدهم على تشكيل قوة كبيرة من رجال العشائر يمدون بها القوى التى تتألف منها الحملة الى قناة السويس حينذاك لمحاربة البريطانيين فى مصر والسيطرة على القناة (٢) .

وبالنسبة لليمن الذى كانت الحامية العثمانينة فيه مكونه من فرقتين كاملتين ، فان علاقة العثمانيين بالامام يحى زعيم الزيدية والمسيطرة على شمال الهضبة

---

١ - السيد مصطفى سالم (دكتور) : تكوين اليمن الحديث ، اليمن والإمام يحى ١٩٠٤ - ١٩٤٩ ، ص ١٩٠ .

٢ - أحمد فضل العبدلى : هدية الزمن فى أخبار ملوك لحج وعدن ، ص ١١ .

اليمنية ، قد تحسنت عقب صلح « دعان » ، الذى عقدوه معه فى سنة ١٩١١ ، بعد نضال مرير قاده ضدهم ، وشاركه فيه محمد الادريسى الذيظهر فى عسير منذ عام ١٩٠٧ . وقد كان فيه هجوم الاتراك على عدن أمرا محتمل الوقوع ولا شك أن الامام اذا وقف الى جانب الترك أو اشترك اتباعه معهم فى هذا الهجوم فإن ذلك كان من شأنه أن يساعدهم لتحقيق النصر .

أما فى الجهات المتاخمة للخليج العربى فقد كان موقف ابن الرشيد فى شمر، وابن سعود فى نجد ، يتوقف بالدرجة الاولى على النزاع القائم بينهما . وكان من المسلم به ان ابن الرشيد سيقف فى صف الترك حالما تعلن الحرب .

ولهذا عندما انضمت الدولة العثمانية الى جانب المانيا فى الحرب ، أسرعت بريطانيا امراء العرب للوقوف الى جانبها ، أو لتضمن على الأقل حيادهم وعدم انحيازهم للدولة العثمانية وحلفائها . واستمرت المفاوضات فى العامين الأوليين من قيام الحرب ، وكان هدف بريطانيا من ورائها محاربة الترك فى الجزيرة العربية . وصدهم عن تأليف كتلة عربية يقفون بها فى وجه النفوذ البريطانى ، أو يقطعون على بريطانيا الطريق الى الهند عبر البحر الأحمر والخليج العربى على السواء .

وهنا ستظهر أهمية موقف محمد الادريسى فى عسير التى تحتل شريطاً طويلا من الساحل الشرقى للبحر الاحمر ، وتقع بين الحجاز من الناحية الشمال وتهامة اليمن التى تحدها من الجنوب . وقد كان باستطاعة محمد الادريسى أن يعطل خطوط المواصلات التركية بين الحجاز واليمن ، وأن يهدد مؤخرة الترك اذا هاجموا عدن ، فضلا من تمكنه من الحيلولة دون استخدام الترك لسواحل عسير الطويلة كقاعدة بحرية معادية للأسطول البريطانى وأساطيل دول الوفاق فى جنوب البحر الأحمر .

وقد شجع بريطانيا على أن تبدأ مفاوضتها مع الادريسى موقفه المعادى للاتراك منذ ظهوره على مسرح الاحداث فى عسير فى سنة ١٩٠٧ ومشاركته للامام يحى فى محاربة الاتراك ، ثم استمـراره فى محاربته لهـم منفـردا بعد أن عقدوا صلح « دعان » مع الامام يحى فى سنة ١٩١١ . هذا بالاضافة الى اتفاقه مع الايطاليين

لاشغال الترك فى الجزيرة العربية أثناء هجوم ايطاليا على طرابلس الغرب ، مما أدى الى انهيار المقاومة العثمانية هناك . فلا شك أن مثل هذه السابقة سيكون لها تأثيرها فى سرعة تفهم الادريسى لأهدا بريطانيا وسهولة تعاونه معها فى هذا السبيل .

واذا كان البريطانيون قد بذلوا جهودهم لجذب الأمراء العرب على الساحل الشرقى للبحر للوقوف الى جانبهم أو لضمان حيادهم على الأقل فى مطلع الحرب العالمية الأولى ، فان الأتراك العثمانيين قاموا بدورهم بالمجهودات الضرورية للحصول على تعهد العرب بمساندتهم ضد بريطانيا وحلفائهم فى الحرب المذكورة . ولهذا بعث الترك برسلهم فى أرجاء الجزيرة يحملون الهدايا والعبارات المعسولة الى أمراء العرب وزعمائهم (١) . وكان طبيعيا أن اثمرت مفاوضاتهم فورا مع ابن الرشيد الذى كان تواقا الى محالفة الترك ، وان لم يؤد ذلك الى نتيجة ذات فائدة كبيرة سوى تأييدهم له ضد ابن سعود الذى كان يخشبى بأسه . ولم ينتفع الترك كثيرا من الامام يحى الذى فضل البقاء على الحياد فى هذا الصراع الدائر بين القوتيين الكبيرتين .

واذا كان الاتراك قد يئسوا من الادريسى قبل نشوب الحرب العالمية الأولى وخاصة بعد أن تحالف مع الايطاليين فى سنة ١٩١١ ، فانه قد أصبح عدوهم اللدود بعد تحالفه مع البريطانيين فى ٣٠ ابريل سنة ١٩١٥ (٢) . بل أن الاتراك يئسوا أيضا من الشيخ مبارك الصباح أمير الكويت الذى كان هو الآخر مرتبطا بمعاهدة فى سنة ١٨٩٩ ، وعقد معها معاهدة ثانية عندما قامت الحرب ، تقضى بقيام التحالف الفعلى بين الطرفين فى اليوم الثالث مننوفمب سنة ١٩١٤ . ول يفز رسل الترك الذين زاروا ابن سعود بأى وعد قاطع منه للوقوف الى جانبهم ، وكانت حجته فى ذلك حرصه على تجنب هجوم بريطانيا على سواحله فى الخليج العربى . ولهذا فقد كان يتفاوض فى ذلك الحين مع حكومة الهند (البريطانية (وانتهت هذه المفاوضات بعقد معاهدة بينهما فى شهر ديسمبر سنة ١٩١٥ .

1- Hurewitz, J. C. : OP. Cit., Vol., P. 219 .

٢ – حافظ وهبه: جزيرة العرب فى القرن العشرين ، ط ٢ ، ص ٣٠٨ – ٣٠٩ .

أما بالنسبة للشريف حسين فقد كانت الترك يأملون حتى بداية الحرب العالمية الأولى فى انضمامه الى جانبهم ، وكانوا يعرفون أهميتة الحرب العالمية الأولى فى انضمامه الى جانبهم ، وكانوا يعرفون أهميةمركزه بين الامراء العرب فى ذلك الحين (١) . غير أن علاقة الحسين بالاتراك كانت تتحدد دائما برغبته الشخصية فى الاستقلال (٢) . وانتهت اتصالاته السرية مع البريطانيين فى القاهرة باتفاقه معهم فى يناير سنة ١٩١٦ على اعلان الثورة ضد الترك فى الجزيرة العربية (٣) .

– ظهور الادارسة وتطور حركتهم فى عسير قبيل الحرب العالمية الأولى :

وسوف نتتبع فيما يلى ظهور الادارسة وتطور حركتهم فى عسير حتى قيامهم – بزعامة محمد الادريسى – بمناواة الاتراك العثمانيين ، متآزرين مع الامام يحى قبل عقده لصلح « دعان » فى سنة ١٩١١ ، ومتفقين مع الايطاليين أثناء غزوهم لطربلس الغرب فى عامى ١٩١١ ، ١٩١٢ ، وأخيرا متحالفين مع الانجليز فى مطلع الحرب العالمية الأولى لضرب الاتراك فى الجزيرة العربية بعد انضمام الدولة العثمانية لالمانيا فى تلك الحرب . ويهمنا أن نشير الى أهمية موقع اقليم عسير فى شمالى الاراضى اليمنية المطلة على البحر الاحمر بحيث يعتبر امتدادا لتهامة اليمن . ويحد اقليم عسير من ناحية اشمال اقليم الحجاز ، كما يحده من ناحية الشرق سلسلة الجبال التى يقطنها رجال قبائل « ألمع » وجبال « هروب » وجبل « النظير » (٤) . وتفصل هذه الجبال اقليم عسير عن صحراء نجد والربع الخالى

1- I. O. L., Secret, B. 232, From W. C. Walton, Brigadier - General, General Officer Commanding and Plolirical Resident Aden, to the Government of India, in the Foreign Department, Simla, Headquarters, Aden, 29 th May 1916, PP. 1,3 .

٢ – أمين الريحانى تاريخ نجد الحديث وملحقاته ، ص ٢٢٩ .

3 - I. O. L., Secret, B 222., Correspondence with the Grand Sherif of Mec-From 24th Sepetmbre 1914 to 10 th March 1916, No. 4, Communication from Mr. Cheetham to Sherif Abdulla, P. 2.

٤ – محمد بن أحمد عيسى العقيلى : المصدر السابق ، ج١ ، ق٢ ، ص ٣ .

أقليم عسير عن صحراء نجد والربع الخالى فى وسط الجزيرة العربية . وتضم سواحل عسير الموانى الواقعة على الساحل الشرقى للبحر الزحمر من ميناء « قنفدة» فى الشمال حتى ميناء « اللحية » فى الجنوب ، ويقع الميناء الأخير الشمالى اليمنى المواجه لجزيرة « قمران » .

أما بالنسبة لبداية ظهور الادارسة فى عسير فان ذلك يرجع الى وصول مؤسس البيت الادريسى السيد أحمد بم ادريس المغربى الى مدينة « صبيا» فى مطلع القرن التاسع عشر (١) . وقد ولد السيد أحمد بن ادريس فى بلدة « العريش » التى كانت من أعمال « فاس » ببلاد المغرب فى سنة ١٧٥٨ ، وبلاد المغرب تعد هى وايران القطبان الرئيسان الموردان للصوفية فى العالم الاسلامى (٢) . وقد أخذ السيد أحمد بن ادريس العلوم الرنينة عن شيوخ عصره واهمهم عبد الوهاب التازى ، ثم توجه من وطنه بطريق البحر الى مكة فى سنة ١٧٩٩ وكرس نفسه للعبادة والاشتغال بعلوم الدين (٣) . وفى أثناء اقامته فى مكه كانت « تجرى بينه وبين علمائها المناظرة ، وكان ملحوظا بعين الاحترام من أمرائها ، ويحجيا طيبة من سعة العيش » تبعا لما أوضحه تلميذه حسن بن أحمد عكاش فى ترجمة لحياته ضمنها كتابه « حدائق الزهر فى ذكر أشياخ أعيان الدهر » . وقد ذكر مؤلف الكتاب أن أسيد الأدريسى كان يقول « نحن ضيوف الله فى أرضه والضيوف بوجه مضيفهم ، ومن حمل الزاد الى منزل الكريم أو سأل شيئا منه وهو فى منزله عد لؤما » . غير أن هذه الترعة الصوفية لا تنطبق الحال وجوهر الدين الاسلامى الذى يحث على الكسب المشروع والعمل المثمر (٤) .

وعلاى أية حال فقد التقى السيد عبد الرحمن بن سليمان الأهدل مفتى زبيد فى ذلك الوقت بالسيد أحمد بن أدريس فى مكة ، ووجد أنه « كالعافية

---

١ – محمد بن أحمد عيسى العقيلى : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٤٨ .

٢ – أمين الريحانى: ملوك العرب ، ج١ ، ص ١٥٣ .

٣ – شرف عبد المحسن البركاتى : الرحلة اليمنية للشريف حسين « باشا » أمير مكة المكرمة ، ص ٣ – ٤ .

٤ – محمد بن أحمد عيسى العقيلى : المصدر السابق ، ج١ ، ق٢ ، ص ٥٦٥ .

للسقيم ، والكشفاء للجرح الأليم » كما أورد ذلك فى ترجمة للسيد الادريسى ضمنها كتابه « النفس اليمانى والروح الريحانى » . ولما عاد الأهدل الى زبيد تحدث عن الادريسى وأثنى عليه كثيرا (١) ، وكان ممهدا لاستقباله فى اليمن .

وقد توجه أحمد الادريسى من مكة المكرمة الى اليمن فمر بمدينة « جيزان » فيعسير وهو فى طريقه الى « الحديدة » وكان منتهى سيره الى « زبيد » فاستقبله السيد الاهدل عبد الرحمن (٢) . وقد أخذ الادريسى يبشر بعقيدته ويدعو الى طريقته . وكان حيثما نزل محترما مبجلا حتى نظم فى مدحه القصائد شعراء « زبيد » و « بيت الفقيه » و « تعز » و « وصاب » ، والتف حوله العلماء والمشايخ وتهافت عليه عامة الناس وخاصتهم . وكانت « زبيد » مركز نشاطه يطوف فى تهامة ثم يعود اليها حتى أخذ الناس يتسابقون الى اعتناق دعوته ونشر طريقته . وقد أجاز الادريسى طريقته للسيد عبد الرحمن بن سليمان الأهدل هو وأولاده اجازة عامة ، فتسلسلت زعامتها بعد ذلك فى بيت الأهدل (٣) ، وقد سمى السيد أحمد طريقته « أحمدية » نسبة إلى اسمه ، وهى تدعى كذلك فى تهامة وعسير . أما عنوانها فعنوان الطريق الشاذلية لأن اتباعها يسلكون بالتهليل والأدعية مسلك الشاذليين .

على أن السيد أحمد الادريسى اتجه بعد ذلك شمالا فقام بزيارة « الحديدة » و « مرواغة » و « باجل » ثم توجه الى « صبيا » التى كانت تابعة لاشراف « ابى عريش » فاستقر فيها واستوطنها (٤) . وكانت اقامته هناك خاتمة ارسالته الصوفية ، وفاتحة لطريقته الاحمدية ، واعتبر وليا من الأولياء المحليين عند وفاته فى سنة ١٨٣٧ . وقد خلف السيد أحمد الادريسى لاولاده ثروة مادية ومعنوية هائلة . اذ عاشت أسرته من بعده تتمتع بنفوذ كبير وسلطان عريض يمتد زساسا على قبره الذى اعتبر مزارا من بعده ، فظلت أسرته يحفها هذا الاجلال الدينى العميق مما

---

١ – أمين الريحانى : ملوك العرب ، ج١ ، ص ٢٦٠ .

٢ – محمد بن أحمد عيسى العقيلى : المصدر السابق ، ج٢ ، ص٤٧ .

٣ – أمين الريحانى : ملوك العرب ، ج١ ، ص ٢٦١ .

4 - Hogarth, D. G. : OP. Cit., P. 120 .

أكسبها مكانة خاصة ، اعتمد عليها حفيده محمد بن على ين أحمد الادريسى الذى أسس فيما بعد حكم الادارسة فى عسير ، وقام بحركته المناوئة للحكم العثمانى ، ولقى تأييدا ودعما من قبل الايطاليين قبيل الحرب اعالمية الاولى ، ومن البريطانيين أثناء تلك الحرب لتصفية النفوذ العثمانى فى عسير (١) .

واذا كان مؤسس البيت الادريسى السيد أحمد بن ادريس قد وجد السبيل ممهداً لنشر طريقته وتثبيت مركزه الروحى فى « صبيا » ، فقد تفرق معظم أصحابهع ومريديه ، ولم يكن ابنه فى شخصية والده فعاش على حسابى ذلك التراث الصوفى الموروث . ولم تكن المدة التى عاشها السيد أحمد بن ادريس بكافية لرسوخ جذور طريقته فى نفسية العسيرين ، اذ كان تأثيرها القوى فى مدينة « صبيا » وضوحيها ، ولم يكن تأثيرها بقوة ايمان فى نفوس مريدية ، وانما عن اعتقاد فى صلاح وتقوى شخصيته ، وفرق واضح بين العقيده والاعتقاد . وقد توجه ابنه محمد بن ادريس – خليفته فى طريقته – الى الحديدة واستقر بها ، ولم يعد الى « طبيا » الا قبل وفاته بثمانية أيام . وخلفه ابنه على بن محمد والحسين ، وقد توفى الاخيران فى أول الحركة التى قام بها أخوهما محمد بن أحمد بن أدريس الذى كان قليل الاختلاط بالناس ، وقد توفى فى سنة ١٩٠٦ . وكان على هذا قد انجب أربعة أبناء هم محمد والحسن واحمد بن على بم أحمد بن أدريس ضد العثمانيين فى عسير (٢) .

ويهمنا أن نشير بصفة خاصة الى شخصية السيد محمد بن على ين أحمد بن ادريصس الذى سيضطلع بهذه المهمة الخطيرة فى عسير ضد اوجود العثمانى ، والذى سيضطلع بهذه المهمة الخطيرة فى عسير ضد الوجود العثمانى ، والذى سيتحالف مع الايطاليين ثم ثم مع الانجليز لينجح فى تحقيق مهمته . فقد ولد محمد الادريسى هذا فى « صبيا » عام ١٨٧٦ ، وتلقى تعليمه على يد استاذة الازهر فى مصر ، وفى مدينة « الكفرة » مقر السنوسيين فى برقة بالمغرب العربى ،

---

١ – حافظ وهبة : المصدر السابق ، ص ٤٢ .

٢ – محمد بن أحمد عيسى العقيلى : المصدر السابق ، ج٢ ص ٥١ – ٥٣ .

وجاء منها الى السودان فأقام فى « أرجو » بدنقله ، حيث تزوج بابنة الشيخ هارون الطويل شيخ الطريقة الاحمدية . ثم عاد السيد محمد الادريسى الى عسير مسقط رأسه فى أوائل العشرين ، حيث كانت البلاد تعانى من الفوضى والاضطراب تحت حكم العثمانيين . وكان هؤلاء قد سيطروا على عسير فى أعقاب وصول حملتهم اليها عام ١٨٧١ التى أخمدت ثورة محمد بن عائض أمير عسير وقضت عليه ، ثم زحفت بعد ذلك الى اليمن وتمكنت من السيطرة على صنعاء فى ٢٦ ابريل ١٨٧٢ وأقامت الحكم العثمانى فيها (١) بعد أن كان قد انحسر عنها عام ١٦٣٥ . غير أن الاتراك فى عسير أصبحوا من الضعف فى أوائل القرن العشرين بحيث لم يكن نفوذهم يتعدى معسكراتهم والمناطق المحددة التى يستطيعون فيها حماية أنفسهم .

ولهذا فقد كان الاتراك فى عسير فى أوائل القرن العشرين –وهو الوقت الذى عاد فيه محمد الادريسى الى هناك – يستميلون زعماء القبائل والعشائر بمشاهزات لا يدفعون منها غير اليسير مما أدى الى انقلاب أصحاب الديون عليهم . وهنا نجح محمد الادريسى فى أن يستميل الى جانب رؤساء العشائر (٢) ، كما استغل فرصة النزاع القائم بين كمشايخ البلاد فأعان بعضهم على بعض حتى كانت له السيادة عليهم ، فأخذ منهم الرهائن ليأمن منهم الردة والخيانة على نحو ماكان يفعل معهم أمام صنعاء الزيدى ،. ثم مد أدريسى سيادته شمالا وشرقا فى الجبال المحيطة بعسير ، فجمع عدة أخاذ وبطون من العشائر العسيرية تحت لوائه ، حتى امتد نفوذه من الوقت عند حصن « أبها » وعلى حدود المناطق التى تقطنها قبائل « حاشد وبكيل » اليمنية القوية .

وعلى أية حال فقد أصبح محمد الادريسى فى عام ١٩٠٧ شخصية قوية لها خطورتها فى عسير (٣) اذ استطاع أن يستغل ثقافته الواسعة ومقدورته الادراية

---

١ – فاروق عثمان أباظة (دكتور) : الحكم العثمانى فى اليمن ١٨٧٢ – ١٩١٨ ، ص ٩٠ .
٢ – أمين الريحانى : ملوك العرب ، ج١ ، ص ٢٧٢ .
Jacob, H.F. : OP. Cit., P. 70 .

والسياسية فى اجتذاب قبائل المنطقة مما زاد من قوته وخطورته . أما بالنسبة لموقف العثمانيين ازاءه فانهم لم يهتموا أمره عند بداية ظهوره ، اذ اعتبوره أحد رجال الدين العديدين أو المتصوفين الذين سرعان كما تنطفيء نجومهم . بينما تجاهله الشريف حسين أمير مكة واعتبره « حديث نعمة » سينتهى أمره سريعا ، اذ كان الشريف يتمتع ببعض النفوذ الاسمى على بعض قبائل عسير.

أما الامام يحى الذى كان نفوذه منحصرا شمالى الهضبة اليمنية منذ توليه الامامة عام ١٩٠٤ ، فكان أكثر ادراكا لحقيقة قوة محمد الادريسى وخطورة حركته . وان الامام يعتبر أن عسير جزءا لا يتجزأ من اليمن . وعندما رأى الإمام يحى أن الادريسى نجح فعلا فى نشر دعوته خارج المخلاف السليمانى ، وبسط نفوذه شمالا وجنوبا فى أرجاء عسير ، حتى أن بض القبائل المنتشرة حول « صعدة » – مركز الامامة الزيدية – اعتنقت تعاليمه وابدت ولاءها لسيادته ، فقد رأى الامام يحيى مضطرا أن يرحب بالتحالف مع الادريسى حتى يحمى مؤخرته عندما كان يخوض معركته ضد الاتراك فى صنعاء وتجبره خطة الحرب أن يزحف جنوبا من معالقه فى شمال الهضبة اليمنية . وقد أدى هذا الى تحالف الامام يحى – لفترة محدودة – مع الادريسى فى أثنا صراعهما المشترك ضد الأتراك فى اليمن (١) قبل أن يعقد الامام يحيى الصلح معهم فى عام ١٩١١ .

وقد أوضح أمين الريحانى اذى التقى بمحمد الادريسى فى أوائل العشرينات من القرن الحالى أنه كان « حصيفا ذكيا ذا حنكة ودهاء ، يستعين على عدوه بكل ما حوله من زعامات وشاقات ، بالزرانيق مثلا على الاتراك ، وبالشوافع على الزيديين ، وبالعشائر على الاسراف ... وكان له عون كبير فى ارثه الروحى ضاعف نفوذه الشخصى وزاد ذكاءه الفطرى لمعانا » . م يشير الريحانى الى نشاط الادريس فى عسير بقوله « أن نجم السيد محمد لم يعل ويتلألأ فى سماء عسير الا خلال حربين بيم الدولة العثمانية ودول الافرنج ، أى حربها سنة ١٩١٢ مع ايطاليا ثم اشتراكها فى الحرب العظمى على الاحلاف . فقد كان فى الحربين

---

1 - Hogarth, D. G. : OP. Cit., P. 121 .

خصم الترك اللدود ، والحلف الذى لا ينقض العهود . وأخذ من الايطاليين سلاحا فاستخدمها نارا وسياسة على عدوها وعدوه . وأخذ من الانكليز مالا وسلاحا فخدم الاحالف فى الجزيرة » . ويواصل الريحانى حدثه عن الادريسى فيقول « مما يجهله الافرنج والعرب أن السيد محمد كان أول من انضم الى الأحلاف من أمر العرب ، وأول من حمل فى البلاد العربية على دولة الترك حليفة الألمان » (١) .

أما بالنسبة للعلاقة التى نشأت بين محمد الادريسى والايطاليين فانها ترجع الى اتصاله – قب عودته الى عسير – بمحمد على عليوى مترجم السفارة الايطالية بالقاهرة فى سنة ١٩٠٥ (٢) ، وهو الوقت الذى كانت ايطاليا فى اثنائه تعد العدة لغزو طرابلس الغرب التى كانت تابعة للدولة العثمانية حينذاك . وقد ارادت ايطاليا أن تشغل الأتراك بأشعال نار الحرب فى جه من الجهات التابعة لهم لاحداث خلخلة فى الجبهة العثمانية فى طرابلس الغرب مما يتيح لايطاليا فرصة السيطرة عليها دون جهد كبير .

وكانت إيطالى فى ذلك الوقت تسعتمر المنطقة الممتدة على الساحل العربى للبحر الاحمر من عصب جنوبا الى مصوع شمالا ، والتى عرفت فى سنة ١٨٩٠ بسمتعمرة اريتريا . فكانطبيعيا أن يكون لديها معلمومات تامة ودارية كاملة بأحوال عسير ، وما للادارسة هناك من نفوذ روحى . وقد رأت إيطاليا أت تعتمد على الدريسى وتقدم له العون المادى والحربى فى سبيل مناوأت للدوله العثمانية ، وفتح جبهة حربية تستنفد الدولة فيها مجهودات كبيرة ، مما يسهل على ايطالى مهمة تحقيق مخططها الاستعمارى بالسيطرة على طرابلس الغرب .

وقد التقت رغبة ايطاليا فى تحريض الادريسى على محاربة الاتراك مع رغبته الشخصية فى بناء ملك عريض فى عسير ، مستفيدا من مكانة أسرته ، وبروز شخصيته وما تميز به من العلم والخبرة بأحوال مسقط رأسه ، وبطبائع القبائل العسيرية ، فضلا عن اطلاعه على مجريات السياسة العالية حينذاك ، ولا شك أن

---

١ – أمين الريحانى : ملوك العرب ، ج١ ، ص ٢٧٣ .
٢ – شرف عبد المحسن البركاتى : المصدر السابق ، ص ١٤ .

مشاهداته فى السودان ، ،اخلفته ثورة المهدى من شهرة مدوية ، ومشاهداته فى مصر ، وما ابقاه محمد على لاسرته من ملك موروث بعد أن كادت جيوشه تسيطرو على الآستانة ،لولا وقوف الدول الكبرى فى وجهه حفاظا على مصالحها الاستعمارية فى أراضى الدولة العثمانيبة ، فقد ألهمته هذه المشاهدات أن يدعم مركزه فى عسير . وقد ساعده على ذلك اهمال الدولة العثمانية للشئون الداخلية فى عسير حتى شاعت الفتن بين القبائل وعمت الفوضى ارجاء البلاد .

والى جانب الدعم المادى والحربى الذى قدمته ايطاليا للادريسى أثناء هجموها على طرابلس الغرب فى عامى ١٩١١ ، و ١٩١٢ ، فقد قام الأسطول الايطالى بضرب الموانى اليمنية التابعة للدولة العمانبية والواقعة على الساحل اليمنى المواجه لمستعمرتهم فى أرتيريا ، مما ساعد قوات الادريسى فى التغلب على الترك فى عسير وفى مهاجمة ميناء القنفدة فى الوقت الذى كان الأسطول الايطالى يقصف هذا البناء من جهة البحر ، كما حتاصرت قطع الأسطول الايطالى الموانى اليمنية ماعدا ما كان فى قبضة الادريسى وقصفتها بمدافعها . ونتج عن هذا القصف أن تخريب مدينة الحدية حتى فر أهلها فى أرجاء تهام . كما تعرضت للقصف أيضا مدينة « الشيخ سعيد » الواقعة فى أقصى الطرف الجنوبى الغربى لليمن والمقابلة لجزيرة بريم ، غير أنها لم تصب بخسائر كبيرة (١) . بل أن الايطالين تمكنوا من اغراق بعض القطع البحرية العثمانية الخاصة بخفر السواحل فى جقنوبى البحر الأحمر أمام السواحل اليمـنية ، بينماتمكن الادريـسى من السيطرة على ميناءى « مبدى » و « جيزان » (٢) .

على أن هدف ايطاليا من محاربة الأتراك فى عسير ومساندة الأدريسى ضدهم لم يكن يقصد منه فقط فتح جبهة حربية جديدة لاشغال الترك عن استراد طرابلس الغرب فحسب اليمنى المواجه لمستعمراتها فى أرتيا . ويرجع ذلك الى أن الادريس بعد أن نشر الأمن فى عسير ونظم موانيها وشجع تجارتها ، فقد راجت

1 - Jacob, H. F. : OP. Cit., P. 126 .

٢ – عبد الواسع بن يحى الواسعى : المصدر السابق ، ص ١١٦ .

3 - Jacob, H. F. : OP. Cit., P. 127 .

هذة التجارة وانتظمت بين موانى عسير واليمن بوجه عام ، وبينها وبين موانى أرتيريا التى يسطير عليها الايطاليون بوجه خاص . ولهذا لم يكن غريبا حينذاك أن تتطلع ايطاليا فى لهفة الى الوثوب على موانى عير وبقية موانى اليمن لبسط نفوذها هناك . وقد ذكر « هارولد جاكوب » مساعد المقيم السياسى البريطانى فى عدن أن كاتبا ألمانيا قد عبر عن هذه الرغبات الايطالية فى عام ١٩١٣ بقوله : « منذ قرن مضى استطاع الانجليز أن يجعلوا أنفسهم أسيادا فى عدن .. والان ترمى ايطاليا نظراتها المتطلعة الى شاطئ العربية الأخضر » (١) .

على أن علاقة الايطاليين بالدريسى بعد نجاحهم فى السيطرة على طرابلس الغرب بدأت تقتر تدريجيا ، وضعفت مساندتهم له فى صراعه ضد الترك ، مما يؤكد أن هدف الايطاليين الحربى كان أهم بكثير جديد خاصة بعد أن تخلى عنه الامام يحى بعقده الصلح مع الأتراك فى سنة ١٩١١ بينما رفض الترك عقد صلح مماثل معه رغم ما كان يتمتع به من مكانة ونفوذ فى عسير . وهكذا أصبح الادريسى يواجه عدوين متعاوين هما الدولة العقثمانية والامام يحى فى قوت اتحدت فيه أهدافها للقضاء عليه . وكان هذاالموقف من شأنه أن يجعل الادريسى مهيئا بحكم الظروف المحطة به لتقبل عرض البرطيانين بالتحالف معهم فى مطلع الحرب العالمة الاولى ،، وتلقى الدعم والمساعدة المادية والحربية منهم لمواصلة الحرب ضد الاتراك فى عسير .

سياسة بريطانيا فى عسير فى مطلع الحرب العالمية الأولى :

ارتكزت سياسة بريطانيا فى عسير فى مطلع الحرب العالمية الأولى على دعم محمد الادريسى ومساندته لشن حرب ضارية ضد الاتراك العثمانين الذين تحالفوا مع ألمانيا فى مطلع الحرب . وسوف نتبين الدوافع المختلفة لهذه السياسة من خلال تتبعنا للصراع العثمانى البريطانى الذى زختصت به منطقة البحر الأحمر نظرا لما توفر للجانبين المتصارعين فيها من نفوذ وقوات ومصالح مختلفة .

وكان البريطانيون قد لاحظوا قبيل نشوب الحرب العالمية الأولى بعدة أشهر أن الأتراك العثمانيين قد بدأوا يستعدون لخوض غمار هذه الحرب منذ شهر فبراير سنة

١٩١٤ على وجه التحديد وقبل أن تلن دولتهم انضمامها لدول وسط أوروبا . كما نشطت عمليات الاستعداد لدى الحامية العثمانية المرابطة فى اليمن ضمن خطة الاستعدادات العامة فى الدولة . وكان يسهل على البرياطنيين مراقبة هذه الاستعدادت من قاعدتهم البريطانية فى عدن ، وعن طريق أسطولهم الحربى فى البحر الأحمر . وقد تم على مرأى من الانجليز وعملهم – قبيل نشوب الحرب – قيام الأتـراك بشراء كميات من الأسلحة والذخيرة من ميناء « جيبوتى » على الساحل الغربى للبحر الأحمر والذى كان تحتله فرنسا فى ذلك الحين . كما تمكن وكيل الترك فى عدن من نقل هذه الكميات الى الحديدة على أحدى السفن المحلية . فضمت الى كميات الأسلحة والعتاد التى اكتظت بها اليمن حينذاك نتيجة للحروب الكثيرة التى خاضها الأتراك لتدعيم حكمهم هناك (١) .

وقد قدر البريطانيون قوة الجيش العثمانى فى اليمن – بما فيها عسير – فى شهر أبريل سنة ١٩١٤ بحوالى خمسة آلاف جندى ، وذلك بعد أن نقلت قوات كبيرة منها الى ميادين الحروب الاخرى التى خاضتها الدولة العثمانية ، وخاصة بعد الصلح الذى عقدته مع الامام يحى فى سنة ١٩١١ . وتشكل هذه القوة العثمانية فرقتين من الجيش العثمانى ، بينما كانت توجد بالحجاز فرقتان كان يتغير من وقت لآخر حسبم تقتضيه طبيعة الأحوال السياسية والتطورات المحلية . وبوجه عام كان يعسكر فى صنعاء جزء كبير من القوة العسركرية العثمانية . على حين كانت القوت العثمانية المرابطة فى الحديدة تفقل عن سابقتها تبعا لوقوع الحديدة فى المرتبة الثانية من ناحية أهمية مركزها الحربى . وكانت تخرج من الحديدة فرق عثمانية منتظمة للمحافظة على ميناء « الحية » وعلى المراكز الواقعة بيم « اللحية » و « زهران » التى تمتد على طول السواحل العسيرية . أما فى « مناخه » التى كانت تمتاز بحصانتها الطبيعية فقد كان يعسكر فيها طابور عثمانى موزع بين القلاع والمراكز التى كانت تخرج منها السرايا لضبط الأمن واخماد حركات التمرد ومرافقة محصلى الضرائب وتدعيم الادراة العثمانية . هذا بينما وضعت باقى

1 - Jacob, H. F. : OP. Cit., P. 154 .

قوات الحامية العثمانية فى لدن اليمنية الرئيسة سواء كانت فى تهامة أو فى وسط الهضبة . فضلا عن ذلك فقد كان هناك مركز تركى قوى فى « الشيخ سعيد » فى الطرف الجنوبى الغربى للجزيرة العربية ، كما كان هناك خط دفاع يمتد من « مخا » عبر « تعز » و« ماوية » ويصل الى «قعطبه » وكان الترك يعسكرون فيه وتعبره دورياتهم بصفة دائمة فى طرق ممهدة تربط هذه المراكز بعضها ببعض .

وعندما اشتعلت نيران الحرب العالمية الأولى لاحظ البريطانيون من قاعدتهم فى عدن أن القوة العثمانية المرابطة فى اليمن وعسير قد زادت بشكل ملحوظ ، مما جعل « الكولونيل هارولد جاكوب » المساعد الأولى للمقيم السياسى البريطانى فى عدن يذكر على لسان أحد الضباط الأتراك أنه كان يعسكر باليمن خمسة وثلاثون طابورا عثمانيا يقدرون بحالى أربعة عشر ألفا من المقاتلين كان أغلبهم من السوريين المجندين فى جيش الدولة العثمانية (١) . ثم ازدادت الاستعدات الحربية تدريجيا عقب أعلان الحرب فوفد كثير من الضابط الأتراك الى الحديدة ومعهم كافة المعدات الحربية اللازمة . كما قام بعض الضابط من أركان حرب القوات العثمانية فى اليمن يرافقهم بعض مشايخ البلاد بالطواف على الحدود الممتدة والمتاخمة لمنطقة نفوذ بريطانيا فى جنوب اليمن لاستطلاع حقيقة الموقف هناك ومعرفة كل جديد . بل أن الأتراك أرسلوا رسلهم الى داخل لحج لمعرفة آخر الأنباء كما قاموا بنقل عدد فضلا عن أن الترك حصلوا على تعهد من بعض المشايخ اليمنيين وهم أحمد نعمان ومحمد ناصر والسيد أحمد باشا بحماية الحدود الجنوبية لليمن من أى عدوان بريطانى ، ولم يطلبو من الدولة من أ جل ذلك الا امدادهم بالأسلحة والذخيرة . ويبدوا واضحا أن تعهد هؤلاء المشايخ اليمنيين كان مرجعه الى عدم رغبتهم فى أن ترسل اليهم الدوله جنودا من الترك يعيثون فسادا فى بلادهم ويحيلون ميدانا للحرب والدمار .

كما لاحظ البريطانيون أن الأتراك؛ لم يكتفوا بكب هذه الاستعدادات الحربية فى اليمن بما فيها أراضى عسير ، أو بالتعهدات التى قدمها بعض المشايخ اليمنيين

---

1 - Bury, G. W. : OP. Cit., PP. 178 - 179 .

لحماية حدودهم وذلك لمواجهة الموقف فى مطلع الحرب العالمية الأولى ، بل أنهم قاموا أيضا بمحاولات دبلوماسية لجذب سلطان لحج الى جانبهم بشتى الوسائل الممكنة . وأوعز الوالى العثمانى محمود نديم بك الى الامام يحيى أن تسعى لاستمالة سلطان لحج الى دولة الخلافة ، وأن يكفل لأهالى لحج وفاء الترك بالوعود والتعهدات التى سيقطعونها لسلطانهم على بن أحمد العبدلى . وكان السلطان على هذا تربطه بالبريطانيين معاهدة حماية مما جعله يبعث خطابا الى الامام يحى يخبره فيه أن الدولة العثمانية خاطرت بكيانها عندما قبلت الدخول فى تلك الحرب . كما أشار الى « أن معظم أهل الاسلام يكرهون ذلك ، لأن مصالح المسلمين والاسلام مرتبطة بمصالح بريطانيا العظمى وحلفائها وعلى الأقل فليس للمسلمين فى هذه الحرب ناقة ولا جمل » . وواضح من خطاب السلطان على انحيازه لجانب البريطانيين نتيجة للمعاهدة المعقودة بينه وبينهم ، وعدم رضائه عن دخول الدولة فى حرب ضدهم ، مما جعله يحاول اقناع الامام بعدم جدوى هذه الحرب للاسلام والمسلمين . وعلى أية حال فقد قام الامام يحى بمراسلة السلطان على بناء مطلب الوالى محمود نديم بك واسترضاء لخاطره وحمل مندوبه السيد محمود على الشريف خطابا الى سلطان لحج ، كما كلفه بأن « يكتشف الاحوا فى هذه الجهة » (١) وكانت هذه هى المحاولة الأولى التى قام بها الترك لاجتذاب سلطان لحج الى جانبهم واستعانوا فيها بصديقهم الامام يحى التى انحصرت سياسته حينذاك فى التأنى والتمسك بالحياد المشوب بالعطف والميل الى حكومة محمود نديم بك والى اليمن ، دون أن يعرض نفسه لعداء بريطانيا وحلفائها . وكان الامام يحى بسياسته هذه ينتظر الفرص المناسبة للاستفادة من هذه الحرب بمقتضى تغير الأحوال وبقدر ما تسمح به الظروف . على أن الأتراك لم يقوموا بمحاولة مماصثلة للاتصال بالدريسى واجتذابه الى جانبهم ، اذ لم يكونوا هم والامام يحى يتوقعون منه الاستجابة ، وبعد أن تعمقت الهوة بين الجانبين بتحالف الادريسى مع الايطاليين من قبل ، وما أشيع عن اتصلاته بالانجليزية وتوقع تحالفه معهم لمحاربة

أحمد فضل العبدلى : المصدر السابق ، ص ٢٠٧ - ٢٠٨ .

الاتراك فى عسير .

أما بالنسبة للأدريسى فقد كان موقفه صريحا فى معادات الاتراك منذ بداية ظهوره فى عسير . وزاد حقده عليهم بعد أن فرقوا بينه وبن الامام يحى الذى استرضوه وعقدوا الصلح معه عام ١٩١١ ، وبذلك فصلوا بين قطبى المقاومة فى اليمن ، مما جعل الادريسى ينفرد بحمل لواء النضال ضدهم وضد حليفهم الامام يحى صديقه بالأمس الذى نكص على عقبيه واشترك معهم فى محاربته . وهذا ما جعل الادريسى يتقبل عروض الايطاليين بالتحالف معه قبيل الحرب العالمية الأولى لمحاربة الاتراك فى عسير ، بينما وقف الامام يحيى الى جانب الترك فى محاربتهم للادريسى ، وكان يسر الامام أن يتمكنوا من القضاء عليه قبل خروجهم من بلاده، حتى لا يعكر صفو الجوفى المستقبل أو ينافسه فى وراثة الحكم العثمانى فيعسير واليمن بأكملها .

وعندما أحس الادريسى أن ايطاليا استنفدت أغراض تحالفها معه بعد سيطرتها على طرابلس الغرب ، فانه أسرع الى تلبية نداء بريطانيا فى مطلع الحرب العاليمة الأولى وتحالف معها لتكون عوضا له عن ايطاليا ، ولتشاركه وتؤازره فى نضاله ضد الترك العدو المشترك لكليهما . فكان الادريسى بذلك أول من اضم الى الحلفاء من أمراء العرب ،وأول من حمل السلاح فى البلاد العربية ضد الدولة العثمانية بعد تحالفهم مع المانيا فى الحرب العالمية الأولى (١) .

ومن الملاحظ أن موقف محمد الادريسى من الأجانب والأحلاف اختلف اختلافا بيناً عن موقف الامام يحى تبعا للأوضاع الخاصة بكل منهما . فمركز الامام يحى الدينى كان يمنعه أمام اتباعه من النضمام للقوى غير الاسلامية ومحالفتها ضد العثمانيين المسلمين ، كما كان اتفاق الصلح المنعقد بين الامام والأتراك فى سنة ١٩١١ يقيد الامام من الناحية المظهرية عن محالفة زعدذاء الدولة . على حين اختلف الامر بالنسبة للادريسى الذى لم يقلل من مكانته بين اتباعه تحالفه السابق مع ايطاليا ونضاله المستمر ضد الأتراك المسلمين . وهذا ما جعل

١ - أمير الريحانى : ملوك العرب ، ج١ ، ص ٢٩٨ .

بريطانيا تثق فى أن أهدافها ستحقق بواسطة الادريسى لما له من سابقة مشهورة فى الاستعانة بالايطاليين اضرب الترك فى عسير دون تعرضه للحرج من قبل اتباعه .

كما وجد البريطانيون أن تركز نفوذ الادريسى بصفة أساسية على مقربة من الساحل الطويل لعسير كان يسهل اتصاله الى مدى بعيد بالاسطول البريطانى فى البحر الأحمر ، كما يمكنه أيضا – اذا ما سيطر على هذا الساحل ـ أن خفف العبء الواقع على هذا الاسطول ، بحيث يمكنه أن يركز حصاره على الموانى العثمانية فى الحجاز شمالا وفى اليمن من ناحية الجنوب . بينما أدى تركز نفوذ الامتام يحى على الهضبة التى تبعد عن البحر ١٥٠ ميلا الى الداخل الى صعوبة اتصاله بالقوى المذكورة . كما كانت الفرقة العثمانية تحيط الامام بسياج منيع يحول بينه وبين اقامه مثل هذا الاتصال . هذا الاتصال . هذا الى جانب وقوع الامام تحت تأثير الدعاية العثمانية الالمانية التى تشطب فى أرجاء العالم العربى أثناء الحرب وفى بلاد اليمن خاصة لوقوعها بالقرب من مناطق النفوذ البريطانى المتفرعة من عدن . على أن السبب الأساسى الذى حد نوقف كل من الادريسى والامام يحى بالنسبة للأجانب والأحلاف كا ينبع مما تقتضيه مصالحها الشخصية وأهدافها الذاتية فهى وحدها التى فرضت على الامام التمسك بالحياد ،على حين فرضت على الادريسى التحالف مع بريطانيا فى مطلع الحرب العالمية الأولى .

وعندما بدأت بريطانيا اتصالاتها مع الادريسى عن طريق المقيم السياسى البريطانى فى عدن فى مطلع الحرب العالمية الأولى ، فقد رحب الادريسى بالتفاوض مع البريطانيين توطئة للتحالف معهم لمحاربة الاتراك فى عسير وقد نتج عن هذه المفاوضات عقد معاهدة بين الادريسى والبريطانيين فى ٣٠ ابريل سنة ١٩١٥ . واذا كان الادريسى قد ضمن بعقد هذه المعاهدة حصوله على المساعدات البريطانية من أسلحة وأموال الى جانب مساندة الاسطول البريطانى لتحركات تحالفهم مع الادريسى بمثابة اجراء وقائى ضد أية محاولات معادية قد يقوم بها الامام يحى صديق الترك ضد القوات البريطانية فى عدن (١) ، وذلك

1 - Hurewitz, J. C. : OP. Cit., 2, P. 12 .

بعد أن ضمن البريطانيون انضمام الادريسى الى جانبهم وقيامه باغارات مستمرة على القوات التركية فى عسير تشغلها عن مزاولة الحلفاء فى الميادين الحربية الأخرى وتستنزف قدرا كبيرا من امكانات الدولة العثمانية . سوف نستعرض ملخصا لبنود هذه المعاهدة الادريسية البريطانية (١) التى حددت الاسس التى قام عليها تحالف الادريسى مع بريطانيا ، وموقف كل منهما بالنسبة للاتراك العدو المشترك بينهما ، وبالنسبة للامام يحى صديق الترك الذى حاول أن يلتزم بينهما ، وبالنسبة للامام يحى صديق الترك الذى حاول أن يلتزم بالحياد أزاء القوتين المتصارعتين العثمانية والبريطانية فى فترة الحرب تبعا لما كانت تقتضيه مصالحه الشخصية ، فقد تضمنت هذه المعاهدة ما يلى :

أولا : أن الأهداف الرئيسية لهذه المعاهدة هى شن الحرب ضد الاتراك وتعزيز ميثاق الصداقة بين السيد الادريسى ورجال قبائله وبريطانيا .

ثانيا : يوافق اليسد الادريسى أن يشن الهجوم ويحاول طرد الاتراك من قواعدهم فى اليمن ، وأن يضايق القوات الاركية هناك بأقصى قوته ومن ثم يوسع رقعة امارته على حساب الاتراك .

ثالثا : أن هدف السيد الادريسى الأول هو محاربة الأتراك ، ولا يثير الخصومة والعداء مع الامام يحى الذى لم يمد يده فعلا للاتراك .

رابعاً : تلتزم الحكومة البريطانية بحماية امارة السيد الادريسى ضد أى هجوم بحرى يشنه أى عدو لضمان الاستقلال بامارته ، وتتعهد بريطانيا بأن تتخذ جميع الوسائل الدبلوماسية للنظر فى المشاكل التى تنشأ بين السيد الادريسى والامام يحى وبين أى منافس .

خامسا : ليست لدى حكومة بريطانياأى رغبة فى توسيع حدودها فى غرب الجزيرة العربية ولكنها لا ترغب الا ترى مختلف حكام العرب يعيشون معا فى سلام ، كل فى امارته وكلهم يحتفظون بصداقة الحكومة البريطانية .

---

١ - محمد بن أحمد عيسى العقيلى : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ١١٤ - ١١٥ .

سادسا : أن الحكومة البريطانية كدليل على تقدير العمل الذى سيقم به السيد الادريسى امدته بالمال والمساعدات الحربية ، وستستمر فى تقديم العون له فى الحرب مدة اشتراكهم فيها بقدر النشاط الذى يقوم به السيد الادريسى .

سابعا : أنه فى الوقت الذى تفرض فيه بريطانيا الحصار على الملاحة فى جميع الموانى التابعة للاتراك فى البحر الأحمر منذ عده أشهر فقد أعطيت السيد الادريسى الحرية الكاملة فى الملاحة والتعامل التجارى بين موانئه وعدن . وأن بريطانيا اذ تقدمهذا الامتياز رمزا للصداقة القائمة بينهما تتعهد بأن هذا الامتياز سيستمر ولن يتعرض للتوقف .

ثامنا : تعلن هذه الاتفاقية حتى يصادق عليها من الحكومة الهندية وتصبح سارية المفعول .

وقد وقع على هذه المعاهدة الادريسيةالبريطانية السيد مصطفى ابن السيد عبد العلى عن الجانب الادريسى ، كما وقعها عن الجانب البريطانى « الميجور جنرال شو B. G. L. Shaw » المقيم السياسى البريطانى فى عدن ، وذلك فى يوم الجمعة ٣٠ ابريل سنةج ١٩١٥ (١٥ جمادى الثانى سنة ١٣٣٣ هـ .) ثم صادق عليها فيما بعد « هاردنج » حاكم الهند العام فى ذلك الوقت (١) .

وتوضح هذه المعاهدة معالم الساسة التى اتبعتها بريطانيا فى عسير فى مطلع الحرب العالمية الأولى لمحاربة النفوذ العثمانى المنافس لها فى الجزيرة العربية وعلى الساحل الشرقى للبحر الأحمر ، ولاشغالالترك بحرب محلية هناك تستنفذ منهم جهدا كان يمكن أن يوجه الى ميادين الحرب ضد بريطانيا والحلفاء . ولهذا اتفقت بريذطانيا مع الادريسى على محاربة الترك عدوهما المشترك ، واشغالهم فى عسير ، واستنفاد قوتهم هناك ، ومنعهم من استخدام الموانى العسيرية ضد المصالح البريطانية . وقد تعهدت بريطانيا للادريسى بامداده بكل ما يحتاج اليه من أموال ومؤن طوال فترة الحرب ، كما تعهدت بالمحافظة على أراضيه وحماية استقلاله من أى عدوان يهدد بلاده .

---

١ - حافظ وهبة : المصدر السابق ، ط٢ ، ص ٣٠٨ - ٣٠٩ .

ومن الملاحظ أنه فى الوقت الذى اختنقت فيه موانى اليمن بالحصار البحرى البريطانى أثناء الحرب ، فان بريطانيا تعهدت للادريسى فى تلكم المعاهد بفتح موانيه مع عدن ، مما أدى الى تمتع المنطقة التابعة لنفوذه برواج تجارى . ولا يعنى هذا أن بريطانيا تركت للادريسى مطلق الحرية فى تصريف هذه المساعدات التى قدمتها له فى آية جهة يراها أو تبعا لما تقتضيه مصالحه الشخصية ، بل أنها قيدت تصرفاته وحددت مجال نشاطه ضد الاتراك فحسب دون أن يثير الخصومة والعداء مع الامام يحى ، طالما كان موقف الاخير محايدا لا يتحيز الى جانب الترك . وحتى اذا نشب نزاع بين الادريسى والامام ، فإن بريطانيا احتفظت لنفسها باتخاذ جميع الوسائل البلوماسية للتوفيق بينهما ، وذلك لأن بريطانيا كان يهمها فى ذلك الوقت أن تستقر أحوال الجزيرة العربية بما يحخفظ لها مناطق نفوذها ، وأن ترتبط مع حكامها العرب بروابط الصداقة حتى لا يتحولون عنها الى مساعدة أعدائها الترك .

أما عن المساعدات الحربية التى قدمتها بريطانيا للادريسى بموجب هذه المعاهدة فقد أشار اليها « هارولد جاكوب » مساعد المقيم السياسى البريطانى فى عدن عندما أوضح أنها شملت كميات من الأسلحة لاخفيفة والذخائر ، كما سلمته بريطانيا أربعة مدافع للحصار وثلاثين مدفع « هاون » على أن الادارسية كانوا يفضلون استعمال المدافع التى قدمتها لهم ايطاليا عام ١٩١١ (١) ويرجع ذاك الى اكتسابهم مهارة فائقة فى استعمالها نتيجة تدريبهم السابق عليها . وعلى أية حال قد استطاع الادارسة المسلحون بأحدث أنواع الأسلحة الايطالية والبريطانية أن يهاجموا ميناء « اللحية » على ساحل عسير فى مايو سنة ١٩١٥ . وكان على رأس قوات الادارسة القائد مصطفى ابن عبد المتعال الادريسى الذى قسم الجيش الى قسمين . القسم الأول بقيادة أحمد الحازمى وتوجه الى « اللحية » بمحاذاة الساحل ، أما القسم الثانى فقد كان يقوده الحسن بن أحمد بن مسمار ونتوجه الى « دير حسين » . وقد هاجم القسم الاول من جيش الادراسة

---

1 - Jocob, H. F. : OP. Cit., P. 176

ميناء « اللحية » (١) ، غير أنهم لم يتمكنوا بسبب عدم انتظام صفوفهم وترتيب تحركاتهم من التغلغل الى مراكزها الدفاعية (٢) وهذا بدأ تعاون بريطانيا مع الادريسي في تلك الحرب عندما قام الاسطول البريطاني بقصف ميناء « اللحية » من البحر بمدافعهخ في يونيو سنة ١٩١٥ وكان ذلك تأكيدا من بريطانيا لمعاهدتها من الادريسي التي لم يكن مدادها قد جف بعد ، وتشجيعا له على مواصلة النضال ضد الاتراك العثمانين في عسير . وقد تمكنت القوات الادريسية — نتيجة لتعاون الاسطول البريطاني معها — من السيطرة على ميناء « اللحية » واتخذها القائد مصطفى الادريسي مركزا للقيادة العامة للدراسة في شمال اليمن .

وكان طبيعيا أن يثير هذا الهجوم الادريسي البريطاني حقد الأتراك ، مما جعل غالب بك قائد القوات العثمانية في عسير يقوم بعدة تحركات لتجميع جنوده في «الواعظات » وأن يغزى بالأموال قبائل وادى « مور » و « الواعظات » للانضمام الى قواته . وقد هاجم غالب بك المعسكر الادريسي في « دير حسين » واستولى على جميع ما به من ذخائر ومؤن وأسلحة بعد معركة عنيفة هزم فيها جيش الأدراسة (٣) . غير أن الأتراك لم يتمكنوا من استعادة ميناء « اللحية » من قبضة الادراسة ، خاصة وأن الاسطول البريطاني الذى قصف الميناء وساعد الادارسة في الاستيلاء عليه كان يقف بالمرصاد لصد أى هجوم يشنه الاتراك لاستعادته .

ويجدر الاشارة الى أن الادريسي قد تظاهر بالغضب نتيجة لقصغف البريطانيين لميناء « اللحية » بمدافع أسطولهم ، ورأى من واجبه أن يكتب اليهم معبراً عن أسفه على ما ألم بشعبه من متاعب نتيجة لضرب هذه المدينة العربية (٤) . ولا شك أن الادريسي كان يكره الترك ويدرك قيمة المساعدات البريطانية لترجيح كفته عليهم ، غير أنه ساءه كثيرا أن قصف البريطانيين لميناء « اللحية » لم يحق الضرر بالترك فحسب ، بل سبب اضرارا بالغة لأهالي المدينة في نفس الوقت . على أنه يرجح

١ – محمد بن أحمد عيسى العقيلي : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ١٠٩

2 - Hogarth, D. G. OP. Cit., P 127

٣ - محمد بن أحمد عيسى العقيلي المصدر السابق ج٢ ص ١٠٩

4 Jacov, H. F OP Cit., P 164

الادريسى أراد بتعبيره عن أسفه لقصف البريطانيين لميناء « اللحية » بمدافع أسطولهم ، أن يعفى نفسه أمام شعبه من مسئولية هذا العمل ، على الرغم من أن ذلك مهد له السبيل للسيطرة على « اللحية » .

وعندما وقعت معركة « دير حسين » التى ههزم فيها جانب من الجيش الادريسى وانقض الترك على معسكر الادراسة واستولا على ما به من مؤمن وعتاد ، فان الجانب الآخر من الجيش الادريسى فى « العطن » لم يتمكن من الاشتراك فى المعركة نظرا لوجود مراكز قوية للمدفعية التركية على طول الطريق الممتد بين « العطن » و « دير حسين » وخاصة بمراكزه فى « العطن » حتى باغته الترك بهجوم مفاجىء ، فأنسحبت فلول الأدراسة الى داخل مدينة « اللحية » واتصل قائدهم بالقائد العام مصطفى الادريسى لدراسة الموقف وتقرير المقاومة أو الانسحاب . وقد قرر القائد العام للأدارسة الانسحاب عن طريق الساحل الى « ميدى » بعد أن اتضح له عدم جدوى المقاومة . فأسرع الترك بالاستيلاء على معسكر « العطن » الذى كان يحتله الادراسة واستولى على ما به من عتاد ومؤن اشتد بها ساعد الجيش العثمانى . وقد تخوف الترك من مهاجمة « الحية » خشية أن يكون جيش الادراسة المنسحب قد تحصن فى قلاعها واستحكاماتها ، خاصة أن الأسطول البريطانى كان يحمى تحركات الادارسة من البحر ، غير أن جواسيس الترك أعلموهم بأن المدينة خالية مما شجعهم على التقدم اليها واحتلالها . وقد تم ذلك فى الوقت الذى التجأ فيه القائد الادريسى ومن بقى معه من الادارسة الى الاسطول البريطانى الذى نقلهم الى « ميدى » بعد أن ضرب بمدافعه مدينة « اللحية » من جديد ، مما اضطر الترك الى أخلائها والانسحاب بعيداً عن مرمى المدافع فالتجأوا الى مدينة « الزهرة » و « وجبل الملح » و « الواعظات » . على أن الادارسة رغم انسحابهم من مدينة « اللحية » فانهم احتفظوا بمراكزهم فى الميدان الجنوبى الشرقى لعسير والمخلاف السليمانى فى جبهتى « البترى » وبلاد « بنى نشر » (١)

وهنا رأى الادريسى أن اتلعبء قد ثقل على عاتق رجال قبائل المخلاف

---

١ - محمد بن أحمد عيسى العقيلى : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ١١١ .

الليمانى الذين يمثلون الدعامة الاساسية لقواته ، لهذا أراد أن يدحر شيئا من الأموال ما يمكنه من تجنيد حشود المرتزقة من قبائل « يام » و « حاشد » و « بكيل » وعين لهم قائدين من رجال المخلاف أولهما منصور بن حمود أبو مسمار ، والثانى أحمد عبد الله بن بكرى المروانى . كما استعان الادريسى بجنود موترقة من الصومال شكل منهم حرسه الخحاص ، غير أنهم لم يتألفوا مع الأهالى فاضطر الى توزيعهم على المراكز التابعة لنفوذه . وعلى أية حال فقد هاجمت قوات الادريسى المراكز التركية فى « وادى مور » غير أن قواته منيت بالهزيمة ، مما شجع قبائل « وادى مور » و « عيسى » على الانضمام للاتراك ، فضلا عن قبائل « الموعظات » التى لم تتحول عن ولائها للترك تبعا لمصانعة زعيمها « هادى هيج » (١) معهم .

وعلى أية حال فمن الملاحظ أت تحركات قوات الادريسى ضد الترك فى عسير فى مطلع الحرب العالمية الأولى . التى ساندها الاسطول البريطانى من جهة البحر ، فقد أزعجت الأتراك ايما أزعاج ، وأضعفت من تركيزهم على الجبهة الجنوبية المواجهة للقاعدة البريطانية فى عدن .

وكانت قوات العثمانيين قد سيطرت على لحج فى ٥ مايو سنة ١٩١٥ ، وزحفت على قرية « الشيخ عثمان »الواقعة شمالى عدن (٢) . غير أن البريطانيين نجحوا فى اجلاء الاتراك عن هذه القرية فى ٢٠ يوليو سنة ١٩١٥ (٣) فعادوا الى لحج وتحصنوا فيها حيث ظلوا هناك حتى نهاية الحرب العالمية الأولى (٤) ، ونظرا لأن الادريسى لم ينجح نجاحا كاملا فى حربه ضد الاتراك فى عسير ، فقد كان على بريطانيا أن تعمل على دعمه حربيا واقتصاديا حتى يواصل زداء مهمته فى محاربة الاتراك واشغالهم فى عسير وشمالى اليمن .

---

١ – محمد بن أحمد عيسى العقيلى : نفس المصدر «ج» ، ص ١١٢ .

٢ – أحمد فضل بن على محسن العبدلى : هدية الزمن فى أخبار ملوك لحج وعدن ، ص ٢١١ – ٢١٣ .

3 - Jacov, H. F. : OP. Cit., P. 174 .

٤ – أمين الريحانى : ملوك العرب ، ج ١ ، ص ٣٦٧ .

مختارات من الوثائق التاريخية المتعلقة بالعلاقات البريطانية الأدريسية :

وسوف نتناول بالدراسة فيما يلى مجموعة من الوثائق البريطانية الملحوظة بمكتبة وزارة الهند بلندن لم يسبق نشرها ، لنتبين منها خطوط سياسة بريطانيا فيعسير أثناء لم الفترة الباقية من الحرب العالمية الأولى ، وذلك ضمن خطتها السياسية العامة فى منطقة البحر الأحمر . ولنتعرف منها أيضا على الجهود التى بذلتها بريطانيا لدعم الادارسة حربيا واقتصاديا لمواصلة حربهم ضد الترك ، فى الوقت الذى كانت تبذل فيه جهودها لاجتذاب الشريف حسين فى الحجاز لاعلان ثورته على الأتراك هناك ، خاصة بعد أن نجحت هذه السياسة مع الادريس فى عسير .

ومن أهم الوثائق التى نتناولها بالدراسة فى هذا الصدد الخطاب الذى أرسله « ميجور جنرال سير جورج يونجها سبند المقيم السياسى فى عدن الى سكرتير حكومة الهند البريطذانية فى ٢٣ سبتمبر سنة ١٩١٥ ، والذى يدور موضوعه حول « السياسة البريطانية فى اليمن » وفحوى المذكرتين المرفقتين بالخطتاب واللتين كتبهما المساعد الأول للمقيم السياسى البريطانى فى مقديشو بتجنيد عساكر من شبه الجزيرة العربية ، أما المذكرة الثانية فهى مؤرخة فى ٩ سبتمبر سنة ١٩١٥ وتدور حول خطة البريطانيين السياسية فى المنطقة المحيطة بعدن (١) .

فقد أوضح « يونجهاسبند » فى خطابه أن مذكرتى « الكولونيل جاكوب »

---

١ – الوثيقة الاولى :

I. O., B. 216 Secret, British Policy in the Yemen, Memoranda by Major-General Sir G. J. Younghusband, Political Resident, Aden, and Lieutenant - Colonel H. F. Jacob, First Assistant Resident, Aden. No. C., 695; Dated 23rd September 1915. Enclosure No. 1, Memorandum on th employmant by Italians at Mogadiscio of Askaris from Arabia, by H. F. Jacob, 8th September 1915.

Enclousur No 2. Memorandum on the political Policy of our Hinterland, By H. F. Jacob, 9 th September 1915.

تتناول عرض المسألة الايطالية فى نطاق تأثيرها على شبه الجزيرة العربية وعلى الأوضاع القائمة فى جنوبها وغربها عقب قيام الحرب الكبرى (الأولى) وخاصة فى سنة ١٩١٥ . وقال أنه قد بدا له أنه يوجد لدى بعض الجهات المختصة فى بريطانيا ريبة وشك ازاء النشاط الايطالى فى البحر الاحمر يكاد ينقلب الى غيرة من انتشار هذا النفوذ هناك . وقد اعتقدت بعض هذه الجهات أن النفوذ الايطالى يضعف النفوذ البريطانى ويلاحقه ، غير أنه شخصيا لا يوافق على وجهة النظر هذه ، نظرا لأن ايطاليا تعرف مدى ضعفها فى منطقة البحر الأحمر بالمقارنة بالمقارنة بقوة ج بريطانيا فى تلك المنطقة ، ولهذا فان الايطاليين يعملون يدا بيد مع البريطانيين لانهم بدون المساعدات البريطانية سوف لا يكون لهم حول ولا قوة .

وقال « يونجاسبند » أن السياسة البريطانية شجعت وساعدت ايطاليا فى منطقة البحر الاحمر باعتبارها دولة ضعيفة ، بينما تعتبر مثل تلك المساعداة وذلك التشجيع عملا يتصف بالحمق اذا ما قدم لفرنسا أو لروسيا باعتبارهما قوتان عملاقتان . ولهذا يؤكد « يونجاسبنددذ » ثقته فى الاطياليين ويأمل مشاركتهم للبريطانيين فى تحمل عبء تسوية المشكلات المعقدة التاى تنتظر وضع الحلول المناسبة لها على سواحل الجزيرة العربية المطلة على البحر الاحمر .

وأوضح « يونجهاسبند » أنه قد التقى بالضابط الايطالى « الكولونيل بودريرو » وأنه قد اهتم كثيرا بأن يتعرف منه على رأيه فى المقدرة القتالية للعرب الذين جندهم الايطاليون من محمية عدن والبلاد المجاورة ، اعجابه بهذا الضابط الايطالى الذى استطاع أن يدرب هؤلاء الرجال بحيث أصبحوا جنودا أكفاء وأكد أن الضابط البريطانييستطيع أن يحقق نتيجة أفضل بكثير فى هذا المجال لأن « عبقريته » تتجلى فى ذلك . كما رأى أن الوقت حينذاك (فى سنة ١٩١٥) هو أنسب وقت لمحاولة تنفيذ تلك التجربة .

وقال « يونجهايبند » فى خطابه لحكومة يومباى أنه يمكن البدء فى اختبار مائتين م رجال القبائل العربية المقاتلة ، على أن يركبوا الجمال ويدربوا للعمل كاشفين مقاتلين . وتوقع أن يكون لهذه التجربة تأثير سياسى ممتاز ، كما قال أيضا

أن « الكولونيل بودريرو » قد أكد له أن هذا الفليق ستكون له مقدرة قتالية لا شك فيها . وأقترح « برنجهاسبند » على حكومة بومباى تكليف « الميجور جنرال أوتلى Magor W. J. Ottly » من طلائع فرقة السيخ الثالثة والعشرين البريطانية لتشكيل هذا الفليق وتدريبه باعتباره من أنسب الضابط الذين يمكنهم القيام بهذا العمل بكفاءة فائقة .

وقد أشار « الكولونيل جاكوب » المساعد الأول للمقيم السياسى البريطانى فى عدن بخطابه لحكومة الهند البريطانية مذكرتى « الكولونيل جاكوب » مساعده الأول لتأكيد توصياته الى حكومته .

وقد أشار «الكولونيل جاكوب » المساعد الأول للمقيم السياسى البريطانى فى عدن فى مذكرته المؤرخة فى ٨ مارس سنة ١٩١٥ والتى دارت حول قيام الايطاليين فى مقديشيو بتجنيد عساكر من شبه الجزيرة العربية ، بأنه قابل « الكولونيل بود ريرو Colonel Bodrero » فى اليوم الرابع من سبتمبر سنة ١٩١٥ وهو ضابط ايطالى يعمل فى مكتب المستعمرات الايطالى ويقوم بتدريب الجنود العرب الذين سمح له البريطانيون بتحنيدهم ، وكان يختارهم من محمية عدن ، فضلا عن المنطقة التى يحتلها الترك فى ايمن .

وكان الايطاليون يجندون رجال القبائل الذين يختارونهم من المنطقة التى يحتلها الترك فى اليمن منذ وقت بعيد وأن كانت تلك العملية قد توقفت مؤقتا أثناء الحرب الايطالية التركية . ورغم أن الايطاليين كلفوا هؤلاء الرجال بالعمل فى مستعمرة أرتيريا وفى الصومال الايطالى غير أنهم أرسلوهم أيضا الى طرابلس الغرب حيث قاتلوا بكفاءة ضد الاتراك والسنوسيين . وقد أكد « بودريرو » « لجاكوب » أن المقاتلين العرب الذين قام بتجنيدهم من أسمرة وجنودهم ردحا من الزمن . وقد قام الايطاليون بتجنيد ٦٠٠٠ ستة آلاف مقاتل عربى على نحو ما أوضحه « بدى ريو » الذى أبدى دهشته وتعجبه من عدم قيام البريطانيين بتجنيد مقاتلين محليين من عدن حينذاك .

وكان الايطاليون فى مقديشيو كما يقول « جاكوب » يمنحون كل مجند

من هؤلاء ١٢ روبية لا غير يشترون منها ملابسهم ولا يحصلون على وجبات غذائية الا اذا توغلوا فى داخل البلاد حيث كانوا يعملون فى إزالة الغابات لشق الطرق . وكان يسمح لهم بالعودة الى أوطانهم بعد عامين من الخدمة العسكرية . أما من يؤثرون منهم البقاء هناك فكان يسمح لهم بالأشتغال بالتجارة على أنهم كانوا معرضين للاستدعاء للالتحاق بالقوات الاحتياطية الايطالية على أن يمنح كل منهم فى تلك الحالة ثلاث روبيات (١) ،كان المجندون العرب يتزوجون من نساء القبائل الصومالية نظرا لأنه كان محتما عليهم أن يتركوا زوجاتهم فى الجزيرة العربية .

وكان « الكولونيل بود ريرو » – كما يقول « جاكوب » – يهتم برجاله اهتماما شخصيا ويختلط بهم دون قيود ،لأنه كان يدرك أهمية الاتصالات الشخصية فى تنمية ولائهم حتى انه كانيفصل من لا يستبد من ضباطه فى معاملتهم حتبى لا يتعرض نظام اشرافه « الابوى » للانهيار .

كما أنه كان يتبع نظاما معتدلا فى التأديب ولهذا فان الجلد كان محرما على حد قوله « فنحن لا نستعمله كما تفعلون انتم (يقصد البريطانيين) » .

وقد استفسر « جاكوب » من الكثيرين من المجندين العرب عن كيفية معاملة اللطان لهم فوجدهم راضين عن طريقة المعاملة لديهم . فالضابط الايطالى كان أكثر اتصالا برجاله من الضابط البريطانيين . وقال « جاكوب » أيضا أنه رأى ضابطا ايطاليا فى الحبشة يبادل جنديا من الجالا الأحباش قبعته تبين أن غطاء رأس الجقندى لا يقه من حرارة الشمس المحرقة .

وبلغ تقدير هؤلاء المجندين « لبودريو » الذى اكتسب شعبية هئلة أن دعى له المصلون فى أحد مساجد مقديشيو بالتوفيق والحماية عندما غادر البلاد ليتقلد منصبه كقائد لاحدى الفرق الايطالية التى كانت تقاتل فى جبال الالب ضد القوات النمساوية . وقد حاول « بودريرو » ان يعلم رجاله المجندين من العرب اللغة

١ - لم تشر الوثيقة الى أن هذا المبلغ كان يصرف يومياً أم شهريا ويرجح أنه كان يصرف يومياً

الايطالية بما يعمق ولاءهم لايطاليا كما أنه لم يكن يضيع أى وقت فى الاستعراضات العسكرية الرسمية . وكان تدريبهم على الأسلحة الصغيرة يتم فى حرص بالغ ، كما كان معظمهم مسلحين بالبنادق .

وقال « جاكوب » فى كذكرته أنه قد أورد تلك المقتطفات من حديثه مع الضابط الايطالى « بودريـرو » ليؤكـد ما أوضحـته التقـارير السابقـة عـن الطريـقة الماكـرة التى كانت تتبعـها ايطاليـا فى نشـر نفـوذها فى شـبه الجزيـرة العربية وعلى الساحل الشرقى للبحر الأحمـر بوجه خاص . وكان أسلوبهم يقوم على « طلينة Italization » العديد من العرب تدريجيا فى تلك امناطق . ولا يخفى أنهم قاموا منذ أعوام قليلة خلت بالتعامل مباشرة مع سلطان الشحر والمكلا فى جنوب الجزيرة العربية لكل ينشئوا جهازا للبرق « Marconi System » فى المكلا . وقد أكد قضاة تلك المدينة « لجاكوب » أن الطليان كانوا يفتشون المراكب الشراعية التى تحمل اعلاما عربية بحجة أنها سفن عثمانية – أثناء حرب طرابلس الغرب – كأنه لا توجد سيادة عربية معترف بها هناك .

وأوضح « جاكوب » فى مذكرته أنه كان يعلم بأن علاقة الايطاليين بالادريسى قد قطعت بعد عقدهم معاهدة الصلح مع الاتراك . ولهذا فان الادريسى اراد أن يحصل عن طريق البريطانيين على الأسلحة والذخائر الاطالية التى اعتاد رجاله استعماله بكفاءة فائقة . ورأى « جاكوب » أن الايطاليين كانوا يهدفون الى بسط نفوذهم على سواحل اليمن المطلة على البحر الاحمر والمواجهة لمستعمرتهم ارتيريا على الساحل الأفريقى للبحر المذكور . ولهذا فقد اقترح على حكومته تدعيم النفوذ المادى والمعنوى للبريطانيين فى عدن ومنطقة البحر الأحمر حتى يمكن مواجهة الاطماع الاطيالية . وقال « جاكوب » ان فكرة استقلال شبه الجزيرة العربية يمكن أن تسبب متاعب كثيرة للبريطانيين فى عدن وللمصالح البريطانية فى منطقة البحر الأحمر بوجه عام فعلى الرغم من أن الحكم العثمانى للجزيرة قد ساءت اساليبه واشاع الارهاب والرعب بين سكان الجزيرة . فإن انسحاب العثمانيين من هناك دون وجود ادارة حازمة مستقرة سوف يؤدى الى زيادة

سفك الدماء واشاعة السلب والنهب بما يضر كثيرا بالمصالح البريطانية فى عدن والبحر الأحمر حينذاك (١) .

أما المذكرة الثانية التى كتبها « الكولونيل جاكوب » المساعد الأول للمقيم السياسى البريطانى فى عدن والتى ارسلت الى حكومة بومباى رفق كتاب المقيم السياسى « الميجور جنرال السير جورج يونجهاسبند » فى ٢٣ سبتمبر سنة ١٩١٥ ، فقد تناولت تلك المذكرة عرضا للخطة السياسية للبريطانيين فى عدن والخاصة بالمنطقة المتاخمة لها فى جنوب اليمن أثناء الحرب الكبرى الأولى ، وهى مؤرخة فى ٩ سبتمبر سنة ١٩١٥ (٢) .

اذ أوضح « جاكوب » فى تلك المذكرة أنه فى حالة انسحاب الاتراك العثمانيين من اليمن فان الوجه السياسى للمنطقة المتاخمة لعدن سوف يتغير حتما تغيرا جذريا . اذ أن امام صنعاء سوف ينقل مركز قيادته الى الجنوب وتنشأ بذلك مصادمات بينه وبين نفوذ من وجود الترك فى اليمن ليرهب بهم القبائل القوية التى ستهاجم قواته الضرائب المختلفة مستندا الى وجود الترك كقوة رادعة هناك .

على أن الامام يحى – كما يؤكد جاكوب – قد استاء كثيرا من سيطرة الترك على لحج التى كان يعتبرها حكرا له . وكان الامام قدعقد معاهدة سرية

---

1 - I. O. L. B. 216. Secret, From Majan General Sir George Younhusband, K. C. I. F.,C. B. Political Resident, Aden to the Secretary to Government of Bombay, Political Department No. C. 694, Aden Residency, 1 st - 4rd September 1916, Enclosure No. 1 Memorandum on the employment by Italians at Mogadiscio o Askaris From Arabia by H. F. Jacob, First Asststant Political Resident dent Aden, 8 th September 1915, PP. 2, 4.

2 - 1 - I. O. L. B. 215. Secret, From Majan General Sir George Younhusband, K. C. I. F.,C. B. Political Resident, Aden to the Secretary - to Government of Bombay, Political Department No. C. 694, Aden Residency, - 1 st - 23rd September 1915, Enclosure No. 2 Memorandum on the Political of our Hinterland, By H. F. Jacob, Lieutenant - Colonel, First Assistant Resident Aden, 9 th September 1915, PP. 4 - 7.

دفاعية هجومية مع السلطان أحمد فضل العبدلى . وفى نفس القوت استاء الامام كثيرا ن قصف البريطانيين لميناء « الشيخ سعيد » ، والتى قال أنها جزء من ممتلكاته القديمة ، وأنه يطمع فى أن يتعيد حكمه وسيطرته على هذا الجزء الواقع فى أقصى جنوب غرب الجزيرة العربية .

وقد توقع « جاكوب » أنه عند جلاء الترك عن اليمن فان الامام يحيى سيحاول أن يسيطر على المناطق التى كانوا يحتلونها هناك مما سيؤدى الى اصطدامه بالبريطانيين فى عدن . وسوف يحاول الامام أن يستقطب الى جانبه رؤساء القبائل المحيطة بعدن على وجه الخصوص وسوف ينحاز هؤلاء الى جانب الامام يحيى اذا رأوا البريطانيين ملتزمين الصمت . وأكد « جاكوب » أنه سيكون من العسير على البريطانيين أن يتملصوا من المعاهدات التى عقدوها مع تلك القبائل والتى كانت تقوم على محورين أولهما امتناع تلك القبائل عن التنازل عن أراضيها لأية قوة أجنبية ، وثانيهما السماح للبريطانيين بحرية الدخول فى اراضى تلك القبائل . وتوقع « جاكوب » ان القبائل سوف تلتزم بالمحور الأول لانها بذلك كانت تتلقى أموالا من البريطانيين نصت عليها تلك المعاهدة ، بينما يعتبر المحور الثانى مثيرا للسخرية . فقد كان العرب مسموحا لهم بدخول عدن والاقامة فيها مع تلقى الهدايا والهبات . بينما كان دخول البريطانيين الى تلك المناطق مثيرا للشكوك فى اعتزامهم ضمها الى منطقة نفوذهم والحاقها بعدن ، ولهذا كانوا يقابلون بالرفض والمعارضة . وقال « جكوب » أن البريطانيين عليهم أن يتيحوا الفرصة لتلك القبائل ليتعرفوا على البريطانيين عن قرب ، ويوطدوا علاقتهم بهم .

ثم تحدث « الكولونيل جاكوب » فى مذكرته موضحا موقف البريطانيين فى عدن إزاء الادريسى فى عسير أثناء فترة الحرب الكبرى (الأولى) وعلاقة الادريسى بالامام يحى والاتراك فى سنة ١٩١١ ، الى العداء السافر بعد عقد هذا الاتفاق أى بعد الحرب الايطالية العثمانية فى طرابلس الغرب . وأشار « جاكوب » الى أن التحالف بين الامام الزيدى والادريسى الشافعى السنى انما يؤكد أن المصلحة المشتركة كانت تتغلب على الاختلافات المذهبية فى أحيان كثيرة ، وقال ان هذه الظاهرة يمكن للبريطانيين أن يستفيدوتا منها عندما يوفقون بين المصالح المتصارعة

لكل من الامام يحيى والادريسى من جهة أخرى بعد خروج الاتراك العثمانيين من المنطقة المحيطة بعدن ومن الجزيرة العربية بوجه عام . كما قال « جاكوب » أسيضا أن البريطانيين أوضحوا فى معاهدتهم التى عقدوها مع الادريسى أنهم لا يرغبون فى ضم أراضى جديدة الى منطقة نفوذهم فى جنوب غرب الجزيرة العربية . ولكنه أوضح أن انتهاك الاتراك لحرمة الاراضى الخاضعة للحماية البريطانية وخاصة منطقة لحج القريبة من عدن يفرض على البريطانيين ضرورة اجراء بعضالتعديلات فى سياستهم وبالتالى فى اتفاقياتهم السابقة .

وأشار « جاكوب » الى موقف ابن ناصر مقبل حاكم ماوية الذى كان يكره الأتراك والامام يحيى . فى الوقت الذى لم يشعره البريطانيون بنواياهم فى اجتذاب الى جانبهم مما اضطره الى الانحياز الى جانب الاتراك على الرغم من أنه لم يبد للبريطانيين أى مظهر من مظاهر العداء مما لا يجعلهم يتوقعون اثارة زى صدام معه فى حالة جلاء الأتراك عن اليمن . وأوضح « جاكوب » أن منطقة ماوية منطقة خصبة ونية شأنها فى ذلك شأن الحجرية التى كان يسودها نفوذ ابن ناصر مقبل ، بل أن نفوذه كان يمتد أيضا الى مرفأ « الشيخ سعيد » . وكان الامام يحيى يتطلع الى بسطنفوذه على كل هذه المناطق .

وقال « جاكوب » فى مذكرته أن ممثل الادريسى قد استفسر من المقيم السياسى البريطانى فى عدن عن الأسباب التى تحول دون اتيلاء البريطانيين على منطقة « الشيخ سعيد » على حد تعبيره ، خاصة وأن الادريسى نفسه لن يتعرض على ذلك لأن تلك المناطق والموانى كانت فى حوزة الاتراك من جهة ، كما كان الامام يعتبر نفسه اوريث الشرعى لليمن بأكماه من جهة أخرى . وواضح أن هذه الاسباب تتبلور فى عدم زغبة بريطانيا تحمل مسئولية فتح جبهات متعددة لقواتها فى الجزيرة العربية أثناء الحرب الكبرى الأولى .

أما فيما يتعلق بالقبائل اليمنية الاخرى المجاورة لعدن واتى تتقاضى مشاهرات من البريطانيين هناك فقد انضم بعضها أيضا الى جانب الترك وخاصة سلطان الحواشب الذى اقتحم الترك بلاده ولم يجد بدلا من الانضمام اليهم ، بل أنه ساعدهم أيضا فى هجوم على لحج والسيطرة على أملاك جاره ومنافسه السلطان

العبدلى . ولهذا رأى « جاكوب » أن توضع أملاك الحوشبى بعد استعادتها تحت حكم السلطان العبدلى الذى بذل رجاله كل مجهودهم لوقف زحف الاتراك على بلادهم والذين استقروا فى عدن بعد أن ضاعت ثرواتهم .

وتحدث « جاكوب » عن أهمية انشاء خط للسكك الحديدية فى المنطقة المحيطة بعدن فى جنوب اليمن وخاصة ما بين عدن ولحج ، من ناحية تسهيل توصيل المواد الغذائية الى عدن وربطها بالمناطق الداخلية ، فضلا عن أن أى مشروع لتزويد عدن بالمياه من تلك المناطق لن يتحقق له النجاح الا بانشاء هذا الخط الحديدى . بل أن أهمية هذا الخط لها خطورتها من الناحية الاستراتيجية اذ لو كانت لدى البريطانيين فى عدن طرق ممهدة الى لحج أو خط حديدى لتفادى البريطانيين الانهيار اذى حدث للحج سيطرة الأتراك عليها فى سنة ١٩١٥ . كما أن مشروع اقامة مستشفى أو مصحة للبرياطيين فى المناطق المرتفعة فى الداخل كان يمكن أن ينجح اذا ما انشئ خط للسكك الحديدة بين عدن وتلك المناطق . وقد قدم « جاكوب » فى مذكرته عدة اقتراحات لتدعيم نفوذ البريطانيين فى عدن والمنطقة لضمان استمرار ولائهم للبريطانيين هناك . كما اقترح أيضا تجنيد رجال القبائل اليمنية لخدمة السلطات البريطانية فى عدن . وقد استفسر « جاكوب » من بعض الذين جندهم الايطاليون عن سبب ذهابهم للعمل بعيدا فى مقديشيو ، فأجابوه لأن البريطانيين لم يطلبوا منهم ذلك وهم فى حاجة للحصول على أواتهم . ولهذا اقترح « جالكوب » اختيار مائتيين الى ثلاثمائة رجل على سبيل التجربة ، وقال أن رجال القبائل يتميزون بأنهم محاربون مهرة وأن استخدامهم كمقاتلين يسرهم كثيرا ويرضيهم أيضا ، وأبدى ثقته فى أن هؤلاء سنضمون جماعات تحت اللواء البريطانى .

كما أبدى « چاكوب » أيضا فى مذكرته اقتراحات سبق أن قدمها من قبل فى سنة ١٩٠٦ غير أنه لم يلق اهتماما حينذاك . وهو انشاء مدرسة لأبناء السلاطين والأمراء وشيوخ القبائل المحيطة بعدن علياً نتشر بينهم المثل البريطانية بذكاء بحيث يدينون بالولاء لبريطانيا منذ نعومة أظفارهم . وقال « جاكوب » أنه

طالما القيت البذرة فانها ستنمو . وأضاف الى ذلك قوله أن شبه الجزيرة العربية لن تبقى مستقلة وأن ثمة قوة أوربية لابد وأ تسيطر عليها ، ولهذا فقد أوضح أن هذه القوة ينبغى أن تكون قوة البريطانيين التيأعجب الكثيرون من حكام المنطقة بسياستهم وأساليب ادراتهم المتمثلة فى عدن بطبيعة الحال .

كما أوصى « جاكوب » فى مذكرته بضرورة ايفاد بعثات طبية بريطانية الى عدن والمنطقة المحيطة بها والتى تحدث آثارا طيبة فى اجتذاب سكان المنطقة الى جانب البريطانيين . وذكر « جاكوب »زن ارسال البعثات الطبية كان له أطيب الأثر فى بلاد الهند وأنه يمكن تنفيذ ذلك فى المنطـقة امتاخمة لعـدن . وقال أيضا أن « الدكتور هاربور Dr. Harpur » أحد أعضاء « جمعية التبشير الكنسيةChurch Missionary Society » قد افتتح عيادة طبية فى الضالع شمالى عدن ، غير أن سلطات عدن استدعته من هناك حرصا عليه من عدوان الاتراك وكان أمير اضالع يعارض فى رحيله . كما أشار « جاكون » أيضا الى أن بعض الأطباء البنريطانيين قد عملوا أيضا فى عدن و « الشيخ عثمان » وغيرها أمثال « الدكتور يونجDr. Young » و « الدكتور ماك راى » اللذين كانت أعمالهما الانسانية ذات أثر بالغ فى نشر « الرنين » البريطانى فى المنطقة على حد تعبيره .

وأخيرا أوضح « جاكوب » فى مذكرته أن لدى البريطانيين فى عدن مجال هام للغاية للعمل على نشر النفوذ البريطانى فى البحر الأحمر وخليج عدن . وتساءل عن سبب عدم قيام البرياطنيين بزيارة واحل حضر موت خاصة وأن تلك المنطقة كانت مطمحا للبا العالى والامام يحى فى الآونة الاخيرة حينذاك (فى سبتمبر) . كما أن نشاطهما قد ظهرت بوادرة هناك . وأكد « جاكوب » أن عقل العربى يستقر فى برصه ، ولهذا فهو لا يستطع أن يدرك وجود دولة ليست حاضرة أمام ناظرية ، مما يحتم على البريطانيين ضرورة تأكيد وجودهم فى تلك المنطقة ، خاصة وأنه قد أشار الى احتمال أمكانات هائلة على ساحل حضر موت فى التعدين والنفطفضلا عن أهمية التجارية التى يجب أن تدفع البريطانيين الى العمل . وقال « جاكوب » أن المقيم السياسى البريطانى فى عدن متنبه لهذه الأمور

وأنه حاول زيادة حضر موت غير أن زيادته ارجئت لضرورة أثناء الحرب القائمة حينذاك ويقصد بها الحرب العالمية الأولى بطبيعة الحال .

ومن هنا يتضح لنا أن البريطانيين فى عدن كانوا يتتبعون باهتمام بالغ نشاط القوى المعادية والصديقة فى منطقة البحر الأحمر – ومن بينها عسير – أثناء الحرب العالمية الأولى ، كما يتضح ذلك من خطابات ومذكرات وتقارير المقيم السياسى البريطانى فى عدن ومساعديه وكبار الضباط والمسئولين فى مختلف المجالات هناك . وكانت السلطات البريطانية فى عدن ترفع توصياتها الى حكومة الهند البريطانية وتبدى اقتراحاتها المتعلقة برعاية المصالح البريطانية يرسمون سياستهم واستراتيجيتهم لمواجهة كافة الاحتمالات المتوقعة ، بالاضافة الى الخطوات الايجابية التى يخطونها على طريق تحقيق مصالحهم فى تلك المنطقة الهامة حينذاك .

– تطور العلاقات بين البريطانيين فى عدن والادريسى فى عسير أثناء الحرب العالمية الأولى من خلال الخطاب المرسل من « بريجادير جنرال برايس » المقيم السياسى البريطانى فى عدن الى سكرتير حكومة بومباى فى ٢٧ يناير سنة ١٩١٦ والذى يشير فيه الى زيادة « الكولونيل جاكوب » لمحمد الادريسى فى عسير . وقد تكمت هذه الزيادة فى اليوم السادس من الشهر المذكور ، ورافق « جاكوب » فيها بعض الضباط فى عدن ورحب الادريسى بهم جميعا ترحيبا حارا وتبادل الآراء معهم مما جعل « برايس » على ثقة من نتائج تلك الزيادة التى وصفها حينذاك بأنها « مثمرة » (١) .

وأشار « برايس » الى أن الجانبين البريطانى والادريسى قد بحثا مسألة تأمين

---

1 - I. O. L. Secret, From Brigadier General C. H. M. Price, C. B., D. S. O., Political Resident, Aden to the Secretary to Government Political department, Bombay, No C. 80., Aden Reth Idrissi Saiyid Muhammed Bin-Ali Bin Muhammed Bin Ahmed sidency 27 January 1916., PP. 1. 2. Enclosure, Report of a visit to at Jazan By H. F. Jacob, Lieutent Colinel, Firdst Assistant Rasident, Aden Residency, 17th January 1916 PP. 3, 7

نقل وتبادل التجارة بين موانى الادريسى وموانى الحجاز والتى تم تحت ستارها وصول بعض البضائع الى موانى الأتراك خلال العاملين الأولين من سنى الحرب الكبرى (الأولى) . وأدى عدمتوفر ما يثبت هوية السفن الادريسية ويميزها عن غيرها الى ظهور صعوبات جمة أمام السفن البريطانية التى كانت تقوم بأعمال الحراسة وحماية سفن الحلفاء فى البحر الأحمر . غير أن الادريسى أوضح « لجاكوب » أن وقف تبادل التجارة بين موانيه فى عسير وموانى الترك فى الحجاز كان يؤثر تأثيرا ضارا على مصالح شعبه نظرا لأن ذلك يحرمهم من مصدر للغلال تكون أسعارها فى أرخص من الأسعار الموجودة لدى أية مصادر أخرى . ولهذا اقترح « برايس» على حكومة بومباى اغفال هذا الموضوع حتى لا يتعرض مركز الادريسى ازاء شعبه للحرج ويؤثر ذلك بالتالى عل موقفه المعادى ازاء الاتراك حينذاك .

كما أوضح « برايس » فى خطابه الى حكومة بومباى أن كميات الكيروسين التى كانت تصدر من عدن قد انقضت أثناء الحرب مما جعل الادريسى يطلب بالحاح استمرار امداه بكميات الكيبروسين المعتادة . واقترح « برايس » الموافقة على تلبية مطلبه لضمان استمرار ولائه للبريطانيين .

وذكر « برايس » فى خطابه أن العرب يلقون اللوم على الاتراك نتيجة للقيود المفروضة عليهم . وأن ذلك يتفق تماما مع المصالح البريطانية حيث أن ذلك يستثير الوقيعة بين الأهالى وبين الاتراك ، بينما يبعد الأهالى عن البريطانيين كل مسئـولية .

وقد اقترح « جاكوب » فى تقريره منح الادريسى الفروسية البريطانية وذلك لضمان ولائه لبريطانيا ، غير أن « برايس » المقيم السياسى البريطانى فى عدن أشار الى أن ذلك الأمر سابق لأوانه . وقد أبدى الادريسى « لجاكوب » تقديره للقائد البريطانى « كراوفورد » على التعاون الذى أبداه لتوطيد علاقته مع البريطانيين .

وقد أبدى « برايس » فى ختام خطابه تقديره المبالغ « للكولونيل جاكوب » مساعد المقيم السياسى البريطانى فى عدن نظرا لمقدرته الفائقة وبراعته النادرة فى

تنفيذ مهمته لتوطيد العلاقات بين البريطانية فى عدن والادريسى فى عسير ، خاصة وأن « جاكوب » كانت له خبرة ودراية بشئون المنطقة ، فضلا عن اتقانه اللغة العربية مما ساعده كثيرا فى ادراة حوار مفيد أدى الى نجاح مهمته .

أما عن التقرير الذى وضعه « جاكوب » والخاص بزيارته للادريسيفى يناير سنة ١٩١٦ – والذى أرسله « البريجادير جنرال برايس » المقيم السياسى البريطانى فى عدن رفق خطابه فى اليوم السابع والعشرين من الشهر المذكور – فقد أوضح فيه « جاكوب » أن الادريسى حرص على عدم اظهار علاقته مع البريطانيين لشعه حتى لا يتأثر مركزه الدينى لدى اتباعه نتيجة لاتصاله وتحالفه مع غير المسلمين (١) .

وقد ناقش « جلكوب » مع الادريسى موضوع انتقال التجارة والمؤن من الموانى الادراسية الى موانى الحجاز التابعة للاتراك . وقد أكد الادريسى « لجاكوب » عدم وصول أية مؤن من مرافئة الى موانى الترك فى الحجاز وأن كان قد اعترف بمكانية تهريب أية بضائع الى هناك . ولهذا طلب الادريسى تشديد الحراسة من قبل السفن البريطانية لوقف عمليات التهريب المحتملة . وبالنسبة لاحتمال استخدام جزر فرساى كمخبأ للسفن التركية المعادية ، فقد أجال الادريسى بأن هذا مستبعد لأن هذه الجزر لا ترسو بها سوى قوارب صيد اللؤلؤ التابعة له حينذاك .

على أن « جاكوب » قد أبدى فى تقريره اعتقاده الشخصى بأن وقف التجارة مع جدة اجراء غير سياسى لأن جدة ميناء عربى واسلامى بارز وان محاصرته من شأنها اثارة مساعر العرب والمسلمين ضد بريطانيا فى وقت تحتاج فيه الى كسب ودهم . كما أن حصار جده من شأنه أن يحرم موانى الادارسة من تجارتها المفتوحة على الهند والسودان وغيرهما ، فضلا عن أن ذلك يؤدى الى ارتفاع الاسعار مما

---

1 - I. O. L. B. 216. Secret, From Brigadier General C. H. C. Price, C. B., D. S. O. Political Resident, Aden to the Secretary to Government Political Department Bombay,No. C. 80, Aden Residency, 27th January 1916., PP. 1. 2.

Enclosure Report of a Visit to the Idrissi Saiyid Memorandum Bin Ahmed at Jazan, By H. F. Jacob, Lieutenant Colonel, First Asststant Resident Aden, Residency, 17 th January 1916, PP.3,7.

يثير سخط لجميع على البريطانيين وهو أمر تحرص السياسة البريطانية على تلافيه .

وقد أكد الادريسى « لجاكوب » حرصه على عدم ارسال أية مؤن أو ذخائر الى الاتراك عبر بلاده . وانه على زوارق الحراسة البريطانية فى البحر الأحمر مسئولية مراقبة السواحل للحيولة دون وصول أية تموينات اليهم . كما وافق الادريسى على أن يحمل رجاله من العاملين فى السفن تراخيص وشهادات واعلام حتى تميزهم سفن وزوارق المراقبة البريطانية عن غيرهم .

وقال « جاكوب » فى تقريره انه قد تأثر غاية الأثر بمشاعر العداء التى يكنها الادريسى للاتراك وبعدم تصديقه لوعودهم . وقال الادريسى أن الرأى العام فى عسير كان متعاطفا معهم بوصفهم مسلمين غير أن تلك النظرة قد تغيرت بعد انضمام الترك لألمانيا « التى كانت تحارب من أجل التوسع » واوضح «جاكوب » ان الادريسى كان واثقا من أن الحلفاء سينتصرون فى المدى الطويل ، ولكنه كان يخشى أن يعقد الجانبان المتحاربان صلحا يترك الأتراك مسيطرين عل الممتلكات التى كانوا يحتلونها فى شبه الجزيرة العربية حينذاك .

وقد استفسر « جاكون » من الادريسى عما يفعله مع الاتراك على الحدود المباشرة بين عسير والحجاز . فأجاب الادريسى بأنه يحتجز قوات العدو التى لولاه لوجهت الى لحج . غير أنه أبدى حاجته الماسه للمؤن والذخائر وأعطى عينات منها الى « الميجور برادشو » الذى رافق « جاكون » فى تلك الزيارة . وأشار « جاكوب » الى أن المراكز التركية المواجهة للادريسى وخاصة فى « اللحية » كانت قوية التحصين مما يستلزم مساعدته وتدعيم قوته حتى لا يصبح هدفا لحركة انقضاض قوية من قبل الاتراك كان يساعدهم الامام يحيى بالمؤن والرجال عل نحو ما أكده الادريسى .

وقال « جاكوب » ان الادريسى أوضح له أن الكثيرين من الجنود العثمانيين يهربون من الخدمة ويلجأون اليه بعد أن يتسكعوا حول جيران وميدى . وقد قدم الادريسى « لجاكون » اثنين من هؤلاء أحدهما تركى وآخر عربى لترحيلهما الى عدن . كما عرض الادريسى على « جاكون » صندوقا مملوءا بالديناميت وأكد له

أنه نقل الى جيران لتدمير داره هناك بتحريض من الأتراك .

وأشار « جاكوب » فى تقريره أيضا الى أن الادريسى نشط الى حد بعيد فى استعماله رجال القبائل حتى أنه استقبل فى جيزان مائتى مندوب عن قبائل عسير . كما أنه حاول أن يتقرب الى القبائل اليمنية القوية من أمثال حاشد وبكيل ، وأنه كان فى إمكانه اجتذاب هذه القبائل للانضمام الى جانب البريطانيين ضد الأتراك اذا منحوا مبالغ مالية هى فى حقيقة الأمر رشوة محضة .

أما بالنسبة لموقف الادريسى ازاء الامام يحيى فى ذلك الحين فقد أوضح «جاكوب » أنه قد تحول من التحالف – قبل اتفاق الامام مع الترك فى سنة ١٩١١ – الى العداء السافر بعد عقد هذا الاتفاق . ولهذا حاول الادريسى اجتذاباتباع المذهب الاسماعيلى فى نجران الى جانبه باعتبارهم عدين مذهبيا للامام يحيى زعيم الزيديين . وأشار « جاكوب » إلى أن جهود الادريسى حينذاك منصبه على العمل الدبلوماسى ، وأنه مالم يحصل على الاسلحة والذخائر اللازمة فانه لن يتمكن من القيام بعمل جرئ حاسم ضد الاتراك .

واستفسر « جاكوب » من الادريسى عن رأيه فى الشريف حسين فى الحجاز فأجابه الادريسى بأنه كا يتطلع الى معرفة اتجاهاته ازاء البريطانيين . غير أن الادريسى كان يبجل الشريف حسين ولكنه لم يكن يعرف ما يكنه ازاء الترك . بل أنه يعتقد أن الشرى ف كان ضعيفا لا يستطيع أن يعادى الأتراك مما كان يجبره على اعلان صداقته له . وكان حديثه عن الحكومة البريطانية يتسم بالاكبار والتقدير لمشاعرهم ازاء المسلمين . وقا « جاكوب » أيضا أنه قد بهره ذكاء الادريسى الحاد الذى تأثر بنشأته وتعليمه فى الأزهر كما لمس أنه مرح وتقى وورع وأنه كان يقضى معظم وقته فى ممارسة الشعائر الدينية كأفضل ما يليق بمركزه كزعيم للطريقة الاحمدية وأضاف ما يليق بمركزه كزعيم للطريقة الاحمدية . وأضاف « جاكوب » قائلا أن الادريسى كان لا ينتقل كثيرا فى وضح النهار ولكنه كان يمارس معظم أعماله ليلا .

واختتم « جاكوب » تقريره عن زيارته للادريسى بقوله أنه سوف يوجز هذا

التقرير المطول بالتأكيد على أهمية مساعدة الادريسى بشتى الوسائل الممكنة من أسلحة تمكنه من مواجهة الاتراك ، وم أموال تساعده على تأليب القبائل عليهم ، وأعتقد « جاكوب » ان ذلك هو استثمار سليم . كما اقترح أن تمنح الحكومة البريطانية الادريسى وسام الفروسية أو تخلع عليه لقبا دينيا مناسبا ، حتى يكون هذا التقدير حافزا له على التفانى فى خدمة المصالح البريطانية فى منطقة البحر . وعلى مقربة من عدن فى تلك الفترة الهامة أثناء الحرب « العالمية الأولى » .

ومما يزيد من توضيح تطور علاقة البريطانيين فى عدن بالادريسى فى عسير أثناء الحرب العالمية الأولى أيضا ذلك الخطاب الذى أرسله « البريجادير جنرال برايس J. H. U. Price » المقيم السياسى البريطانى فى عدن الى سكرتير حكومة الهند – القسم السياسى فى بومباى – فى اليوم التاسع والعشرين من يناير سنة ١٩١٦ أى فى أعقاب سقوط لحج فى ايدى القوات العثمانية . وقد أرفق « برايس » بخطابه صورة من خطاب آخر له كقائد عام للقوات البريطانية فى عدن الى رئيس هيئة الاركان العامة للقوات البريطانية فى الهند والمؤرخ فى ٢٠ يناير سنة ١٩١٦ وامتضمن تقريرا عسكريا قدمه « الميجور برادشو » ضابط الاركان العامة فى عدن الذى رافق « الكولونيل جاكب » مساعد المقيم السياسيهناك فى زيارت الأخيرة للادريسى فى عسير والتى سبق أن عرضت نتائجها من خلال عرض تقرير « جاكوب » نفسه . فقد أشار « برايس » الى أن « برادشو » قد ذكر فى تقريره أن الادريسى قد أوضح للبريطانيين فى شهر نوفمبر سنة ١٩١٥ كافة الترتيبات التى أعدها للاستيلاء على ميناء « اللحية » من القوات التركية المسيطرة عليه . وان البريطانيين قدمواو له المعونه البحرية لتحقيق هذا الهدف . غير أن الاتراك كانوا قد عزموا قوتهم هناك عربية وتركية مسلحة بالبنادق والذخائر تمكنت من السيطرة على المواقع الطبيعية ذات الاهمية الاستراتيجية فى الداع عن المدينة ، مما اضطر قواته الى التراجع عنها . وقد حدث ذلك فى الوقت الذى كان يعمل فيه على كسب تأييد قبائل اليمن القوية لنفوذه السياسى وذلك بفضل المساعدات التى تلقاها من البريطانين بموجب المعاهدة التى عقدها معهم فى ٣٠ ابريل سنة ١٩١٥ ووفقا للسياسة التى اتبعها البريطانيون معه حينذاك .

وقد أكد « الميجور برادشو » أن الادريسى يعاون البريطانيين معونة ملموسة فى اعاقة الترك عن الاتصال بالقبائل العربية وضمها الى جانبهم ، كما قام بشغل الترك عن توجيه قوات أخرى الى لحج لتعزيز حاميتهم هناك وقد وردت أنباء الى البريطانيين فى عدن تفيد بأن كتيبتين عثمانيتين قد سحبتا مؤخرا من منطقة الحدود المواجهة لقوات الادارسة فى شمال اليمن واتجهتا صوب لحج . وقال « الميجور برادشو » أن الادريسى طلب بالحاح امداده بكميات من الذخيرة التى يمكنه استخدامها بواسطة البنادق الايطالية ، وكانت ايطالى قد أبدت له عدم استطاعتها تزويده بالذخائر المطلوبة وهى من طراز « وترلى Weteri » ولهذا فانه لا يعلم من أين يأتى بمثل هذه الذخرة اذا لم توفرها له ايطاليا والتى بدونها سيكون عد هائل من اتباعه غير مسلحين وغير مؤثرين بالتالى فى المعرك الحربية التى كا عليه أن يخوضها ضد القوات العثمانية .

وقد تساءل « الميجور برادشو » عما اذا كان فى مقدور حكومة الند البريطانية توفير كميات الذخيرة التى طلبها الادريسى بنوعياتها المختلفة كما أوضح أن سلطات عدن زودت الادريسى بمليون طلقة من طراز « ليجرا Le Gra » منذ نشوب الحرب . غير أنها تلقت رسالة منه يطلب فيها امداده بميلون طلقة أخرى بالاضافة الى ألف بندقية من نفس الطراز حتى يتمكن من تسليح قواته .

وقال « الميجور برادشو » فى تقريره الذى زعه الى حكو،مة الهند البريطانية « البريجادير جنرال برايس » القائد العام للقوات البريطانية فى عدن ان الادريسى اتصل بالفرنسيين فى جيبوتى وطلب منهم تزويده بالبنادق والذخيرة اللازمة له ، غير أنهم أبدوا عدم استطاعتهم مساعدته فى ذلك الحين . ولهذا فقد طلب « برايس » من وزير الدولة لحكومة الهند البريطانية القيام بالتصلات اللازمة مع الحكومة الفرنسية لاجابة مطالب الادريسى . وعبر « برايس » عن رأيه فى ضرورة قيام بريطانيا بتزويد الادريسى بالأسلحة والذخائر اللازمة له وذلك نظرا لأن الدور المناط به القيام بتنفيذه ضد الترك حينذاك كان يستلزم تقديم تلك المساعدات اليه . وقد احضر « الميجور برادشو » الى عدن عينات من قذائف التى طلبها الادريسى ، ولهذا فقد

طلب « البريجادير جنرال برايس » أفادته برقيا عن الجهة التى ينبغى أن يبعث اليها بتلك العينات من القذائف للاتفاق على كيفية استيرادها لتزويد قوات الادريسى بها .

وقد ذكر « البريجادير جنرال برايس » أن « الجور برادشو » قد أوضح فى تقريره بيانا بامكانات الادريسى واسلحته ، وجاء فى هذا البيان أن الادريسى كانت لديه حينذاك ثلاثة آلاف بندقية تركية من طراز « موزر Mauser » مع كمية ضئيلة جدا من ذخيرتها . ولهذا رأى « برايس » أنه اذا كان قد أمكنن الحصول على كمية من الذخيرة الحربية سبق الاستيلاء عليها فى جبهة العراق ، فانه يناشد حكومة الهند البريطانية أن ترسل كمية منها الى عدن للاحتفاظ بها والافادة منها وقت الحاجة لتدعيم حلفاء بريطانيا فى الجزيرة العربية ومنطقة البحر الاحمر بوجه عام أثناء الحرب الكبرى ـ الاولى) .

وجدير بالذكر أن « البريجادير برايس » المقيم السياسى البريطانى فى عدن قام من جانبه بارسال صورة من خطابه – المتضمن ذلك التقرير الهام الذى قدمه « الميجور برادشو » ضابط الاركان العامة فى عدن عقب زيارته للادريسى – الى كل من وزير الدولة لشئون الهند – وسكرتير القسم الخارجى بدلهى ، بل والمندوب السامى البريطانى بالقاهرة أيضا (١) . ولا شك أن ذلك يؤكد توفر عنصر التنسيق العسكرى بين مناطق نفوذ بريطانيا فى منطقة البحر الأحمر والهند والشرق بوجه عام ، وكانت عدن تمثل مركزا هاما من مراكز هذا التنسيق بطبيعة الحال .

أما بالنسبة لتقرير « الميجور برادشو » ضابط الاركان العامة للقوات البريطانية فى

---

1 - I. O. L. Secret, From Brigadier General C. H. C. Price, Price Political Resident, Aden to the Secretary to Government Political Department Bombay,No. C. 95, Aden Residency, 29th January 1916., PP. 1.

Enclosure No. I, From Brigadier - General C. H. U. Price D. S. O., Political Resident and General Officer Commanding; Aden, to th Chief of the General Staff, Army Headquarters. Delh. India, No. 4657 / 55 / G. O. Heddquarters, Aden, 29th th January 1916, PP.1 - 2.

عدن . فقد أوضح فيه تفصيلا أخرى حول طبيعة الظروف البريطانية فى عدن .
فقد أوضح فيه تفصيلا أخرى حول طبيعة الظروف المحيطة بالعلاقات البريطانية الادريسية فى تلك الفترة من الحرب الكبرى الاولى فى سنة ١٩١٦ بما يلقى كثيرا من الضوء على سياسة البريطانيين على الساحل الشرقى للبحر الاحمر بعد هجوم الترك وسيطرتهم على لحج .

فقد أوضح « برادشو » فى تقريره أنه أثناء وجوده فى جيران اجتمع مع الادريسى وتبين أمن العمليات الحربية التى قام بها ضد الترك فى شمال اليمن كانت تفتقد التنسيق السليم الى حد كبير . وقد بدا « لبرادشو » أن قوات الادريسى لم تتعرض لمطاردة الاتراك والقبائل العربية المحالفة لهم عند تراجعها وتقهقرها من « جنه » و « عيدات » فى شهر نوفمبر سنة ١٩١٥ . كما بدا له أيضا أن الادريسى لم نتكن لديه فكرة واضحة عن امكانات الترك وعدد لواءآتهم ووحداتهم العسكرية وانما كان يعتقد أن قوات الاتراك كانت تفوق قواته فى الرجال والعتاد وأن له حينذاك حوالى ثلاثة آلاف مقاتل موزعين فى جهات مختلفة بالاراضى اليمنية . وقد تبين « برادشو » أن الاتراك لم يكن لديهم قائدا قويا فى اليمن وان « راغب بك » قائدهم فى عسير كان ضعيفا ولا يخشى منا أبدا ، كما أن معظم الترك كانوا يعسكرون فى صنعاء وعلى مقربة منها بينما كان يشكل السوريون ٥٠ ٪ من اللواء العثمانى فى اليمن حينذاك .

كما تبين « برادشو » أيضا ان الجنود العرب فى الجيش العثمانى ستخطين على الترك نظرا لأنهم لم يكونوا يتقاضون مرتباتهم بانتظام ، بينما كان يحصل الاتراك على كل شئ قبل أن يحصل العرب على حقوقهم مما جعل الجنود العرب يتوقون الى التخلص من نير الاتراك وظلمهم .

وقد أكد « برادشو » ان الامام يحى والقائد التركى فى « أبها » كانا يتراسلان بين الفيئة والاخرى عن طريق رجال موثوق بهم ، مما يؤكد وجود تعاون بين الامام والتراك ضد الادريسى حينذاك . وأوضح « برادشو » ان الانطباع العام لديه حينذاك (أى فى مطلع عام ١٩١٦) يوحى بأنه لا توجد أية تحركات على

خطوط المواجهة فى عسير ، ولكنه واثق تماما من عداء الادريسى للترك منجهة ، كما كان الادريسى يناصب الامام يحى العداء بعد أن عقد الاخير صلحا مع الاتراك فى سنة ١٩١١ من جهة أخر . ولهذا فقد رأى « برادشو » ان عداء الادريسى للترك والامام يحيى يمكن أن يحقق فائدة للبريطانيين اذا ما أحسنوا الاستفادة منه .

وقال « برادشو » انه من خلال المعلومات التى تجمعت لديه يمكنه أن يؤكد وجود سبعة لواءات تركية محصورة فى مثلث تحده صنعاء شرقا والحديدة غربا ، واللحية شمالا، وهى مسلحة بعدد من المدافع والبنادق وكميات من الذخيرة . وقد توقع « برادشو » انه اذا ظل الادريسى على شمالى اليمن ، وقد تتفرغ للاتجاه ناحية الجنوب الى لحج اذا عقد صلح بين هذه الأطراف ، مما يمكن أن يشكل خطرا على البريطانيين فى عدن فى ذلك الحين .

وتوقع « برادشو » أن الادريسى لم يكن يعتزم حينذاك (أى فى مطلع عام ١٩١٦) القايم بأية عمليات أكثر من استعداه النسبى لمواجهة المفاجأت وما يمكن أن يسفر عنه الصراع الدائر بين القوى الكبرى فى الحرب . ويعزى ذلك الموقف السلبى نسبيا لسببين ، أولهما أن الادريسى لم يكن واثقا ممن سترجح كفته فى نهاية الحرب وهو لا يريد أن يورط نفسه قبل أن يتضح الموقف . وثانيهما ان الادريسى فى حقيقة الامر لم يكن فى مركز يسمح له بالهجوم على الاتراك ويضمن النتصار عليهم فى نفس الوقت . فهو على الرغم من توفر عدد كبير من البنادق لديه بالاضافة الى عدد من المدافع يساوى مالدى الاتراك بل قد يفوق مالديهم فى الجبهة الكمواجههة لعدن ، غير أن ماكان لديه من قذائف للمدافع والبنادق الايطاليا كان محدودا فضلا عن يأسه من امكانية حصوله على مزيد من تلك الأنواع من الذخيرة . وكان فى حوزة الادريسى خمسة مدافع ايطالية اغتنمها من الاتراك . كما كان لديه ما بين مائة ومائة وخمسين قذيفة لكل مدفع . وقد لمح الادريسى « لبرادشو » بأنه لا يمكنه أن يفعل شيئا بتلك الكمية من الاسلحة والذخيرة ، وانها تفى بالكاد لمواجهة الاتراك حتى لا يخضعوا لنفوذهم رجال

القبائل الموالين حينذاك .

وقد أكد الادريسى « لبرادشو » ان الاتراك قد أخضعوا اليمن بمدافعهم وانهم كانوا أقل من العرب فى عدد حملة البنادق . غير أن « برادشو » لم يتوقع من الادريسى ان يقوم بأى عمل آخر مضاد للاتراك مالم تكفل له بريطانيا تزويده بالذخائر اللازمة والبنادق ، على أن الادريسى كان يمكنه تعبئة ٣٢٠٠ مقاتل ، وان كانت الذخيرة الموجودة لديه كما يقول « برادشو » لا تكفى لتجهيزهم تجهيزا كاملا ، خاصة وان الاعراب كانوا على استعداد لتبديد الذخيرة باطلاق النار من قبيل تعبيرهم عن الفرح والسرور .

وقال « برادشو » فى تقريره ان الادريسى قد قرر أن لديه حوالى الفين الى ثلاثة آلاف بندقية من طراز « موزر Mauser » كان قد استحوذ عليها من القوات العثمانية . هذا بالاضافة الى أربعة آلاف بندقية من طراز « ليجرا Le Gras » ، وقد توفرت لديه كمية من الذخيرة الخاصة بالطراز الأخير من البنادق . وقد أكد « برادشو » أن حيازة الادريسى لهذا الخليط غير المتجانس من البنادق المختلفة يظهر قلة تبصره بشئون الحرب . ولهذا فقدأوضح فى تقريره أن البريطانيين طالما كانوا عاجزين عن امداد الادريسى وتزويده بذخائر « ويترلى Weterli » الايطالية وبعدد كبير من البنادق التى « يمكننا تزويده بها » فان مركزه سيظل ضعيفا .

وأوضح « براشو » أن قوات الادريسى فى مطلع عام ١٩١٦ كانت موزعة على جبهتين ، فثلث القوات والمدافع كانت مركزة على الحدود الشمالية ، بينما الثلثان الباقيان يعسكران على الحدود الجنوبية . ويرجح « براشو » أن الادريسى اذا توفرت لديه ذخيرة المدافع التى يحتاج اليها فانه سيحاول أن ستعيد ما فقده من أرض فى اتجاه أبها وقنفدة . كما أوضح « براشو » أيضا أن الادريسى كان على الرغم من عدم تمكنه حينذاك من القيام بأيه أعمال حربية ضد الترك تنفق ومصالح البريطانيين فان مكانته العسكرية كحليف لبريطانيا ظلت على درجة كبيرة من الاهمية نظرا لعدائه للترك من جهة وللامام يحى أخرى . على أ « برادشو » قد أكد فى نهاية تقريره — الذى أرسله « البريجادير جنرال برايس » المقيم السياسى

البريطانى فى عدن الى سكرتير حكومة الهند والى رئيس هيئة الأركان العامة فى دلهى فى ٢٩ يناير سنة ١٩١٦ – الى أنه ليس ممكنا حينذاك الاعتماد على الادريسى فى القيام بعمليات حربية تفرض على الاتراك المعسكرن فى لحج أن ينسحبوا عائدين الى الشمال على مقربة من صنعاء عاصمة اليمن العثمانية . ولا شك أن السبب فى ذلك كان يرجع الى أن التهديد الذى كان يشكله الادريسى بالنسبة لهم غير كاف لتحقيق تلك الغاية ، مما يوضح أهمية قيام البريطانيين بتدعيمه عسكريا فى ذلك الحين وهو ما أوصى به « برادشوا » وأكد عليه فى تقريره ، كما أكد هذه التوصية « البريجادير برايس » فى خطابه – الذى أرفق به التقرير المذكور – وأرسله الى هيئة الاركان البرياطنية العامة فى دلهى .

ومن الواضح أن السياسة البريطانية كانت تهدف من وراء مساندة الادريسى ضد الاتراك فى شمال اليمن فى ذلك الحين الى اجبار الاتراك على سحبى بعض قواتهم من لحج المواجهة لعدنه ، حتى يتسنى للبريطانيين طردهم من هناك حفاظا على قاعدتهم الحيوية فى عدن ، التى كانوا يتحكمون بسيطرتهم عليها فى أهم طريق لمواصلتهم الامبراطورية عبر البحر الاحمر .

استراتيجية البريطانيين البحرية أمام السواحل العسيرية أثناء الحرب العالمية الأولى :

حددت السلطات البريطانية فى عدن فى مطلع الحرب العالمية الأولى معالم الاستراتيجية البحرية التى وضعت على أساسها الخطة العامة لتحركات البوارج وتالزوارق البريطانية وسفن دول الوفاق أثناء مرورها عبر البحر الأحمر من جهة ، وفرض حصار بحرى محكم حول الموانى التابعة للاتراك العثمانيين فى البحر المذكور من جهة أخرى . هذا فضلا عن رعاية مصالح بريطانيا وحلفائها مع القوى المحلية التى استقطبها البريطانيين الى جانبهم فى منطقة البحر الأحمر على نحو ما حدث مع الادريسى فى عسير فى مطلع تلك الحرب ، ومع الشريف حسين فى الحجاز عقب قيامه بثورته ضد الاتراك فى سنة ١٩١٦ .

وتوضح المذكرة التى رفعها « البريجادير برايس Price » المقيم السياسى

البريطاني فى عدن الى حكومة الهند البريطانية فى اليوم السابع والعشرين من يناير سنة ١٩١٦ معالم الاستراتيجية البحرية البريطانية فى عدن ومنطقة البحر الاحمر والخطوط العريضة لهذه الخطة (١) وذلك على النحو التالى :

أولا : فرض حصار بحرى حول الموانى التابعة السلطات العثمانية فى البحر الاحمر ومنع وصول أية امدادات أو مؤن اليها أو خروجها منها .

ثانيا : العمل على تسهيل مرور السفن البريطانية وسفن الحلفاء عبر البحر الاحمر وحمايتها من أية أخطار .

ثالثا : ضمان حماية السفن التابعة للادريسى حليف البريطانيين والمحافظة على فتح موانيه — وخاصة ميناء ميى — لاستقبال الامدادات والمؤن والتجارة ، وتسيير بين تلك المونب وحمايتها من أية اخطار .

رابعا : تأمين الملاحة البحرية للسفن الفرنسية فى البحر الاحمر وخاصة بين ميناءي حيبوتى وأوبوك وبين ميناء عدن .

خامساً تأمين الملاحة البحرية للسفن الاططالية فى البحر الاحمر وخاصة بين ميناءى جيبوتى وأوبوك وبين ميناء عدن.

كما أشار « البريجادير برايس » فى مذكراته الى حكومة الهند البريطانية الى أنه قد تم بالفعل تنفيذ هذه الخطة البحروية البريطانية ، بحث أغلقت جميع الموانى العربية المطلة على الجزء الجنوبى من البحر الاحمر والتى كانت خاضعة للطلات العثمانية ، ع مراعاة عدة اعتبارات تتعلق بمصالح البريطانيين وحلفائهم أهمها :

أولا : يسمح بنقل المسافرين فيما بين ميناء عدن وجزيرتى بريم وقمران وبين مينالء ميدى التابع للادريسى فى عسير وبالعكس بواسطة بواخر « كواسجى

.

---

١ — الوثيقة الثالثة :

I. O.L. No. 83. Policy for His Majesty's Ships in the Southern Red Sea Patrol, Meoranda by C. H. U. Pric, Brigadier - General, Political Resident, Aden, 27 January 1916, P. I.

ودنشو » وليس بأية وسيلة أخرى .

ثانيا : يسمح بنقل المسافرين والبضاع بين موانى جيبوتى وعصب ومصوع فى غربى البحر الأحمر وبين ميناءى ميدى وعدن فى شرق البحر المذكور بواسطة السفن الشراعية الفرنسية والايطالية .

ثالثا : يسمح بالتبادل التجارى بين موانى الادريسى الواقعة بين « خور البريق » و « حابل » بواسطة السفن الشراعية التابعة للادراسة وليس بأية وسيلة أخرى . على أن يزود قادة تلك السفن وملاحوها من العاملين بالموانى التابعة للادريسى بتراخيص وشهادات واعلام تسهل مهمتهم وعلى أن يتم اسر أية سفنية بطاقمها وركابها وحمولتها اذا لم تلتزم بتلك القواعد .

رابعا : يسمح لكل الموانى الواقعجة بين « خور البيرق » و « حابل » الواقعة شرقى البحر الاحمر والتابعة للادريسى باستقبال المتاجر المحمولة بواسطة السفن الشراعية والتى تأتى من منطقة حراسة الجزء الشمالى من البحر الأحمر بما فيها ميناء جدة ،على إن تزود تلك السفن بتراخيص وشهادات واعلام من السلطات البريطانية فى عدن حتى لا تتعرض للاسر (١) .

وهكذا اقتضت استراتيجية البريطانية البحرية فى عدن والبحر الأحمر أثناء الحرب العالمية الأولى فرض حصار بحرى محكم حول الموانى التابعة للعثمانين والحيولة دون وصول أية امدادات أو تموينات اليهم . كما اقتضت هذه الاستراتيجية أيضا حماية السفن البريطانية وسفن الفرنسيين والايطاليين . فضلا عن السفن التابعة للادريسى التى حرص البريطانيون على ضماناستمرار تسييرها وسلامتها حتى تظل موانيه مفتوحة لاستقبال الامدادت والتموينات ، كما يستمر نشاطها التجارى

---

١ – الوثيقة الرابعة :

1 - I. O. L. Secret, From Brigadier General C. H. C. Price, C. B., D. S. O. Political Resident, Aden to Government Political Department Bombay.; No. C. 95, Aden Residency, 29th January 1916., P. 1.

Enclosure 2 extract from a Report by Major C. R. Bradshae, General Staff, Aden Regarding the Idrissi, PP. 3 - 5.

على ما هو عليه بكل ما يحدثه ذلك من انتعاش مادى وسياسى له آثاره فى تعزيز مكانة حلفاء البريطانيين فى المنطقة . وقد حرص البريطانيون كل الحص على ربط الموانى التابعة للحلفاء على جانبى البحر الأحمر بميناء عدن الهام الذى يعتبر مركز تنفيذ هذه الاستراتيجية ومحورها الرئيسى .

حركة الادريسى من وجهة نظر العسكريين البريطانيين :

ويمكن التعرف على وجهة نظر العسكريين البريطانيين فى عدن ازاء حركة الادريسى فى عسير من فحوى الخطاب الذى بعث به « البرجياردير جنرال برايس» الى سكرتير حكومة بومباى فى اليوم التاسع والعشرين من يناير سنة ١٩١٦ ، وارفق به ملخصا للتقرير الذى أعده « الميجور جنرال برادشو » عضو هيئة الاركان العامة للقوات البريطانية فى عدن بخصوص الادريسى فى عسير .

اذ جاء بخطاب « برايس » ان الادريسى ابلغ البريطانيين فى عدن خلال شهر نوفمبر ١٩١٥ بترتيباته العسكرية التى أوضحت أن أهتمامه كا منصبا على الاستيلاء على ميناء « اللحية » بعد أن قدم البريطانيون له بعض المساعدات لتحقيق ذلك. وقد أوضح الادريسى أن الأتراك حرصوا على تأمين سلامة هذا الميناء بقوات عربية وتركية تابعة لهم ومجهزة تجهيزا حسنا بالبنادق ، كما أنهم طوقوا واته من الجنوب والشرق وانه ليس لديه من القوة مايؤهله للقيام بعمل فعال .واوضح « بريس » أن البرديسى يقدم للبريطانيين مساعدات ملموسة فى أبعاد العرب عن مساندة الاتراك ، وفى اعاقفة واشغال القوات التركية فى عسير ، الأمر الذى لولاه لوجهت للخدمة فى لحج ، وان كان قد قلم مؤخرا بأن الترك سحبوا كتيبة وربما كتيبتين من المنطقة المجابهة للادريسى فى عسير ووجهوها الى لحج .

وفيما يتعلق بالمساعدات الحربية الازمة للادريسى فقد أشار « برايس » الى أنه علم من خلال اتصالاته معه بأن لديه بنادق ايطالية تفوق فى عددها مالديه من البنادق الايذطالية ، على الرغم من أن الحكومة الايطالية عبرت عن عدم استطاعتها توريد الذخيرة المطلوبة . وتساءل « برايس » عما اذا كان من الممكن تصنيع هذه الذخيرة لتوريذدها للادريسى ، اذ بدونها يفقد عددا كبيرا من رجاله فعاليتهم

القتالية . وأوضح « براديس » أنه أرسل للادريسى مليون طلقة من طراز « ليجرا » خلال فترة أخرى . وأنه تلقى رسالة من الادريسى بحاجته الى مليون طلقة أخرى . وبألف بندقية من طراز « ليجرا » أيضا حتى يسلح بها رجال قبائل « الما » التى تقطن فى شمالى بلاده . وأوضح « براديس » أن جيبوتى لا يمكنها توريد البنادق المطلوبة ، مما جعله يطلب من وزير الدولة لشئون الهند الاتصال بالحكومة الفرنسية للاستجابة لهذا الطلب .

واختتم « برايس » خطابه الى سكرتير حكومة بومباى بقوله « ان مساعدتنا للادريسى قاصرة حتى الآن فى تزويده بالذخيرة وبعدد قليل من البنادق ، فأننى أعتقد أنه من الضرورى مساعدته بالذخيرة اللازمة للبنادق . وهناك ما يدعو الى الاعتقاد بأن الدور السلبى الذى يبديه لسى بيدا تماما عن التأثر بحاجته الى الثقة لكى يواجه اعداءه مع النقص الذى يعانى منه فى الذخيرة الازمة . وأشار « برايس » الى أن « الميجور برادشو » احضر معه عينات من دانات المدافع التى يطلبها الادريسى ، واستفسر عن الجهة التى ينبغى أن يرسل اليها هذه الدانات بما يمكنه من الحصول على اعداد من مثيلاتها . ثم قال أن تقرير « براشو » فاد بأن الادريسى لديه ٣٠٠٠ بندقية من ظراز « موزر » مع كمية ضئيلة من ذخيرتها ، ولهذا فقد اقترح « براديس » موافاته بكميات من هذه الذخيرة فى حالة الاستيلاء عليها من العراق للاستفادة منها متى دعت الضرورة (١) .

– موقف البريطانيين إزاء الادارسة فى أعقاب سيطرة الترك على لحج :

ويمكن التعرف على موقف البريطانيين فى عدن أزاء الادارسة فى عسير بوجه خاص وازاء القوى المحلية فى اليمن بوجه عام بعد سيطرة الاتراك على لحج فى اليوم الرابع من يوليو سنة ١٩١٥ من خلال الخطاب الذى أرسله « بريجادير جنرال وليم والتون » المقيم السياسى البريطانى بالنيابة فى عدن الى سكرتير حكومة الهند

---

1 - I. O. L. No. C. 95., From Brigadier General C. H. C. Price, C. B., D. S. O. Political Resident, Aden Residency, 29th January 1916.

Enclosure Extract From a report by Major C. H. Brodshow, General Staff, Aden Regarding the Idrissi, PP. 3 - 5.

البريطانية فى ١٤ مارس سنة ١٩١٦ . فقد طلب « والتون-William C. Wal ton » م حكومة الهند البريطانية تعديل موقفها السلبى ازاء القبائل المحيطة بعدن والقيام ببعض الاعمال الاصلاحية فى عدن والمنطقة المتاخمة لها حتى لا تقوم أية قوى أخرى منافسة بنبيل قصب السبق فى هذا الميدان بما يؤثر بالتالى على مركز البريطانيين فى منطقة البحر الاحمر .

وقد ارفق « والتون » بخطابه لسكرتير حكومة الهند فى بومباى تقريرا مقدما من « الكولونيل جكوب » المساعد الأول للمقيم السياسى البريطانى فى عدن والمؤرخ فى اليوم العاشر من مارس سنة ١٩١٦ وذلك لتدعيم وجهة نظره (١) . وقد جاء بهذا التقرير أن هيبة البريطانيين ومركزهم فى عدن والمناطق المحيطة بها فى جنوب اليمن قد تدهورتا الى حد كبير منذ سيطرة العثمانيون على لحج فى اليوم الرابع من يوليو سنة ١٩٥ . ورغم أن اليمنين غير متآلفين مع الاتراك الذين اتسم حكمهم بالصرامة والقسوة ، كما أنهم يتلقون معونات من قبل البريطانيين ويفضلون معاملتهم نسبيا عن معاملة الاتراك ، فانهم لم يكونوا على استعداد لأن يفرضوا على أنفسهم عدم تلقى أية امتيازات أو معونات يقدمها لم الترك أيضا . ولهذا فد رأى « جاكوب » أن الأمر يستلزم القيام بعمل ايجابى لربط هذه القبائل بمصالح محددة مع البريطانيين فى عدن أثناء الحرب الكبرى (الأولى) .

وقد أورد « جاكوب » مثالا على ذلك عغنما ذكر أن السلطان الحواشب الذى اخترق الاتراك بلاده ليسطرو على لحج قد تحول عن محالفة البريطانيين وأصبح تابعا حينذاك للاتراك . وهذا نفس ما حدث مع قبائل الصبيحى والعديد من القبائل الأخرى . بل أن الأمير نصر أمير الضالع انضم كذلك الى جانب

---

١ – الوثيقة الخامسة الملحقة بالبحث :

1 - I. O. L. No. C. 273, Secret, From Brigadier General William C. Walton Acting Political Resident, Aden to the Secretary to Government, Political Department Bombay.14 th March 1916., P. 1.

Enclosure Present Political Situation in our Hinterland and Beyond the Borderm By H. F. Jacob, Lieutenant Colonel, Assistant Resident, Aden, Aden, 10 th March 1916, P. 2.

الاتراك وأصبح يتقاضى مرتبا منهم . كما أن بعض قرى الشعيرى وتل جحاف أصبحت تابعة للاتراك ، وأضطر شيخ العلوى أن يذهب الى الترك فى لحج تحت ضغطهم عليه أيضا . بل أن كبير مشايخ ردفان محمد صالح القطبيب رغم اعلانه تبعيته للبريطانيين فى عدن فانه خشى من اغارة الاتراك على بلاده بعد أن رأى مصير المناطق المجاورة له مثل قرى الشعيرى والضالع . ولهذا أرسل ابن شقيقة الى لحج للاتفاق مع الاتراك . كما أن سلطان الفضلى هو الآخر استجاب لاغراء الترك وخشى من سطوتهم بعد أن رأى ما حدث لجاره العبدلى فى لحج ، مما جعله ينضم اليهم . واحتج البريطانيون على ذلك دون جدوى .

ويشير « جاكوب » فى تقريره الى أن المثل العربى القائل « ان عقل العربى فى بصره » أى أن مايراه بعينيه هو الذى يقتنع به ويترك أعمق الأثر فى نفسه . ومن هنا يطالب « جاكوب » حكومة الهند البريطانية باتخاذ اجراءات حاسمة تكون لها آثار ملموسة وواضحة لاجتذاب القبائل المحيطة بعدن . كما أشار « جاكوب » الى أن قبائل يافع العليا لا يتقاضى زعماؤها مشاهرات من البريطانيين ولهذا فقد كانوا مستائين لابعادهم عن الدائرة التى تضم أصدقاء بريطانيا الذين يتلقون مساعدات مالية مما جعلهم عرضة للميل ناحية الاتراك والانحياز الى جانبهم . أما بالنسبة لشريف بيحان فى شمالى اليمن فقد أوضح « جاكوب » أنه كان يخشى من مؤمرات الامام يحى فى صنعاء ضده ، خاصة أنه كان يخشى من مؤمرات الامام يحيى فى صنعا ضده . خاصة أنه كان على خلاف دائم مع المنافسين له من السادة الزيديين .

وأشار « جاكوب » فى تقريره الى أن الترك سيطروا على لحج ليؤكدوا لرجال القبائل اليمنية أم مصلحتهم فى الدفاع عن الاسلام تقتضى انضواءهم تحت قيادة الباب العالى لمحاربة بريطانيا ومحاصرة قواتها فى عدن . وكانت المنشورات التركية المتتالية توحى لأذهان العرب أن البريطانيين يجبرون إخوانهم المسلمين على محاربة دولة الخلافة . وكان الترك يستشهدون فى هذا الصدد « بآبيات من القرآن » .

كما قال « جاكوب » أن وجود المستعمرات اعثمانية على مقربة من المناطق

المحيطة بعدن كان له أسوأ الأثر على الحامية اليرطانية المعسكرة فيعدن نفسها .
وأضاف « جاكوب » الى ذلك قوله أن الاتراك قد عجزوا عن كسب ولاء الكثيرين من قادة العرب البارزين الى صفهم مثل سلطان العوالق وسلطان العوضى .
وقد رفضت ياقع عروض الترك . حتى اعتبرت أن فكرة « الجهاد » التى نادوا بها — كما يول « جاكوب » — مدعاة للسخرية . وأن كان البعض اعتقد أن موقف البريطانيين من ناحية أخرى أصبح أضعف مما كانوا يظنون . وعلى الرغم من ذلك فان وقوف بعض هؤلاء القادة العرب الى جانب الترك لم يعتبر من وجهة النظر البريطانية ردة وانتكاسا ، لأنهم فعلوا ذلك تحت قوة الأتراك القاهرة حينذاك . على أن البريطانيين فى عدن — كما ذكر « كاوب » فى تقريره — عندما تبينوا استلام السلطان الفضلى فى حضر موت الأموال من الأتراك نظير قيامه بتسهيل تدفق المؤن على لحج فان السلطات البريطانية فى عدن اضطرت أ تحرمه من المشاهرة وأن تفرض حصار بحريا حول ميناء شقرة الذى كان مدخلا لتجارة عدن الى مناطق الجزيرة العربية الشمالية والشرقية . وأدى هذا الحصار الى أضعف علاقات الصداقة البريطانية مع القبائل اليمنية .

وأضاف « جاكوب » الى ذلك قوله أن البريطانيين لكب يخففوا من شعور العداء أزاءهم من قبل العرب اليمنيين فقد سمحوا بدخول بعض البضائع الى ميناء شقره لتفى ببعض احتياجات القبائل ولوازمها ،و وإن كان حجم هذه البضائع محدودا حتى لا يتسرب الى الاتراك فى لحج .

ثم انتـقل « جاكـوب » بعـد ذلك الى الحديث — فى تقريره — عن الادريـس فى المخـلاف السلـيمانى وعسير بشمالى اليمن . وقد قال عنه أن نشـاطه أثناء الحـرب الكبرى وحـتى كتابـة هـذا التقـرير — فى ١٠ مـارس سـنة ١٩١٦ — لم يكـن ظاهـرا بوضوح بسبب عدم توفر الذخيرة اللازمة للبنـادق التى كتان يستعـملها جنوده . غير أن هناك سبـبا أكبر وراء ذلك الموقف ، وهو أن الادريـسى كان يترقـب حركة البريطانيين العسكرية سواء فى اليمن أوفى الميادين الأخرى حتى يحقق مصاحه الشخصية من خلال القيام التحرك

المناسب (١) .

وقال « جاكوب » فى تقريره أن الأدريسى أبلغه فى جيزان بأنه واثق من نجاح البريطانين فى الميادين الخارجية الأخرى ، ولكنه قد أبدى تخوفه من أن تترك الحامية العثمانية فى اليمن فى نهاية الحرب فتشكل بذلك شوكة مؤلمة فى ظهره كما تعوق تحراته التوسية لتدعيم سلطاته فى شمال اليمن .

أما بالنسبة لشريف مكة فقد أوضح « جاكوب » فى تقريره لحكومة الهند البريطانية فى ١- سنة ١٩١٦ ، بأنه لا يمكن اكتسابه الى جانب البريطنين عن طريق زيادة خحجم المؤن المرسلة الى ميناء جده فقط . بل أنه ينبغى أيضا أن ينشط البريطانيون من جانبهم وفق برنامج محدد حتى يقف الى جانبهم ضد الاتراك . وأكد « جاكوب » أن الادريسى لا يثق فى شريف مكة . كا أكد أيضا أنه يصعب عقد اتفاق بين الادريسى والامام يحيى وآنه من المستحيل حينذاك التوفيق بينهما لأسباب عديدة معروفة . بل أن « جاكوب » قد أكد فى نفس الوقت أنه يصعب توين اتحاد عربى مضاد للاتراك فى ذلك الحين وذلك نظرا لأن « لكل رئيس عربى لعبته » ولهذا أبيد « جاكوب » رأيه فى امكانية قيام هؤلاء الزعماء العرب كل على حدة بالثورة ضد الأتراك اذا أمكن مع وضع برنامج مقبول لكل منهم ، مؤكد أن التوصل الى تحقيق ذلك يعتبر أمرا حيويا الغ الأهمية لتعزيز موقف البريطانيين فى منطقة البحر الأحمر أثناء الحرب الكبرى .

وفيما يتعلق بامام صنعاء فقد أوضح « جاكوب » أنه لن ينحاز انحيازا واضحا الى جانب الأتراك ، وان كان يقوم بتزويد قواتهم ببعض المؤن والأغذية . وأكد « جاكوب » تطلعات الامام يحى للسيطرة على جميع أجزاء اليمن ، ولهذا فقد ظل على اتصال دائم مع قبائل يافع والبيضا وبيحان ومأرب وغيرها ، كما كان على صلة بجميع القبائل اليمنية التى أصبحت تحت الحماية البريطانية ، وخاصة مع سلطان لحج الراحل « السيد أحمد بن فضل العبدلى » الذى عقد اتفاقية صداقة معه ، هذا على الرغم من أن تلك القبائل كانت شافعية المذهب ولم كن

1 - I. O. L. No. C. 273. Ibid and enclosure, PP. 2. 3.

متحمسة لمصادقة الامام الزيدى بطبيعة الحال ، وإن كانت كل أراضيها بالاضافة الى عدن نفسها تابعة لامام صنعاء قبيل ظهور حركات الانفصال فى النصف الأول من القرن الثامن عشر الميلادى .

وقال « جاكوب » انم الامام يحى والادريسى كانا صديقين قبل عقد صلح « دعان » بين الامام والأتراك العثمانين فى سنة ١٩١١ ، وقد حاول البريطانيون التوفيق بين الجانبين فى مطلع عام ١٩١٤ تمهيدا لتكوين كتلة عربية داخل جزيرة العرب تكون محالفة لهم . غير أن الإمام حى كان غاضبا من احياز الادريسى الى الطليان ضد العثمانين المسلمين وفى نفس الوقت لم يعتفر الاعريسى للاما يحى صدافقته للترك – عدوهما المشترك فى الماضى – دون أن يسشيره فى ذلك . بل أن الامام يحى تسلم من الأتراك أموالا ومعونات مكنته من أخماد تمرد قبيلتى حاشد وبكيل القوتيين عليه ، مما أدى الى اتساع الهوة بينه وبين الادريسى

وأكد « جاكوب » ان الامام يحى كان يميل اليجانب البريطانيين وان كان ذلك قد أدى الى اثارة غضب الترك واسيائهم . وكان الامام يحى يقدر ماأبداه البريطانيون من استعداد « لتلقينه صناعة البارود » ، غير أن السياسة التى التزموا بها والتى حرصت على تفادى أى تدخل فى شئون المنطقة التى كا يحكمهتا الأئمة هى التى حالت دون ذلك ، وخاصة فى تلك المرحلة الحاسمة من الحرب الكبرى . وأكد « جاكوب » أن الامام يحى قد ضايقه كثيرا تدريب البريطانيين « للشيخ سعيد » بقنابلهم ، وهونفس العمل الذى قام به البريطانيون فى ميناء اللحية مما أغضب الادريس حينذاك .

وأوضح « جاكوب » طبيعة العلاقة القائمة بين الامام يحى والادريسى قبيل قيام الحرب العالكية الأولى مباشرة عندماذكر أنه تناقش مع أحد السادة اليمنيين فى سنة ١٩١٢ حول هذا الموضوع ، وقد أجابه هذا السيد بأن أى تقارب بين الجانبين يعتبر فى حكم المستحيل نظرا لأ كلا منهما « يرغب أن يكون على رأس البيت » (١) أى أن تكون له السيادة على اليمن بأكمله . وأضاف هذا السيد

---

1 - I. O. L. No. C. 273. Ibid and enclosure, PP. 3. 4.

مؤكدا أن اليمن طالما ظلت فريسة للصراعات الدائرة بين الزيديين والشوافع وغيرهم فانها سوف تسقط فى النهاية فى أيدى البريطانيين . وعندما أكد « جاكوب » لهذا السيد أنه ستعبد قيام البريطانيين بأى توسع فى داخل اليمن انطلقا من عدن . ففقد أجابه هذا السيد بقوله « اذا وضعت قطعة من الخبز فى فمك فإنك لا تملك الا أن تأكلها » وكان يقصد ذلك أن اليمن كتانت ستصبح لقمة سائغة للبريطانين طالما ظلت منقسمة على نفسها .

ثم أشار « جاكوب » فى تقريره الى أن الشيخ « ابن ناصر مقبلIbn Nasir Mukbil » حاكم ماويه قد وقع اتفاقا مع البرياطنيين فى بداية الحرب فى سنة ١٩١٤ ، ولهذا فانه تجنب الاشتراك مع الترك فى غزوة لحج . عندما كان الأتراك يضغطون علية للاشتراك معهم فانه كان يدعى المرض ويتذرع بأسباب أخرى ».

وأكد « جاكوب » أن ابن ناصر شيخ ماوية كان يكره الترك كما كان يكره فى نفس الوقت الامام يحى امام صنعاء ، لعلمه أن كلا منهما كان يرغب فى السيطرة على بلاده .

وأخيرا فقد أبدى « جاكوب » - فى تقريره المؤرخ فى ١٠ مارس سنة ١٩١٦ والذى أرسل لحومة الهند البرياطنية مرفقا بكتاب « البريجادير جنرال وليم والتون » المقيم السياسى البرياطنى بالنيابة فى عدن والمؤرخ فى ١٤ مارس فى نفس السنة - تأكيده بأن قيام البريطانيين فى عدن بضرب الاتراك العسكريين أمام « الشيخ العثمانى » كان من شأنه أن يعرض سيطرة العمانين على اليمن بأكمنله وعلى الحجاز يضا لأشد الأخطار ، وانه يمكن بعد ذلك لكل من الادريسى وشريف مكة أن ينحازا الى جانب بريطانيا ويحاربا الترك فى بلادهما . وستكون أهدذاف الادريسى من الاشتراك فى تلك الحرب مركزة فى طرد الاتراك من بلاده من جهة ، وحماية أطرافها من أطماع الامام يحى من جهة أخرى . بينما ستكون أهداف شريف مكة منحصرة فى تخليص الحجاز من نفوذ الترك من ناحية ، وتأكيد مكانته الروحية من ناحية أخر . واختتم « جاكوب » تقريره مؤكدا أن خلافة العثمانيين ومكانتهم يمكن النيل منها على مقربة من الاماكن المقدسة

الاسلامية حيث يستمد الترك مكانتهم فى العالم الاسلامى باشرافهم وحمايتهم لتلك المقدسات ، وهو يعين بذلك قيام البريطانين بتشجيع الشريف على الثورة فى الحجاز على نحو ما تحقق بالفعل فى نفس السنة .

– معالم الأوضاع القائمة فى اليمن أثناء الحرب العالمية الأولى :

ويمكننا التعرف على معالم الأوضاع القائمة فى اليمن – بما فيها عسير – أثناء الحرب اعالمية الأولى من خلال الخطاب السرى المرسل من « البريجاردير جنرال والتون W. G. Walton » القائد العام للقوات البريطانية فى عدن الى سكرتير حكومة الهند البريطانية فى ١٣ مايو سنة ١٩١٦ – وامبالغة صورته الى رئيس الأركان العامة البريطانى فى الهند من جهة رالى المندوب السامى البريطانى فى القاهرة من جهة أخر فهو يوضح هذه المعالم . وقد أرفق « والتون » بخطابه هذا مذكرتين أولاهما أعدها « الكولونيل ووهوب R. A. Wauhope » ضابط المخابرات السياسى والعسكرى فى عدن وتدور حول تحديد حدود محمية عدن البريطانية ، بينما أعد المذكرة الثانية « الكولونيل جاكوب H. Jacob » المساعد الأول للمقيم السياسى البرياطنى فى عدن وتدور حول الأوضاع السياسية القائمة فى اليمن بوجه عام وفى عدن بوجه خاص فى مطلع الحرب العالمية الأولى (١) .

وقد قدم « والتون » فى خطابه عدة اقتراحات لتدعيم مركز البريطانيين فى عدن والمنطقة المحيطة بها على النحو التالى :

---

١ – الوثيقة السادسة :

1 - I. O. Secret, the Aden Protectorate, Letter from General Officer Commsnding W. C. Waltin, Aden, to the Secretary to the Government, of Foroign Department dated 13 th May 1916., PP, 4.

Enclosure No. I, the Boundary of the Aden Protecttorate, Note by Colonel R. A. Waubope R. E. C. B., C. M. G., Political Military Inteligenece Officer, Aden; PP. 5 - 7 .

Enclosure 2., A political Policy in our Hinterland, Note by Lieutenant Colonel H. F. Jacob. First Assistant Resident, Aden Resideey 10 th May 1916, PP. 8 - 1ı .

أولا : تدعيم حامية عدن البريطانيةوالاحتفاظ بقوة كافية فى قرية « الشيخ عثمان » الواقعة شمالى عدن .

ثانيا :الزحف عل لحج والسيطرة على المراكز المتحكمة فى ممر « تبيان » لتأمين الطريق الحربى المتهجمة شمالا من عدن .

ثالثا: احتلال مدينة « الضالع » واستعادة خط الحدود الديمة لمحمية عدن البريطانية .

رابعا : احتلال « تعز » وفرض الحماية البرياطنية على كل الركن الجنوبى الغربى لليمن ، مع وضع خط جديد للحدود التى يمكن الدفاع عنها استراتيجيا وسياسيا (١) .

ومع التوصية بالأخذ بأى من هذه الاقتراحات أو بها كلها نقد أكد « والتوان» أهمية احتلال البريطانيين لمنطقة « الشيخ سعيد » الواقعة عند الطرف الجنوبى الغربى لليمن المواجه لجزيرة بريم المتحكمة فى مضيق باب المندب حيث المدخل الجنوبى للبحر الاحمر .

كما أشار « والتون » الى أنه من المستحيل عمليا النظر الى عدن على أنها مركزا منفصلا عن الداخل ، وان كان ذلك من شأنه أن يوقع البريطانيين فى تعقيدات خطيرة مع القوى المنافسة لهم حينذاك . وفى نفس الوقت أكد « والتون » أن قرية « الشيخ عثمان » لا تشكل موقعا دفاعيا طبيعيا ، ولا تعطى مجالا فسيحا لاجراء أية عمليات عسكرية ذات أهمية ، بينما تتيح لحج لأية قوة متمركزة فيها فرصة أفضل ومدى زبعد للعمليات الفاعية عن عدن من ناحية الشمال ، هذا فى الوقت الذى تشكل فيه لحج مصدر خطورة كبيرة اذا تجمعت فيها قوة معادية تجهز نفسها للانقضاض على عدن . ويزداد الأمر خطورة اذا تحالف امام صننعاء مع الاتراك بهدف مهاجمة البريطانيين فى عدن وانتزاعها من أيديهم .

وذكر « والتون » فى خطابه لسكرتير حكومة الهند البريطانية ان الأتراك

1 - I. O. L. Secret, The Aden Protectorate, Op. Cit., 13th May 1916, P. 1.

يعتمدون فى حياتهم فى اليمن على الأرض اليمنية وانتاجها الزراعى مما يفرض عليهم ضرورة المحافظة على سيطرتهم على لحج وماوية وتعز والضالع وكلها تعتبر فى نفس الوقت مراكز تجارية هامة الى جانب كونها مراكز زراعية .

كما زشار « والتون » الى أن « نوبة دكيم » التى تبعد ميلين ونصف الميل جنوبى « طنان » تعتبر منطقة غير صحية للغاية فى لحج كما تنتشر فيها الملاريا . بينما تتوفر فيها المياه العذبة . مما جعل الترك يقيمون مستشفى عثمانى هناك . كما توجد بها أرض مكشوفة تصلح لاقامة معسكر مناسب . ولمنطقة « لبعند » مزايا عديدة فهى تمثل الجزء الخصب من لحج حيث يمكن الحصول منها على الخضروات المختلفة كما يمكن لمن يسيطر عليها أن يمنع أية قوات تهدف الى احتلال عدن من تحقيق أغراضها . واعتبر « والتون » ان السيطرة على « العند ش هى أقل ما ينبغى على البريطانيين القيام به فى المنطقة والاستفادة منها بمد خط للسكة الحديد من عدن نحو الداخل ، وتدريب القوات البرياطنية فى المناطق المرتفعة نسبيا .

وقال « والتون » فى خطابه لسكرتير حكومة الهند البريطانية « اذا كان علينا أن نذهب الى أبعد من لحج فانه يصبح من الضرورى علينا النظر فى احتلال منطقة الشيخ سعيد الواقعة غربى عدن والتى تطل على مضيق باب المندب (١) . وكان يمر « بالشيخ سعيد » خط البرق التركى المتجه من صنعاء الى بريم ، ولا تتوافر « بالشيخ سعيد » ميناء طبيعية كما لا يوجد بها مركز تجارى طبيعى . أما بالنسبة لمياه الشرب فانها تتوافر فى « الشيخ سعيد » وان كانت تميل الى الملوحة . وتحصل الحامية العثمانية الموجودة بالمنطقة على حاجتها من مياه الشرب من هناك وتنتقل اليها على ظهور الدواب . ولا يحتمل طبيعة الأرض وجود مجار للمياه الجوفية . ولهذا فان احتلال هذه المنطقة يستلزم انشاء مكثفات للمياه هناك .

وأبرز « والتون » خطورة منطقة « الشيخ سعيد » الناتجة من تحكمها فى مضيق باب المندب ، وهى بذلك اذا تعرضت لسيطرة أية قوى منافسة وحصنتها تحصينا

---

1 - I. O. L. The Aden Protectorate, Op. Cit., 13th May 1916, P. 2.

قويا فلن يستطيع البريطانيون أن يحتفظوا بجزيرة بريم التى تعتبر « الشيخ سعيد » منطقة دفاع طبيعى عنها . وسيكون من الصعب القيام بهجوم على « الشيخ سعيد » من جانب آخر نظرا لندرة المياه فى الصحراء الواقعة الى الشمال الشرقى منها وفى الجهة الغربية من عدن . وعندما تصل سكة حديد الحجاز الى ينبع على الساحل الشرقى للبحر الاحمر ، فانها سوف تلتف حول قناة السويس . ومن هنا ستزيد الأهمية « الشيخ سعيد » مما يحتم على البريطانيين الا يسمحوا لأية قوة أجنبية باحتلالها ، ولهذا قال « والتون » أن الحكمة تقتضى أن نتأكد من ذلك قبل خروج الترك من هذه الحرب (العالمية الأولى) والا دخلنا فى جدل ومتاعب لا مبرر لها .

ويضيف « والتون » الى ماتقدم قوله ان البريطانيين اذا سيطروا على تعز فانه لن تكون هناك حاجة لديهم لوضع حامية بريطانية فى « الشيخ سعيد » التى تعتبر بقعة غير ملائمة اطلاقا لوضع قوات بها . ولكن اذا لم يستول البريطانيون على تعز فانه سيكون من الضرورى عليهم أن يحتلوا« الشيخ سعيد »ويضعوا حامية بريطانية فيها.

أما بالنسبة لاقتراح تقدم البريطانيين للسيطرة على الضالع فان ذلك يرجع لرغبتهم فى اقامة مصحة لهم هناك ، كما أنها تمكنهم من أن يكونوا على اتصال وثيق بالقبائل اليمنية المحيطة بعدن . على أن « والتون » اعتبر أن اقتراح السيطرة على تعز هو أكثر الاقتراحات جاذبية وان ذلك يستلزم قوة بريطانية قوامها فرقتان لتنفيذه ، بالاضافة الى قوة دائمة قوامها فرقة واحدة تستقر هناك بعد استتباب الأمور

وروى « والتون » أنه سيكون من الضرورى مد خط السكك الحديدة فيما بين عدن وتعز وانه يكون من الأفضل استمرار الخط الحديدى ليصل الى رأس الكثيب» الواقعة شمالى الحديدة تماما .وستتم حراسة هذا الخط من التعرض لأى هجوم معاد من جهة الشمال عن طريق اقامة قلعة جبلية يتم بواسطتها السيطرة على المرور. غير أن « والتون » أشار الى أن مثل هذا المشروع قد يثير بعض المتاعب مع الامام يحى فى مرتفعات اليمن . وان كان سيلقى كل الرضا من قبل الادريسى صديق البرطيانيين فى عسير . وتكهن « والتون » باحتمال قيام الحكومة البريطانية بتقديم

منطقة الساحل اليمنى الشمالى الممتد من اللحية شمالا وحتى « رأس الكثيب » جنوبا الى الادريسى فى عسير ، وانه يمكن بهذه الطريقة بالاضافة الى تدعيم قوة سلطان المكلا . أن يتمكن البريطانيون من اقامة حاجز قوى أمام القوى المنافسة يحول دون سيطرة أى منها على الشواطئ جنوب شبه الجزيرة العربية . ولم يفت « والتون » أن يشير الى أن الطقس البديع فى تعز سيوفر كل مزايا المصح الذى يحتاج اليه البريطانيون المقيمون فى عدن وأن أية قوة يحتفظ بها هناك ستكون فى مركز حسن استراتيجيا لاستخدامها فى ايران والهند وشرق أفريقيا ومنطقة البحر الأحمر . كما ذكر « والتون » أن تجارة اليمن ستروج وتزدهر فى ظل حكومة مستقرة وستجد منفذين لها أولهما فى رأس الكثيب من ناحية الشمال وثانى فى عدن من ناحية الجنوب ، كما أن الدفاع عن الحدود الجديدة لتلك المنطقة سيكون سهلا الى حد كبير (١) .

أما فيما يتعلق بالادارة المدنية لذلك المثلث الواقع بين هذه الحدود فى جنوب غرب الجزيرة العربية فقد اعتقد « والتون » بأنه سيدار بنفس الطريقة التى كان يحكم بها السودان حينذاك . وأبدى « والتون » موافقته على رأى « الكولونيل ووهوب » فى ن القوات الهندية غير صالحة للعمل فى شبه الجزيرة العربية وعلى الأخص الهنود المسلمين الذين « يقعون تحت التأثير المغناطيسى نتيجة لوجودهم فى الأرض التى تضم مكة » ، ولهذا فضل « والتون » استخدام الجنود السودانيين . بل أنه فضل كثيرا تشكيل قوة مسلحة عربية محلية تحت قيادة ضابط بريطانيين . وتوقع « والتون » أن هؤلاء العرب لن يقبلوا بصدر رحب – فى بداية الأمر – على الأخذ بالنظام الصارم ، ولكه يؤكد توافر مقاتلين اكفاء من العرب المحليين سيقبلون على الانخراط فى سلك الجندية البريطانية .

وقد أشار « والتون » أيضا الى أن « الكولونيلجاكوب » المساعد الأول للمقيم السياسى البريطانى فى عدن رأى – شأنه فى ذلك شأن « الكولونيل ووهوب » – توسيع مجال النفوذ البريطانى حتى يصل الى

---

1 - I. O. L. Secret, The Aden Protectorate, Op. Cit., 13th May 1916, PP. 2, 3.

تعـز (١) على أن « والتون » توقع أن الاقتراح الذى عرضه لتحقيق تلك الغاية سيكون عرضه لاعتراضات الذى عرضه لتحقيق تلك الغاية سيكون عرضة لاعتراضات كثيرة من قبل السلطات البريطانية العليا ، ذلك لأن الوسائل التى اقتراحها لتحقيق تلك الغاية ثبت اخفاقها فى الماضى ، كما أن الالتزامات السيايسة ازاء القبائل اليمنية لم يتم غير خاضعة للنفوذ البريطانى .

ولهذا فقد رأى « والتون » انه اذا قرر البريطانيون التقدم من عدن لتحقيق تلك الغاية فى المنطقة المحيطة بها فى جنوب اليمن ، فان الامر يستلزم وجود قوة بريطانية مناسبة لضمان الوفاء بكل الالتزامات ولحراسة المصالح البريطانية هناك بالاضافة الى تحديد مكان مناسب لاقامة تلك القوة التى لن تلائمها عدن بالمرة ، وتعتبر هذه الأمور جوهرية فى أى اقتراح عملى .

ثم تحدث « والتون » عن فكرة انشاء كلية لابناء السلاطين ورؤساء القبائل وأوضح أن عدن لا تصلح أن تكون مقرا لمثل هذه الكلية اذ لابد من توفر بيئة صحية وجو أكثر اعتدلا . غير أن أحدا لن يقترح أن تكون هذه الكلية خارج حدود المنطقة التى تسيطر عليها بريطانيا فى جنوب اليمن (٢) .

وقال « والتون » فى ختام خطابه لسكرتير حكومة الهند البريطانية فى ١٣ مايو أنه على الرغم من أنه كان يبدو للعرب أن أى تقدم للبريطانيين من عدن الى تعز يرجع الى الرغبة فب التوسع ، فإن ذلك الأمر فى حقيقته كان مفروضا على البريطانيـين لحفظ كيانهم ووجودهم فى عدن مما جعل « والتون » يرى أن أعظم الخطـر فى القيام بتلك المحاولة بدون توافر القوة الكافية لضمان نجاحها . كما أشار « والتون » أيضا الى أنه كان يدرك تماما أن دور البريطانيين فى عدن أثناء الحرب ـ العالمية الأولى) كان يتوقف نجاحه أو فشله على ميادين الحرب الأخرى ، غير أن

---

1 - I. O. L. Secret, The Aden Protectorate, Op. Cit., 13th May 1916, P. 3.

2 - I. O. L. Secret, The Aden Protectorate, Op. Cit., 13th Ibid 1916, P. 4.

أنشأ البريطانيون كلية لأبناء السلاطين ورؤساء القبائل تقع فوق جبل حديد فى نهاية خور مكسر من جهة رأس عدن . وكان غرضهم من إنشائها تربية أبناء السلاطين وتنشئتهم على الولاء لبريطانيا وقد شاهدت مبنى هذه الكلية أثناء تواجدى فى عدن .

ذلك الدور كان يستلزم التخلص من الجمود والركود فى النطاق المحلى ، ومن هنا رأى « والتون » أهمية غرض مقترحاته التى استعرضناها على حكومة الهند فى ذلك الحين (١)

أما عن التقرير الذى كتبه « الكولونيل هارولد جاكوب H. F. Jacob » المساعد الأول للمقيم السياسى البريطانى فى عدن فى اليوم العاشر من مايو سنة ١٩١٦ وارفقه « البريجادير والتون » بخطابه المرسل الى سكرتير حكومة بومباى فى ١٣ مايو سنة ١٩١٦ فقد تحدث فيه « جاكوب » عن سياسة البريطانيين فى المنطقة المحيطة بعدن موضحا أن الامام يحى قد استاء أيضا من احتلال الترك لعاصمة العبادلة فى لحج ، وقد بعث برسالة الى صديقه السلطان العبدلى فى شهر ابرايل سنة عبر فيها عن عدم ثقته فى الحكومة التركية بصنعاء واتهمها باثارة الاضطرابات فى اليمن ، هذا على الرغم من الاتفاق الذى عقده معهم فى سنة ١٩١١ .

ثم عبر « جاكوب » عن توقعاته عما سيسفر عنه الموقف فى اليمن بعد جلاء الاتراك عنه موضحا أن « الترك فى اليمن مثل سدادة زجاجة البيرة . فعندما تنتزع السداده سترتفع رغوة البيرة أى أن ثمة فوران سيحدث فى اليمن نتيجة للصراع الذى سينشب حول الاراضى التى كان العثمانيون يحتلونها ، خاصة وأن خطوط الحدود التى تم التوصل الها مع الترك لم يتم الاتفاق بشأنها مع العرب الذين لم يتعرفوا بها . ولهذا أوصى « جاكوب » بالحرص على ابقاء الامام يحيى مسيطرة على منطقة نفوذه فى شمالى المرتفعات اليمنية حتى يرحل الترك عن البلاد .

على أن « جاكوب » لم يوصى حكومته باحتلال المناطق المحيطة بعدن عن طريق القوة ، ولكنه أبدى تفضيله لتعيين وكيل بريطانى فى تلك المناطق يباشر حقوقا سياسية يتم اتوصل اليها عن طريق الاتفاقات رالاساليب الدبلوماسية . واقترح « جاكوب » مد خط حديد يصل ما بين عدن جنوبا وتعز شمالا . كما اقترح

1 - I. O. L. Secret, The Aden Protectorate, Op. Cit., 13th May 1916, P. 4.

انشاء مدرسة لابناء السلاطين ورؤساء القبائل . هذا فضلا عن أنه رأى اذا اضمت تعز الى منطقة نفوذ بريطانيا فى جنوب اليمن فينبغى أن يكون هناك معاديا للزيود حتى لا تخضع تلك المنطقة بالتالى للامام يحيى فيطالب بحقوقه الشرعية على المنطقة بأكملها .

وأكد « جاكوب » أن البريطانيين اذا لم يقوموا بطرد الترك من لحج فان القبائل اليمنية ستتردد كثيرا قبل القيام بأية أعمال عدوانية ضد الاتراك لطردهم من بلادهم . ولهذا فقد طالب « جاكوب » بتعديل بعض المعاهدات مع السلاطين والأراء المجاورين لعدن بالدرجة التى تدعم موقفهم فى مواجهة الاتراك والتصدى لهم لاخراجهم فى البلاد . واقترح « جاكوب » أيضا تعيين وكيل بريطانى فى المكلا للاستفادة من امكانات حضر موت على أن تقوم بريطانيا بتدعيم قوة القعيطى واستقطابه الى جانبها . بل أن « جاكوب » طالب حكومته بضرورة تدعيكم القوات البريطانية الموجودة فى اليمن حتى تقوم بدورها بكفاءة عالية فى عدن والمنطقة المحيطة بها التى ستصبح مطعما للدول الاوربية المنافسة لبريطانيا .

ورغم معارضة « جاكوب » فى تقريه لسياسة ضم مناطق جديدة فى جنوب اليمن تحت الاشراف المباشر للبرياطنيين فى عدن نظرا لأن تلك السياسة تثير استياء العرب وحكامهم فإنه قد استثنى من ذلك ميناء الحديدة الذى أوصى حكومته بالسيطرة عليه ليكون أداة للمساومة مع امام صنعاء لتأمين الوجود البريطانى فى عدن بعد جلاء العثمانين عن اليمن .

وفى نفس الوقت توقع « جاكوب » أن تطلعات الادريسى للتوسع جنوبا على حساب حدود وممتلكات الامام يحيى سيؤدى الى حدوث صدام حاد بينهما . بحيث تصبح مهمة البريطانيين حينذاك التجكيم بين الزعيمين وذلك لن تتوافر الا اذا أعاد البريطانيون للامام يحيى الاراضى الواقعة ضمن الحدود التى سبق الاتفاق عليها مع الاتراك فى جنوب اليمن . وهو أمر كان يصعب على البريطانيين تحقيقه حماية وتأمينا لقاعدتهم الحيوية فى عدن .

أما عن التقرير المرفق بخطاب « البريجادير جنرال وليم والتون » القائد العام

البريطاني بعدن الى سكرتير حكومة الهند البريطانية فى ١٣ مايو سنة ١٩١٦ تحت عنوان «حدود محمية عدن » فقد أوضح فيه كاتبه « الكولونيل ووهوب Wauhope» ضابط المخابرات السياسى والعسكرى فى عدن أن الأتراك العثمانيين عندما عادوا الى اليمن فى سنة ١٨٧٢ توغلوا فى الأراضى اليمنية المتخمة لعدن . وقد تقدموا من قبعة واحتلوا جزءا من الأراضى الاميرى ثم قاموا بخلع أمير الضالع . وعلى الرغم من احتجاجات السلطات البريطانية فى لندن وعدن فان الاتراك العثمانيين اندفعوا حتى وصلوا الى لحج . غير أنهم خرجوا منها بعد أن واجهوا ضعفا سياسيا شديدا .

وقد اعترف الباب العالى بوجود بعض القبائل اليمنية ضمن النفوذ البريطانى فى عدن ، غير أن العثمانيين استمروا فى بذل جهودهم التوسعية والعدوانية ضد القبائل اليمنية المجاورة لعدن حتى اضطرت السلطات البريطانية هناك الى طرد القوة العثمانية التى سيطرت على « الدارجة » فى بلاد الحوشبى فى سنة ١٩٠١ . وقد تشكلت لجنة لتحديد الحدود بمعرفة الحكومتين البريطانية والعثمانية اتفقت على أن يمتد خط الحدود من « الشيخ سعيد » فى الطرف الجنوبى الغربى من اليمن الى نقطة فى الشمال الشرقى بالقرب من قعطبة على أن يسير الخط من ورائها متجها صوب الصحراء ، بحيث يمنع دخول الاتراك الى بيجان ووادى حضر موت (١)

وأوضح « الكولونيل ووهوب » فى تقريره أن الحدود التى وضعتها اللجنة واتفق البريطانيين مع الاتراك بشأنها قدتم اكتسابها فى وقت لم يكن فيه أى حق معترف به لتركيا (يقصد الدولة العثمانية) أو للإمام يحيى فى الأراضى المجاورة لعدن . وقد تكهن « ووهوب » بأن امام صنعاء قد يطالب بحقوق لم يطالب بها اسلافه منذ ثمانين عاما . بل أنه أشار أيضا الى أنه من تامهم جدا ملاحظة أن الحكام الفعليين للمناطق المحيطة بعدن وجدوا من الضرورى قيام البريطانيين بمساعدة القبائل المسيطرة على مداخل عدن . بل أنه كان من المستحيل حينذاك

---

1 - I. O. L. Secret, The Aden Protectorate, Op. Cit., 1916, P. 1.

النظر الى عدن كمركز منعزل دون توجيه أى أهتمام الى المناطق الداخلية التى كانت تتم عن طريقها الاتصالات التجارية .

وقد أكد « الكولونيل ووهوب » أن تلك الحدود التى وضعتها لجنة الحدود المذكورة لا يمكن أن تعتبر مرضية للجانب البريطانى ، لأنها تتجاهل الاعتبارات العسكرية تجاهلا تاما ، فهى تحرم البريطانيين من السيطرة على المرتفعات التى تسيطر على الحدود ، كما تحرمهم أيضا من امتلاك الاراضى الخصبة المرتفعة ، فى الوقت الذى تترك لهم فيه سفوح التلال القاحلة والاراضى الصحراوية .

وقد رأى « الكولونيل ووهوب » أن استيلاء البريطانيين على « ماوية » بالأراضى المرتفعة شمالا كان من شأنه أن يغير الموقف كلية لصالحهم – اذ يمكنهم ذلك من إقامة مراكز امامية حصينة فى جو صحى بحيث يمكن تغطية كل المنافذ المؤدية الى عدن من الناحية الشمالية الشرقية . ورأى « ووهوب » أيضا لم يكن يوجد أى مكان فى المنطقة الوسطى للبلاد وعلى مقربة من هذا الخط يمكن أن تعسكر فيه القوات البريطانية دون أن يهلك القسم الأكبر منها بالمرض . بل أنه قال أيضا أن وجود أى حامية فى الضالع لن يكون لها تأثير على مركز البريطانيين بل سيتم عزلها اذا زحف الترك من وادى تبيان فى لحج . ونظرا لأن الترك قد زحفوا الى أبعد مدى ممكن لهم فى جنوب اليمن حتى لحج فى ذلك الحين « فى سنة ١٩١٦ » فان الأمر يستلزم اعادة النطظر فى ظل الظروف الجديدة التينتجت عن اشتعال نيران الحرب « العالمية الأولى » (١) .

أما اذا خرج الاتراك من اليمن فقد رأى « الكولونيل ووهوب » أن مشكلة أكبر سوف تثور . ذلك لأن الحكومة البريطانية لم تكن تفكر فى احتلال جميع مناطق اليمن بما يورطها فى تحمل مسئولية حماية تلك المناطق . ولهذا فقد تكهن « ووهوب » بأن الجزء الاكبر من تلك المناطق سيظل مستقلا أو تحت حكم

---

1 - I. O. L. Secret, The Aden Protectorate, Op. Cit., Enclosure. No. 1 , The Boundary of the And protectorate, Note by Colonel R. A. Wauhope R. E. C. B. M. G., P. 5.

العرب . ورأى امكانية ممارسة الرقابة على موانى تلك السواحل وذلك للعمل على تنمية صادرتها . وقال « ووهوب » فى تقريره ان وصفها موجزا لطبيعة المنطقة الواقعة جنوبى اليمن يمكن أن يوضح الى أى مدى يعتبر تعديل الحدود أمرا مرغوبا فيه بالنسبة للبريطانيين بحيث تتم ممارسة الرقابة المذكورة بأقل قدر من النفقات .

واشار « الكولونيل ووهوب » الى أنه يمكن أن يؤخذ فى الاعتبار قيام البريطانيين باحتلال الحديدة أو أحد الموانى اليمنية المطلة على البحر الاحمر فالحقيقة أن الحديدة تعتبر المنفذ الطبيعى لمناطق زراعة البن اليمنى فى حراز وريمة كما أنها منفذا طبيعيا لمدن تهامة الاخرى . كما أشار الى أن هناك دول أوربية أخرى تظهر اهتمامها بميناء الحديدة . بل أن الترك فكروا فى مشروع اقامة خط للسكك الحديدة يربط الحديدة بصنعاء . وعلى أية حال فقد ذكر « ووهوب » أن على البريطانيين الا يتجاهلون مسئوليتهم فى تلك المناطق حماية لوجودهم فى عدن والبحر الاحمر على السواء .

وأخيرا أشار « ووهوب » الى أن تنفيذ تلك السياسة يحتاج الى قوة فعالة تتمكن من أن تمسك بزمام المبادرة عقب جلاء الترك عن اليمن مباشرة ، حتى لا تعم الفوضى البلاد وينتكس امام صنعاء الفرصة فيقوم باحتلال ماوية وتعز ، ولهذا أوصى « ووهوب » حكومته بعمل الترتيبات الضرورية من الناحتييت السياسية والعسكرية لضمان تنفيذ تلكم السياسة فى اللحظة المناسبة . كما أوصى « ووهوب » حكومته بضرورة تشكيل حامية دائمة خاصة تابعة لعدن وذلك بعد توافر الامكان الصحية التى تتميز بجوها المعتدل لتعسكر فيها قوات الحامية . وذكر « ووهوب » أنه لا يحبذ استخدام القوات الهندية فى الجزيرة العربية . بل انه يفضل تجنيد العرب المحليين لتوقعه تعاونهم واخلاصهم طالما كانوا مقتعنيين بأن المحمية البريطانية فى عدن وجنوبى اليمن أصبحت حقيقة دائمة وباقية .

– سياسة بريطانيا فى التنسيق بين حركتى الادريسى فى عسير والشريف حسين فى الحجاز أثناء الحرب العالمية الأولى :

يمكننا التعرف على مالم بريطانيا فى التنسيق بين حركت الادريسى فى عسير

والشريف حسين فى الحجاز أثناء الحرب العالمية الأولى من خلال الخطاب السرى الذى وجهه « البريجادير والتون Brigadier General W. C. Walton » القائد العام والمقيم السياسى البريطانى فى عدن الى سكرتير حكومة الهند البريطانية فى ٢٩ مايو سنة ١٩١٦ (١) .

فقد ذكر « والتون » أن الشريف حسين أمير مكة قد أخذ على عاتقه ترتيب قيام ثورة عربية عامة ضد الاتراك فى الحجاز وسوريا ، وانه يرتب قيام كل من الادريسى فى عسير والخلاف السليمانى من جهة ، والامام يحيى فى مرتفعات اليمن من جهة أخرى بالثورة على الترك فى وقت واحد .

وحدد « والتون » الهدف من خطابه هذا لحكومة الهند البريطانية بأنه ينحصر فى مناقشة الآثار المحتملة لمثل هذه الاضطرابات على الوضع الخاص للبريطانيين فى عدن وامناطق الداخلية المحيطة بها فى جنوب اليمن ومنطقة البحر الاحمر بوجه عام ، مع الاشارة بصفة خاصة لرد الفعل المتوقع لدى الاتراك العثمانيين فى اليمن وعسير والحجاز فى ذلك الحين .

على أن الموقف كان سيتحدد تبعا لمدى النجاح الذى سوف تحققه جهود الشريف حسين بطبيعة الحال . وهناك احتمالات ثلاثة ، أولها أن الشريف حسين قد يخفق فى الحصول على تأييد من شعبه أو من القبائ العربية الاخرى اذا ما ثار على العثمانيين المسلمين . وثانيهما أن الشريف حسين قد يحصل على تأييد الادريسى دون الامام حيى . بينما ثالث هذه الاتمالات هو أن يحصل الشريف حسين على تأييد كل من الادريسى والامام معا فى ثورته ضد الاتراك .

ورأى « والتون » أن صداقة الامام الذى تتركز قوته فى داخل اليمن وليس على الساحل تعتبر أضعف أثرا بوجه عا بالنسبة لمساندة البريطانيين من الاثر الذى

---

1 - I. O. L. No. B. 232, From Brigadier General W. C. Walton, General Officer Commanding and Political Resident, Aden, to the Secretary to the Government of India the Foreign Department, Simal, Headquarters, Adn, 29th May 1916 P.1.

تحدثه صداقة الادريسي الذى تتمركز قوته على الساحل والذى تتأثر مصالحه مباشرة بقوة البحرية البريطانية فى البحر الاحمر . على أنه بالنسبة للمنطقة الداخلية المتاخمة لعدن فان ضرورة حصول البريطانيين على حدود استراتيجية وسياسية سليمة كانت تحتم اجراء اتصال مباشر مع الامام يحيى لاجتذابه الى جانبهم .

كما رأى « والتون » فى حالة الاحتمال الأول - الذى افترض اخفاق الشريف حسين فى الحصول على تأييد شعبه أو القبائل العربية الأخرى - أن الموقف فى المنطقة المتاخمة لعدن وخاصة بين البريطانيين فى الجنوب والعثمانيين فى الشمال لن يتغير لصالح البريطانيين ، بل أنه قد يتغير لصالح الاتراك الذين قد يتلقون تأييدا أكثر من العرب بصفة عامة ومن الامام يحيى بصفة خاصة اذا ماأخفق الشريف فى القيام بثورته .

أما فى حالة الاحتمال الثانى الذى افترض نجاح الشريف فى الثورة ضد الترك ، وكان التساؤل حول انضمام الادريسي اليه من عدمه ، فقد رزى « والتون » ان الادريسي فى تلك الحالة لن يلاقى صعوبة كبيرة دون أدنى شك فى كسب بعض القبائل المحاربة الى جانبه ضد الترك ، حتى تلك القبائع التى كانت مؤيده للامام والتى سيهمها أن تنضم الى الكة الراجحة . وقال « واتون » أن الادريسي بفضل ما يزوده البريطانيون به من أسلحة سيكون فى وضع أفضل واقدر على محاربة الاتراك بطبيعة الحال ، وانه اذا حقق الادريسي نجاحا فى معركته ضد الاتراك فمن المحتمل ان يسحب الترك قوراتهمن المرابطة أمام عدن .

وقال « والتون » فى خطابه الى حكومة الهند البريطانية أن السؤال المطروح حينذاك كان يتعلق بماهية الدور الذى يمكن أن تقوم به القوات البريطانية فى عدن وقطع الاسطول البريطانى فى البحر الأحمر ، وهو أمر يستوجب الدراسة والاعداد فى وقت مبكر .

وتساءل «والتون » عما اذا كان البريطانيون فى عدن سيقفون بلا حراك بينما يسحب الاتراك قواتهم امعسكرة فى لحج لتعزيز تلك القوات التى تحارب ضد الادريسي ، أم أن البريطانيين سيهاجمون القوة التركية المرابطة اما عدن بمجرد أن

يقل عددها وتصبح قوة ضعيفة . فاذا اختار البريطانيون الوضع الاخير فيجدر بهم — كما ذكر « واتون » ان يستكملوا استعداداتهم الالزمة لشن هذا الهجوم على الاتراك المتمركزين فى لحج كما ينبغى أن تكون هناك خطة مدروسة عناية فاذقة ومجهزة وجربة باتقان بالغ .

وقال « والتون » أنه يتوقع أن يبدأ الشريف حسين فى تنفيذ خطته فى شهر يونية سنة ١٩١٦ وانه لم يكون هناك متسع من الوقت يمكن اضاعته مما يستوجب على البريطانيين سرعة الاستعداد . وسيكون هجوم البريطانيين على لحج مبعثه الوفاء بالتزامهعم الادبى ازاء الادريسى والحيولة دون قيام القوات التركية بسحقه وتحطيمه من جهة . بالاضافه الى قيام البريطانيين بالتقدم الى خطوط الحدود المتفق عليها مع الاتراك من قبل من جهة أخرى ، زن الامر كان يستلزم قيام البريطانيين بأنفسهم بفرض الانسحاب على الأتراك من لحج حتى يحتفظوا بمكانتهم بين القبائل الخاضعة للحماية البريطانية . واضاف « والتون » الى ذلك قوله انه اذا لكم يقم البريطانيين بذلك فسيكون للامام يحيى الحق فى السيطرة على كل المناطق اليمنية التى سيجلوا عنها الترك بمحض ارادتهم . وسيكون قيام البريطانيين باجبار الامام على اخلائها عملية عسكرية صعبة للغاية فضلا عن كونها غير مستساغة أيضا من الناحية السياسية ، بل زنه لا يمكن تحقيق ذلك الا اذا وضعت الحرب الكبرى أوزارها حتى لا تثار حينذاك دعوة الى « الجهاد » تعرض المصالح البريطانية لاشد الاخطار سواء فى عدن أو فى العالم العربى والاسلامى بوجه عام .

وأوضح « والتون » ان القوات البريطانية فى عدن عليها أن تتخذ موقفا دفاعيا أشد وأقوى مراا ، وأن تكون مستعدة لضرب الاتراك وقطع خط الرجعة عليهم حتاى لا يسيطروا على الممرات الواقعة شمالى لحج . على أنه كام من المعروف تماما فى ظل الظروف القائمة حينذاك أنه يتحتم على القوات البريطانية فى عدن الاحجام عن أية مخاطرة يترتب عليها الوقوع فى شرك الاتراك بدرجة تستدعى ضرورة ارسال تعزيزات لتخليص القوات البريطانية من مثل هذا المأزق .

على أن « والتون » اشار فى تقريره الى أن فرصة نجاح الاتراك فى تحريض

العرب على الثورة ضد البريطانيين ضئيلة للغاية ، وان العرب ينتظرون على النقيض من ذلك أن يحين الوقت الذى يمكنهم أن يبدأوا فيه ثورتهم ضد الاتراك وهم مطمئنين الى نجاحها . غير أن « والتون » رأى فى نفس الوقت الا يستبعد أن يترتب على الانتصارات الكثيرة التى كان يحققها الترك والالمان أن يضطر الى عدم مساندة البريطانيين فى ميادين القتال . وأكد « والتون » أن مصير شبه الجزيرة العربية ومنطقة البحر الأحمر سيتقرر فى ميادين القتال الرئيسية فى أوربا وفى آسيا الصغرى . غير أنه من العسير أن يعتقد البريطانيون أن المواقف المحلية غير مؤثرة فى الموقف العام لهم ولحلفائهم فى الحرب الكبرى ، مما يحتم على المواقف المحلية ألا تتصف بالركود والجمود . وقال « والتون » أن الملاكم الذى يحبس نفسه فى خط هجوم واحد لن يتمكن من الانتصار على خصم قادر على أن يستفيد من أية نقطة ضعف فى تكوين منافسه ، وان القوة التركية المرابطة فى لحج المواجهة لعدن تنطوى على نقطة ضعف من هذا النوع ، وتبدوا أنها تغرى بضربها والقضاء عليها مما يحقق للبريطانيين عدم قيام أى اتحاد عربى محالف للاتراك هناك من جهة ، كما يتيح الفرصة للبريطانيين أيضا لاختيار أفضل الحدود للمناطق المحيطة بعدن والتى كان يحكمها السلاطين المرتبطون معهم بمعاهدات حماية ، هذا فضلا عن أن ذلك العمل سيكون مشجعا على قيام اتحاد عربى ضد الترك وهو ما كانت تتبناه السياسة البريطانية فى ذلك الحين . على أن « والتون » قد أكد أيضا أن البريطانيين اذا لم يتخذوا ايجابيا فى تلك المسألة فانهم سيفوتون على أنفسهم فرصة ضمان الاحتفاظ بسيطرتهم على زمام المبادرة فى المجالين السياسى والعسكرى فى منطقة البحر الأحمر بما يضمن مصالحهم الحيوية هناك فى ذلك الحين .

واختتم « والتون » خطابه السرى الى سكرتير حكومة الهند البريطانية بشأن الأوضاع القائمة فى عدن والمنطقة المحيطة بها أثناء الحرب العالمية الأولى والمؤرخ فى ٢٩ مايو سنة ١٩١٦ بأنه يرى – بعد كل الاعتبارات التى أشار اليها فى خطابه – أن على البريطانيين فى عدن أن يوجهوا قواتهم لانقضاض على الترك فى لحج دون أن يتجوا لهم فرصة الفرار فى اتجاه الشمال حتى لا ينضموا الى بقية قواتهم المعسكرة فى وسط اليمن وشملها والتى كانت تتصدى للادريسى هناك .

ولضمان نجاح القوات البريطانية فى تحقيق أهدافها فقد الح « والتون » فى طلب تعزيزها ببطارتى ميدان حديثتين ولواءى مشاة مسلحين مع عدد كبير من الفرسامن بقدر ما يمكن استعارته من القوات البريطانية فى الصومال لفترة محدودة قد لا تتجاوز أسبوعين فى تقديره . على أن « والتون » كان يدرك تماما أن القرار النهائى فى هذا الموضوع سوف يتخذ بطبيعة الحال على أساس المتطلبات الاستراتيجية للاكمبراطورية البريطانية فى ذلك الحين .

ومن ناحية أخرى فقد اكم البريطانيون بتشجيع الشريف حسين ودعمه ليعلن ثورته على الترك وذلك باعتباره يشكل القوة العربية العسكرية المنطمة التى كان يمكنها القيام بدور فعال ضد الدولة العثمانية بعد أن تحالف مع الألمان . وكانت علاقة الشريف حسين بالترك قد بدأت تتدهور قبل نشوب الحرب الكبرى الاولى مما جعله يبحث عمن يدعم مركزه اذا « ناصبهم العداء ، وقد أحجم البريطانيون عن ذاك فى بداية الأمر حتى أقحم الترك أنفسهم بالتحالف مع الالمان مما عل البريطانيين يتجهون الى مساندة الحسين لاعلان ثورته عليهم (١)

وكانت السياسة البريطانية تهدف من أشعال نيران الثورة العربية ضد الاتراك فى الحجاز فى ذلك الحين الى اجبار تركيا على حجز جزء من قواتها العسكرية فى البلاد العربية بعيدا عن جبهات القتال الرئيسسة ولاسيما الجبهة الروسية . كما كانت بريطانيا تقدر أهمية اشتعال نيران الثورة ض الترك فى الجزيرة العربية بالذات لانها تستيطع أن تعزل القوات العثمانية الرئيسية فى الشام عن الجيوب العسكرية فى جنوب الجزيرة كاليمن وعسير . هذا فضلا عن أن البريطانيين كانوا يحرصون على افساد الخطط الالمانية التى كانت تهدف الى استخدام ألمانيا مع الدولة العثمانية لايجاد جسر يوصل بين المستعمرات الألمانية فى شرق أفريقية وبين ألمانيا عن طريق اليمن وموانى العثمانيين على الساحل الشرقى للبحر الأحم . بالاضافة الى تهديد

---

1 - I. O. L. B. 222, Secret, Crrespondence With the General Sherif of Mecca, No. 9. From the Hgh Commissioner, Cairo to the Sherif Hosayn, 3th. August 1915, P. 5 .

البريطانيين فى قاعدتهم الحيوية فى عدن . وكانت الثورة ضد العثمانيين فى وسط الجزيرة العربية وخاصة فى الحجاز تفسد على الألمان مخططاتهم هذه . بل أن البريطانيين كانت تهدف كذلك الى خلق خلافة عربية فى مكة على أمل تحويل مسلمى الهند اليها بدلا من الخلافة العثمانية التى تحالف مع أعدائها الألمان فى ذلك الحينم (١) .

وقد تم الاتفاق بين البريطانيين والشريف حسين بعد مراسلات وبرقيات ولقاءات بين مبعوثى الجانبين انتهت بتلك الرسالة التى بعث بها « السير هنرى مكماهون » الى الشريف حسين فى الوم العاشر من مارس سنة ١٩١٦ (٢) . وقد أوهمته فيهال بريطانيا التزامها بالاعتراف باستقلال البلاد العربية الخاضعة للدولة العثمانية مع استبعاد محمية عدن ، ومرسين واسكندرونهخ وجنوب العراق (البصرة – بغداد) وعلى أن يكون من حقه المصطالبة بالمنطقة الأخيرة بعد انتهاء الحرب . ولا شك أن استبعاد البريطانين لمحمية عدن على هذا النحو ليؤكد حرص البريطانيين المتزايد على وجودهم هناك وعلى عدم تعرض ذلك الميناء الهام وتلك القاعدة الحيوية لأية مسامات .

وعلى أية حال فان البريطانيين قد رأوا أن نشاط العثمانيين الحربى فى عسير وفى تهامة اليمن . فضلا عن سيطرتهم على لحج الواقعة شمالى عدن . أن ذلك يعد جزءا من نشاط ذدول الائتلاف المعادية للحلفاء أثناء الحرب العالمية الأولى . ولهذا عندما قام القائد البريطانى « الجنرال اللنبى » بزحفه المعروفة على العثمانيين فى فلسطين فى نهاية عام ١٩١٧ ، فقد أصبحت مهمة الاسطول البريطانى فى البحر الأحمر أن يقوم ابحر الأحمر أن يقوم بمحاصرة السواحل التى يسطر عليها الاتراك وقصف الموانى التابعة لهم على ساحل جزيرة العرب كجزء من الخطة الحربية للهجوم العام لحملة « اللنبى » المذكورة . وهكذا قام الاسطول البريطانى

---

١ – محمد أنيس (دكتور) : الدولة العثمانية والشرق العربى . ص ٢٧٦ – ٢٧٧ .

2 - I. O. L. 222, Secret, Correspondence with the Grand Sherif of Mecca, 22. Communication from Sir A. H. Mc. Mahon to the Grand Sherif, 10th March 1916. PP. 15, 16.

بضرب الموانى اليمنية التى يسطر عليها الترك كالحديدة ومخا والصليف واللحية . كما أمدت بريطانيا حليفها الادريسى فى عسير بمزيد من المؤن والعتاد الحربى وطالبته بسرعة الهجوم برا على الأتراك العثمانيين هناك . وبذلك حقق الهجوم البريطانى أهدافعه فى فلسطين ،حيث كان احتلال جيش الثورة العربى للمنطقة الواقعة شرقى عمان – بعد نجاح الثورة بزعامة الحسين فى الحجاز – قدحمى ميمنة القوات البريطانية فى فلسطين من هجمات الاتراك عليها . كما حمى أيضا خطوات مواصلاتها الطويلة . ثم تقدمت القوات العربية تجاه دمشق فاحتلتها فى أول أكتوبر سنة ١٩١٨ بعد أن أخلاها الاتراك ورفعت رايتها فوق أسوارها ومبانيها الحكومية وذلك قبل أن تدخلها قوات « اللينى » البريطانية . وواصلت قوات الثورة العربية زحفها شمالا فاحتلت حمص وحماه وحلب ولم يمض شهر واد حتى حررت سوريا كلها من النفوذ العثمانى الذى دام بها زهاء أربعة قرون متعاقبة .

وقد انهارت بعد ذلك خطوط دول وسط أوروبا فى جميع الميادين أمام قوى دول الوفاق المنتصرة فتهزمت بذلك الدولة العثمانية وخسرت معركتها وآمالها فى نهاية عام ١٩١٨ . وقد دخلت جيوش بريطانيا وفرنيا الى الزستانه عاصمة الدولة العثمانية ، وصدرت أوامر سلطان العثمانيين الجديدة محمد رشاد بواسة الوزارة العثمانية الجديدة لجميع القوات التركية فى البلاد العربية بالاستسلام والرحيل بواسطة بواخر النقل البريطانية . وقد استلم الادريسى ميناء « اللحية » وبلدة « الصليف » وغيرها من البلاد التى كان يسيطر عليها الترك فى عسير وشمالى اليمن . كما خلى الميدان للجيش الادريسى بانسحاب الاتراك فى جهجة بلاد « قيس » و « الخميسين » و « حجور » ، فانطلق الادراسة فى توسعهم الى قرب « حجة » حيث اصطدموا بمقاومة الامام يحيى وجها لوجه ، وأخيرا استطاعت القوات الادريسية أن تدعم مراكزها فى تلك الجهات بالقوة (١) .

أما فى وسط البمن فان الامام يحيى توجه الى « الروضة » احدى ضواحى صنعاء حيث رحب به عدد من مشايخ القبائل اليمنية . ونظرا لزن العلاقات كانت

---

١ – محمد بن أحمد عيسى العقيلى : المصدر السابق . ج٢ ، ص ١١٢ – ١١٣ .

طيبة بين الامام يحيى والوالى العثمانى محمود نديم بك على عكس ما كان عليه الحال بين الامام والقائد العثمانى فى لحج عنى سعيد باشا ، لهذا لم يكن مستغربا أم يوجه محمود نديم بك دعوة للامام يحيى لدخول صنعاء ويبدى استعداه لتسليمه مقاليد الحكم باعتباره وريثا شرعيا للحكم العثمانى فى اليمن . ،هكذا دخل الامام يحى صنعاء فى شهر نوفمبر سنة ١٩١٨ بناء على دعوة الوالى العثمانى الذى أمر بتسلبيمه « قصر غمدان » وما فيه من معدات كما أمر القائد العثمانى أحمد توفيق بتسليم الأسلحة والمدافع وكا ممتلكاتهم الحربية للامام مقابل ما كان له من ديون عليهم على النحو الذى أعلن فى ذلك الوقت (١) .

وبالنسبة للاتراك العثمانين فى جنوب اليمن فان البريقيات والمكاتبات التى تبودلت بين قائدهم فى لحج على سعيد وبن الوالى العثمانى محمود نديم بك والامام يحى من جهة ، والمقيم السياسى البريطانى فى عدن من جهة أخرى قدانتهت جميعيها بوصول أوامر العاصمة العثمانية باخراج « القوة العسركية والادراية الملكية العثمانية » من اليمن ، تبعا لشروط هدنة « مونردوس » المنعقدة فى ٣٠ أكتوبر سنة ١٩١٨ . ولهذا نجه على سعيد باسا الى عدن حيث سلم سيفه وعساكره للمقيم السياسى البريطانى فى شهر ديمسبر سمنة ١٩١٨ (١) ، بعد أباعوا جميع الحبوب المخزونة فى المخازن من مزرعات لحج وباع الضابط العثمانيون أسلحتهم وأمتعتهم بأخس الاثمان حتى بلغت قيمة السيف خمسة قروش مصرية . واستلم « الجنرال بتى » لحجات ، وعسكر جنوده البريطانيون فى « أم القفع » .

على أنه فى نفس الوقت تقريبا الذى سلم فيه على سعيد باشا قواته للمقيم السياسى البريطانى فى عدن كانت الحديدية هدفا لقنابل الاسطول البريطانى ،. لأن العثمانيين هناك حاولا المقاومة نتيجة لتردد الوالى العثمانى محمود نديم بك فى

١ – عبد الله عبد الكريم الجرافى : المصدر السابق ، ص ٢٢٥ ، ٢٢٦ .

٢ – أحمد فضل العبدلى : المصدر السابق ص ٢٦٠ .

. 229. Rihani, A. Op.PRihani, A. Arabian Peak and Desert, Travels in Yemen, Cit.. P. 229 .

الاقتناع بالتسليم لبريطانيا ، وقد أوضح الواسعى صورة لحادثة ضرب الاسطول البريطانى للحديدة بالقنابل واحتلالها بقوله : « وفى هذه السنة (١٩١٨ م - ١٣٣٧ هـ) هجم الانجليز على الحديدة بأحد عشر أسطولا على حينت غفلة بعد طلوع الفجر من غير اعلان ولا استعداد ، وضربها بالمدافع وخربها ، وذهبت أموال كثيرة وفر أهلها الى التهايم فى حالة يؤسف لها ولم يأخذوا معهم شيئا وكل واحد نجا بنفسه ، والمدافع تطلق قنابلها ، ثم احتل الانكليز الحديدة وتراجع الناس ، وصار أكثر الناس يسكنون الخرائب وفى البيوت القش وبعضهم صلح منزله بما يقدر عليه (١) .

ويقول أمين الريحانى أن الحديدة ضربت مرتين من البحر ، المرة الأولى فى سنة ١٩١٢ أثناء الحرب التركية الايطالية ، والمرة الثانية فى سنة ١٩١٨ فى الحرب العظمى الأولى عندما حمل « الجنرال اللنبى » على الترك فى فلسطين . فكان ضرب الحديدة جزءا من الهجوم العام . كما ذكر الريحانى أن قنصل بريطانيا فى الحدود كان يئذ على ظهر البارجة التى كانت تصدر منها الأومار باطلاق المدافع . وكانت دار القنصلة بأمر القنصل نفسه الهدف الأول لقنابل الاسطول لأن فيها حسب اداعائه أوراقا سرية . غير أن الريحانى يذكر أن القنصل فعل ذلك ليحصل على التعويض . وقد دفعت له الحكومة البريطانية أضعاف قيمته تعويضا (٢) ، غير أنها لم تفعل ذلك مع اليمنيين أصحاب الحديدة الذين لاذوا بالتهام « لايلوون على شئ ولم يأخذوا معهم ما يقوم بحاجاتهم اذ كانوا يكتفون بالنجاة من الموت المحتوم (٣) . على أن البريطانيين كانوا يرمون من وراء ضربهم للحديدة واحتلالهم وضع أقدامهم فى اليمن لمواجهة الامام يحى ومساومته عليها ، بعد أن بدأ أنه كان يريد أن يقوم بدوره كامل كوريث شرعى للحكم العثمانى . وكانت بريطانيا تعلم أن الحديدة بالنسبة للامام ذات أهمية بالغة لأنها المنفذ الطبيعى لصنعاء ووسط اليمن .

---

١ - عبد الواسع الواسعى : المصدر السابق ، ط٢ ، ص ٣٣٢ .

٢ - أمين الريحانى : المصدر السابق ، ص ٢٣٤ .

٣ - حسين بن أحمد العرشى : بلوغ المرام فى شرح مسك الختام فى من تولى ملك اليمن وامام ، ص ٩٢ .

وقد انتهز البريطانيون فرصة تردد الترك فى الاستسلام ليضعوا يدهم عليها حتى لا يهتموا فيما بعد بأنهم بدأوا بالعدوان . بل أن البريطانيين ادعوا أن قواتهم دخلت الحديدة للمحافظة على الأمن والنظام ، وأنهم سعيدونها للامام بعد استقرار الموقف . وذلك تبعا لما ورد بكتاب « والى عدن » المرسل للامام يحى ردا على احتجاجه على ضرب المدينة وتخريبها (١) . غير أن البريطانيين كانوا يهدفون من سيطرتهم على احديدة الوقوف فى وجه توسع الامام يحيى حتى لا يشكل خطرا على مصالحهم فى اليمن . بل أن العقيلى يذكر أن البريطانيين كانوا يهدفون أيضا الى اتخاذ الحديدة نقطة البدء فى الانطلاق لتأسيس « مستعمرة جديدة تتصل برا بمستعمرتهم فى عدن » . وتمهيدا لبلوغ تلك الغاية فانهم ضربوا نطاقا من الأسلاك الشائكة حول الميدنة وأخذوا فى استمالة شيوخ القبائل المجاورة (٢) . على نحو ما حدث مع شيوخ النواحى المجاورة لعدن .

وجدير بالذكر أن البريطانيين اضطروا فيما بعد الى تسليم الحديدة للادريسى فى ٣١ يناير سنة ١٩٢١ بعد أن فشلت محاولاتهم وخاصة بعثة « جاكوب » التى أرسلوها عن طريق الحديدة وحالت قبيلة القحرى دون وصولا الى صنعاء للاتفاق مع الامام يحى الذى أمر قواته بالزحف على النواحى التسع المجاورة لعدن ليضطر البريطانيين أو يساومهم على اخلاء الحديدة . كما أن القبائل اليمنية هاجمت البريطانيين فى الحديدة مما ترتب عليه تغيير ثلاثة قناصل لم يوفق واحد منهم فى تهدئة الحالة أو فى اقرار الأمور لصالح بريطانيا خلال السنة التى احتلوا فيها المدينة (٣) . وقد قام البريطانيون باستفتاء أهل الحديدة فى الانضمام الى الحكومة التى يرغبونها بعد جلاء الاتراك ، فتمسك معظمهم اما بعودة الكم العثمانى أو الانضمام الى « حكم العربية المصرية » (٤) وأخيرا أو عز المعتمد البريطانى فى الحديدة للجيش الادريسى فدخل المدينة ،وباسر اداراتها وتم جلاء البريطانيين عنها.

---

1 - Jacob. H. F. OP. Cit., P. 249 .

٢ - محمد بن أحمد عيسى العقيلى : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ١١٣ .

٣ - محمد بن أحمد عيسى العقيلى : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ١١٣ .

٢ - أمين الريحانى : المصدر السابق ، ج١ ، ص ٢٣٦ .

وعلى أية حال فقد سلم البريطانيون الحديدة للادريسى على كره من أهلها « الذين كانوا لا يرغبون فى حكم امام صنعاء ولا امام صبيا (الادريسى) (١) ويرجع ذلك الى أنهم كانوا الى أنهم يشتغلون بالتجارة ويفضلون العمل فى هدوء بعيدا عن ضوضاء السياسة وخطر الصراع بين الزعماء المتنافسين الذين سببوا الخراب والدمار لمدينتهم دون أن يقدموا اليهم أية تعويضات بل يجمعون منهم ما يكفى لشئون الادراة . ويفرضون عليهم ضرائب باهظة . جعلت كثيرين منهم يفضلون الهجرة الى عدن . على الرغم من أ الادراة الادريسية قاومت الهجرة وقبضت على بعض كبار التجار المهاجرين وأسرهم فى ميناء « ميدى » (٢) .

ولا شك أن تسليم البريطانيين مدينة الحديدة للادريسى كان تدخلا مع بريطانيا فى توزيع الأراضى واحدود بين الحكام المحليين المتنافسين ، مما آثار الامام يحيى ضد بريطانيا وسياستها وجعله يتجه الى مهاجمتها فى النواحى التسع المتاخمة لعدن فيجنوبى اليمن باعتبارها جزءا من أملاك أجداده ينبغى له أن يسترده . وكان يهدف بطبيعة الحال الى اتخاذ تلك انواحى « رهينة مقابل ميناءى اللحية والحديدة» التى سيطر عليها الادريسى بمساعدة بريطانيا . وقد أكد « جاكوب » مساعد المقيم السياسى البريطانى فى عدن ذلك عندما قال . « أن الحديدة لم تكن ملكا خاصا لنا حتى نمنحها للغير . كما أن الادريسى لم يغتنمها من الترك أثناء الحرب . وكان أول واجب علينا بعد عقد الهدنة مع تركيا أن نبعد الادريسى لم يغتنمها من الترك أثناء الحرب . وكان أول واجب علينا بع عقد الهدنة مع تركيا أن نبعد الادريسى عن منطقة أصبحت بالكتساب للامام وحده ، اذ أن الحديدة هى الميناء الطبيعى لصنعاء » (٣) .

وتجدر الاشارة الى أن حكم الادارسة قد اعتراه الضعف والانهيار بعد وفاة محمد الادريسى فى ٣٠ يناير سنة ١٩٢٣ . ولم يستطيع أبنه الأمير على تسيير دفة

---

١ – أحمد فضل العبدلى : المصدر السابق ، ص ٢٦٩ .

2 - Jacob. H. F. OP. Cit., P. 249 .

3 - Jacob. H. F. Ibid., P. 241 .

الأمور لصغر سنه ، مما جعل امارة الادارسة تمرخلال السنوات التى مضت بين عامى ١٩٢٣ ، ١٩٣٠ فى أدوار اضطراب داخلى ، فصارت مثارا لأطماع جيرانها وخاصة الامام يحيى الذى تمكن من طرد الادارسة من الأراضى اليمنية التى كانت تحت يد الترك قبل جلائهم وأن يحصرهم فى الجزء الشمالى من عسير فقط .

وقد أوضح الواسعى انتصارات الامام يحيى على الأدارسة بقوله :

« واستلم (الامام يحيى) باجل ثم الحديدة من دون حرب ، واستلم الموانى التى على ساحل البحر الأحمر « ابن عباس » و « الصليف » و « اللحية » و «ميدى » ثم مدن « الضحى » و « الزهرة » و« المغيرة » و « الزيدية » و « المراوغة» . وعين الامام لهذه عمالا وحكاما ومعلمين (١) . بل أن الامام يحيى احتل بعـض أراضى عسير وواصل الزحف شمالا ، مما حمل الادراسة على خلع الأمير على ، ونصبوا عمه السيد حسن الادريسى مكانه . وقد عقد السيد حسن مع ابن سعود معاهدة تحالف عام ١٩٢٦ بعد أن توسط بينهما السيد أحمد الشريف السنوسى الكبير ، الذى سارع من ليبيا ليساند نسيبه حسن الادريسى . وتطورت الأمور بعد ذلك الى أن طلب هذا الأمير فى النهاية ضم ما بقى فى يده من بلاده الى ملك حيفة ابن سعود ، فطويت بذلك صفحة الأدارسة فى عسير ، كما انتهى الدور الذى لعبته بريطانيا هناك أثناء الحرب العالمية الأولى .

١ – عبد الواسع الواسعى : المصدر السابق ، ص ٣٣٨ .

البحـــث الرابع

العلاقات الدولية أثناء الحرب العالمية الأولى

(١٩١٤ - ١٩١٨)

البحث الرابع

العلاقات الدولية أثناء الحرب العالمية الاولى

(١٩١٤-١٩١٨)

تعتبر الحرب العالمية الاولى التى أستمرت بين عامى ١٩١٤ – ١٩١٨ حربا فريدة وجديدة تماما على التاريخ البشرى. لقد كانت اول حرب عامة تشترك فيها الجماهير ارادت أو لم ترد وتتعرض للدمار الى جانب القوات المتحاربة بشكل لم يسبق له مثيل فى التاريخ . كما انها كانت اول صراع عام بين دول القرن التاسع عشر القومية، والرفيعة التنظيم، والقديرة على التصرف فى طاقات وامكانات كل مواطنيها او رعاياها، وعلى تعبئة القدرة الانتاجية لصناعاتها الثقيلة، وعلى الافادة من كل مالديها من علوم غنية حديثة فى ايجاد طرق وأساليب مستحدثة للتدمير والفناء.

لقد كانت الحرب العالمية الأولى أول حرب واسعة النطاق بدرجة تكفى لاهتزاز وقلقلة اقتصاد العالم الذى اشتد تداخله بشكل واضح فى خلال القرن التاسع عشر – كما انها تعتبر الحرب الكبرى فى التاريخ التى وجد فيها مثل هذا الفارق الكبير بين نتائجها وعواقبها من جهة، وبين نواياها واغراض من بدأوا باشعال نيرانها، بل وبين النتائج الاخرى التى تعرف الآن انها انبثقت منها.

لقد بدأت الشرارة الاولى لتلك الحرب حينما دخلت امبراطورية النمسا والمجر فى حرب مع الصرب عام ١٩١٤ ، وحينما انحازت روسيا الى جانب الصرب. التى لم يكن بوسع امبراطورية النمسا والمجر الوراثية، والعديدة القوميات، ان تتسامح الصرب، دون المجازفة بزيادة تفككها هى الى اقسامها القومية.

كما لم يكن بوسع امبراطورية روسيا القيصرية الوراثية، ان تتسامح فى التوسع النمسوى فى البلقان، دون أن تضيع دعوتها لشعوب شرق اوربا الصقلبية. وحين انحازت المانيا الى جانب امبراطورية النمسا والمجر، وانحازت فرنسا الى جانب

امبراطورية النمسا والمجر، وانحازت فرنسا الى جانب روسيا والصرب، قبيل قيام الحرب العالمية الاولى ، فلأنه لم يكن بوسع ايهما، أن تضيع عند حسابها لمقتضيات سلامتها وأمنها، معونة حليفتها لها ضد الأخرى.

وحين قامت المانيا بغزو بلجيكا ، التى كانت هى ودول غربية آخرى قد سبق ان تعهدت باحترام حيادها، كان السبب هو حرص المانيا على توجيه ضربة قاضية الى شمال فرنسا والى باريس نفسها، قبل ان تستطيع روسيا أن تضرب ضربتها، وقبل أن تصبح المعونة البريطانية الممكنة في حالة التأثير.

وحين اعلنت بريطانيا الحرب على المانيا، كان السبب هو ان المانيا كانت قد انتهكت تعهدا مشتركا باحترام الحياد البلجيكى من جهة ، ولان الاتفاقات البحرية المعقودة مع فرنسا، والخوف من القوة البحرية الالمانية أوجبا على بريطانيا ان تقف بجانب فرنسا فى وجه هذا الهجوم الالمانى .

ولما اعلنت اليابان الحرب على المانيا كانت تقصد الاستيلاء على ماللالمان من امتيازات فى الصين وفى بعض جزر المحيط الهادى .

اما بالنسبة للدولة العثمانية وبلغاريا فقد انضمتا الى المانيا بعد تمهل قليل، ويرجع ذلك الى أن الدولة العثمانية كانت خصما لروسيا ، بينما كانت بلغاريا تكن بعض الشكاوى والعداء ضد الصرب .

وعندما انضمت ايطاليا فى عام ١٩١٥ الى بريطانيا وفرنسا وروسيا، فقد حدث ذلك لانها كانت قد نالت ، بموجب معاهدة لندن السرية المعقودة فى نفس السنة، نالت وعدا بمغانم اقليمية على حساب الدولة العثمانية وامبراطورية النمسا والمجر، كما منيت بمغانم استعمارية اخرى فى حالة انتصار الحلفاء فى نهاية الحرب.

وهكذا كان دخول كل من الدول المتحاربة الى ساحة الحرب مقررا باعتبارات الأمن القومى، والقوة القومية. على أنه لو كانت رابطة التجارة تشكل رابطة مصلحة وصداقة بين الامم ، لما وجدت المانيا وبريطانيا نفسها فى جانبين متعارضين، ولكانت المانيا على علاقات رائعة بمعظم جاراتها الاوربيات، فقد كانت انجلترا

ترسل الى المانيا صادرات اكثر مما ترسله الى أى بلد اخر فى العالم فيما عدا الهند، كما كانت تشترى منها واردات اكثر مما كانت تشتريه من أى بلد آخر فى العالم فيما عدا الولايات المتحدة كما كانت المانيا أيضا افضل عميل لروسيا وللنمسا والمجر ولايطاليا وسويسرا وبلجيكا وهولندا وللنرويج، فضلا عن كونها العميل الثالث المفضل لفرنسا . وكانت كل دول واقعة فى شرق ألمانيا تتعامل معها بأكثر من ربع تجارتها الكلية. والغريب ان كل هذه الروابط التجارية التى كانت كلها قد نمت بهذا التوسع بعد عام ١٨٩٠ ، لم تفيد فى منع الدول المتحاربة فى مواصلة الحرب. انما اقتصر تأثير هذه الروابط التجارية على اشتداد القلقلة والاهتزاز الاقتصادى الذى سببته هزيمة المانيا فى نهاية الحرب العالمية الاولى .

ولاشك أن المشاكل التى أثارت تلك الحرب كانت تعول لتعاظم المخاوف وفقدان الثقة البالغ بين دول القارة الأوربية، بينما كانت تلك المشاكل ضئيلة الصلة بالمنافسات الاستعمارية خارج القارة الاوربية. ورغم أن فرقا كثيرة من الجنود استمدت من الاقاليم المستعمرة، كما ان المستعمرات البريطانية انضمت بطبيعة الحال الى جانب انجلترا ، فان الحرب كانت فى جوهرها حربا أوربية شبت بسبب مشكلات ومسائل اوربية خالصة. ولعل هذا يجعل تسمية تلك الحرب «بالحرب العظمى» اكثر مناسبة وتطابقا على جوهر تلك الحرب من اسمها اللاحق فيما بعد «بالحرب العالمية الاولى» .

كانت تلك الحرب قد انتهت على نحو ماكان يأمل الألمان حينذاك ، فى عام ١٩١٥ بهزيمة حاسمة لفرنسا، وبانهيار مالى وادارى لروسيا ، وبدون مشاركة من قبل بريطانيا، لنتج عنها شدة تماسك الامبراطوريات الوراثية القارية فى وسط اوربا وفى شرقها، ولكانت عاقبتها الكبرى هى امتداد سلطة المانيا امتدادا واسعا الى البلقان، وساحات القتال الشرقية، والى منافذ مفتوحة وموصلة الى الشرقين الادنى والاقصى ، والى التوسع الاستعمارى فيما وراء البحار. وفى هذه الحالة ماكانت تلك الحرب تصبح أول حرب عالمية، بل رابعة الحروب الالمانية الاستعمارية بعد حروب المانيا الثلاثة الاولى — وهى حروب بسمارك عام ١٨٦٤ ضد الدانمرك

وعام ١٨٦٨ ضد النمسا والمجر، وعام ١٨٨٠ ضد فرنسا. ولكن كان من المؤكد ايضا أن معاظم الامبراطورية الالمانية على النحو المشار اليه كان كفيلا بأن يؤدى الى حرب خامسة قد تكون هى حقا حربا عالمية . على أنه من الواضح ان تلك الحرب التى كان ينبغى أن تكون حربا اوربية فقط قد تحولت الى حرب عالمية بعد أن دخلت انجلترا ومستعمراتها التى لاتغيب عنها الشمس تلك الحرب، فتحولت نتيجة لذلك الى حرب عالمية ، بل أن رفض بريطانيا البقاء على الحياد – كما كانت المانيا ترجو ذلك – قد ادت الى نتيجة اخرى، وهى أن الولايات المتحدة وجدت نفسها فى النهاية مسوقة الى نبذ سياستها الحيادية ازاء حرب دخلتها بريطانيا وسيطول امدها مما كان من شأنه اضعاف ستار البحرية البريطانية الواقى لها فى نفس الوقت ، ضعفا كبيرا دون أن تدخل الحرب لضمان سلامتها هى.

وعلى أية حال ، فعلى الرغم من كل فوائد التزامن التاريخى فى الأمور بعد وقوعها، فاننا نستطيع الآن ان نرى أن هذه التشابكات كانت قائمة منذ اللحظة الاولى من اشتعال نيران الحرب. اما وقد بدأت الحرب، فقد كان على فرنسا ان تواصل القتال لمجرد البقاء على قيد الحياة ولأن اراضيها كانت مغزوة فعلا. وكان على المانيا ازاء فزعها التقليدى من خطر مواجهة حرب فى جبهتين، ان تضرب مستميتة فى الغرب ثم فى الشرق لتصون نفسها من الغزو ومن الانهيار . ولم يكن امام الامبراطورية النمسوية والامبراطورية العثمانية سوى اختيار احد امرين، اما الحرب واما الانهيار الداخلى. أما بريطانيا فكان لديها وحدها قدر من حرية الاختيار رغم انها لم تكن تستطيع المجازفة بالسماح بانتصار المانيا فى النهاية بمعنى انه كان بوسعها أن ترسم خطة لحرب حصار طويلة، ولتغيير الموقف دون – التعرض لغزو مباشر ، بينما كان للولايات المتحدة مجال اوسع لاختيار سياستها وفرصة من الزمن اطول لتنفيذها، بحكم بعدها عن مركز الصراع فى قلب القارة الأوربية .

وجدير بالذكر أن اوضاع الدول العظمى ومركزها لم يكن يسمح اثناء الحرب العالمية الاولى وحتى عام ١٩١٩ باثارة صراع واضح على المذاهب السياسية أو الايديولوجيات. ذلك لان الدول البرلمانية والديمقراطية، كبريطانيا وفرنسا

وبلجيكا وكانت متحالفة مع اشد الامبراطوريات الوراثية الرجعية، كروسيا القيصرية . وكانت المانيا متحالفة مع امبراطورية النمسا والمجر وهى خصمها ومنافستها السابقة ومع الامبراطورية ادعت اثناء الحرب العالمية الاولى انها كانت تحارب نزعة المانيا الحربية والاستعمارية ، ولكنها هى نفسها - أى الدول الغربية - كانت دولا استعمارية لها املاك فى الخارج، وكانت فرنسا ، بتقاليدها، واحدة من اعظم الامم الحربية الأوربية. والحقيقة أن هذه الدعاوى التى ادتها الدول الغربية كانت دعاوى مثالية غير واقعية، بل انها كانت قائمة فحسب من حيث أن الدول الغربية كانت تؤيد قضية تقرير المصير القومى للصرب ، وقضية قداسة الالتزامات المتعاهد عليها كما هو الحال فى حالة بلجيكا ، حفاظا على المصالح الخاصة للدول الغربية، فى حين أن تقرير المصير لم يتقرر لكثير من الشعوب الرازحة تحت نيران الاستعمار الغربى .

على أنه يمكننا ان نتتبع صراع المذاهب السياسية أو الايديولوجيات المعاصرة منذ عام ١٩١٧ على وجه الخصوص ، حين وقعت روسيا ، وهى فى احتضار الثورة الداخلية ، معاهدة « برست - ليتوفسك » وانسحبت من الحرب ، وحينما دخلت الولايات المتحدة الحرب فى صف الحلفاء الغربيين ، بحيث اصبح الموقف واضحا . فمنذ ذلك الوقت، اصبحت الحرب بصفة اساسية، حربا بين الدول الغربية البحرية التى كانت دولا استعمارية وديمقراطية النظرة كذلك ، وبين الدول الأوربية الوسطى الوراثية التى كانت دولا معادية لمثل الديمقراطية . هذا التحول فى طبيعة الحرب الذى اكسبها صفة صراع المذاهب السياسية أو الايديولوجية، انما حدث فى عامها الثالث. وهذا التحول لم يقرر سلفا نتيجتها فحسب، طالما ضمن الثقل الأمريكى ونظمه، وهو الانتصار الغالب على العقد الثالث من القرن العشرين، ومن الواضح ان هذه النتيجة لم تكن فى عام ١٩١٩ فى ذهن أى من الاطراف المشتركة فى الحرب. وهكذا تحولت اعظم الحروب القومية فى القرن التاسع عشر، تحولا بارزا ، الى أولى حروب الصراع من اجل المذاهب السياسية والايديولوجية فى القرن العشرين .

واذا نظرنا الى الفترة الزمنية التى استغرقتها الحرب العالمية الاولى فستجدها استمرت اثنين وخمسين شهرا.وقد تكون هذه الفترة طويلة اذا ماقورنت بالغارات البسمركية الخاطفة فى نهاية القرن التاسع عشر، ولكنها تعتبر قصيرة اذا قورنت بغيرها من الحروب الأوربية العامة فى العصر الحديث، كحرب المائة عام بين فرنسا وانجلترا، أو حرب الثلاثين عام بين البروتستانت والكاثوليك الاوربيين، أو الحروب النابليونية فى اوائل القرن التاسع عشر. لهذا فليس الجديد فى الحرب العالمية الاولى هو طول المدة التى استغرقتها، بل الشدة العنيفة المركزة فى حركتها واحداثها ، بحيث اثبتت الدول الصناعية العظمى قدرتها على تحريك جيوش واسلحة ومؤن ونقلها مئات الاميال، وقذف كل دولة اخرى بها، فى انتحار مدمر ورهيب. وبدا للجميع ان الجانبين أظهرا انهما كانا متقاربين فى تساويهما فى درجة المهارة والمقدرة ، بحيث كانت الظاهرة الرئيسية للحرب فى الغرب لكلا الجانبين ، بأنهما قوة لا تقاوم اصطدمت بعقبة لا تتزحزح .

وفرضت هذه الطبيعة المجهدة للحرب العالمية الاولى تأثيرها على طبائع المسائل المتنازع عليها. بحيث اضطرت كل حكومة الى أن تعتصر جهد قومها بشدة ثم تزيد اعتصاره طلبا للمزيد ، لا من القوات المسلحة فحسب، بل من الجبهة المدنية وفى الانتاج الصناعى كذلك . وعلى سبيل المثال نلاحظ أن بريطانيا لم تطبق نظام التجنيد الاجبارى، لكن كلتيهما اضطرت فى النهاية الى الاتجاه الى هذه الاجراءات الضرورية للحرب الشاملة ، نظرا لطبيعتها التى أشرنا إليها.

وعلى أية حال فقد استهلت المعارك فى الجبهات المحلية بالحصار البحرى على المانيا من قبل الاسطول البريطانى من جهة ، كما قامت الغواصات الالمانية باغراق البواخر التى تحمل الواردات الحيوية من الاغذية لبريطانيا . وهكذا اخذت الحرب شكل الصراع المتزايد لتنازع البقاء.

أما بالنسبة للنداءات التى كانت توجهها الدول المتحاربة لشعوبها، فانها لم تكن تستثير فقط العواطف القومية والوطنية فحسب، بل اقترنت ايضا بمزيد متكرر من الوعود لتحقيق قدر أوفى من العدالة الاجتماعية بعد الحرب، ولاقامة النظم

الديمقراطية، ولتوفير «مساكن تليق بالابطال» ، وللاعتراف التام بحق «تقرير المصير القومى » ، فضلا عن وعود اخرى كثيرة.

بهذه الطريقة ساعدت طبيعة الحرب ذاتها على التطلع لامانى اعظم فى الحرية والعدالة، والمساواة والكفاية، اذا ساد السلام. واستجاب الناس للدعوة القائلة، بأنه اذا كان التنظيم البشرى والعزيمة الصادقة، لقد استطاعا تحقيق مثل هذه المعجزات من اجل الحرب، فان جهدا مكافئا يقوم به التنظيم البشرى فى وقت السلام، يستطيع ازالة كل المساوئ السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى العالم المعاصر . وهكذا شجعت الحرب امكانية الايمان بالكمال وبالمثالية، مع الاستعداد بتجريب طاقة البشر فى الاصلاح الاجتماعى والتخطيط الاقتصادى والمجالات العملية المختلفة. وهو التجريب الذى قدر للثورة البلشفية ان تدعمه وتتجه لممارسته، بحيث ارتقت فكرة «الدولة للصالح العام» على يدى فكرة «الدولة للحرب» وهى الفكرة التى كانت سائدة أثناء الحرب العالمية الأولى . واذا نظرنا الى نتائج الحرب العالمية الاولى بشكل مباشر فاننا سنلاحظ ان هزيمة روسيا وانسحابها من الحرب قد اوضحت ان دول الحكم المطلق كانت أضعف من ان تقوى على مغالبة أثقال مثل هذه الحرب. وهذا الأمر انطبق تماما على امبراطورية النمسا والمجر من جهة ، وعلى الدولة العثمانية من جهة أخرى. وفى نفس الوقت أدى دخول الولايات المتحدة الحرب الى اذكاء اهداف السلام عند الحلفاء بشكل مثالى غير واقعى ، خاصة بعد ان ابرز الرئيس ولسون نفسه كمتحدث رسمى باسم المثالية غير الواقعية التى بدت للكثيرين وكأنه يبغى الكمال ذاته. فقد أسئ بدرجة كبيرة فهم مبادئه الأربعة عشر الشهيرة الصادرة فى يناير عام ١٩١٨ من جانب من ناقشوها دون أن يعرفوا أغوارها ، وأنها لا أعمق وأبعد من أن تكون بيانا عاما عن مبادئ خلقية مبهمة ، بل هى تتضمن قائمة بأهداف محددة تماما سبق أن أعلن الحلفاء أنهم سيتبعونها فى تسوية ما بعد الحرب، مثل إعادة الالزاس واللورين الى فرنسا، واعادة توحيد بولندا ، وجلاء القوات الالمانية عن روسيا وعن أراضى البلقان.

غير أن هذه الاهداف الممكنة التحقيق والتى لا ينازع احد فى عدالتها

امتزجت بمجموعة من المقترحات الولسنيه الاكثر قابلية للجدل ، مثل مطالبته «بحرية البحار فى السلم والحرب على حد سواء»، وازالة الحواجز والفروق فى التجارة الدولية وانقاص السلاح، واعادة النظر فى المطالب والممتلكات الاستعمارية، واعادة تخطيط خارطة أوربا خصوصا فى الجانب الشرقى من القارة حسب مبادئ «تقرير المصير القومى». بل إنه طالب أيضا قبل كل ذلك، بانشاء منظمة دولية جديدة لمنع الحرب.

واوضح الرئيس ويلسن هذه الافكار فى سلسلة من الخطب والتصريحات ونالت قبولا قويا كبرنامج متحرر مستنير لنمط جديد من أنماط اقامة السلام. وعلت نغمات هذه الصياغة المحكمة للاهداف المعنوية للسلام وسط الفروق الواقعية الواضحة بين الدول المتحالفة واعدائها .

ومن الملاحظ أنه على نحو ماكان الانتهاك الالمانى السافر لحقوق بلجيكا هو الذى جر بريطانيا متحدة معها الى الحرب ، فقد كان الاعلان الضار بالبشرية بشن حرب غواصات لاتقف عند حد هو الذى جر الولايات المتحدة الى الحرب كذلك .

وقد استطاع الحلفاء أن يوجهوا النداء مباشرة الى أمم شرق أوربا المتفرقة المغلوبة على أمرها كجزء من حربهم النفسية، لان نجاحهم كان من تلقاء نفسه سيؤدى الى تفكيك الامبراطوريات الوراثية ويعجل بانهيارها. وأمكن توجيه هذا النداء بكل قوة بعد هزيمة روسيا التى كانت محالفتها قد اربكت الحلفاء فى هذا الشأن.وهكذا تجمعت عدة عوامل لجعل الحرب بالنسبة للحلفاء قبل عام ١٩١٧ ، جهدا دينيا من اجل المثل الحرة المتميزة باحترام الالتزامات الدولية، والاستقلال القومى وتقرير المصير، ومن اجل قيم الديمقراطية، وهى الأوتار التى عزف عليها الحلفاء ليكسبوا الشعوب الى جانبهم .

غير أن هذه المثالية القوية كانت – على نحو مايرى الكثيرون – مفروضة من اعلى ، بينما ترسخ تحتها الاغراض القومية الانفصالية الأقدم منها عمرا، والتى لم يقدرلها أن تحل محلها بعد . كما لم يكن الحلفاء مستعدين بحال من الاحوال

لاقرار كل مقترحات ويلسن المثالية التى اشرنا اليها. اذا أن فرنسا التى تشكل الميدان الرئيس للقتال فى الغرب ، كانت مصممة على أن تدفع المانيا تعويضا عن خسائر الحرب. بينما كانت بريطانيا متشككة فى فكرة «حرية البحار فى اوقات السلم والحرب» التى كان من شأنها ان تجعل حصارها لالمانيا فى حكم المستحيل ، وقد ترددت كل من فرنسا وبريطانيا فى اقامة حق تقرير المصير القومى بحيث يصبح كما نزع ويلسن فى وصفه «كمبدأ ملزم فى التصرف» ، وتنبأنا بصعوبات محاولة تطبيقا منطقيا على القوميات المتداخلة فى البلقان .

بل أن فرنسا أيضا لم تنظر الى أى تسوية بقياس مدى مطابقتها للعدالة المجردة بقدر ماقاستها بمدى تحقيقها للاهداف الرئيسية التى من أجلها كانت هى تحارب، على اساس بقائها كدولة قومية تضمن امنها الذاتى من تكرر الغزو الالمانى. أما بالنسبة لبريطانيا فقد نظرت الى أى تسوية بمدى إزالتها نهائيا لخطر المنافسة الالمانية البحرية وبمدى اعادتها توازن القوى فى أوربا بدرجة اكثر تكافؤا. بينما حكمت ايطاليا على أية تسوية بدرجة مدى تحقيقها للاهداف التى شرطتها فى معاهدة لندن، وكانت بهذا القياس دولة ساخطة منذ البداية. أما القوميات البلقانية فقد حكمت على اية تسوية بمدى تمكينها من تحقيق امانيها القومية فى الوحدة والاستقلال. وكان يعوقها للوصول الى تحقيق امانيها ايضا تعارض اهداف هذه القوميات نفسها مع بعضها البعض. وهكذا تعددت وجهات النظر المختلفة. ولهذا فإنه على الرغم من أن الحرب انتقلت اثناء سيرها من مرحلة «صراع وطنى» الى مرحلة «مثالية خلقية متحررة» فانها قد اصبحت فى النهاية مزيجا من المرحلتين «فى جوهرها. بحيث كان الطابع الاساسى المميز للمشاكل التى واجهت بناء السلام فى نهاية الحرب العالمية الاولى فى عام ١٩١٩ على وجه التحديد هذا الخليط المحير والمعقد من الدعاوى الواقعية والمعنوية في آن واحد.

اما عن مأساة الحرب العالمية الاولى فاننا لا يمكننا تقدير موضعها فى تاريخ العلاقات الدولية المعاصرة الا اذا اشرنا الى المجهود البشرى والى التضحيات التى بذلت فى تلك الحرب لقد كانت هذه الحرب من الناحية الاستراتيجية اقل آلية

بكثير مما اصبحت عليه الحال فى الحرب العالمية الثانية. وهذا ماجعلها حرب جند ومشاة ومدفعية بالدرجة الاولى. ورغم استخدام كل من الفريقين الحصار البحرى، فقد كان القتال البحرى بين المتحاربين ضئيلا ، وبذلك كانت حرب جند اكثر منع حرب بحارة . اما بالنسبة للطيران فقد كان يستخدم فى الاستطلاع وفى مراقبة أعمال المدفعية، وقذف القنابل احيانا، وان كان قذف المواقع الخلفية لم يحدث الا فى الشهور الأخيرة القليلة وحدها .

ومن ناحية اخرى ، كانت جهود الجبهة الداخلية فى الانتاج وفى صيانه الروح المعنوية للمدنيين بالغة الاهمية، بل أهم بكثير من مثيلاتها فى الحروب السابقة، وعلى الرغم من ذلك فقد كانت تلك الحرب حرب جند اكثر منها حرب مدنيين، لان الجند كانوا هم فى كل الاحيان هم الذين يجرحون ويقتلون ، بينما لم تسبب مثلا غارات زيلن الالمانية على لندن سوى أضرارا قليلة بالنسبة للمدنيين .

وإزاء حرب الفناء الطويلة فى الغرب، ومعارك الحشود العسكرية فى الجبهة الشرقية، كانت المشاكل الرئيسية لكلا الفريقين طوال مدة الحرب تتركز فى التجنيد والتدريب ، والنقل، وتزويد ملايين الرجال الموحدى الزى بالمعدات المختلفة. وكانت جهود الحكومات للتغلب على هذه المشاكل هى التى أوصلت آثار الحرب عمليا الى قلب كل أسرة من أسر الدول المتحاربة بحيث اصبح معنى العمليات الحربية فى أوربا هو قيام مذبحة رتيبة لعشرة ملايين من الرجال معظمهم فى سن اقل من الأربعين سنة .

لقد استحدثت فى تلك الحروب بنادق الماكينة الرشاشة لدى كلا الطرفين ، كما استخدمت الغازات السامة كسلاح مضاد لنيران المدفعية. وكان استخدام جيوش باكملها، متجمعة كادوات للانقضاض والهدم، هو أبشع صورة تفتق عنها فن القيادة فى تلك الحرب عند كلا الفريقين. ونادرا ماترتب على ذلك تحطيم خط الدفاع بل كان منتهى مايصل اليه المهاجم هو دفع ذلك الخط الى الوراء اميالا قليلة. ولعل هذا هو ماجعل كفة اتباع خطة الدفاع تتفوق كثيرا على استراتيجية الهجوم، التى كانت تمثل النظرية السائدة فى كل من فرنسا والمانيا لكسب

المعارك الحربية من قبل حتى [illegible] سلاحان فحسب[illegible] ينتزعا مزية الدفاع وهما الدبابة والفرقة المدرعة. وهناك سلاح آخر استحدث فيما بعد وهو استخدام الطيران فى عملية القذف، ولم يؤخذ بهذا الا فى المرحلة الاخيرة من الحرب. وحتى عام ١٩١٨ كانت المغانم الوحيدة فى أى معركة كبيرة هى تشتيت العدو والاحتفاظ بالمواقع ، وهى مغانم سلبية رغم اهميتها. لقد استهلكت تلك الحرب من الرجال الذين ضاعوا وقودا لنيران المدافع بمعدل اكبر بكثير من نظائره فى أى حرب سابقة فى التاريخ، حتى أن الفرنسيين قدروا انهم كانوا يفقدون رجلا واحدا منهم فى كل دقيقة طوال مدة الحرب.

وبالنسبة للجبهة الشرقية لم تكن الحرب أخف حركة أو اقل تكلفة فى الأرواح البشرية ، نظرا لأن الروس كانوا مفتقرين إلى بنادق الماكينة والى المدفعية . ولهذا استطاع الالمان، باسلحتهم الارقى وبتنظيمهم الأفضل ، أن يقوموا بزحف مثير على الأراضى الروسية. ونظرا لأن اعظم مالدى روسيا سعة الجبهة امام الالمان وضخامة الموارد البشرية من الروس ، فقد كان بوسعها أن تبذر فى كليهما بسخاء اكثر مما كان بوسع غيرها، ودون أن تتعرض لمعاناة الهزيمة. فقد فقدت فى عام ١٩١٥ وحدها مليونى رجل بين قتيل أو جريح أو اسير ، وكان الالمان قد توغلوا فى لتوانيا وروسيا البيضاء ، وفقدت روسيا فى عام ١٩١٦ مليونا آخر من رجالها، وعلى الرغم من ذلك ظلت الجيوش الروسية ثابتة فى ميدان القتال ورفضت عقد الهدنة. ورغم مهارة الالمان فى نقل الرجال والمعدات بسرعة من جبهة الى اخرى. فان استيعاب الجيوش المانية باكملها فى الشرق اصبح بالضرورة امرا عظيم القيمة بالنسبة للحلفاء الغربيين. فكان هدفهم طبعا يتركز فى ابقاء روسيا فى الحرب بأي ثمن ولكى يحققوا هذا أبدوا استعدادهم لوعدها بمغانم على حساب الدولة العثمانية بعد الحرب، وبالمساعدة فى تمويل مجهودها الحربى بكل وسيلة ممكنة . ونجحوا فى هذه السياسة الى درجة ملحوظة .

ومما يؤكد ذلك أنه حين تم للروس خلع القيصر فى عام ١٩١٧ واقيمت حكومة موقته فى روسيا ، فقد ابقت هذه الحكومة روسيا فى الحرب ولم ترسل

تروتسكى للتفاوض مع المانيا فى عقد الصلح الذى أبرم فى «برست ليتوفسك» فى ٣ مارس عام ١٩١٨ ، الا بعد قيام الثورة البلشفية. وكانت القوميات المقيمة فى داخل الحدود الروسية الغربية قد اكدت، بتشجيع من الالمان ، حقها فى الاستقلال . وقد وافق البلاشفة فى المعاهدة على ضياع فنلندا، وبولندا الروسية ، واوكرانيا، ومناطق لتوانيا ولتفيا واستونيا. ورغم أن المانيا كانت لاتزال مضطرة الى الاحتفاظ ببعض القوات فى الشرق تنفيذا للمعاهدة ، فانها تخلصت من قيود المحاربة فى جبهتين، واصبح بامكانها ان تنقل جيوشا باكملها الى الجبهة الغربية كما نالت مؤنا اضافية من اوكرانيا لمساعدتها على مقاومة الحصار. غير أن هذه المكاسب جاءت متأخرة عن الوقت المناسب للتفوق على الامدادات الامريكية التى وصلت للحلفاء على الجانب الآخر من جبهة الحرب.

ومن أهم الامور التى ستحسم نتيجة الحرب لصالح الحلفاء هو انقلاب الميزان الدولى بانهيار كل حلفاء المانيا الكبار. فحتى عام ١٩١٧ كانت كل من الدولة العثمانية وامبراطورية النمسا والمجر ثابتة. بل كانت تكسب بعض الانتصارات بينما نجح الاتراك بعد امدادهم بضباط المان فى الاحتفاظ بالدردنيل ازاء الهجوم الجنوبى والبحرى، البريطانى الفرنسى فى عام ١٩١٥. وفى عام ١٩١٦ قامت المانيا وامبراطورية النمسا والمجر باكتساح رومانيا، التى دخلت الحرب اخيرا فى وقت غير مناسب. كما اكتسحنا الصرب، وابادت الطليان «كابوريتو Caporetto » غير ان الحلفاء استطاعوا تعبئة القوميات الثائرة فى داخل الامبراطوريتين خاصة وان التوتر الداخلى كان قاسيا ومحتدما. وكانت هذه القوميات على استعداد للانفصال عن الدولة التابعة لها حالما بدت الهزيمة وشيكة مما سبب لالمانيا قلقا مستمرا. لهذه الاسباب كانت نهاية الحرب، حين جاءت، سريعة ومدمرة . وكما أنه لم يكن لدى أى دولة خطط لحرب طويلة فى عام ١٩١٤ ، كذلك لم يتوقع احد فى عام ١٩١٨ أن تنتهى الحرب فجأة بهذه الصورة. لهذا فان السلام قد فاجأ الساسة فى عام ١٩١٨ بغتة اكثر مما فاجأتهم الحرب بقيامها عام ١٩١٤ .

انتهت الحرب كما بدأت من قبل بقرار من القيادة الالمانية العليا، التى

احست بهزيمتها فى اعقاب وصول الامدادات والمؤن البريطانية الامريكية للحلفاء فى اوربا فى خريف عام ١٩١٨ حيث كانت المانيا منهكة القوى الى اقصى حد ، وحلفاؤها قد استسلموا بينما نزلت الجيوش الامريكية الى الميدان الأوربى، وفى نفس الوقت ووجه القيصر وليم الثانى بثورة فى «كييل» فى ٣ نوفمبر وباضراب عام فى ٩ نوفمبر مما اضطره الى التنازل عن العرش واعلنت الجمهورية فى المانيا . وبعد يومين من هذا التاريخ، أى فى ١١ نوفمبر، وقعت اتفاقية الهدنة، وانتزعت القيادة العليا فى المانيا لنفسها النصر من وسط الهزيمة القومية، وانتهت الحرب فى الوقت الذى كانت فيه الجيوش الالمانية فى فرنسا، بينما لم تكن هناك على ارض المانيا أيه قوات للعدو، وبقى على الجمهورية الديمقراطية الجديدة أن تتحمل اللوم على عقد الهدنة. وبذلك مد فى عمر الطبقة المقاتلة التى جعلت بروسيا قلب الريخ الالمانى باقية لكى تحارب جوله اخرى، بل أن القيصر الالمانى نفسه، الذى سرعان ما أدين كمجرم حرب ، عاش حياة هادئة فى هولندا المحايدة الى عام ١٩٤٢ . بينما اثمر التغير الذى حدث فى المانيا عن ظهور جمهورية «فيمر Weimer» البرلمانية الالمانية فى نهاية الحرب العالمية الاولى .

ومن الملاحظ أن شعوبا كثيرة قد استولت على مقاليد مصائرها قبل امكان عقد مؤتمر الصلح فى باريس فى اعقاب الحرب العالمية الاولى. فقد اعترف الحلفاء فى اكتوبر عام ١٩١٨ باللجان القومية العديدة الممثلة للجماعات القومية فى امبراطورية النمسا والمجر. وفى ١٣ نوفمبر عام ١٩١٨ ذهب اخر اباطرة «الهايمبورج» الى المنفى. واصبحت كل من النمسا والمجر جمهورية ايضا. كما ظهرت على الخريطة دولة تشيكوسلوفاكيا تحت قيادة تشيكية. ويوغوسلافيا تحت زعامة صربية، وبولندا المجتمعة الشمل، ورومانيا المتسعة. ورغم بقاء حكوماتها وحدودها غير محددة الشكل تفصيلا، فقد تعذر مقاومة طلبها للاعتراف بها كدول قومية جديدة .

وبصورة مشابهة لذلك انبثقت من حكام الدولة العثمانية فى الشرق الادنى مجموعة من الدول العربية . واستمر القتال فى تركيا نفسها زمنا طويلا بعد عقد

الهدنة الالمانية ، ونظرا لأن اليونانيين غزوا الاناضول بمساعدةبريطانيا وفرنسا ، بينما كتل المقاومة التركية مصطفى كمال اتاتورك الذى طرد اليونانيين والحلفاء من جزيرة الاناضول فى عام ١٩٢٣ بعد نيله بعض المعونة من حكومة روسيا السوفيتية الجديدة، ثم اعلن قيام الجمهورية التركية الجديدة تحت حكمه فى نفس السنه.

ويلاحظ أيضا أن الشريط الارضى الممتد من السواحل الشرقية لبحر البلطيق فى الشمال الغربى الى سواحل الخليج العربى فى الجنوب الشرقى، قد اقيم فيه نطاق كبير من الدول الجديدة «نتجت عن انفجار الامبراطوريات القديمة وتناثرها تاركة بين أوربا وآسيا منطقة قلقة تعج بالقوميات الجديدة. وعرفت هذه المنطقة بالشقة الحرام نتيجة لامتدادها على طول التخوم الشرقية. وكان لدى فرنسا فى تعطشها الى العثور على حلفاء فى الشرق يقفون كحاجز فى وجه انتشار البلشفية تجاه الغربيين ، وكسلاح ضد العدوان الالمانى» ، الاستعداد الكافى للقيام بدور الوصى على هذه الدول الجديدة. ولهذا كانت فرنسا مستعدة لتأييد مبدأ «ويدرو ولسون» لتقرير المصير القومى، من حيث تطبيقه على شرق أوربا حينذاك .

وعلى هذا النحو ظهرت للعيان تسوية اقليمية للحدود ونظام المحالفات الدبلوماسية يعتمد على فكرة امكان الاحتفاظ بالشقة الحرام المشار اليها، أو على الأقل ملئها بالدول الجديدة، وعلى فكرة أن استعادة المانيا أو روسيا قوتها الحربية أو الاقتصادية ستؤدى الى تحدى هذا التنظيم. ولهذا فعندما استردت كلتا الدولتين قوتها قبيل عام ١٩٣٦ فانه لم يكن مفر فى أن يتيح هذا قيام سلسلة من الازمات الاوربية التى سببت حربا عالمية ثانية حين تحالفت المانيا وروسيا على تقسيم الطريقة بذرت بذور الحرب العالمية الثانية اثناء تصعيد الحرب العالمية الأولى الى ذروتها.

وينبغى أن نشير أيضا الى أهمية انتقال ميزان القوة فى المحيط الهادى فى عام ١٩١٨ ، وسنجد ان اليابان قد استولت على الامتيازات الالمانية فى الصين وعلى الجزر الالمانية فى المحيط الهادى، وهى جزر مارشال وكارولينا . وفى عام ١٩١٥ فرضت اليابان على الصين بالقوة معظم طلباتها الاحدى والعشرين التى اعطتها قدرا كبيرا من السيطرة على شمال الصين وعلى جنوب منشوريا. وانتعشت بانتزاع

الاسواق الأوربية السابقة في آسيا وفى امريكا الجنوبية، ونقلت فى سفنها كثيرا من تجارة آسيا.

ونظرا لضعف الصين وهزيمة روسيا وانشغال الولايات المتحدة وبريطانيا فقد وجد بصفة مؤقته فى اثناء الحرب العالمية الاولى وفي أعقابها فراغ من السلطة Vacuum of Power فى منطقة الشرق الاقصى . كان اليابانيون هم الاكثر تأهبا والاعظم تطلعا الى ملئه. وقد اجلت الاتفاقات التى تم الوصول اليها فى مؤتمر واشنطن عام ١٩٢١ الصراع عشر سنوات باقامة تعادل بحرى بين بريطانيا والولايات المتحدة ، وبتحديد قوة اليابان من السفن الحربية الى ٦٠٪ من عدد السفن البريطانية والامريكية. حتى أنه لقد بدا ان توازن القوى الذى كان قائما قبل الحرب العالمية الاولى قد أعيد لبعض الوقت فى منطقة الشرق الاقصى .

وفيما يتعلق بالتسوية التى اعقبت الحرب العالمية الاولى فقد اتفق عليها فى الاجتماع الذى حضره ممثلوا الدول المحاربة المتحالفة او المتحدة معها والمنعقد فى يناير ١٩١٩ فى فرنسا لوضع شروط الصلح. وكان بينهم متحدثون رسميون للحلفاء الكبار وللدول التى انضمت اليهم فيما بعد فحسب، بل لتلك الدول التى قطعت فى المراحل المتأخرة علاقاتها الدبلوماسية مع دول الاعداء كذلك ، وهي : بوليفيا ، واكوادور ، بيرو ، واورجواى. اما الصين وسيام فقد دخلتا ضمن دول الحلفاء المحاربة ، لاعلانهما الحرب في آخر لحظة. واستبعدت عن حضور هذا المؤتمر الدول المعادية للحلفاء بطبيعة الحال التى امليت عليها فيما بعد كل المعاهدات التى اقرت عقب انتهاء الحرب فيما عدا معاهدة لوزان مع تركيا فى عام ١٩٢٣ .

ولاشك أن توجيه التسوية والخطوط الرئيسية لها كانت من وضع الثلاثة الكبار فى المؤتمر وهم ولسن رئيس الولايات المتحدة الامريكية، وجورج كليمنصو ممثل فرنسا، ودافيد لويد جورج رئيس وزراء بريطانيا. وكانت اليابان وايطاليا فى البداية ضمن الدائرة الداخلية للدول الرئيسية، ولكن سرعان ماتغيبتا عن الاجتماعات. وكانت اهداف ولسن الرئيسية هى ضمان تطبيق المبادئ العامة التى اعلن ضرورتها

لاقامة صلح عادل، وانشاء عصبة الامم ولبلوغ اتفاق عام بشأن العصبة اضطر ولسن الى قبول انصاف الحلول فى تطبيق مبادئه العامة بشأن التسوية الاقليمية ، على أمل أن الاجزاء التى لم يرض عنها فى التسوية الاقليمية والسياسية كان من الممكن تحسينها فى الوقت المناسب على غير عجلة، بواسطة عمل العصبة كأداة للتوفيق والتعديل السلمى. فكانت التسوية الفعلية نتيجة سلسلة من المتنازعات والتوفيقات بين رغبات ولسن الخيالية الغايات، وبين مطالب كليمنصو الوطنية العتيقة الواقعية، وبين اهداف لويد جورج غير المستقرة والنهازة للفرص على نحو ما يشير الى ذلك الاستاذ «دافد تومسن» فى كتابه عن تاريخ العالم .

فبمقتض هذه التسوية ، استردت بلجيكا استقلالها. واعيدت الى فرنسا الالزاس واللورين اللتين اخذتهما منها المانيا عام ١٨٧١ . وكسبت فرنسا ايضا ملكية مناجم الفحم فى السار ، على أن تدار المنطقة مدة خمسة عشر يوما بوساطة لجنة تابعة لعصبة الامم. وفى عام ١٩٣٤ اعيدت الى المانيا بعد استفتاء بين السكان. كما تقرر أن تبقى منطقة الراين محتلة بقرات الحلفاء خمسة عشر عاما ضمانا لتنفيذ المانيا للمعاهدة. غير أن ذلك القرار كان تأكيدا دبلوماسيا عديم القيمة، ومن هنا كان سعيها المحموم وراء ضمانات اكثر ثباتا لسلامتها القومية طوال سنوات مابين الحربيين . كما ثبت بالمثل ان احتلال اراضى الراين وهى، اذ كان معناه المتخلفة سوف تنسحب فى نفس اللحظة التى تنتهى فيها الفترة من الزمن التى كانت المانيا محتاجة اليها لاحياء مطامحها ولاستعادة قوتها الحربية . ولاشك ان الضمانات المادية التى انتزعها الحلفاء من المانيا كانت محدودة للغاية، بل انها تركت اثارا سيئة لدى الالمان ستجعلهم يستجيبون فيما بعد لنداء الحرب من جديد .

ومن ناحية اخرى صمم الحلفاء فى تسويات ما بعد الحرب على أن تقبل المانيا ماسمى «كلمة مجرمى الحرب» فى وثيقة أرغم ممثلوا المانيا على توقيعها. كما ارتكز على هذه المادة طلب الحلفاء لتعويضات ذات ارقام خالية عن خسائر الحرب، دون اعتبار جدى لطرق تمكين الالمان اقتصاديا من سداد تلك التعويضات، بحيث

اصبحت مصدرا متجددا لكراهية الألمان للحلفاء. هذا فضلا عن أن بعض التعويضات انتزعها الحلفاء من الألمان فى الحال، أمثال حرمان المانيا من ممتلكاتها الاستعمارية ومن معظم اسطولها، ومن الجزء الاكبر من بحريتها التجارية، ومن ممتلكات المواطنين الالمان فى الخارج، مما جعل الملاحين الالمان يثقبون معظم سفن الاسطول الالمانى لاغراقها. كما حرم التجنيد الاجبارى فى المانيا، وحدد جيشها بمائة الف جندى. بل لقد حرم الحلفاء على المانيا امتلاك مدفعية ثقيلة، أو طائرات أو غواصات. ولم يكن بوسع المانيا لعدة سنوات بعد الحرب العالمية الاولى أن تبنى مثل هذه الاسلحة بأى كيفية. وعندما حان الوقت الذى استطاعت فيه انتاج تلك الاسلحة، فقد كانت هناك طرق كثيرة لجأ اليها الالمان لتفادى رقابة لجان نزع السلاح. ونظرا لأن الحلفاء فرضوا على المانيا أن يكون جيشها الصغير مكونا بالتطوع، وان يكون جيشها محترفا، فقد ظلت طائفة الضباط الالمان ذات قوة مصونة وابيح لها أن تضع الخطط لتحقيق النمو السريع للقوة الالمانية المحاربة بأسرع مايمكن. وهكذا كانت كل هذه الاجراءات التأديبية والتعويضية ذات أثر سيئ لدى الالمان، فضلا عن كونها غير ممكنة التنفيذ. وقد نتج عنها تكتيل الخطط الالمانى القومى ضد الحلفاء الذين لم يتخذوا الضمانات المحكمة ضد قدرة الالمان على التعبير عن سخطهم ونقمتهم التى ستتعاظم وتثير حربا عالمية جديدة.

وفيما يتعلق بتسويات مابعد الحرب العالمية الاولى فى شرق أوربا، فقد اهتمت بدرجة اساسية باعادة تخطيط خريطة اوربا السياسة، من توفير بعض الحماية للاقليات القومية التى ظلت حتى بعد عمليات رسم الخرائط القائمة البراعة متروكة على جانبى حدود الدول على غير رغبتها. وهنا احتاج الامر الى اجراء بعض التوفيقات والتهذيبات التى لانتهى عند تطبيق مبدأ «تقرير المصير القومى». فقد أرضيت حركة صقالية الجنوب بتكوين دولة يوغاوسلافيا، ولو أن ايطاليا اعطيت «تريستا» وبعض جزر «دلماشيا» وفق ماوعدت به فى معاهدة عام ١٩١٥ السرية. واقيمت بولندا دولة مستقلة من جديد واعطيت منفذا الى البحر يخترق الممر البولندى. وتوسعت رومانيا باضافة اراض كانت تابعة قبلا لروسيا وللنمسا والمجر، واستقلت بلاد اليونان على حساب الدولة العثمانية. وتكونت

جمهورية مركبة فى تشيكوسلوفاكيا ضمت عناصر من التشيك والسلاف والسوديت الالمان. وتم الاعتراف بدول بحر البلطيق مثل فنلندا ولتفيا ولتوانيا واستونيا كدول. بينما اصبحت النمسا والمجر دولتين صغيرتين بريتين منفصلتين. واصبحت تركيا فى النهاية دولة جديدة تحت رئاسة مصطفى كمال اتاتورك، وانحصرت فى استامبول وآسيا الصغرى. أما بالنسبة للمناطق العربية فقد عهد بالانتداب على سوريا ولبنان الى ادارة فرنسية، وعلى فلسطين وشرق الاردن والعراق الى ادارة بريطانية وكان معنى هذا هو ادارة هذه البلاد بواسطة دول تكون مسئولة عنها امام لجنه الانتدابات الدائمة لعصبة الامم المنشأة حديثا . كما تم توزيع الممتلكات الالمانية المستعمرة على اساس مماثل، فقد اصبحت افريقيا الجنوبية الغربية الالمانية من نصيب اتحاد جنوب افريقيا، وضمت مستعمراتها الافريقية الكبرى بين بريطانيا وفرنسا وبلجيكا. بينما عهد الى اليابان بجزر المحيط الهادى الشمالى انتدابا، وبغينيا الجديدة الالمانية الى استراليا، وعلى أية حال فقد انتقدت هذه التسوية خلال العشرين عاما التالية نظرا لانعدام التكافؤ بين الامال العريضة التى علقها الناس عليها وبين تلك الشبكة المعقدة من انصاف الحلول التى نتجت عن حرب استمرت اكثر من اربع سنوات تشابكت فيها المشاكل الدولية مما جعل من المستحيل ان تكون التسوية متفقة مع العدالة المطلقة أو مقرة لسلام دائم .

البحــث الخامس

عصبة الأمم وأثرها في العلاقات الدولية

المبحث الخامس

عصبة الأمم وأثرها فى العلاقات الدولية

بعد أن تعرض العالم لاهوال الحرب العالمية الاولى فقد وجدت لدى كثير من الدول الرغبة فى تكوين هيئة دولية عليا تشرف على الشئون العامة للمجتمع الدولى، ويكون لها من السلطات والوسائل مايمكنها من فرض قواعد القانون الدولى [1] ، ومنع اعتداء الدول على بعضها ، والعمل على استتباب الامن والسلام فى مختلف بقاع العالم .

على أن فكرة اقامة تنظيم دولى يتيح سبل التفاهم والتعاون بين الدول قد ظهرت على نطاق اقليمى منذ بداية القرن الرابع عشر الميلادى. فقد دعا الى هذه الفكرة المشرع الفرنسى «بيير دى بوا» فى سنة ١٣٠٥ ، كما ظهر من بعده المشروع الذى وضعه الوزير الفرنسى «سلى» فى سنة ١٦٠٣ ، ودعا فيه الى انشاء جمهورية مسيحية كبرى تضم الشعوب الاوربية كما قدم « الاب سان بيير» مشروعا لانشاء عصبة امم اوربية الى مؤتمر «أوترخت». وأعقب هؤلاء كذلك ماأورده «رومو» و «فيتام» وغيرهم ، مما يؤكد ان فكرة اقامة تنظيم دولى هى فكرة ظهرت مع بداية العصور الحديثة .

واذا كان العالم قد شهد اثناء الحرب العالمية الاولى تركيزا بالغا من قبل دول متعددة على الحرب والتدمير، فان رد الفعل لذلك كان متوجها بنفس التركيز من قبل دول متعددة لبناء السلام، ومن هنا جاءت فكرة انشاء عصبة الام التى تعتبر من اعظم النتائج السياسية للحرب واكثرها خطرا [2] » .

وقد تكونت عصبة الأمم فى اعقاب الحرب العاليمة الاوى ، وظلت تمارس ماتقرر لها من اختصاصات وسلطات زهاء ربع قرن من الزمان، ولكنها لم توفق فى

---

(١) على صادق أبو هيف (دكتور): موجز القانون الدولى العام ، ص ٣١٣ .

(٢) رمزى ميور: النتائج السياسية للحرب العظمى ، ترجمة محمد بدران ، ص ٢٣٢ .

اداء رسالتها الاولى وهى وقف الاعتداء ومنع الحروب، مما ادى فى نهاية فترة مابين الحربين العالميتين الى تصدع بنيانها حتى عصفت بها الحرب العالمية الثانية. فلما انتهت هذه الحرب سارعت الجماعة الدولية الى جمع شملها فى هيئة جديدة، فتكونت هيئة الامم المتحدة التى تؤدى مهمتها فى الوقت الحاضر ، محاولة الاستفادة من التجارب التى تعرضت لها عصبة الامم فى فترة مابين الحربين العالميتين.

وقد تم انشاء عصبة الأمم بموجب ميثاق دولى يعرف بعهد عصبة الأمم، وادمج هذا الميثاق فى صدر معاهدات الصلح التى انتهت بها الحرب العالمية الاولى ، ووضع هذا الميثاق موضع التنفيذ فى سنة ١٩٢٠ . وقد تضمن عهد العصبة ستة وعشرين مادة دارت حول مبدأين هامين هما ضمان السلم العالمى ومنع الحروب من جهة ، وتنظيم وتوثيق التعاون الدولى من جهة اخرى .

وقد حددت عصبة الامم وسائل معينة لتحقيق أهدافها وخاصة فيما يتعلق بضمان المسلم العالمى ومنع الحروب. ومن أهم هذه الوسائل تخفيض التسلح ، اذ قررت المادة الثامنة من عهد عصبة الامم تخفيض التسلح للدول الاعضاء الى الحد الذى يتفق مع مقتضيات امنها الوطنى وتنفيذ التزاماتها الدولية التى قد يفرضها عليها عمل تشترك فيه مع غيرها من الدول. ويتولى مجلس العصبة تحضير برامج التسليح بالنسبة لكل دولة مع مراعاة مركزها الجغرافى وظروفها الخاصة، على أن تعرض هذه البرامج على حكومات الدول كل فيما يخصها لاقرارها. وفى حالة اقرار الدول لهذه البرامج فلا يجوز لها أن تتعداها الا بموافقة مجلس العصبة.

ومن الوسائل التى حددتها عصبة الأمم لضمان السلم العالمى ومنع الحروب هو الالتزام بمبدأ الضمان المتبادل . اذ فرضت المادة العاشرة من العهد على كل دولة عضو فى العصبة احترام وضمان سلامة اقاليم الدول الاعضاء واستقلالها السياسى ضد أى اعتداء خارجى . وفى حالة وقوع أى اعتداء أو تهديد باعتداء عى احدى الدول الاعضاء فعلى مجلس العصبة أن يقرر الوسائل التى تكفل تنفيذ هذا الالتزام واحترامه .

وقد تضمن عهد عصبة الامم فى نفس الوقت مبدأ فض المنازعات بالطرق

الودية، اذا مانشبت اية منازعات بين الدول الاعضاء ، وذلك للحيلولة دون نشوب الحروب. على أن يعرض أى نزاع ينشب بين الدول الاعضاء على مجلس العصبة او التحكيم أو القضاء ، فى الوقت الذى يحظر على الدول الاعضاء الالتجاء الى الحروب قبل استنفاد هذه الوسائل العلمية. فاذا ماتأزم الموقف بين دولتين ونشبت الحرب فعلا بينهما ، فعلى مجلس العصبة ان يجتمع على الفور مع الامين العام للنظر فى الموقف واتخاذ مايلزم من اجراءات .

كما تضمنت المادة السادسة عشرة من عهد عصبة الامم الاخذ بمبدأ توقيع الجزاءات على الدولة التى تخالف احترام العهد وتلجأ مباشرة الى الحرب مما يعتبر عملا عدائيا موجها ضد اعضاء العصبة جميعا. وقد تمثلت هذه الجزاءات فى المجالات العسكرية والاقتصادية والسياسية .

على أن الجزاء العسكرى لا يوقع الا بأذن مجلس عصبة الامم الذى يشير على كل حكومات الدول التى يوكل اليها توقيع الجزاء بما تشترك به كل منها فى تكوين القوات المسلحة اللازمة لحمل الدولة المخلة على احترام تعهداتها. وجدير بالذكر أن مجلس العصبة لم يعهد اليه طوال مدة قيام العصبة الى توقيع هذا الجزاء نظرا لموقف الدول الاعضاء الذى ينطوى على عدم رغبتها فى تحمل مسئولية فرض الجزاء العسكرى الزمر الذى اضعف من فعالية عصبة الامم وايجابيتها.

وبالنسبة للجزاء الاقتصادى فقد نص العهد على أن تعمد الدولة على توقيعه مباشرة بمجرد حصول الاخلال .

ويتضمن هذا الجزء قطع كل علاقة تجارية أو مالية مع الدولة المخلة، وكذلك منع كل اتصال مالى او تجارى أو شخصى بين رعاياها ورعايا الدولة الموقع عليها هذا الجزاء .

أما بالنسبة للجزاء السياسى فقد كان من حق مجلس العصبة أن يقرر طرد أى عضو فى العصبة منها اذا احلت تلك الدولة العضو بالتزاماتها وفقا لعهد العصبة. ويصدر قرار الطرد باجماع الآراء فيما عدا صوت الدولة المراد توقيع الجزاء عليها. وق قرر مجلس عصبة الأمم بالفعل طرد روسيا من العصبة عقب اعتدائها على

فنلندا دون أن تراعى تعهداتها قبل المنظمة الدولية .

وقد تضمن عهد عصبة الأمم مبدأ علانية المعاهدات الدولية فنصت المادة الثامنة عشرة على وجوب تسجيل المعاهدات ونشرها ، نظرا لما يترتب على عدم اعلان المعاهدات من انعدام القوة الالزامية للمعاهدة، وحتى يمكن التوصل الى القضاء على المعاهدات السرية التى تدبر فيها الاعتداءات وتعد العدة لها. كما نصت المادة التاسعة عشرة من عهد العصبة على حق الجمعية العمومية فى دعوة الدول من آن لاخر على اعادة النظر فى المعاهدات التى اصبحت غير صالحة للتطبيق أى التى تغير ظروفها بحجيث يصبح التمسك بتطبيقها مثارا للنزاع بين الدول ومهددا للسلم الدولى . كما سجلت المادة العشرون من العهد اعتراف الدول الأعضاء كل فيما يخصها بأن العهد يلغى المعاهدات أو الاتفاقات المتنافية مع احكامه. بل وتتعهد هذه الول بعدم ابرام مثل هذه المعاهدات فى المستقبل حفاظا على السلام العالمى .

كانت أهم المبادئ التى تضمنها عهد عصبة الأمم، وكانت فى مجموعها تشكل أساسا طيبا للعلاقات الدولية يؤدى — اذا ماتمسكت الدول الأعضاء بها الى الحفاظ عل الاستقرار والامن الدولى .

ومن ناحية تكوين العصبة وهيئاتها ، فقد كانت العصبة تتكون من أعضاء أصليون ، ويشملون أولا الدول التى وقعت على العهد ، وثانيا الدول المذكور اسمها فى ملحق العهد التى تنضم اليه انضماما لاحقا فى ظرف شهرين من بدء تنفيذه، ومن اعضاء غير اصليين وهم من يرغبون غير هؤلاد فى الانضمام الى العصبة. وق نصت الفقرة الثانية من المادة الاولى من العهد بشأنهم على أنه «لاية دولة أو مملكة أو مستعمرة تحكم نفسها بنفسها ولم يرد ذكرها فى الملحق أن تصبح عضوا فى العصبة اذا وافق على قبولها ثلثا اعضاء الجمعية العامة وبشرط أن تقدم الضمان الكافى عن خالص نيتها فى احترام التزاماتها الدولية وان تقبل النظام الذى تضعه العصبة خاصا بالتسلح وبالقوات البرية والبحرية والجوية» .

وتفقد الدولة عضويتها بالانسحاب ، وفقد اجازته المادة الاولى فقرة ثالثة من العهد ، بشرط ان تقوم الدولة الراغبة فيه باعلان العصبة بعزمها على الانسحاب

قبل حصوله بسنتين وان تكون قد اوفقت وقت انسحابها بجميع التزاماتها الدولية ومن بينها الالتزامات المقررة فى العهد . كذلك تفقد الدولة عضويتها زما بالطرد اذا اخلت بواجباتها المنصوص عليها فى العهد (مادة ١٦ فقرة رابعة) ، واما نتيجة لعدم موافقتها عن تعديل فى العهد صدر به قرار من مجلس العصبة والجمعية العامة (مادة ٢٦ فقرة ثانية) .

وفيما يتعلق بهيئات العصبة فقد نص العهد على ان تقوم باعباء العصبة هيئات ثلاثة هى جمعية عامة - ومجلس - وامانة دائمة (مادة ٢) . وتتشكل الجمعية العامة من مندوبى جميع الدول الاعضاء فى العصبة ، على أن لايزيد عدد مندوبى كل دولة عن ثلاثة وان لايكون لها غير صوت واحد. وتجتمع الجمعية العامة اجتماعا عاديا سنويا ، يوجوز ان تجتمع بصفة عادية اذا دعت الظروف لذلك. ويدخل فى اختصاصها جميع المسائل التى تدخل ضمن دائرة نشاط العصبة وكذا جميع مايمس سلم العامل (ماد ٣) . وتصدر الجمعية قراراتها باجماع الاراء الا ماأستثنى بنص خاص كالاقتراع على دخول عضو جديد فى العصبة او على انتخاب الاعضاء غير الدائمين فى المجلس وكذا المسائل الخاصة بالاجراءات (مادة٥) .

اما بالنسبة لمجلس العصبة فهو اداة العصبة الاكثر نشاطا والاوسع اختصاصا وقد كان عدد اعضاءه عند انشاء العصبة تسعة ، منهم خمسة دائمون يمثلون دول - الحلفاء الكبرى الخمس ، واربعة تنتخبهم الجمعية العامة من بين الدول الأخرى بطريق التناوب . وقد عدل تشكيل المجلس بعد ذلك جملة مرات حتى أصبح قبيل الحرب العالمية الثانية يضم خمسة عشر عضوا منهم ستة دائنين وهم انجلترا وفرنسا وايطاليا وروسيا واليابان والمانيا، وتسعة غير دائمين. ولا يكون للدول الاعضاء فى المجلس سوى ممثل واحد، والدول غير الاعضاء أن تبعث ممثل لها فيه كلما عرض زمر يهمها بوجه خاص. ويجتمع المجلس مرة على الاقل فى السنة وكذا كل مااستدعت الظروف ذلك (مادة ٤) . ويصدر المجلس قراراته بالاجماع الا ماأستثنى فى حالات خاصة ، كحالة الفصل فى نزاع دولى فلا تحتسب اصوات الدول

المتنازعة وفى حالة المسائل الخاصة بالاجراءات فيكتفى فيها بالاغلبية .

وفيما يتعلق بأمانة العصبة فكانت تتكون من أمين عام يعينه مجلس العصبة فى قرار بالاجماع وتوافق عليه الجمعية العامة بأغلبية الآراء ومن امناء وموظفين يعينهم الأمين العام بموافقة المجلس. ويقوم الزمين العام بوظيفة سكرتير المجلس والجمعية العامة فيما يعقد انه من اجتماعات، وينفذ مايصدرانه من قرارات . وهو الذى يتولى دعوة المجلس للانعقاد عند عقيام حالة حرب أو تهديد بالحرب ، وهو كذلك أداة الاتصال بين الدول المتنازعة والمجلس او الجمعية العامة فى عرض النزاع على هاتين الهيئتين . وتتولى الامانة العامة الى جانب ذلك مهمة تسجيل ونشر المعاهدات والاتفاقات الدولية (المواد ٦ و ١١ و ١٨).

وقد تقرر أن يكون مقر العصبة مدينة جنيف بسويسرا ، كما تقرر أن يتمتع جميع ممثلى اعضائها ومؤلفيها بالامتيازات والحصانة الدبلوماسية ، وتمتد الحصانة كذلك الى المبانى والأراضى التى تشغلها العصبة بمختلف هيئاتها وفروعها (المادة٧)[١] .

كان يمكن لعصبة الأمم أن تؤدى دورها بنجاح اذا ماالتزمت الدول الاعضاء بعهد العصبة وصدقت النية فى الالتزام بمبادئها «غير أن عصبة الأمم تعرضت لمشكلات متعددة فى فترة مابين الحربين كانت ابرزها مشكلتى هجوم اليابان على منشوريا فى سنة ١٩٣١ ، وهجوم ايطاليا على الحبشة فى سنة ١٩٣٥ .

وقد تعرضت عصبة الامم الاولى للتحديات التى واجهتها وعصفت بها عندما قامت القوات اليابانية باحتلال منشوريا التابعة للصين فى ١٨ سبتمبر ١٩٣١ . وتذرعت اليابان بحجة واهية تمثلت فى انفجار قنبلة فى خط سكك حديد جنوب منشوريا والذى كان تحت الادارة اليابانية . ومع ان القنبلة لم تسبب خسائر جسيمة، وان الخط لم يتعطل اكثر من ساعة، الا أن الحكومة اليابانية سارعت الى احتلال منشوريا لانها كانت تتلهف على فرصة او مبرر للقيام بذلك .

---

(١) على صادق أبو هيف (دكتور) : المرجع السابق ، ص ٣١٦ .

فاليابان وجدت فى سيطرتها على منشوريا حلا لقضايا متعددة تتعلق بالمشاكل الاقتصادية لليابان من جهة ، وبالحقوق التى تدعيها اليابان فى منشوريا من جهة أخرى، فضلا عن مناوأة الصينيين والحكومة الصينية للنفوذ اليابانى من جهة ثالثة. ولكى ندرك عمل المشاكل الاقتصادية التى كانت تواجه اليابان فاننا سنجد ان تعداد السكان هناك قد بلغ حينذاك ٦٦ مليون نسمة فى الوقت الذى لاتزيد فيه المساحة المزروعة من أرض اليابان عن ١٨ ٪ من مساحتها الكلية البالغة ١٤٣٫٥٥٨ ميل مربع.

كما أن الحرب الكبرى الاولى كانت قد زادت من حدة الازمة الاقتصادية اذ نمت الصناعة فى اليابان اثناء الحرب وبعدها الى الدرجة التى جعلتها منافسة للصناعات الأوربية فى وقت كانت الاسواق الأوربية شبه مغلقة خاصة بسبب الازمة الاقتصادية العالمية فى سنة ١٩١٩، وهنا شكلت الصين بالنسبة لليابان سوقا رائجة لتصريف منتجاتها ان لم تكن أهم الاسواق لها على الاطلاق . كما كانت منشوريا ايضا اهم مود للمواد الأولية بالنسبة لليابان، وكانت اليابان تحرص على عدم قيام اية قوة أخرى بمنافستها فى ميدان منشوريا التى كانت تحتوى على موارد معدنية هامة مثل الفحم الحجرى والحديد ، فضلا عن مساحتها الشاسعة الصالحة للزراعة والتى لم تستغل بعد مما ادى الى تطلع اليابان للسيطرة عليها.

اما بالنسبة لحقوق اليابان فى منشوريا فانها ترجع الى سنة ١٩٠٥ أى منذ الحرب الروسية اليابانية حيث كانت اليابان تملك شبه جزيرة «ليازنوج» والميناء الحربى «بورت آرثر» والميناء التجارى «دابرين» بصفة أراضى تأجير. كما كانت اليابان أيضا منذ سنه ١٩٠٥ تمتلك خط سكك حديد جنوب منشوريا ، كما ورثت الحقوق التى كانت لروسيا على هذا الخط كحق الادارة وحق وضع حامية فى ارضه. وقد اكتسبت اليابان ايضا خارج منطقة الخط الحديدى «فوائد اقتصادية هامة» فى كل منشوريا الجنوبية فقد استقر فيها يابانيون استثمروا رؤوس اموالهم وفى عام ١٩١٥ تقدمت اليابان الى الصين بمطالبها الواحد والعشرين حصلت بموجبها على امتيازات متعددة لصالح الرعايا اليابانيين وثبتت هذه الامتيازات فى

سنة ١٩٢٢ . وقد بلغ عدد اليابانيين فى منشوريا الجنوبية عام ١٩٣٠ مابين ٢٢٠ الف الى ٢٤٠ الف يابانى . وبلغت رؤس الاموال المستثمرة لصالح اليابانيين ٨٠٠ مليون مقابل (عملة يابانية). وبذلك كان نمو منشوريا الاقتصادى من صنع اليابانيين ونتيجة لجهودهم .[1]

وهناك أسباب أخرى لهجوم اليابانيين على منشوريا تتعلق بمناراة الصينيين والحكومة الصينية للنفوذ اليابانى فى منشوريا .

اذ بدأ الصينيون منذ سنه ١٩٢٥ يعملون ضد التفوق الاقتصادى لليابان فى منشوريا عن طريق قصر نفوذ اليابانيين فى منطقة الخط الحديدى حيث أخذ اليابانيون يتوسعون فى منشوريا الجنوبية كلها. كما كان الموظفون الصينيون يحاولون أن يفسروا بنود اتفاقات ١٩١٥ وسنة ١٩٢٢ بشكل ضيق فيما يتعلق بالامتيازات التى يمتلكها المستعمرون اليابانيون فى منشوريا الجنوبية. بل أن الحكومة الصينية عملت منذ عام ١٩٢٧ على تشجيع العملا الصينيين على الاتجاه الى منشوريا. كما انشأت الحكومة الصينية خطوطا حديدية بالقرب من الخطوط الحديدية اليابانية وعندما احتجت اليابان بأن ذلك مخالف لبروتوكول سنة ١٩٠٥ بين الحكومة الصينية واليابانية صرح الصينيون بأن هذه الاتفاقية لا وجود لها وكل مافى الأمر أنه وجدت محادثات صينينة يابانية لم تنته بعقد اتفاق .

ويمكننا التعرف على موقف عصبة الأمم من مشكلة هجوم اليابان على منشوريا عندما نتبين أن الحكومة الصينية التى كانت عضوا فى العصبة وجهت نداء الى العصبة عقب وقوع الاحتلال اليابانى لمنشوريا. وقد احدث هذا النداء الصينى يقظة فى جنيف حيث مقر العصبة واعتقدت الاوساط المسيرة للعصبة أن هذه الفرصة مناسبة للعمل من اجل انتصار مبادئ الأمن الجماعى. ولكن سرعان ماخاب املهم عندما تمخض الموقف عن قرار العصبة بارسال بعثة للتحقيق برئاسة «لورد ليتون» . وقد حدث ذلك قبل أن تقوم دولة فى منشوريا وقبل أن تسيطر القوات اليابانية على مقاطعة جيهول .أى أن اليابان واصلت مخططها التوسعى دون أن

---

(١) بيير رنوفن : «تاريخ القرن العشرين» ترجمة نور الدين حاطوم ، ص ٣١٥ .

تأبه للعصبة أو تعمل لها أى حساب .

وقد قدمت لجنة التحقيق برئاسة «لورد لينون» تقريرها الى عصبة الامم ووافقت الجمعية العامة بدع أن ناقشت التقرير فى ٢٤ فبراير ١٩٣٣ على النقاط الاساسية التى وردت فيه وهى رفض الاعتراف بدولة منشوكو، وسحب القوات اليابانية من منشوريا مع البقاء فقط فى منطقة السكك الحديدية حيث كان من حقها البقاء هناك حتى سنة ١٩٠٥ .

ورغم أن هذه القرارات التى اصدرتها عصبة الامم كانت مخيبة لآمال الصين فقد كانت هذه القرارت أيضا مبعث غضب اليابان التى ارادت من عصبة الامم أن تضفى الشرعية على توسعاتها – وهو زمر غير مقبول بطبيعة الحال. ومن هنا قررت اليابان فى ٢٧ مارس سنه ١٩٢٣ الانسحاب من عصبة الامم. وفى نفس الوقت عجزت العصبة عن تنفيذ قراراتها الهزيلة. وكان يعيب موقف العصبة انها لم توجه الاتهام لليابان رغم أن عملها فى منشوريا كان عملا عدوانيا صريحا . كما أن العصبة لم تستطع ان تتخذ قرارات حاسمة ضد دولة منشوكو فرفضت الاعتراف بجوازات السفر وطوابع البريد والعملة التى اصدرته امنشوكو وهى قرارات هزيلة وغير مؤثرة ، وهكذا فرضت اليابان سيادتها على منشوريا وجيهول ولم يكن ذلك سوى مرحلة من مراحل السياسة التوسعية الاستعمارية لليابان فى الصين . وكان ذلك سببا من اسباب توتر العلاقات الدولية فى فترة مابين الحربين العالميتين .

ولاشك أن موقف عصبة الأمم المتخاذل فى مسألة منشوريا انما يرجع لطبيعة مواقف الدول الكبرى فى العصبة، فانجلترا لم تشأ أن تتدخل فى المشكلة لان مصلحتها فى الصين كانت تتركز فى الصين الوسطى ولم تكن لها مصالح ذات شأن فى منشوريا أما بالنسبة للولايات المتحدة فرغم انها لم تكن عضوا فى العصبة الا انها ارسلت مراقبا لها فى العصبة اثناء مناقشة ازمة منشوريا ، كما انها وجهت احتجاجا الى اليابان ، ولكنها فى اللحظات الحاسمة التى تتطلب الادانة والعمل التزمت الصمت. اما بالنسبة للاتحاد السوفيتى فقد ابدى قلقة مما حدث ولكنه لم يستطع ان يتخذ موقفا ايجابيا لوقف توسع اليابان التى كانت متفوقة عليه عسكريا حينذاك .

كان هجوم اليابان على منشوريا التابعة للصين عام ١٩٣١ اول تحد واجته عصبة الأمم ، وفشلت فى فرض المبادئ التى تضمنها عهد العصبة ومن بينها مبدأ الضمان المتبادل ، الذى يفرض على كل دولة عضو فى العصبة احترام وضمان سلامة اقاليم الدول الاعضاء واستقلالها السياسى .

اما التحدى الثانى الذى واجته عصبة الامم فقد تمثل فى الغزو الايطالى للحبشة فى سنة ١٩٣٥ .

وقد حدث ذلك عندما اصدر «موسولينى» امره بغزو الحبشة عسكريا فى السنة المكورة وكانت الاسباب الحقيقية للغزو الايطالى للحبشة ترجع الى أن الحبشة كانت مطمحا قديما للايطاليين منذ انشائهم لمستعمر اريتريا عام ١٨٩٠ ، ومحاولتهم غزو الحبشة وهزيمتهم فى موقعة «عدوه» المشهورة فى سنة ١٨٩٦ ، مما ترك جرحا فى نفوسهم وفى كبيراء ايطاليا، فاستغله النظام الفاشى بقيادة «موسولينى» حتى أصبح «الثأر من هزيمة عدوة» احد شعارات التفاخر الفاشى بعد نجاح الغزو الايطالى للحبشة فى سنة ١٩٣٥ .

وكانت بريطانيا وفرنسا وايطاليا قد عقدت فى سنة ١٩٠٦ اتفاقا اقتسموا بموجبه مناطق النفوذ الاقتصادية فى الحبشة. وفى سنة ١٩٢٥ اتجهت الاطماع الايطالية الى الحبشة وبعثت الحكومة الايطالية الفاشية عن تسوية مع بريطانيا يستطيع الانجليز بموجبها ان ينشئوا اذا رغبوا سدا عند مخرج بحيرة تانا لضبط مياه النيل على أن يكون لايطاليا منطقة نفوذ اقتصادية فى جميع القسم الغربى من الحبشة باكملة.

وحين بدأت ايطاليا تتوغل اقتصاديا فى الحبشة فانها اصطدمت بالحكومة الحبشية التى لم تبد استعداداها لإبرام اتفاقات اقتصادية تقترحها ايطاليا عليها. ولكى تحيط الحكومة الحبشية مساعى السياسة الاقتصادية الايطالية فقد طلبت توظيف الرأسمال الامريكى، لهذا قررت أيطاليا القضاء على احكومة الحبشية للحيلولة دون تدخل المنافسة الامريكية فى الحبشة .

وقد اتجه «موسولينى» على توسيع مناطق النفوذ الايطالية فى افريقيا ، وخاصة

فى بلاد الحبشة .

وكان موسولينى يعلم انه سوف ينجح فى مهمته لعدم تكافؤ القوة بين ايطاليا والحبشة. وهنا سيضطر الامبراطور هيلا سلاسى الى ترك الحبشة والاستنجاد بعصبة الامم لتخليص بلاده من الغزو الايطالى . وهكذا واجهت عصبة الامم تحد جديد سيعصف بمركزها فى المجتمع العالمى ،

اذ رأي مجلس العصبة بناء على طلب الحبشة ان ايطاليا قد خرقت ميثاق العصبة باثارتها الحرب. غير أن مجلس العصبة الذى اقر مبدأ تطبيق العقوبات على ايطاليا لم يفرض اية عقوبات عسكرية ، بل فرض عقوبات اقتصادية اقتصرت على تحريم بيع بعض المواد الى ايطاليا وخاصة الاسلحة والذخائر وتحريم تقديم أية قروض مالية للحكومة الايطالية . غير أن هذه الصعوبات الاقتصادية لم تكن مؤثرة على مركز الايطاليون لانها لم تشمل ايقاف بيع البترول لايطاليا وهو العصب المحرك لقواتها فى الحبشة .

وقد وقفت الدول الكبرى الأوربية هذا الموقف السلبى حفاظا على مصالحها اذ ترددت فرنسا فى اتخاذ موقف ايجابى ضد ايطاليا لانها كانت تخشى أن يترتب على ذلك أن تلقى ايطاليا بنفسها فى احضان المانيا فتتعاظم القوة الالمانية مما يشكل خطرا على المصالح الفرنسية بل أن فرنسا وجدت من الأفضل لها أن يتجه النشاط الايطالى الى افريقيا الشرقية بدلا من ينافس المصالح الفرنسية فى حوض البحر المتوسط . كما أن الحكومة البريطانية سلكت نفس المسلك السلبى ازاء الهجوم الايطالى على الحبشة وعرضت أن تقوم باعطاء الحبشة منفذا الى البحر عبر الصومات البريطانية فى مقابل أن نتنازل الحبشة عن بعض اقاليمها النائية — تقص ارتريا الى ايطاليا .

اما بالنسبة للولايات المتحدة التى لم تكن عضوا بعصبة الأمم فقد رفض مجلس الشيوخ الامريكى فرض حظر البترول على ايطاليا [١] . ولهذا كان موقف الدول

(١) بيير رنوفان : تاريخ القرن العشرين ، ص ٣١٥ .

القوية فى العالم سلبيا ازاء الهجوم الايطالى على الحبشة مما جعل عصبة الامم عاجزة عن اتخاذ موقف ايجابى يصون السلام العالمى ، وكان ذلك نذيرا بفشل العصبة وانهيارها .

والى جانب هذين الحادثين اللذان اديا الى تمزق العلاقات الدولية فى فترة مابين الحربين وأثرا فى موقف عصبة الأمم الذى استم بالسلبية والتخاذل ،نجد أن ثمة عوامل اخرى ادت الى فشل عصبة الأمم وانهيارها، وهى عوامل تتعلق بالنظام القانونى داخل العصبة نفسها واسلوب العمل الجارى فى نظامها الداخلى .

فنظام التصويت داخل العصبة اشترط الاجماع لاصدار القرارات فى المسائل الهامة ، لهذا كان يترتب على ذلك استحالة صدور مثل هذه القرارات اذا كانت للدول ذات النفوذ مصلحة فى تعطيلها .

ومن جهة اخرى فان العصبة لم تكن تملك القوة الضرورية لتنفيذ قراراتها واحترام هذه القرارات ، وقد اتضح ذلك بجلاء عند اعتداء اليابان على منشوريا فى سنة ١٩٣١ واعتداء ايطاليا على الحبشة فى سنة ١٩٣٥ ، فلم يستخدم أى ردع عسكرى ، واكتفى فقط بمقاطعة اقتصادية صورية ، ولم يكن البترول من بين المواد المحظور تصديرها اليها .

ولايجب أن يغيب عنا ذلك الخلاف الدائم بين بريطانيا وفرنسا، مما ادى الى تمزق العلاقات الدولية واضعاف عصبة الامم ، فضلا عن عدم انضمام الولايات المتحدة للعصبة .

بل أن فشل العصبة فى حل مشكلة نزع السلاح الذى فرض على المانيا فى عام ١٩١٩ واعتبر ذلك مقدمة لنزع شامل للسلاح ، قد ادى هذا الفشل من جانب عصبة الامم الى اعطاء الفرصة لالمانيا للانطلاق فى سياسة التسلح ، والى تفجر الحرب العالمية الثانية بعد ذلك مما ادى الى انهيار عصبة الامم التي تعتبر قد انهارت قبيل قيام الحرب بسنوات وقد حدث ذلك نتيجة للخلل الذى اعترى العلاقات الدولية فى نهاية فترة مابين الحربين ونتيجة لعدم الالتزام بعهد العصبة ، والانسياق وراء المطامع الذاتية للدول المختلفة .

ولاشك أن فشل عصبة الامم انما يعود فى المقام الأول الى عدم تحمل الدول الأعضاء فى العصبة مسئولياتها بما يدعم العصبة ويقوى مكانتها . ولا أدل على ذلك من التصريح الذى صدر عن آخر رئيس للجمعية العامة لعصبة الامم فى ابريل سنة ١٩٤٦ عندما اجتمعت العصبة لتصفية اعماليها وتسليم تراثها الى الامم المتحدة فقد قال فى هذا التصريح : «نحن نعلم اننا قد ترددنا فى تحمل مسئوليات القرارات الخطيرة ، فى حين أن القوة كانت لازمة ، ونحن نعلم اننا لانستطيع أن نهرب من حكم التاريخ [١] » .

وعلى الرغم من كل ذلك فيمكننا أن نشير الى بعض الجوانب الايجابية لعصبة الأمم، التى تمثلت فى التعاون الدولى من اجل صيانة مستوى المعيشة بين العمال، ومحاربة الرقيق الأبيض فى النساء والاطفال ، واتخاذ التدابير اللازمة لرقابة الناحية الصحية على المستوى العالمى .

ولاشك أن وجود عصبة الأمم قد أوجد مايمكن أن نطلق عليه «النزعة الدولية» لدى الشعوب والدول التى اصبحت تنظر الى تلك النزعة باهتمام شديد، على الرغم من أن النزعة القومية تغلبت بعد ذلك وان كانت اضعف نسبيا عن ذى قبل، بل ان النزعة القومية أدت الى اثارة الحرب الكبرى الثانية ، ولكن القوة الدولية المعنوية سيتصاعد تأثيرها بالتدرج فيما بعد فى الرأى العام العالمى الذى سيعمل على بناء الأمم المتحدة .

ومن ايجابيات عصبة الامم كذلك مساعدتها للدول المنهارة اقتصاديا مثل النمسا والمجر وبلغاريا واليونان . كما انها عالجت بعض المشاكل الدولية مثل مشكلة جزيرة «كورفو» الاغريقية ، فأوقفت حربا كادت تقع بين اليونان وايطاليا .

تلك كانت اهم الجوانب الايجابية لعصبة الامم التى لم يقدر لها البقاء نتيجة لعدم اخلاص الدول القوية التى اشتركت فى تأسيس العصبة ، حيث كانت كل منها ترغب فى أن تسير العصبة فى الاتجاه الذى يخدم المصحلة الشخصية لكل منها.

---

(١) على صادق ابو هيف (دكتور) : المرجع السابق ، ص ٣٢٢

البحـــث السادس

دراسة تاريخية لقضايا الحدود السياسية
للدولة السعودية بين الحربين العالميتين

مقدمة

تهدف هذه الدراسة التاريخيةالى تتبع التطورالتاريخى لقضايا الحدود السياسية للدولة السعودية بين الحربين العالميتين (١٣٣٨ - ١٣٥٨ هـ / ١٩١٩ - ١٩٣٩) فى جوانبها المختلفة . وتستعرض هذه الدراسة من الناحية المنهجية الاساس التاريخى للحدود السياسيةللدولة السعودية - منذ بداية نشأتها فى منتصف القرن الثانيعشر لاهجريوالثامن عشرالميلادى وحتى نهاية الحرب العالمية الاولى - فى تمهيد ، تعقبه أربعة فصول ، تتناول التطور التاريخى لقضايا الحدود السياسية للدولة السعودية بين الحربين العالميتين فى جوانبها الغربية ، والشماليه ، والجنوبية ، والشرقية على التوالى . كما ألحقت بالدراسة مختارات من النصوص الاصلية للمعاهدات اليت عقدتها الدولة السعودية مع دول عربية وأجنبية وتتصل بقضايا حدودها السياسية بين الحربينالعالميتين .

وتتركز هذه الدراسة فى معالجة قضايا الحدود السياسية للدولة السعودية فى الفترة المشار اليها من نواحى منطلقات الدولة وأهدافها ، وأساليب التفاوض ، واتخاذ القرارات السياسية ، وعقد الاتفاقات الدبلوماسية ، وما يسبق هذا ويصاحبه من جهود حربية ومخططات استراتيجية . كما تعنى هذه الدراسة بتوضيح مصالح القوى المحلية المحيطة بالدولة السعودية فى الجزيرة العربية من جهة ، والقوى العالمية المعنية بالجزيرة العربية بصفة خاصة وبمنطقة الشرق الاوسط بصفة عامة من جهة أخرى . هذا فضلا عن توضيح معالم الدور الذى قام به عبد العزيز آل سعود - أميرا وسلطانا وملكا للدولة السعودية - للوصول بحدود دولته الى ما وصلت اليه فى تاريخها المعاصر .

وتتميز الفترة الزمنية التى تغطيها هذه الدراسة بين الحربين العالميتين بأن الجزيرة العربية قد أكتسبت فيها مزيدا من الاهمية فى المجالين الاستراتيجى والاقتصادى فضلا عن أهميتها البالغة لدى مسلمى العالم باعتبارها مقرا للحرمين الشريفين . وكان العامل الاخيريسبغ على الدولة العثمانية مكانة روحية مرموقة عندما كانت صاحبة السيادة على الجزيرة العربية وذلك منذ توسعها التاريخى فى

النصف الاول من القرن العاشر الهجرى والسادس عشر الميلادى ، وحتى هزيمتها وانسحاب قواتها من الجزيرة العربية عقب نهاية الحرب العالمية الاولى . وسوف يترتب على ذلك الانسحاب وجود كيانات متعددة فى أرجاء الجزيرة العربية سبق أن ظهرت معالم بعضها قبل العهد العثمانى الذى استمرقرابة أربعة قرون متتالية ، بينما ظهرت معالم البعض الاخر أثناء هذا العهد ، ثم برزت بشكل واضح فيأعقابه . وقد أخذت هذه الكيانات تعمل بحرية وانطلاق لتحقيق مصالحها الخاصة فى البقاء والنمو بعد انحسار السيادة العثمانية عن الجزيرةالعربية عقب نهاية الحرب العالميةالاولى .

وكانت الدولة السعودية من بين هذه الكيانات التى ظهرت فى الجزيرةالعربية فى منتصف القرن اليثانى عشر الهجرى والثامن عشر الميلادى ، وعاصرت الدولة العثمانية ، وشقت طريقها عبر أدوارها الثلاث ، الاول بين عامى (١١٥٨ - ١٢١٢ هـ / ١٧٤٥ - ١٨١٧ م) ، والثانى بين عامى (١٢٥٦ - ١٣٠٩ هـ / ١٨٤٠ - ١٨٩١) .، والثالث منذ قيام عبد الغزير آل سعود ببعث دولة أجداده فى عام (١٣١٩ هـ / ١٩٠٢) وتعهدها بالرعاية طوال حياته ، وعلى أيدى أبنائه حتى وقتنا الحاضر . وبعد أن شهدت الدولة السعودية انحسار النفوذ العثمانى عن الجزيرة العربية عقب نهاية الحرب العلامية الاولى ، فأنها قد واصلت مسيرتها فى التوسع والنمو ، الامر الذى أضاف لقضايا حدودها السياسية أبعادا تاريخية جديدة سياسية واقتصادية واجتماعية ، وخاصة فى الفترة الممتدة بين الحربين العلميتين ، وهى الفترة التى تشكل فيها القوام الاساسى لخطوط الحدود السياسية للدولة السعودية المعاصرة على النحخو الذى سنوضحه عل يمدار هذه الدراسة . وان كنا قد لجأنا فى معالجة بعض هذه القضايا الى تتبعها فى أعقاب تلك الفترة حتى تم حسمها فى فترات لاحقة استكمالا للفائدة .

وقد استندت هذه الدراسة الى مصادر ومراجع متنوعة باللغة العربية واللغات الاجنبية ، ضمت بين جنباتها وثائق سعودية أصدرتها وزارة الخارجية السعودية ، ودراسات توضيحية أصدرتها دارة الملك عبد العزيز بالرياض ، بالاضافة الى وثائق

وزارة الخارجية البريطانية ووزارة الهند ، وبعض الاوراق الخاصة للشخصيات السياسية التى اشتركت فى صنع الاحداث ، فضلا عن مجموعة من المخطوطات النجدية ، ومخطوطات أخرى معاصرة لمؤرخى المناطق المجاورة للدولة السعودية فى الجزيرة العربية ، الى جانب عدد من الابحاث الجامعية والمؤلفات والدوريات المعاصرة .

وأرجو أن تشكل هذه الدراسة قراءة جديدة لقضايا الحدود السياسية للدولة السعودية بين الحربين العالميتين ، بكل ما يتصل بها من جوانب سياسية وأقتصاديةواجتماعية واستراتيجية ، فضلا عن ابرازها للدورالكبير الذى قام به الملك عبد العزيز آل سعود – واستكمله أبناؤه من بعده – فى الوصول بحدود دولتهم الى ما وصلت اليه فى تاريخها المعاصر .

والله ولى التوفيق ،

د . فاروق عثمان أباظه

تمهيد

الاساس التاريخي للحدود السياسية للدولة السعودية

يتشكل الاساس التاريخي لحود الدولة السعودية منذ بداية نشأتها فى نجد (١) التى تتوسط شبه الجزيرة العربية ، بعد اللقاء الذى تم فيعاصمتها الدرعية بين الشيخ محمد بن عبد الوهاب صاحب الدعوة السلفية والامير محمد بن سعود بن مقرن أمير الدرعية (٢) فى عام (١١٥٨هـ / ١٧٤٥ م) والذى كان « عهدا وميثاقا وبيعة » (٣) فقد شكل هذا اللقاء نقطة الانطلاق لانشاء الدولة السعودية (٤) . كما كانت الدعوة السلفية - التى تعد من أضخم الدعوات التى شهدها الالم الاسلامى ، والتى أثرت تأثرا ايجابيا (٥) على الكثير من أرجاءه (٦) - تشكل الاساس الذى قامت عليه الدولة السعودية (٧) فى أدوارها الثلاث ، الاول بين عامى (١١٥٨ - ١٢١٣) (١٧٤٥ - ١٨١٨ م) (٨) والـثانى بين عامى (١٢٥٦ - ١٣٠٩ هـ) (١٨٤٠ - ١٨٩١ م) (٩) ، والثاليث منذ قيام الاميرعبد العزير آل سعود ببعث دولةأجداده فى عام (١٣١٩ هـ - ١٩٠٢ م)

---

(١) عثمان بن بشر : عنوان المجد فيتاريخ نجد ، جـ ١ ، ص ١٢ .

(٢) عبد الله بن محمد بن خميس : الدرعية العاصمة الاولى ، ص ١٦٤ .

(٣) حسن بن غنام : تاريخ نجد ، ص ٨١ .

(٤) الاطلس التاريخى للدولة السعودية ، اصدرته دارةالملك عبد الغزيز بالرياض عام (١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م) تحت رقم (١١) ووضع مادته التاريخية ورسومه وأشكاله وخرائطه الدكتور ابراهيم جمعه ، ص ٧٢ .

(٥) أحمد أمين : زعماء الاصلاح ، ص ٢٠ .

(٦) محمد كمال جمعه :انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب خارجالجزيرةالعربية ص ٢١ .

- محمد عبد الله السمان : أثر الدعوة لاسلفية فيالعالم الاسلامى ص ٤٦٠ - ٤٦١ .

(٧) صلاح العقاد (دكتور) : جزيرة العرب فى العصر الحديث ، ص ٧ .

(٨) عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم (دكتور) : الدولة السعودية الاولى (١١٥٨ - ١٢٣٣ هـ / ١٧٤٥ - ١٨١٨ م) ، ص ٢ ، ص ٥٥ .

(٩) عبد الفتاح أبو عليه (دكتور) : الدولة السعودية الثانية (١٢٥٦ - ١٣٠٩ هـ / ١٨٤٠ - ١٨٩١ م) ، ص ٢٤ .

وتعهدها بالرعاية طوال حياته ، وعلى أيدى أبنائه حتى وقتنا الحاضر . وتميزت الدعوة السلفية ودولتها السعودية بمقدرتها على الصمود (١) ، بدليل توالى قيام الدولة عبر أدوارها الثلاث ، واستمرار بقائها مع توالى نهضتها حتى وقتنا الحاضر .

وكان انتشارالدعوة السلفية ، وما صاحبه من توسع للدولة السعودية منذ بداية دورها الاول فى أرجاأ الجزيرة العربية (٢) يشكل العامل الاساسى فيرسم حدود هذه الدولة فى وقت كانت الدولة العثمانية تحرص فيه على استبقاء أملاكها التى آلت اليها بحق الفتح ، ليس فقط فى الجزيرةالعربية التى كانت لها مكانتها الخاصة لدى الدولة ، بل فى الرقعة الفسيحة من الارض المترامية الاطراف التى كانت تابعة لها فى كل من آسيا وأوربا وأفريقيا ، وفى أعصب الاوقات اليت مرت بها الدولة وأشدها حرجا . وقد بلغت الدولة السعودية بدعوتها فى سريانها والاقتناع بها فى عهد الامام سعود بن عبد العزيز (الكبير) فيما بين عامى (١٢١٨ - ١٢٢٩ هـ / ١٨٠٣ - ١٧١٤ م) حدود العراق ومسقط وما بينهما من المناطق المطلة على الخليج العربى ناحية الشرق ، كما بلغت الحجاز وتهامة وعسير من ناحيةالغرب ولاجنوب الغربى ، وسادت فيما بين مخليف اليمن جنوبا (٣) ، ومشارف الشام شمالا (٤) . مماجعل البريطانيين زصحاب المصالح والنفوذ المتميز فى البحار المحيطة بالجزيرة آنذالك يخطبون ود السعوديين وينشدون صداقتهم (٥) ، بعدما بلغت دولتهم من الاتساع فى الجزيرة العربيةما بلغته آنذاك .

---

(١) جمال الدين الشيال (دكتور) : الحركات الاصلاحية ومراكز الثقافة فى الشرق الاسلامى ، جـ١ ، ص ٥٦

(٢) محمد بن عمر الفاخرى : الاخبار النجدية ، دراسة وتحقيق وتعليق الدكتور عبد الله بن يوسف الشبل ص ١٣٨ - ١٣٩ .

(٣) محمد بن أحمد عيسى العقيلى : الدولة السعودية الاولى فيجنوب الجزيرة ، بحث نشر فيمجلة العرب اليت تصدرها دار اليمامةللبحث والترجمة والنشر . جـ ٩ ، ١٠ س ١٦ - الربيعان ١٤٠٢ هـ / يناير - فبراير ١٩٨٢ م . ص ٦٧٦ .

(٤) الاطلس التاريخى للدولة السعودية ، ص ٩٧ .

(٥)عبد الرحمن الجبرتى : عجائب الاثار فى التراجم والاخبار ، جـ ٤ ، ص ٢٩٩ .

ورغم ما تعرضت له الدولة السعودية فيما بعد من ضربات (١) ، وما واجهته من مشكلات (٢) ، فى دوريها الاول والثانى (٣) ، أدت بها الى التقلص تارة ، والانهيار تارة أخرى ، فان ذلك لم يؤثرفى رغبة الامير عبد الغزير آل سعود ، وهو يخطو الخطوات الاولى (٤) نحو بناء الدولة السعودية فى دورها الثالث . أن يسترد كافة المناطق اليت امتد اليها ملك أجداده من قبل . وكانت هذه المناطق قد ارتبطت بالنتماء الى دعوة السعوديين وملكهم بحيث تشكلت ما يمكن أن نطلق عليه قاعدة شعبية سلفية ، لها وزنها المؤثر فى تقرير الامور . وهذا يفسر بوضوح ظاهرة سرعة اعلان الولاء من قبل هذه القاعدة الشعبية السلفيةللحكم السعودى المتمركز أساسا فى نجد ، والمنتشر فى المناطق التى أشرنا اليها آنفا ، بمجرد الاعلان عن عودة هذا الحكم الى تلك المناطق (٥) ، رغم جهود التعويق التى بذلت من قبل القائمين على حكمها ، حفاظا على كيانهم الشخصى ، المستند فى أحيان كثيرة الى انتماءات خارجية . ولا شك أن هذا الامرسيمهد السبيل أمام الاميرعبد العزيز آل سعود لاستعادة ملك أجداده فى جزيرة العرب ، والوصول الى الحدود السياسية التى بلغتها الدولة السعودية فى دوريها السابقين . وقد تركزت جهوده بشكل واضح لتحقيق تلك الغاية فى الفترة الممتدة بين الحربين العالميتين ، وهى الفترة التى شهدت فى بدايتها انسحاب الاتراك العثمانيين من المناطق التى كانوا يسيطرون عليها فى الجزيرة العربية آنذاك (٦) .فكان عليه أن يملأ الفراغ الذى تركوه بدعوته ودولته حتى لا تسعى القوى الاجنبية الطامعة الى سبقه فى ملء هذا الفراغ، الذى كان يمكن أن يشكل أكبر الاخطارعلى مقدرات الجزيرة العربية ومستقبلها.

---

(١) عثمان بن بشر : المصدر السابق ، ص ٢٠٧ .

(٢) حافظ وهبه : خمسون عاما فى جزيرةالعرب ، ص ٢٦ .

(٣) عبد الفتاح أبو عليه (دكتور) : المرجع السابق ، ص ١٨٩ .

(٤) Sheean , V , : Faisal , The King and his Kingdom , King Abd El - Aziz , pp . 52 , 54 ,.

(٥) موضى بن عبد العزيز آل سعود : الملك عبد العزيز ومؤتمر الكويت ، (١٣٤٢ هـ / ١٩٢٣ – ١٩٢٤) ص ١٧ .

(٦) Brémond , E : Yémen et Saoudia , p . 84 .

اذ كان من أبرز النتائج التى ترتبت على انتهاء الحربالعالميةالاولى وعقـد هدنة « مدروس Mondrus » فى عام ١٣٣٧ هـ (فى اليوم الثلاثين من أكتوبر سنة ١٩١٨ م) انسحاب القوات العثمانية من الجزيرة العربية (١) . وقد أملت دول الورفاق على العثمانيين فتح الدردنيل والبسفور ، ونزع سلاح الجيش العثمانى وتسليم البوارج الحربية واستعمال الحلفاء للموانى العثمانية ، واستسلام الحاميات العثمانية فى الحجاز وعسير واليمن وسوريا والعراق ، واستسلام الموانى العثمانية فى شمال أفريقيا . وقد أسفر هذا الانسحاب عن وجود كيانات متعددة فى أرجاء الجزيرة العربية سبق أن ظهرت معالم بعضها قبل العهد العثمانى الذى استمر قرابة أربعة قرون متتالية ، بينما ظهرت معالم البعض الآخر أثناء هذا العهد ، ثم برزت بشكل واضح فى أعقابه . وقد أخذت هذه الكيانات تعمل بحريةوانطلاق لتحقيق مصالحها الخاصة فى البقاء والنمو بعد انحسار السيادة العثمانية عن الجزيرة العربية عقب نهاية الحرب العالمية الاولى .

وكانت بريطانيافى مقدمةدول الوفاق المنتصرة على دول وسط أوربا فى الحرب العالمية الاولى، وكانت مصالحها فى الجزيرة العربية قد فاقت مصالح حليفاتها ، بحيث أصبح الخليج العربى من ناحية الشرق ، أقرب ما يكون الى بحيرة مغلقة على النفوذ الانجليزى وحده فيما بين الحربين العالميتين(٢) ، كما كان لبريطانياسيطرة واضحة فى نفس الفترة عليالبحر الاحمر من ناحية الغرب . وقد تمكنت بريطانيا عن طريق سيطرتها على عدن فى الجنوب الغربى للجزيرة العربية ، وعهن طريق سلسلة الاتفاقات والمعاهدات التى عقدتها مع كثير من القيادات المحلية فى الجزيرة العربية قبيل الحرب العالمية الاولى وأثناءها (٣) أن تقضى على القوى المنافسة والتى نازعتها النفوذ فى الجزيرة العربية ، وان كانت قد تعرضت لمنافسة من

---

(١) فاضل حسين(دكتور) : مؤتمر لوزان وآثاره فى البلاد العربية ، ص ٩ .

(٢) جمال زكريا قاسم (دكتور) : الخليج العربى ، دراسة لتاريخ الامارات العربية ١٩١٤ – ١٩٤٥ ، ص ٤٢ – ٤٣ .

(٣) فاروق عثمان أباظه (دكتور) : عدن والسياسة البريطانية فى البحر الاحمر ١٨٣٩ – ١٩١٨ ، ص ٦٠٦ .

نوع آخر وأعنى به نجاح الامير عبد العزيز آل سعود فى بعث الدولة السعودية فى دورها الثالث ، والوصول بها الى الحدود اليت بلغتها بين الحربين العالميتين .

ورغم حرص بريطانياعلى اضعاف القوى المحلية الجديدة التى ظهرت فى الجزيرة العربية عقب انتهاءالحرب العلامية الاولى بما يحافظ عليالاوضاع الراهنة لصالحها آنذاك ، فان دخول الشركات الامريكية الى المنطقة بثقلها الاقتصادى والسياسى بين الحربين العالميتين نتيجة مؤازرة حكومة الولايات المتحدة الامريكية لها، فقد زدتهذه العوام لالى زعزعة النفوذ البريطانى ف يالمنطقة وان لم تصل الى حد تقويضه تماما (١) .

وقد تمثلت الكيانات المحلية فى الجزيرة العربية عقب نهاية الحرب العالمية الاولى فى امارة الكويت وعمان ومشيخات الخليج العرب يفى شرق الجزيرةالعربية، وفيامارة نجد فى وسط الجزيرة ، وامارة شمر فيشمالها ، ودولة الحجاز ف يالغرب ، وامارة عسير ، والمملكة اليمنية المتوكلية ، ومحمية عدن ، والنواحى التسع الجاورة لها فيالجنوب الغربى والجنوب (٢) . هذا بالاضافة الى امارتين صغيرتين أولهما فى الجوف فيجنوب الشام وفى الشمال الغربى للجزيرة العربية ويسيطر عليها آل الشعلان ، وكانت فى الأصل تابعة لآل الرشيد فى حائل ، فلما ضعف شأنهم جاهرت هذه الامارة بالانفصال عنهم ، والثانية امارة آل عائض فى أبها الواقعة غربى امارة عسير . وقد تسلم آل عائض مقاليد الامورفى أبها بعد انسحاب العثمانيين من الجزيرة العربية عقب نهاية الحرب العالمية الاولى (٣) .

ولم تكن هذه اليكانات عل يوفاق مع بعضها البعض ، ذلك لانها تنازعت فيما بينها السيادة . وكانت مملكة الحجاز قد لعبت دورا هام االى جانب دول الوفاق وعلى رأسها بريطانيا أثناء الحرب العالمية الاولى . كما كانت تشرف على رعاية

---

(١) Sheean , V , : Op . Cit ., p . 73 .

(٢) احمد فضل بن على محسن العبدلى : هدية الزمن فى اخبار ملوك لحج وعدن ، ص ٢٤١ .

(٣) محمد بن احمد عيسى العقيلى : تاريخ المخلاف السليمانى أو الجنوبى العرب فى التاريخ ، جـ١ ، ق ٢ ، ص ٣ .

الحرمين الشريفين ، مما جعل حاكمها الشريف حسين يأمل - بعد أن أوهمته الاحداث التاريخيةالسابقة لاعلانه ملكا على الحجاز (١) ومنها وعدو بريطانيا بجعله ملكا على العرب (٢) بل وخليفة للمسلمين - أن يلعب دورا هاما بين نظرائه من أمراء الجزيرة بالثورةضد الاتراك لصالحدول الوفاق (٣) . ولكن الحسين لم يستطع أن يمارس أى سيادة- كما كان يأمل -على الامام عبد الغزيز آل سعودفي نجد(٤) أو الامام يحيى امام اليمن (٥) ، أو الادريسيفي عسير بشكل مباشرأوغيرمباشر . وقد ترتب على ذلك ظهور تنافس حاد بين الحسين وباقى الامراء ، بل وبين الامراء جميعا وبعضهم البعض ، حيث كانت لكل منهم وجهة نظره الخاصة ، وطموحاته الشخصية .

فقد كان الشريف حسين ينفر من وجود الامارة الادريسية على حدوده الجنوبية ، ويرى أن الادريسى مغتصبا لعسير ، اليت تعتبر من وجهة نظره جزءا لا يتجزأ عن الحجاز . وكان ذلك يتعارض من جهة أخرى مع رغبة الامام يحيى فى ضم عسير لليمن ، نظرا لانحكامها كانوا يدينون بالولاء لاجداده الأئمةالزيديين قبيل العهد العثمانى ، كما أنها كانت تابعة فى ذلك العهد لولاية اليمن العثمانية(٦) . ولهذا فقد كان الادريسى فى عسير يتوجس خيفة من عدوين قويين أحدهمافى الشمال والآخر فى الجنوب ، وكل منهمايتربص به ويتحينالفرصة للانقضاض عليه .

أمافى شمال الجزيرة العربية فكان العداء مستحكما بين الامام عبد العزيز آل

---

(١) فائق بكر الصواف (دكتور) : العلاقات بين الدولة العثمانية وأقليم الحجاز فى الفتـــــرة مابين (١٢٩٣ - ١٣٣٤ هـ / ١٨٧٦ - ١٩١٦ م) ، ص ٣٤٢ .

(٢) Sheean . V : Op . Cit ,. p . 63 .

(٣) Jacob . H . : Kings of Arabia , p . 227 .

(٤) Rihani . A , : Arqabian Peak and Desert , p . 228 .

(٥) السيد مصطفى سالم (دكتور) : تكوين اليمن الحديث ، اليمن والمام يحيى (١٣٢٢ - ١٣٦٨ هـ / ١٩٠٤ - ١٩٤٨ م) ص ٢٢٧ .

(٦) فاروق عثمان أباظه (دكتور) : الحكم العثمانى فـى اليمن (١٨٧٢ - ١٩١٨ م) ص ٣٦١ .

سعود فى نجد ، وآل الرشيد فى شمر (١) . هذا فضلاعن العداء الذى أخذ يزداد تدريجيا بين الشريف حسين والامام عبد الغزيز آل سعود حتى كان الشريف حسين لا يتوانى عن أن يصب جام غضبه بين الاونة والاخرى على الامام عبد الغزيز آل سعود لغيرته من تفوق أى أميرعربى عليه . وقد عبر ابنا الحسين ، وهمافيصل وعبد الله ، عن وجهةنظر أبيهمافكان فيصل برغب ف يأن يوحد أخل الجزيرة تحت راية أبيه . وكان يرى أن خطته هذه اذا فشلت فان كل انتصاراتهم ضد الاتراك العثمانيين كان من شأنها أن تذهب هباء ، أما شقيقه الآخرعبد الله بن الحسين فانه كان يكره امتداد الادريسى نحو الحديدة ، كماز كان يشك زيضا فيسأغراض الامام يحيى ، مما جعله ينظر شزرا ناحيةاليمن . بل أن فيصل بن الحسين كان يعتقد أنه ما دامت انجلترا لم تعقد مع الامام يحيى أية معاهدة ، فانعليها ألا تظهر أى اعتراض امام أبيه فى الهجومعلى الامام اذا أظهر أى تمرد . أما بالنسبة للاماميحيى فانه كان لا يعتبر الشريف حسين بطلا تاريخيا ، فقد سبقه فى القيام بالثورة ضد الاتراك، كما كان يرى أن لقب أمير المؤمنين خاص به وحده بأعتباره اماما للزيديين (٢) .

ولم تقف هذه التناقضات التى سادت الجزيرة العربية عقب نهاية الحرب العالميةالاولى عند هذا الحد ، بل زاد من تصعيدها وجود النفوذ البريطانى هناك بصورتين مختلفتين ، أولاهما عن طريق الوجود الفعلى المتمثل فى الاحتلال البريطانى والادارة البريطانية فى عدن من جهة ، وكذلك قيام إمارات الخليج العربى من جهة أخرى (٣) أما الصورة الثانية فتتمثل فى عقد المعاهدات الثنائية مع سلاطين وأمرواء وشيوخ النواحى المحيطة بعدن فى جنوب الجزيرةالعربية من جهة (٤) ، وفى نواحى الجزيرة المختلفة من جهة أخرى ، وان اختلفت طبيعة المعاهدات

(١) محمد عرابى نخله (دكتور) : تاريخ الاحساء السياسى (١٨١٨ - ١٩١٣ م) ، ص ٢٢٧.

(٢) Jacob . H . F . : Op . cit ., pp . 228 - 230 .

(٣) جمال زكرياقاسم (دكتور) : الخليج العربى ، دراسة لتاريخ الامارات العربية ١٩١٤ - ١٩٤٥ ، ص ١٩ .

(٤) جاد طه (دكتور) : جزيرةالعرب فى القرن العشرين ، ص ٢ ، ص ٣٠٨ - ٣٠٩ .

وشروطها (١) . ومن أهم هذه المعاهدات المعاهدة التى عقدتها بريطانيا علهيد معتمدها فى الخليج العربى « سسير بيرسى كوكس Sir Perxy Cox» مع الامام عبد العزيز آل سعود وعرفت « بمعاهدة العقير » فى١٣٣٤هـ الثامن عشر من صفر الموافق السادس والعشرين من ديسمبر سنة ١٩١٥ (٢) واعترفت فيها بريطانيا بأن « نجدا » و « الحسا » و « القطيف » و « جبيل » وتوابعها هى بلاد تابعة له ولآبائه من قبل ، كما اعتفت بهحاكما مستقلا ورئيسا مطلقا على قبائلها وتعهدت له بالمساعدة (٣) . كما تعهد الامام عبد العزيز آل سعود بأن يتحاشى الاعتداء على أقطار الكويت والبحرين ومشايخ قطر وسواحل عمان التى هى تحت الحماية البريطانية (٤) وتخوم الاقطار الخاصة بهؤلاءستعين فيما بعد (٥) كما اتفقت الحكومة البريطانية مع عبد العزيز ال سعود عل عقد معاهدة أكثرتفصيلا ، وهو ما حدث بالفعل فى معاهدة جدة بعد قيام الامام عبد العزيز آل سعودبفتح الحجاز والتى أبرمت فى (١٨ من ذى القعدة سنة ١٣٤٥ هـ / ٢٠ مايو سنة ١٩٢٧ م). (٦) والى جانب ذلك عقدت بريطانيا معاهدة التحالف مع محمد الادريسى حاكم عسير فى (اليوم الخامس عشر من جماد الثانية سنة ١٣٣٣ هـ الموافق الثلاثين من أبريل سنة ١٩١٥ م) ، ونجحت فى استقطابه فى جانبها بضرب العثمانيين فى الجزيرة العربية أثناء الحرب العالمية الاولى(٧) . هذا بالاضافة الى المعاهدة الثالثة الى عقدتها بريطانيا مع امارة الاشراف فى مكة ، التى انضمت الى دول الوفاق فى سنة ١٩١٦أثناء الحرب العالميةالاولى ، نتيجة للمحادثات المعروفة بمحادثات « الحسين — مكماهون » (١) . وقد اعترفت بريطانيا ودول

(١) Aitchison .C.U.: A Collection of Treaties, Engagements , andSa- nads Reiating to India and the Neighbouring Countries , Xi . p . 42

(٢) حافظ وهبه : جزيرةالعرب فى القرن العشرين، ص ٢ ص ٣٠٨ - ٣٠٩

(٣) Hurewitz , J . C . : Diplocaoy in the Near and Middle East , Vol . 2 . p . 12 .

(٤) Lenczoweski , G.: The Middle East in World Affairs . kp . 541

(٥) فؤاد حمزة : قلب جزيرة العرب ، ص ٣٨٠ - ٣٨١ .

(٦) موضى بنت منصور بن عبد العزيز آل يسعود : المرجع السابق ، ص ٩٦ .

(٧) فاروق عثمان اباظه (دكتور) : سياسة بريطانيا فى عسير أثناء الحرب العالمية الاولى ، ص ٤٠

الوفاق بالحسين ملكا على الحجاز آنذاك . وبالاضافة الى ذلك وعد الانجليز الشريف حسين بالاعتراف به خليفة للمسلمين عندما ينادى به المسلمون لهذا المنصب ، وفي(٩ شعبان ١٣٣٤ هـ / ٢ يونيه ١٩١٦ م) أعلن شريف مكة الثورة على الدولة العثمانية (٢) .

وكان من دواعي زيادة حدة التناقضات في الجزيرة العربية عقب نهاية الحرب العالمية الاولى ، قيام بريطانيا بمنح المعونات المالية والسلاح لكل من تعاهد معها من الامراء المحليين في الجزيرة العربية تحقيقا لمصالحها ، كما أدى ذلك الى اتجاه كل منهم لتحقيق مصالحه الخاصة ، وهذا ما نتج عنه اثارة المنافسة الحادة والعسكرية بين القوى المحلية هناك. وقد بلغت هذه المنافسة ذروتها بين الشريف حسين وعبد العزيز آل سعود في غرب الجزيرة العربية ووسطها ، وبين الامام يحيى والادارسة في جنوبها الغربي وذلك عقب نهاية الحرب العالميية الاولى . وهذ يعني وجود عامل خارجي الى جانب العامل الداخلي ، وكلاهما عملا معا عل تنمية حدة التناقضات في الجزيرة العربية ، تلك التناقضات التي حددت مجرى أحداث قضايا الحدود السياسية للدولة السعودية في الفترة التالية .

---

(١) Correspondence between Sir Henry Mackmahon , his Magesty's High Commissioner at Cairo and The Sherif Hussein of Mecca July 1915 (Cind , 5951 , Mis No . 3 , 1939

(٢) Correspondence with the Grand Sherif of Mecca , from 25 th

وصل النزاع الى قمته بين الشريف حسين الذى أعلن نفسه ملكا للحجاز فى عام (١٣٣٥ هـ / ١٩١٦) (١) وبين عبد الغزيز آل سعود وبلغ حد الانفجار نتيجة لعدم حدوث تسوية بينهما . وكان عل بريطانيا أن تقوم بعمل هذه التسوية نظرا لان كلا الطرفين كانا من حلفائها ، كما أنها كانت تمنح كلا منهما المال والتأييد ، ولكنها كانت مشغولة حينذاك فى تسويات الصلح فى أوربا عقب انتهاء الحرب العالمية الاولى . وكانت نقطة الاحتكاك الاولى بين الجانبين ، التى حخولتالحرب بينهما من باردة الى ساخنة ، هى واحة « الخرمة » التى تقع على الحدود الحجازية النجدية على الطريق الموصل بين الرياض ومكة . وكان عبد الغزيز آل سعود يسيطر على الواحة فعلا بعد أن تنازع حاكمها الهاشمى مع الحسين وانضم الى جانب عبد الغزيز ال سعود . وقد حاول الشريف حسين أن يسيطر على واحة « الخرمة » بالقوة ثلاث مرات أثناء سنة ١٣٣٧ هـ / ١٩١٨ م ، ولكنه فشل فى ذلك . وقد عاود الكرة من جديد فى سنة ١٣٣٧ هـ / ١٩١٩ م واستطاع أن يحصل على تأييد بريطانيا هذه المرة ، معتقدا بأنها تستطيع أن تصد عبد الغزيز ال سعود عن تقديم أية مساعدة « للخرمة » اذا قام هو بمهاجمتها .

وعلى الرغم من أن عبد العزيز آل سعود قد علم بالتأييد البريطانى للملك حسين من الحاكم المدنى فى بغداد حينذاك ، وحذر من أن يخالف رغبة صاحب الجلالة ملك بريطانيا والا سيفقد الاعانة البريطانية الشهريةوالتى تقدر بحوالى خمسة آلاف جنيه استرلينى ، فقد قرر عبد العزيز آل سعود الوقوف الى جانب «الخرمة » ضد الحسين . وعندما كون الملك حسين قوة ذات شأن من أربعة آلاف مقاتل تحت قيادة ابنه عبد الله ، وجهزها بالمدافع والبنادق الآلية ، وتجمعت هذه الوقة فى ابريل سنة ١٣٣٧ هـ / ١٩١٩ م) عند الطائف ، وتقدمت الى «الخرمة » عن طريق « تربة » ، فقد أسرع عبد العزيز آل سعود – رغم مخالفة ذلك لرغبة بريطانيا حينذاك – بالوقوف الى جانب « الخرمة » وبقى خارجها على

(١) محمد انيس (دكتور) : الدولة العثمانية والشرق العربى ١٥١٤ – ١٩١٤ ، ص ٢٩٧ .

الحدود النجدية متأهبا للتحول(٥١) ..

وكان الامير عبد الله بن الحسين قد أرسل تحذيرا الى حاكم « الخرمة » ، فرد عليه هذا بما طمأنه وجعل جنده يطمئنون ويركنون الى الراحة ، وظل معسكره فى هدوء ، الا أن رجال عبد العزيز آل سعود باغتوهم بالليل ، فتفرق شمل الجيش الحجازى ، وفر من استطاع الى ذلك سبيلا ، وهرب عبد الله نفسه عندما أحس بالخطر مع أركان حربه الى الطائف ومنها الى مكة .. وقد أدى ذلك الى استيلاء عبد العزيز آل سعود على « تربة » مما جعل الطريق أمامه الى مكة مفتوحا (٥٢) .ولكن عبد العزيز آل سعود لم يشأ التقدم حينذاك ، بل احتفظ « بالخرمة » ، « تربة » فقط ، وتجمدت الاوضاع على هذا النحو الى حين .. وكذلك موقف عبد العزيز آل سعود ناتجا عن حرصه على عدم اغضاب بريطانيا أكثر من ذلك ، كما أنه كان لا يريد اثارة العواطف الاسلامية ضده بمهاجمة المدينتين المقدستين آنذاك.

وقد أدى انتصار أتباع عبد العزيز آل سعود فى « تربة » عام ١٣٣٧ هـ ((ليلة ١٧ مايو سنة ١٩١٩) ، وما غنموه من مال وسلاح ، الى تشجيعه على مهاجمة آل الرشيد الذين كانوا يشكلون خطرا دائما بالنسبة له وأن يستولى على عاصمتهم « حائل » عام ١٣٤٠ فى اليوم الثانى من نوفمبر سنة ١٩٢١م)) وتبع هذا هجومه على امارة آل الشعلان فى « الجوف » فاستولى عليها وضمها الى أملاكه فى سنة (١٣٤١هـ / ١٩٢٢) ..

وبذلك بلغت حدود الدولة السعودية الى أقصى شمال الجزيرة العربية .. كما أن هجوم الشريف حسين على « الخرمة » فى عامى ((١٣٣٧ // ١٩١٨م // ١٩١٩)) ثم ما حدث فى « تربة » للجيش الحجازى قد أدى الى خلق حالة اضطراب بين القبائل الموجودة على الحدود الحجازية اليمنية العسيرية ، كما أدى الى انتشار الدعوة السلفية بسرعة فى بقاع جديد ..

---

(٥١) الاطلس التاريخى للدولة السعودية ، ص ١٧٠ ..

(٥٢) Philby , J . b . : Saudi Arabia , pp . 268 , 271 .

وكان آل عائض – حكام أبها – فى خصام مع الادارسة فى عسير منذ أرسل الحسين الحملة التأديبية اليهم فى سنة (١٣٣٢ هـ / ١٩١٣ م) ، لذلك مال هؤلاء الى جانب السعوديين ، وطالبوا بوجود حامية سعودية بينهم ،

على الرغم من أنه لم يكن للسعوديين نفوذ فى عسير ، وكانت نتيجة هذا المطلب الاخير قيام حملة فيصل بن عبد الغزيز آل سعود ، التى وصلت الى ساحل الحجاز ، واحتلت ميناء « قنفده » ، واستطاعت أقامة حكم سعودى دائم فى المناطق الجبلية الداخلية فيعام (١٣٤١هـ / ١٩٢٢) وكان ذلك بداية لخطوات التوسع ناحية الجنوب الغربيفى عهد عبد الغزيز آل سعود (١) .

وتجدر الاشارة الى أنه فى صيف عام (١٣٣٩ هـ / ١٩٢١م) عقد مؤتمر فى الرياض حضره الامراء والعلماء ورؤساء القوم ، وبدع البحث فى حاضر ومستقبل الديار النجدية وشكل الحكم فيها ،و تقرر أن يكون « لقب الامام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود سلطان نجد » (٢) .

أما بالنسبة لموقف الشريف حسين آنذاك فقد كان فى تدهور مستمر ، ذلك لانه بقيامه بثورته ضد الاتراك العثمانيين فى سنة (١٣٣٥هـ / ١٩١٦م) كان قد فقد الاعانة المالية التى كانوا يقدمونها له ، كما سحبت بريطانيا أعانتها اليـه فى (١٣٣٨ هـ / فبراير سنة ١٩٢٠م) . وزاد الامر سوءا عندما منعت الحكومة المصرية فى سنة (١٣٤١ هـ / ١٩٢٣م) ارسال محمل كسوة الكعبة الى مكة . كما ساءت علاقة الحسين ببريطانيا للغاية نتيجة لرفضه ابرام معاهدة فرساى نظرا لما نصت عليه المادة ٢٢ منها ، بشأن الانتداب فى البلاد العربية . ولهذا عندما تجددت الحرب بين الملك حسين السلطان عبد العزيز آل سعود فى سنة (١٣٤٢ هـ / ١٩٢٤م) ، فان الملك حسين كان يقف وحده آنذاك دون معونة خارجية (٣) فضلا عن أنه كان واقعا تحت ضغط الضائقة المالية الهائلة .

(١) خيرالدين الزركلى : شبه الجزيرةفى عهد الملك عبد العزيز ، جـ ١ ، ص ٢٤٦ .

(٢) Philby , J . B . : Saudi Arabia , p . 304 .

(٣)سيتون وليمز : بريطانيا والدول العربية ، عرض للعلاقات الانجليزية العربية ١٩٢٠ – ١٩٤٨ ، ترجمة وتعليق الدكتوراحمد عبد الرحيم مصطفى ، ص ١٩٤ .

وكان من بين أسباب تجدد الحرب المباشرة بين الحسين وعبد العزيز آل سعود فشل مؤتمر الكويت الذى دعت الى عقده انجلترا لبحث قضايا الحدود والتى كان أولها ما بين نجد والأردن ، وثانيها ما بين نجد والحجاز وثالثها البحث فى مشاكل قبائل شمر الملتجئين الى العراق وقد استمر انعقاد المؤتمر من (١٣٤٢هـ / ١٧ ديسمبر ١٩٢٣ الى ٢٦ يناير سنة ١٩٢٤ م) (١) . غير أن هذا المؤتمر فشل نتيجة لاصرار الحسين على ألا يرسل مبعوثين عنه للمؤتمر الا اذا رد عبد العزيز آل سعود « حائل » و « الخرمة » الى الحجاز ، ولان كل منهما كان يلقى مسئولية الاضطراب على الاخر (٢) .

وقد رأى الحسين أنه كان ينبغى على بريطانيا أن تستشيره فى عقد هذا المؤتمر الذى اعتقد فى عدم جدواه لان أسباب النزاع عميقة ومتعددة ، وقد أرجعها الى ما أسماه طموح نجد واستيلائه على كثير من المناطق ورأى الحل الوحيد هو فى ارجاع هذه المناطق الى الحالة التى كانت عليها من قبل . ووعد الملكحسين بأنه اذا ساعدته بريطانيا على ذلك ، فسوف تجد منه الحليف المخلص الذى يجعل المصالح العربية مرتبطة تمام الارتباط بمصالح بريطانيا العظمى . وأعقب كل ذلك حدث آخر عجل بمصير الحسين ، فقد أعلن نفسه « خليفة للمسلمين » ، وذلك فى شرق الاردن ، وفلسطين ، وسوريا ، والعراق ، ولكن باقى البلاد العربية احتجت على ذلك .

أما بالنسبة لعبد الغزيز آل سعود فقد كان عليه بعد فشل مؤتمر الكويت من جهة ، وأمام رغبة أنصاره من الاخوان السلفيين من جهةأخرى أن يقويم بعمل ايجابى حاسم ، وقد ساعد على ذلك أن بريطاينا ألغت معونتها له فى أبريل سنة (١٣٤٢هـ / ١٩٢٤م) . فوجد نفسه حينذاك فى موقف يدعوه أنه يعمل دون اعتبارزائد لبريطانيا. هذا على الرغم من أنه كان يدرك أهمية مصادقتها ، حيث كانعت الدولة الكبرى الوحيدةالموجودةحوله فى الهند والخليج من ناحية الشرق ،

(١) موضى بنت منصور بن عبد العزيز آل سعود : المرجع السابق ، ص ١٤٥

(٢) Brémond . E . : Yémen et Saudia . p . 92 .

وفى عدن والنواحى التسع اليمنية من ناحية الجنوب ، وفى البحر الاحمر ومصروالسودان من ناحية الغرب ، وفى فلسطين وشرق الاردن والعراق من ناحيةالشمال . وان كانت بريطانيا من جانبها ، لكى تؤمن وجودها عليزطراف الجزيرة العربية ، فقد كانعليها أن تتفادى عوامل الصدام كلما أمكن مع عبد الزيز آل سعود . اذ كان الغاء المعونة البرطانية قد جعل العامل الاقتصادى أمام عبد العزيز يلعب دورا هاما آنذاك حيث كانت مواردنجد لا تفى بحاجاته الضرورية فى سبيل اقامة دولة مستقلة ، تكتفى بنفسها اكتفاء ذاتيا ، لذلك كان عليه أن يبحث عن مصادر أخرى يحصل منها على المال اللازم لدولته الفتية .

وهكذاوجد عبد الغزيز آل سعود نفسه مدفوعا للحرب تحت ضغط اقتصادى الى جانب رغبة أنصاره الذين كانوا يريدون اتباع سياسة أكثرنشاطا وايجابية . ولهذا ففى صيف عام (١٣٤٢هـ / ١٩٢٤ م) هاجمت قواته بعنف حدود شرق الاردن والعراق (١) ، كما ظهر جزءمنقواته أمام الطائف فى (١٣٤٣ هـ / سبتمبر ١٩٢٤ م)، وعندئذ انسحب الامير على بن الحسين الى مكة أمام ضغط أتباع عبد العزيز آل سعود عليه ، ولكنهم تابعوا زحفهم تجاه مكة (٢) .

وكان دخول القوات السعودية الى الطائف بداية النهاية للحرب القائمة بين الحسين وعبد العزيز آل سعودفى الحجاز . اذ وجد الملك حسين نفسه فى مركز حرج ، خاصة وأن سيطرة السعوديين عل يحائل قد قطعت الصلة بين الحجاز والعراق وشرق الاردن . لذلك تنازل الحسين مضطرا عن عرشه عام (١٣٤٤هـ – فى اليوم الخامس من أكتوبرسنة ١٩٢٥ م) (٣) وخرج من جده فى يخته الخاص ومعه أسرته واتجه الى ميناء العقبة ، وأعلن انبه الاكبر « على » نفسه ملكا على الحجاز فى جده . ولما رأى « على » أن الامر جد خطير فقد طلب مساعدة الدول الاوروبية ، ولكنها أصمت آذانها عن مطالبه ، وتركت حكومة الحجاز تدافع

---

(١) Philby , j . b . : Saudi Arabia , pp . 303 , 304 .

(٢) موضى بنت منصور بن عبد العزيز آل سعود : المرجع السابق ، ص ١٥٦ .

(٣) Philby , B . : Saudi Arabia , p . 304 .

عن نفسها . وقد ذهب على بن الحسين بعد ذلك الى مكة لدراسة الموقف ، ولكنه رأى أن ينسحب منها نظرا لقدسيتها وليركز دفاعه فى جده والساحل، وفى المدينة المتورة كذلك حيث كانت وجد حامية حجازية قوية . وهكذا دخلت القوات السعودية الى مكة دون مقاومة فى اليوم الثامن من جمادى الاولى (١٣٤٣ هـ / الخامس من ديسمبر ١٩٢٤م) ثم اتجه بعد ذلك أتباع عبد العزيز آل سعود الى المدينة المنورة فدخلوها فى (اليوم التاسع عشر من جمادى الاولى ١٣٤٤هـ / ١٩٢٥م)(١) .كما تمكن من دخول جده بعد ذلك فى اليوم الثامن من جمادى الاخرة عام ١٣٤٤ هـ . وكان على بن الحسين قد وسط الانجليز فى الصلح بينه وبين عبد العزيز آل سعود وقم ذلك فى اليوم الاول من جمادى الاخرى عام ١٣٤٤هـ - ١٧ ديسمبر ١٩٢٥م) وتنازل بموجبه على بن الحسين عن ملك الحجاز بشرط أن يغادرها بأمتعته الخاصة ، حيث انسحب الى العراق للانضمام الى أخيه فيصل (٢) . وقد تمكن عبد العزيز بعد ذلك من دخول جده فى اليوم الثامن من جمادى الآخرة عام ١٣٣٤ هـ / ١٩٢٥ م) وهكذا امتدت حدود الدولة السعودية الى الساحل الغربى للجزيرة العربية المطل على البحر الاحمر (٣) .

وتجدر الاشارة الى أن الامام يحيى أرسل برقيتين بواسطة قنصل ايطاليا فى جده الى الملك على بن الحسين والى السلطان عبد العزيز آل سعود و أثناء الحرب بينهما ، يطلب منهما ايقاف القتال ، واحترام الاراضى المقدسة وقبوله حكما بينهما . وقد أجاب الملك على بالايجاب ، بينما أرسل اليه السلطان عبد العزيز آل سعود يفيد بأنه دعا المسلمين الى مؤتمر يبحث أمر الحجاز ، وطلب من الامام أن يرسل مندوبيه الى المؤتمر (٤) .

وفى اليوم الخامس والعشرين من جمادى الثانية سنة ١٣٤٤ هـ الموافق اليوم

---

(١) الاطلس التاريخى للدولة السعودية ، ص ١٧٩ .

(٢) صلاح الدين المختار : تاريخ المملكةالعربية السعودية ، ج٢ ، ص ٣٨٠ .

(٣) أحمد عبد الغفور عطار : صقر الجزيرة ، جـ ٢ . ص ٣٩٨ .

(٤) أمين الريحانى : ملوك العرب ، جـ ١ ، ص ١٩٢ .

العاشر من يناير ١٩٢٦ م بويع السلطان عبد العزيز آل سعود ملكا على الحجاز فى المسجد الحرام بمكة المكرمة (١) وأصبح يلقب « بملك الحجاز وسلطان نجد وتوابعها » (٢) ، وعين ابنه الامير فيصل نائبا عنه فى الحجاز (٣) .

---

(١) موضى بنت منصور بن عبد العزيز آل سعود : المرجع السابق ، ص ١٦٤ .

(٢) عبد الله العلى المنصور الزامل : زصدق البنود فى تاريخ عبد العزيز آل سعود ، ط ١ ، ص ١٩٩ – ٢٠٣ .

(٣) سيد محمد ابراهيم : تاريخ المملكة العربية السعودية ، ص ١٩٧ .

فى شهر (جمادى الثانية ١٣٤٤ هـ / يناير ١٩٢٦ م) الذى أعلى فيه السلطان عبد العزيز آل سعود « ملكا على الحجاز وسلطانالنجد وتوابعها » ، أرسلت لدولةالسعوديةستة آلاف مقاتل قاموا بالسيطرةعلى قصر الازرق وقريات الملح فى وادى السرحان ، على الحدود السعودية – الاردنية ، مما شكل اضافة جديدة لما سبق للدولة ضمه من واحات الجوف الواقعة فى الجانب الشمالى الغربى للجزيرة العربية وآثارقضية تحديد الحدود السياسيةالسعودية – الاردنية آنذاك (١) .

وكانت الاحداث التاريخية التى جرت على جانبى الحدود السعودية – الاردنية فى منطقة وادى السرحان لا تعود فى حقيقتها الى سكان تلك المنطقة أو الى الحكومتين السعودية والاردنية بقدر ما تعود أصلا الى طبيعة التدخل الاوربى السافر فى عملية رسم الحدود الاقليمية التى كانت تحدث لاول مرة فى تاريخ شمالى الجزيرة العربية ، بينما سبق لها أن حدثت فى جنوبى الجزيرة عندما اتفقت انجلترا والدولة العثمانية (٢) بعد سلسلة من المفاوضات عليعقد اتفاقية وضع بموجبها خط للحدود بين منطقتى نفوذهما فى الاراضى اليمنية فى ١٣٣٢ هـ – اليوم التاسع من مارس سنة ١٩١٤م) (٣) وتم التصديق عليها فى لندن فى اليوم الثالث من يونيه من نفس السنة (٤) . وينطبق خط الحدود هذا مع خط الحدود الفاصل حاليا بين الجمهورية العربية اليمنية وجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية .

أما بالنسبة للحدود السعودية الاردنية التى نحن بصددها فقد كانت نتيجة لاتجاه كل من انجلترا وفرنسا بعد تحملهما لمسئولية الانتداب فى منطقة الشرق الاوسط عقب نهاية الحرب العالمية الاولى . نحو خلق نمط جديد من الحدود

(١) حافظه وهبة : خمسون عاما فى جزيرة العرب ، ص ٨٤ .

(٢) Aitchison , C . U : Op . Cit ., Vol . XI ., p . 42 .

(٣) امين سعيد : اليمن . تاريخه السياسى منذ استقلاله فى القرن الثالث الهجرى . ص ١٥٤ – ١٥٩ .

(٤) British Documents on the Origins of the War 1898 - 1914 , Edited by Gooch and Temperly, part 1 , pp 340 . 341 .

يفصل بين كيان سياسى وآخر ، ويستند الى رسم « خط للحدود » دون أن يعتمد على « منطقة للحدود » هذا على الرغم من أن النمط الاخيرهو الاقرب من غيره لان طبيعة المجتمعات الصحراوية دائمة التنقل والترحال سعياوراء الماء والمرعى . وقد جاء استخدام البرطانيين لهذا النمط فى تحديد الحدود متفقا مع حرصهم على ضرورة تشكيل ممر برى متصل بين رأس الخليج العربى والبحر الاحمر فالبحر المتوسط ، وكتان ذلك الامتداد من اليابس يشكل ضرورة استراتيجية لبريطانيا لحماية مصالحها فى المناطق المشاراليها . وقد ساعدهم على تأمين هذا الخط نظام الانتداب الذى اسند الى بريطانيا على كل من العراق وفلسطين وشرق الاردن ، التى كانت تشكل فيما سبق أجزاء من الكيان العثمانى الكبير الذى لم يكن يجعل لكل منها حدودا مؤكدة فى نطاقه . بل أن بريطانياعندما وضعت فيصل بن الحسين ملكا على العراق وأخاه عبد الله أميرا على شرق الاردن وفاء لجانب من تعهداتها للشريف الحسين أثناء الحرب العالمية الاولى ، فانها كانت تفتقر الى تصور دقيق لحدود كل من العراق أو شرق الاردن ، وانما وضعت نصب عينيها آنذاك أن يوفر لها ذلك تأمين الممر البرى من الخليج العربى الى البحر الاحمر من جهة ، كمارأت أن يجعل هذا الممر أكثر فعالية فى خدمة مصالحها . وقد فعلت بريطانيا ذلك دون أدنى اعتبار لما أحدثه هذا الفصل الفجائى بين القبائل القاطنة فى مناطق الانتداب البريطانى فى شمالى الجزيرة العربية من ناحية ، والقبائل النجدية والحجازية فى شمال الدولة السعودية من جهة أخرى ، من صدمة لسكان تلك المناطق . وقد رأت بريطانيا أن تغير مفهوم الانتماء لدى هؤلاء السكان من المفهوم المحلى القبلى الى مفهوم الدولة القومية ، الامر الذى كان يتعارض مع ما ألفته هذه القبائل فى نمط معيشتها منذ آلاف السنين ، وكان متناقضا مع عوامل كثيرة اجتماعية واقتصادية وأنثربولوجية (١) .

---

(٥) جمال محمود حجر (دكتور) : الاثارالسلبية للسياسة الغربية فى شمال شبه الجزيرة العربية . قصر الازرق وحدود نجد الجديدة ، مجلة دارة الملك عبد العزيز بالرياض . العدد الاول . السنة الحادية عشرة ، شوال ١٤٠٥ هـ - يونيهه ١٩٨٥ م ، ص ١٣٠ - ١٣١ .

صلاح العقاد (دكتور) : جزيره العرب فى العصر الحديث . ص ٢٥ .

ولكى نتبين ذلك فاننا سوف نستعرض ما حدث على الحدودالاردنيةالسعودية عقب نهاية الحرب العالمية الاولى لنتعرف على الحوار لاسياسى والصدام المسلح بين الاطراف المتنازعةبشأن هذه الحدود . والاثار السلبية التى انعكست على البدو فيها . فضلا عن التسوية النهائية التى تم التوصل اليها . ويتمثل محور هذه الحدود فى وادى لاسرحان الذى يعتبر ملتقى الطرق فى الجزء السصحراوى الشمالى من الجزيرة العربية ، كما يعتبر منفذها الى بلاد الشام ، وتقع فى شماله « قريات الملح » أو « الكاف » (١) بينما تقع فى أقصى شماله « قصر الازرق » وتقطنه قبائل الرولة ، وعنزة ، وبنى صخر . وكان هذا الوادى تابعا لآل الرشيد فى حائل حتى عام (١٣٢٧هـ / ١٩٠٩م) حيث استولى عليه منهم نورى الشعلان زعيم قبائل الرولة منتهزا ضعفهم أمام عبد العزيز آل سعود فى نجد ، وقد حاول نورى الشعلان أن يستند الى الى فيصل بن الحسين فى دمشق عقب نهاية الحرب العالمية الاولى تارة ، والى الفرنسيين عقب دخولهم الى دمشق تارةأخرى ، حتى اضطرته ظروفه بعد ذلك الى اللجوء الى الامير عبد الله بن الحسين الذى نجح فيفبراير عام (١٣٣٩هـ / ١٩٢١م) أن يصبح أميرا لشرق الاردن بمساعدة الانجليز ، الذين كانوا يحرصون على ابقاء النزاع بين نورى الشعلان وعبد العزيز آل سعود حتى لا يسيط الاخيرعلى وادى السرحان بما يؤثر على المصالح البريطانية هناك آنذاك .

وقد حاولت بريطانيااستقطاب نورى الشعلان عندما أرسلت بعثة لتقصى الحقائق فيربيع عام (١٣٤١ هـ / ١٩٢٢م) تكونت من « سان جون فيلبى Philby » يرافقه غالب باشا الشعلان، وصاحبهما « ميجور هولت Major Holt» مهندس السكك الحديدية بالعراق الذى سبق له زيارة المنطقة ، وأبرز أهميتها للطرق البرية ولخطوط أنابيب البترول (٢).

---

(١) الكاف : احدى قرى قريات الملح فى وادى السرحان .
حمد الجاسر : المعجم الجغرافى للبلاد العربية السعودية ، القسم الثالث ص ١٢٣٣ .
(٢) موضى بنت منصور بن عبد العزيز آل سعود : المرجع السابق ، ص ١٣٠ .

وعرض أعضاء البعثة على نورى الشعلان أن يضم أراضى قبيلة الرولة ، بما فى ذلك الجوف وسكاكا الى امارة شرق الاردن ، وذلك فى مقابل تولى شرق الاردن حماية الشعلان ضد زى عدوان .وكان هذا المطلب يتعارض مع رغبة الفرنسيين من جهة ، كما يتعارض مع رغبة عبد العزيز آل سعود من جهة أخرى ، حيث كان يرى أن أى مساس بالجوف ووادى السرحان باعتبارهما بوابة قلب الجزيرةالعربية الى سوريا ، سيلحق بقبائل نجد ضررا كبيرا ، وأن ضمهما الى أملاكه يستند اليأسس تاريخية واقتصادية وجغرافية باعتباره الوريث لكل أراضى آل الرشيد (١) . ورغم أن بريطانيا كانت تدرك وجاهة مطلب عبد العزيز آل سعود فى وادى السرحان ، الا أنها كانت ترى ضرورة صد السعوديين بعيدا عن شرق الاردن . وتحقيقا لهذه السياسة فقد عمل « فيلبى » على تدعيم مركز عبد الله بن الحسين فى شرق الاردن لتتمكن قواته من صد زى هجوم يأتى من جنوب الوادى، على الرغم من أن عبد الله نفسه لم يكن متحمسا لضم الوادى لامارتع . ولهذا واصل السعوديون هجماتهم على وادى السرحان شمالا حتى قصر الازرق ، كما أغاروا على عدد من القرى التابعة لبنى صخر والواقعة الى الغرب من سكة حديد الحجاز حتى أصبحوا على مقربة من عمان (٢) ، ونجح عبد العزيز آل سعودفى عقد تحالفات مع القبائل فى غرب الصحراء الشامية كما قاموا بجمع الزكاة تأكيدا لتبعيتهالسيادتهم .

ولهذا دعت بريطانياالى عقد مؤتمر الكويت عام (١٣٤٢هـ / ١٩٢٣ – ١٩٢٤) ليعالج مشاكل الحدود بين نجد وكل من العراق وشرق الاردن والحجاز ولم يمض هذا المؤتمر بغير مشالكل ، منها على سبيل المثال اصرارالهاشميين عل يارجاع جبل شمر لآل الرشيد ، .وهو مطلب مستخيل ، وفشل المؤتمر فى حل قضايا الحدود ، وبقيت مسألة وادى السرحان معلقة ، وأخيرا قررت بريطانيا فض المؤتمر بعد فشله (٣) . وحذر « فيلبى » مما سيلحق بالسياسة البريطانية انهى تركت

---

(١) حافظ وهبه : خمسون عاما فيجزيرة العرب ، ص ٨٤ .

(٢) جمال محمود حجر (دكتور) : المرجع السابق ، ص ١٣٤ .

(٣) موضى بنت منصور بنعبد العزيز آل سعود : المرجع السابق ، ص ١٤٥ .

الامور على ما هى عليه أنذاك »(١) . ولهذاسارعت انجلترا بارسال « سير جلبرت كلايتون Sir Gillert Clayton » (٢) ليتفاوض مع السلطان عبد العزيز آل سعود حول حدود نجد الشمالية قبل أن ينتهى من عملية الحجاز آنذاك (٣) غير أن عبد العزيز آل سعود دافع دفاعا مستميتا عن حقوقه فى وادى السرحان وأبدى أسبابا وجيهة صاغها فى عبارات متزنة حتى أن « كلايتون » ليم يستطع أن يخفى اعجابه بذلك الرجل الذى وصفه بأنه يعمل جاهدا وبحماس زائد لاسترداد عظمة أسرته وتوسيع بلاده ، مما سيضعه وجها لوجه مع العالم الخارجى ، وسيجعله فى حاجة الى دولة كبرى تقف بجانبه ، وإنه عبر عن رغبته القوية فى التعاون والصداقة مع بريطانيا ، بحكم كونها الدولة الكبرى الوحيدة الموجودة حوله فيكل مكان (٤) فى الهند والخليج العربى وعدن والبحر الاحمر ومصر والسودان وفلسطين وشرق الاردن والعراق آنذاك . وفى نفس الوقت كان من الضرورى لبريطانيا أن تؤمن وجودها علىأطراف الجزيرة العربية عن طريق تفادى عوامل الصدام معه .

ولهذا اعترفت بريطانيا أخيرا لعبد العزيز آل سعود بالسيطرة على وادى السرحان (٥) حتى الكاف ، واعترف « كلايتون » بأحقية عبد العزيز فى الحصول على الكاف ، وفوق ذلك وافق على مطلبه بضرورة تسهيل انتقال قوافل نجد التجارية من سوريا واليها عبر شرق الاردن فى حماية بريطانيا ، وقد نص صراحة على كل ذلك فى تسوية شاملة عرفت باسم « اتفاقية الحدا » (٦) فى (١٣٤٤هـ / اليوم الثانى من نوفمبر سنة ١٩٢٥) . وقد استطاع كل من عبد العزيز وانجلترا أن يحققا أهدافهما الاصلية ، فقد ضمنت انجلترا الامتداد العراقى الاردنى ، كما

---

(١) Philby , J . B . Saudi Arabia , p . 334 .

(٢) كان « سير جلبرت كلايتون » مستشارا سابقا لوزارة الداخلية المصرية فى عهد الاحتلال البريطانى .

(٣) Antonius , G . : The Arab Awakening , . p . 340 .

(٤) حافظ وهبه : خمسون عاما فى جزيرة العرب ، ص ٨٥ .

(٥) الاطلس التاريخى للدولة السعودية ، ص ١٧٤ .

(٦) حافظ وهبه : خمسون عاما فى جزيرة العرب ، ص ٨٤ .

ضمن عبد العزيز وصول قوافله التجارية الى الشام ، وفوق ذلك ملك كل وادى السرحان حتى الكاف ، فيما عدا مجموعة الوديان الصغيرة الواقعة الى الغرب منه(١) . وبهذا الترتيب فان قبائل الرولة أصبحت تخضع لحكم عبد العزيز المباشر ، ونصت المعاهدة أيضا عل يمنه تحصين أطراف الوادى من الجانبين (٢) ، وأن يمنع الاخوان السلفيين من مهاجمة شرق الاردن ، مقابل أن يمتنع الانجليز عن تحصين « قصر الازرق » فى أقصى شمال الوادى . وبذلك أصبح عبور الوادى عند خط الحدود مسألة ممنوعة قانونا ، ولكنها كانت فى الواقع عملية صعبة أو مستحيلة ، ذلك أن القوانين الكتوبة والمعاهدات لا تنطبق عادة على القبائل الرحالة التى تعتمد على قوانين الطبيعة . وهكذا واجه عبد العزيز نوعا جديدا من الشاكل . تتعلق فى جوهرها بعملية ادخال مفاهيم جديدة لذى القبائل ، تتناسب وطبيعة الدولة ذات الحدود القومية ، لذلك فلا يمكن تفسير قيام الاخوان السلفيين بالسيطرة عل بوادى السرحان حتى « قصر الازرق » فى يناير سنة ١٩٢٦ - أى بعد حوالى ثلاثة شهور من « اتفاقية الحدا »- الا من خلال هذا الاطار الذى اصطدمت فيه أساليب ووسائل الحضارة المعاصرة الممثلة فى رسم خطط الحدود السياسية بالعادات وتقاليد الحياة فى المجتمعات القبلية التى تمارس حرية الحركة فى مناطق الرعى التى لا تضع اعتبارا لمثل هذه الخطوط (٣) .

على أن السلطان عبد العزيز آل سعود كان قد قدم فيما بين عامى (١٣٣٠ -١٣٣٢ / ١٩١٠ - ١٩١٢ م) على تأسيس حركة الاخوان باقامةمستوطنة صغيرة حول آبار الارطوية (٤) ، ثم أخذ يتوسع فى تحويل مناطق الابار الى مستوطنات زراعية ومعسكرات منتشرة فى أنحاء البادية تسودها ، دعوة التوحيد والاصلاح (١) ، وكانت هذه محاولة جديدة لانشاء الهجر وتوطين البدو من أجل

(١) سيتون وليمز : المرجع السابق ، ص ١٩٥ .

(٢) Lenczowski , G . : Op . Cit ., p . 546 .

(٣) جمال محمود حجر (دكتور) : المرجع السابق ، ص ١٣٩ - ١٤٠ .

(٤) خير الدين الزركلى : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٢٦٣ .

لانها كانت تتطلع الى مد نفوذها تدريجيا الى اليمن فى عهده وخاصة بعد أن عقدت مع الامام المعاهدة اليمنية الايطالية فى (١٣٤٥ هـ / اليوم الثانى من سبتمبر ١٩٢٦) (١) غيرأنه عندمابدا أنالقوات اليمنية تواجه هزائم مستمرة أمام قوات الملك عبد العزيز آل سعود ، فقد وجهت الصحف الايطالية اتهاما لبريطانيا بزنها تقدممعونات كبيرة فنية وعسكرية للملك عبد العزيز آل سعود (٢) ، لتتمكن عن طريق تلك المعونات من وضع يدها على اليمن نظرا لما فيه من ثروات معدنية هائلة . غير أن صحيفة « الطان Temp» الفرنسيةعلقت على الموقف كله بأنها تستبعد أن يكون ميل بريطانيا الى جانب الملك عبد العزيز آل سعود وميل الى جانب الامام يحيى مؤديا الى اصطدام الدولتين – بريطانيا وايطاليا – عن طريق التزاحم فى بلاد مسيطرة على مدخل البحر الاحمر » (٣) .

على أن الصحف البريطانية أبدت فاؤلها بأن انتصار الملك عبد العزيز آل سعود على الامام يحيى وضم اليمن الى ملكه بحيث تصبح محمية عدن جارته من الجنوب ، فان ذلك مدعاة لعدم حدوث أية متاعب نظرا للعلاقات الحسنة القائمة بين بريطانيا والمملكة العربية السعودية ، ولا أدل على ذلك من العلاقات الدبلوماسية المرضية القائمة بين الملك عبد العزيز آل سعود والعراق المستقل من جهة ، وامارة شرق الاردن – التى كانت تحت الانتداب البريطانى آنذاك من جهة أخرى . وقدأشارت الى ذلك أيضا صحيفة « الاهرام » نقلا عن صحيفة « الاوبزرفر » البريطانية بأنه « اذا تمكن الزعيم العربى – الملكعبد العزيز آل سعود – من أن يشيد لنفسه مملكة ثلاثية بادخال اليمن اليملكه ، فان العلاقات بين انجلترا وبلادالعرب لا تزاداد صعوبة ، لانه أسهل على المرء أن يتعامل مع شخص واحد من أن يتعامل مع بضعة أشخاص (٤) . كما نقلت « الاهرام » أيضا عن مجلة «سبكتيتور » البريطانية تأكيدا على هذا الاتجاه فحواه « أن الملك عبد العزيز صديق

(١) Hurewitz , J . c . : Op . Cit ., Vol . 2 ., pp . 196 , 197 .

(٢) صحيفة الاهرام : العدد رقم ١٧٧٥٣ الصادر فى (١٣٥٣ هـ / ١٣ مايو ١٩٣٤ م) ص ٦.

(٣) صحيفة الاهرام : العدد رقم ١٧٧٤٦ الصادر فى (١٣٥٣ هـ / ٦ مايو ١٩٣٤م) ، ص ٤

(٤) صحيفة الاهرام : العدد الصادر فى (١٣٥٣ هـ – ١١ مايو ١٩٣٤ م) ص ٤ .

انجلترا ، ويدل تاريخها المجيد فى فتح بلاد العرب عل يأن الرعايا البريطانيين يكونون دائما تحت رعايته فى مأمن من أن يكونوا فى أى جزء آخر من شبه الجزيرة . فاذا فرض واستطاع الملك ابن سعود فى النهاية أن يضم بلاد اليمن الى أملاكه ، ويصير بذلك جارا لمنطقةعدن ، فانه ليس هناك ما يدعو الى الزعم بأن خطته نحو بريطانيا التى سارت عليوتيرة واحدة قبيل وأثناء الحرب لم يطرأ عليها أيتغيير ، أوتتحول عن خطةالصداقة والمودة » (١) . هذافضلاعما أشارت اليه صحيفة« الاهرام » أيضا نقلا عن صحيفة« الاوبزرفر » البريطانية من أفضلية حكم عبد العزيزآل سعودلليمن عن الامام يحيى وذلك بالنسبة للمصالح البريطانية ، فقد جاء بها : « أما انجلترا فخير لها أن يحكم الملك عبد العزيز اليمن لان الامام يحيى كان دائما عدوا للانجليز . وأثناء الحرب العالمية عاون الاتراك عى مهاجمة عدن ، وكان فى الستة عشر سنة الاخيرة (١٣٥٣ هـ / ١٩٣٤م) يهدد دائما حدودعدن ، ويأبى المسالمة ، أما الملك عبد العزيز فصديق للانجليز ، وقد نشر الامن والسلام فى بلاد العرب بحكم قوى عادل » (٢) . ومن هذا يتضح أن الملك عبد العزيز آل سعود استطاع أن يروض البريطانيين ويتجنب الصدام بمصالحهم حتى لا يستعديهم عليه ، بينما يسير هو ف يتحقيق أهدافه بمرونة فائقة وسط هذا الصراع الدولى المحموم .

وعلى أية حال فان هذا النزاع السعودى اليمنى لم يكن من صنع القوى الاوربية (٣) بقد ما كان نابعا من الصراع على الحدود بين الدولتين العربيتين (٤) . وهذا ما أكدته صحيفة « ايفننج ستاندرد » البريطانية ونقلته عنها صحيفة «الاهرام» القاهرية عندما أشارت الى أن « بعض الدوائر السياسية فى أوربا تميل الى تصويرحرب بلاد العرب بأنها فى أساسها فوز لبريطانيا على ايطاليا ، لان بريطانيا

---

(١) صحيفة الاهرام : نفس العدد والصفحة .

(٢) صحيفةالاهرام : العدد الصادرفى (١٣٥٣ هـ / ٢٨ مايو ١٩٣٤ م) ، ص ٤ .

(٣) Survey of International Afiairs . 1934 . p . 320 .

(٤) وزارةالخارجيةالسعودية ، مكة المكرمة ، بيان عن العلاقات بين المملكةالعبرية العربية والامام يحيى حميد الدين (الكتاب الاخضر اللسعودى) ١٣٥٣هـ - ١٩٣٤ م . ص ٢٢ - ٢٥ .

سنة ١٥٣٨ . وقد رأى المماليك أن قوتهم لن تسمح لهم بمهاجمة البرتغاليين فى مياه الهند آنذاك ، فاكتفوا باتخاذ سواحل تهامة اليمن كخط دفاع أول عن البحر الاحمر ، بينما أعتبروا جده خط الدفاع الثانى . هذا فى الوقت الذى تمكنت فيه قواتهم فى اليمن من دخول صنعاء بعد أن قضوا على السلطان عامر بن عبد الوهاب الطاهرى فى اليوم الخامس عشر من مايو سنة ١٥١٧ (١٠٤) . وكانت هذه الجهود هى أقصى ما بذله المماليك لتأمين البحر الأحمر من الخطر البرتغالى . ولاشك أن خطة المماليك واستراتيجتهم لتأمين البحر الاحمر التى كانت ترتكز على تدعيم سيطرتهم فى جهات البحر ، واتخاذ عدن قاعدة لهم فى جنوبه ، هى نفاس الخطة والاستراتيجية التى اتبعها العثمانيون فيما بعد أثناء سيطرتهم على اليمن فى الفترة من ١٥٣٨ الى ١٦٣٥ (١٠٥) .

اذا كان على العثمانيين بعد أن ورثوا حكم السلطنة المملوكية فى سنة ١٥١٧ أن يحملوا لواء الحرب بأنفسهم ضد الاسبان فى البحر المتوسط كما سبق أن أشرنا ، وضد البرتغاليين فى البحار الشرقية وخاصة فى البحر الاحمر . وكان العثمانيون بذلك يحاولون معالجة أهم المشكلات السياسية والاقتصادية التى واجهوها فى مصر بعد أن حول البرتغاليون طريق التجارة العالمية عنها وعن عالم البحر المتوسط الى طريق رأس الرجاء الصالح (١٠٦) .وكان البرتغاليون يواصلون أرسال حملاتهم البحرية سنويا الى البحر الاحمر لمهاجمة ميناء جده دون جدوى كما هاجموا ميناء الشحن اليمنى ونهبوه عام ١٥٢٣ أثناء توجههم الى ميناء مصوع لتنسيق التعاون بينهم وبين الاحباش (١٠٧) .

كما وجه البرتغاليون أسطولا يقوده « دى سيلفرا » الى عدن من جديد وأجبروا حاكمها على عقد معاهدة معهم نصت على أن تدفع عدن جزية سنوية

-

(١٠٤) يحيى بن الحسين : انباء ابناء فى تاريخ اليمن ، مخطوطه ص ١٦ (أ) .
(١٠٥) السيد مصطفى سالم (دكتور) : المرجع السابق ، ص ٨٩ .
(١٠٦) محمد محمود السروجى (دكتور) : سياسة مصر العربية فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، ثورة العسير ، ١٨٦٤ - ١٨٦٦ ، ص ٩٢ .
(١٠٧) Marston, T.E. : Britain's Imperial Role in the Red Sea Area p.23.

يهمنا الان أن نشير الى أنه بعد عقد معاهدة جدة بين الملك عبد العزيز آل سعود وبريطانيا لتسوية قضية الحدود الجنوبية السعودية – اليمنية . وكان الملك عبد العزيز آل سعود قد عقد معاهدة مكة المكرمة مع السيد الحسن بن على الادريسى حاكم عسير فى (٢٤ ربيع الثانى ١٣٤٥ هـ / أكتوبر ١٩٢٦ م) بسط جلالته بموجبها الحماية على القسم الذى كان يحكمه الادارسة فى عسير (١) وكان حكم الادارسةقد اعتراه الضعف والانهياربعد وفاة محمدالادريسى فى ٣٠ يناير ١٩٢٣ وهو الذى سبق وأن تحالف مع ايطاليا أثناء هجومها عل طرابلس الغرب ف يعامى ١٩١١ – ١٩١٢ ثم تحالف مع انجلترا عام ١٩١٥ (٢) لضرب الاتراك فى الجزيرة العربية (٣) .

ولم يستطع ابنه الامير على تسيير دفة الاموفى عسير لصغر سنه ، مماجعل امارة الادارسة تمر بمرحلة تدهور (٤) انتهزها الامام يحيى الذى حاول السيطرة على عسير باعتبارها كانت تابعة لاجداده حتى انحصر الادارسة فى الجزء الشمالى من عسير فقط . وقد اضطر الادارسة امام هزيمتهم الى خلع الاميرعلى ونصبوا السيد حسن الادريسى مكانه ، وقد عقد السيد حسن مع عبد العزيز آل سعود « معاهدة مكة المكرمة » عام (١٣٤٥ هـ / ١٩٢٦ م) بعد أن توسط بينهما السيد أحمد الشريف السنوسى الكبير الذى جاء من طرابلس الغرب ليساند صهره حسن الادريسى . وقد تطورت الاموبعد ذلك الى أن طلب هذا الامير فى النهاية ضم ما بقى فى يده من بلاده الى ملك حليفه ابن سعود ، فطويت بذلك صفحة الادارسة فى عسير (٥) .

---

(١) صلاح الدين المختار : المرجع السابق ، ص ٣٩٣ .

(٢) Hurewitz , J . c . : Op . Cit ., Vol . 2 , p . 12 .

(٣) محمد بن أحمد عيسى العقيلى : تاريخ المخلاف السليمانى أو الجنوب العربى فى التاريخ ، جـ ٢ ، ص ١١٢٤ – ١١٢٥ .

(٤) أمين الريحانى : ملوك العرب ، جـ ١ ، ص ٣٣٦ .

(٥) فاروق عثمان أباظة (دكتور) : سياسة بريطانيا ف عسير أثناء الحرب العالمية الاولى ص ١٠٧ .

وعندما كانت مملكة الحسين فى الحجاز تلفظ أنفاسها الاخيرة ، فقد كان يرنو ببصره الى الادارسة فى عسير والاستعانة بالشافعية فى اليمن (١) وكان الملك الحسين قد دأب على استنهاض بنى شهر ، من سكان أبها ، وحثهم أن يكونوا وآل عائض يدا واحدة عل يابن سعودويمدهم بالمال والسلاح ، ولكن الاميرفيصل بن عبد العزيز آل سعود استطاع أن يسيطر عل يأبها وأن يهزم القوة التى أرسلها الملك الحسين فى تهامة وذلك فى ١٣٤١هـ / يناير ١٩٢٣ م) .

وفى الوقت الذى كان فيه السلطان عبد العزيز آل سعود يبسط سيطرته على الحجاز فقد تحرك الامام يحيى ليسيطر على امارةعسير المتحالفة مع السعوديين . وقد ضم الامام نجران التى كانت تمثل منطقة حرام بين البلدين ، فما أن انتصرت القوات السعودية فى الخرمة ، حتى أسرعت قوة لتضع حدا لتهديدات امام صنعاء ، واضطرت القوات اليمنية الى الجلاء عن نجران ، ثم كانت معاهدة مكة مع الادارسة ، وكان ضم الحجاز عاملا رئيسيا فى توطيد الحكم السعودى فى عسير ، ولما دخلت القوات السعودية مدينة الحديدة ظهرت قطع بحرية بريطانية وفرنسية وايطالية امام ميناء الحديدة استعدادا للتدخل ، وهنا توقف السعوديون عن دخول صنعاء آنذالك (٢) .

وتجدر الاشارة الى أن السلطان عبد العزيز آل سعود أنشأ مديرية للشئون الخارجية فيعام ١٣٤٥ هـ - ١٩٢٦ م لتنظيم علاقات الدولة بالعالم الخارجى ، وأسند هذه المديرية لابنه الاميرفيصل الذى ظل يمارس أعمالها حتى تحولت فى شهر رجب سنة ١٣٤٩ هـ / ١٩٣٥ م الى وزارة للخارجية . وكان السلطان عبد العزيز آل سعود حتى فتحه للحجاز يلقب بالسلطان فلما استصفى الحجاز وجعله ملكية كما كان ، أصبح يلقب « بملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتهـــم » ، وفى الحادى والعشرين من جمادى الاولى سنة ١٣٥١ هـ / ١٩٣٢م أصدر الملك عبد العزيز آل سعود أمرا بتوحيـــــد المملكة وتسميتـــها

---

(١) حافظ وهبه : خمسون عاما فى جزيرة العرب ، ص ٧٨ .

(٢) عبد الله بن محمد بن خميس : المرجع السابق ، ص ١٢٠ .

« المملكةالعربية السعودية » (١) .

أما بالنسبة لتطورالعلاقات بين الملك عبد العزيز آل سعود والامام يحيى فقد جرت اتصالات بينهما لتسوية النزاع على الحدود بين الجانبين وقام الوفد السعودى الاول بزيارة صنعاء فيسنة (١٣٤٥هـ / شهر يونيه ١٩٢٧ م) ، هذا ف يالوقت الذى كان فيه الامام يحيى مشغولا بصراعه مع بريطانيا ف يجنوب اليمت . ويتضح هذا بالنظر فى تاريخسير كل من علاقات الامام يحيى بالسعوديين فيالشمال وببريطانيا فى الجنوب من بلاده . ففى الوقتمالذى كان الوفد السعودى الاول والثانى فى صنعاء يفاوض الامام ومندوبيه ، كانت الطائرات البريطانيةتلقى بقنابلها على جيوش الامام فى النواحى المحمية المتاخمة لعدن فى جنوبى اليمن ، كما كانت بريطانياتفعل من قبل فى فض التجمعات القبلية السعودية على حدود آل سعود الشمالية بعد أن أقامت دولتين هاشميتين على تلك الحدود الشمالية وأخذت ترعاهماتدعيما لمصالحها وذلك قبيل عقد معاهدةجدة فى (١٣٤٥ هـ / اليوم العشرين من مايو سنة ١٩٢٧ م) وأمام هذا الضغط البريطانى اضطر الامام يحيى أن يسعى للتوصل الى عقد هدنة مع البريطانيين وأعلنت الهدنة فعلا بين برطانيا والامام فى (١٤٤٦هـ / ٢٥ مارس سنة ١٩٢٨ م) (٢) . وهو نفس الشهر الذى توجهفيه وفد الامام يحيى المتحفظ مع الوفد السعودى علاالنحو الذى عبرعنه تركى بن ماضى رئيس الوفد اليمليكه عبد العزيز آل سعود بقوله : ان الاماميحيى « ليس له مقصد عدوانى فى الوقت الحاضر ، ولايريد حسم المادة والاعتراف بحدود معلومة له أو عليه ، بل يريد مسالمةومكاتبة بغير نتيجة » (٣) وكان موقف الامام هذا نابعا من عدم رغبته فى البت فى مشكلة حيويةتخص حدوده الشمالية ، فى الوقت الذى كان يحارب فيه الانجليز عدن حدوده الجنوبية، مما جعله يسوف فى الامر حتى يحل قضيته مع بريطانيا فى الجنوب . وكان البريطانيون على علم تام بذلك ، مما جعلهم يعتقدون « أن نتيجة مفاوضات الامام

---

(١) الاطلس التاريخى للدولةالسعودية ، ص ١٨٣ .

(٢) Lenczoski , G . : Op . Cit ., p . 547 , 548 .

(٣) Survey of International Affairs , 1928 , p ., 319 .

مع ابن سعود ستكون العامل الهام فى رسم سياسته فى المستقبل تجاه بريطانيا » (١).
هذا اذا فكر الامام فى تسوية علاقاته فعلا مع السعوديين فى البداية .

وتجدر الاشارة الى أن الامام يحيى رأى بعد ذلك أن اتفاقه مع السعوديين من شأنهأن يجعله متفرغا لتسويةعلاقاته مع بريطانيا . ولا شك أنا اتفاق الملك عبد العزيز آل سعود مع البريطانيين بعقد معاهدة جدة فى (١٨ من ذى القعدة ١٣٤٥ هـ / ٣٠ من مايو ١٩٢٧ م) قد شجع الامام يحيى بعد ذلك على التفاهم مع البريطانيين (٢) حتى انتهى الامربعقده معاهدة الصداقة والتعاون المتبادل مع بريطانيا فى (١٣٥٢ هـ / اليوم الحادى عشر من فبراير سنة ١٩٣٤ م)(٣) .

وكانت هذه المعاهدة الاخيرة وثيقة الصلة بالنزاع السعودى اليمنى حول الحدود بين الودتين فى نفس السنة ، نظرا لان بريطانياوهى ترقب ما يدوربين الجانبين اتخذت موقفاعمليا تمثل فى الاتصال بالجانبين السعودى واليمنى وأوصتهما بأن يلتزما سياسة الاعتدال للوصول الى تفاهم بينهم .

وقد قام بهذه المهمة كل من « سير أندرو ريان Sir Andrew Ryan» وزير بريطانيا المفوض فى جده آنذاك من جهة ، « والكولونيل برناردرايلى Bernard Re-illyالذى أوفدته بريطانيا الى حكومة صنعاء . وقد تمت هذه الاتصالات فى (الشهور الاولى من سنة ١٩٣٤ ولاخيرة من سنة ١٣٥٢هـ) عقب تقدم القوات السعودية حتى اقترابها من جزيرة « قمران » (٤) الواقعة أمام الساحل اليمنى المطل عليالحر الاحمر من ناحية الشمال ، وكان يشرف عليها آنذاك حاكم مدنى بريطانى . وكانت بريطانيا تقيم فيها محجرا صحيا للحجاج الوافدين من بلدان الشرق الاقصى ، ولم يكن قد تم البت بعد فى ملكية هذه الجزيرة ، اذ كانت تحت تصرف الدول الموقعة على معاهدة لوزان فى (١٣٤١هـ / اليوم الرابع

---

(١) Survey of International Affairs , 1928 , pp ., 319 ,320.

(٢) Antonius , G . : Op . Cit ., pp . 341 , 342

(٣) Hurewitz , J . C . : Op . Cit ., Vol . 2 , p . 197 .

(٤) صحيفة الاهرام: العدد رقم١٧٧٣٨ ، الصادر فى (١٣٥٣هـ - ١٨ أبريل ١٩٣٤) ،ص٦.

والعشرين من يوليو سنة ١٩٢٣ م) والتى أصبحت سارية المفعول اعتبارا من (١٣٤٣ هـ / اليوم السادس من شهر أغسطس سنة ١٩٢٤ م) (١) . وقد حرصت بريطانياعلى ألا يتضخم نفوذ الملك عبد العزيز آل سعود فى الجزيرة العربية الا بالقدرالذى لايتعارض مع مصالحها المختلفة هناك . ومن هنا كان يهم بريطانيا اعتمادا على علاقاتها الطيبة مع الملك عبد العزيز ألا يتوسع فى المناطق التابعة للامام يحيى بما لا يؤثرعلى مصالحها فى اليمن بشكل مباشر .

وجدير بالذكر أن تأزم العلاقات السعودية اليمنية فى سنة (١٣٥٣هـ / ١٩٣٤ م) من أجل الحدود السياسيةبين الجانبين ، الذى بلغ حد الصدام المسلح ، لم يثر قلق بريطانيا فحسب ، بل أثار قلق كل من ايطاليا وفرنسا والاتحاد السوفيتى زيضا . ولا شك أن بريطانيا كانت أكثر هذه الدول اهتماما بتلك الازمة ؛ نظرا لما لها من مصالح حيوية هامة فى الجزيرة العربية والخليج العربى موالبحر الاحمر ، حتى أنهذا الاهتمام انعكس عل يمختلف دوائرها اسياسية ، ونال قدرا كبيرا من عناية الصحافة البريطانية (٢) . ولهذا فان موقف بريطانيا الرسمى كان أكثرتحديدا اذا ما قورن بمواقف الدول الاخرى . فقد أدلى وزير الخارجية البريطانية فى مجلس العموم فى (١٣٥٣هـ / اليوم السابع والعشرين من مايو سنة ١٩٣٤) بحديث هام يعبر عن موقف بريطانيا الرسمى ، ، قال فيه أن الحكومة البريطانية تراعى فى خطتها « الحياد الدقيق ازاء النزاع القائم » ، الذى من أجله تتخذ الحكومة البريطانية التدابير اليت تراها ضرورية لحماية أراح الرعايا البرطانيين وأملاكهموالاشخاص الذين تحت حمايتها فى المنطقة التى يدور فيها القتال بين القوات السعودية واليمنية (٣) .

أما بالنسبة لايطاليا فقد شغلت كذلك بالنزاع السعودى اليمنى على الحدود فى عام (١٣٥٣هـ / ١٩٣٤ م) ، نتيجة لحرصها عل مصالحها فى

(٢) فاضل حسين (دكتور) : المرجع السابق ، ص ١٥ - ١٩ .

(٣) Lenczowski , G . : Op . Cit ., p . 547 , 549 .

(٤) صحيفة الاهرام : العدد رقم ٤٧٧٤٨ ، لاصادر فى ٨ مايو (١٣٥٣ هـ - ٨ مايو ١٩٣٤ م ٩ ، ص ٤ .

الجزيرةالعربية والبحر الاحمر . وقد أشارت الى ذلك صحيفة « الاهرام » نقلا عن « اليلى تلغراف Daily Telegraph » التى أوضح مراسلها فى روما أنه علم أن ايطاليا لا توافق على سقوط اليمن فى أيدى السعوديين .وأنها تنظر بعين القلق ولا سيما اذا طال أمد الحرب واشتدت وطأتها كما أشارت « صحيفة الاهرام » كذلك الى أن مراسلها فى روما قد أكد اهتمام الدوائر السياسية هناك حينذاك بالنزاع السعودى اليمنى حتى أنها ذهبت الى أن ارسال الحكومة الايطالية لثلاث بوارج اليميناء الحديدة فى ذلك الحين يرجع الى وجود كثير من الايطاليين فى اليمن حيث توجد مستودعات كثيرة للبن وعدد من المستشفيات الايطالية . ولهذا فان هذه الدوائر الايطالية رأت أنه لا يجب أن تقف حكومة ايطاليا موقفا منشأة ايجاد سوء تفاهم مع بريطانيا التى لها مصالح أكبر فى تلك المنطقة ، وأنه يحسن بالدول العظمى أن تتفق عل يانتهاج خطة واحدة ازاء الاوضاع المتغيرة فى الجزيرة العربية . وقد أوضحت « الاهرام » هذا الموقف المحدد من قبل بريطانيا وايطاليا ازاء النزاع السعودى اليمنى عندما أوردت نقلا عن صحيفة « الديلى تلغراف » تعليق يوضح أنه نظرا لما للحكومتين البريطانية والايطالية من المستعمرات القريبة من منطقة الحرب فى جزيرة العرب ، فقد كانت عل ياتصال وثيق فيما يتعلق بهذه المسألة منذ نشوب الحرب . وليس معنى هذا أن احدى الدولتين تنوى التدخل فى النزاع ، لان كل ما يهمهما هو حماية مصالحهما الخاصة هناك (١) .

وفيما يتعلق باهتمام الاتحاد السوفييتى بالنزاع السعودى اليمنى على الحدود بين الدولتين التى بلغت ذروتها فى سنة (١٣٥٣ هـ - ١٩٣٤م) فقد نبهت الى ذلك صحيفة « ايفننج ستاندرد Evening Standard » التى استدلت على هذا الاهتمام عندما أوضحت أن روسيا كانت من أولى الدول التى رفعت قنصليتها فى جده الى مفوضية ، وأن السوفييت كانوا قد أرسلوا الى اليمن أكثرمن بعثة علمية وتجارية ، ومن المرجح أنها كانت ذات أهداف سياسية بطبيعة الحال (٢) .

---

(١) السيد مصطفى سالم (دكتور) : تكوين اليمن الحديث ، اليمن والامام يحيى ، ص ٤١٣ .
(٢) صحيفة الاهرام : العدد الصادر فى (١٣٥٤ هـ / أول سبتمبر ١٩٣٥) ص ٤ .

ولم يقتصر الاهتمام الدولى بالنزاع السعودى اليمنى على الحدود بين الجانبين فيسنة (١٣٥٣هـ / ١٩٣٤ م) على مجرد التصريحات والاتصالات الدبلوماسيه ، بل ترجم هذا الاهتمام الى عمل ايجابى عندما أرسلت الدولتان الاكثر اهتماما وهما بريطانيا وايطاليا سفنا حربية الى ميناء الحديدة . ل وقد اتخذتا موقفا أكثر ايجابية وجرأة عندما اقتربت قوات الامير فيصل آل سعود من الحديدة، فساعرت الدولتان الى انزال بعض جنودهما لاى المدينة نفسها بدعوى حماية رعاياهما . غير أن استتباب الامربسرعة فى المدينة ، واعلان الملك عبد العزيز آل سعودأنه كفيل بالمحافظة على أرواح رعاياهما وممتلكاتهم ، مما اضطر الدولتان الى سحب جنودهما الى متن السفن التى ظلت واقفة أمام ميناء الحديدة (١) .

ولاشك أن اهتمام بريطانيا وايطاليا باتخاذ التدابير العملية وحرصهما على عدمانفراد احداهما بأعمال أكثرايجابية، انما يعبر عن روحالمنافسة الاستعمارية التى تعاظم مداها بين الدولتين آنذالك .

وقد بداواضحا فى بداية النزاع السعودى اليمنى على تحديدالحدود بين الجانبين أن بريطانياكانت تميل الى جانب الملك عبد العزيز آل سعود ، الذى عقدت معه « معاهدة جده » (٢) فى (١٨ من دى القعدة ١٣٤٥هـ / ٣٠ مايو ١٩٢٧ م) واعترفت فيها باستقلال مملكته فى نجد والحجاز وملحقاتها (٣) ، قبل أن يتمثل ذلك الاعتراف مع الامام يحيى فلم يكن للملك عبد العزيز آل سعود مطالب فى النواحى المتاخمة لعدن بجنوبياليمن ، على عكس الامام حيى الذى كان يعتبر هذه النواحى حقا شرعيا له ، ورثه عن أجداده ، وظل يطالب به بالاساليب السلمية والحربية ، حتى عقد « معاهدة صنعاء» بينه وبين بريطانيا فى (١٣٥٢هـ / فى اليوم الحادى عشر من فبراير سنة ١٩٣٤ م) (٤) . أما بالنسبةلايطاليا فقد مالت الى جانب الامام يحيى أثناء النزاع السعود اليمنى نظرا

(١) صحيفة الاهرام : العدد الصادر فى (١٣٥٣ هـ / ١٢ مايو ١٩٣٤ م) . ص ٤

(٢) Lenczowski , G . : Op . Cit ., p . 546

(٣) محمدعبد الله ماضى (دكتور) : النهضات الحديثة فيجزيرة العرب ، جـ١ ، ص ٢٩٧-٣٠١

(٤) Hurewitz , J . c . : Op . Cit ., Vol . 2 ., pp . 196 , 197 .

لانها كانت تتطلع الى مد نفوذها تدريجيا الى اليمن فى عهده وخاصة بعد أن عقدت مع الامام المعاهدة اليمنية الايطالية فى (١٣٤٥ هـ / اليوم الثانى من سبتمبر ١٩٢٦) (١) غيرأنه عندمابدا أنالقوات اليمنية تواجه هزائم مستمرة أمام قوات الملك عبد العزيز آل سعود ، فقد وجهت الصحف الايطالية اتهاما لبريطانيا بزنها تقدممعونات كبيرة فنية وعسكرية للملك عبد العزيز آل سعود (٢) ، لتتمكن عن طريق تلك المعونات من وضع يدها على اليمن نظرا لما فيه من ثروات معدنية هائلة . غير أن صحيفة « الطان Temp» الفرنسيةعلقت على الموقف كله بأنها تستبعد أن يكون ميل بريطانيا الى جانب الملك عبد العزيز آل سعود وميل الى جانب الامام يحيى مؤديا الى اصطدام الدولتين – بريطانيا وايطاليا – عن طريق التزاحم فى بلاد مسيطرة على مدخل البحر الاحمر » (٣) .

على أن الصحف البريطانية أبدت فاؤلها بأن انتصار الملك عبد العزيز آل سعود على الامام يحيى وضم اليمن الى ملكه بحيث تصبح محمية عدن جارته من الجنوب ، فان ذلك مدعاة لعدم حدوث أية متاعب نظرا للعلاقات الحسنة القائمة بين بريطانيا والمملكة العربية السعودية ، ولا أدل على ذلك من العلاقات الدبلوماسية المرضية القائمة بين الملك عبد العزيز آل سعود والعراق المستقل من جهة ، وامارة شرق الاردن – التى كانت تحت الانتداب البريطانى آنذاك من جهة أخرى . وقدأشارت الى ذلك أيضا صحيفة « الاهرام » نقلا عن صحيفة « الاوبزرفر » البريطانية بأنه « اذا تمكن الزعيم العربى – الملكعبد العزيز آل سعود – من أن يشيد لنفسه مملكة ثلاثية بادخال اليمن اليملكه ، فان العلاقات بين انجلترا وبلادالعرب لا تزاداد صعوبة ، لانه أسهل على المرء أن يتعامل مع شخص واحد من أن يتعامل مع بضعة أشخاص (٤) . كما نقلت « الاهرام » أيضا عن مجلة «سبكتيتور » البريطانية تأكيدا على هذا الاتجاه فحواه « أن الملك عبد العزيز صديق

(١) Hurewitz , J . c . : Op . Cit ., Vol . 2 ., pp . 196 , 197 .

(٢) صحيفة الاهرام : العدد رقم ١٧٧٥٣ الصادر فى (١٣٥٣ هـ / ١٣ مايو ١٩٣٤ م) ص ٦.

(٣) صحيفة الاهرام : العدد رقم ١٧٧٤٦ الصادر فى (١٣٥٣ هـ / ٦ مايو ١٩٣٤م) ، ص ٤

(٤) صحيفة الاهرام : العدد الصادر فى (١٣٥٣ هـ – ١١ مايو ١٩٣٤ م) ص ٤ .

انجلترا ، ويدل تاريخها المجيد فى فتح بلاد العرب عل يأن الرعايا البريطانيين يكونون دائما تحت رعايته فى مأمن من أن يكونوا فى أى جزء آخر من شبه الجزيرة . فاذا فرض واستطاع الملك ابن سعود فى النهاية أن يضم بلاد اليمن الى أملاكه ، ويصير بذلك جارا لمنطقةعدن ، فانه ليس هناك ما يدعو الى الزعم بأن خطته نحو بريطانيا التى سارت عليوتيرة واحدة قبيل وأثناء الحرب لم يطرأ عليها أيتغيير ، أوتتحول عن خطةالصداقة والمودة » (١) . هذافضلاعما أشارت اليه صحيفة« الاهرام » أيضا نقلا عن صحيفة« الاوبزرفر » البريطانية من أفضلية حكم عبد العزيزآل سعودلليمن عن الامام يحيى وذلك بالنسبة للمصالح البريطانية ، فقد جاء بها : « أما انجلترا فخير لها أن يحكم الملك عبد العزيز اليمن لان الامام يحيى كان دائما عدوا للانجليز . وأثناء الحرب العالمية عاون الاتراك عى مهاجمة عدن ، وكان فى الستة عشر سنة الاخيرة (١٣٥٣ هـ / ١٩٣٤م) يهدد دائما حدودعدن ، ويأبى المسالمة ، أما الملك عبد العزيز فصديق للانجليز ، وقد نشر الامن والسلام فى بلاد العرب بحكم قوى عادل » (٢) . ومن هذا يتضح أن الملك عبد العزيز آل سعود استطاع أن يروض البريطانيين ويتجنب الصدام بمصالحهم حتى لا يستعديهم عليه ، بينما يسير هو ف يتحقيق أهدافه بمرونة فائقة وسط هذا الصراع الدولى المحموم .

وعلى أية حال فان هذا النزاع السعودى اليمنى لم يكن من صنع القوى الاوربية (٣) بقد ما كان نابعا من الصراع على الحدود بين الدولتين العربيتين (٤) . وهذا ما أكدته صحيفة « ايفننج ستاندرد » البريطانية ونقلته عنها صحيفة «الاهرام» القاهرية عندما أشارت الى أن « بعض الدوائر السياسية فى أوربا تميل الى تصويرحرب بلاد العرب بأنها فى أساسها فوز لبريطانيا على ايطاليا ، لان بريطانيا

---

(١) صحيفة الاهرام : نفس العدد والصفحة .

(٢) صحيفةالاهرام : العدد الصادرفى (١٣٥٣ هـ / ٢٨ مايو ١٩٣٤ م) ، ص ٤ .

(٣) Survey of International Afiairs . 1934 . p . 320 .

(٤) وزارةالخارجيةالسعودية ، مكة المكرمة ، بيان عن العلاقات بين المملكةالعربية العربية والامام يحيى حميد الدين (الكتاب الاخضر اللسعودى) ١٣٥٣هـ - ١٩٣٤ م . ص ٢٢ - ٢٥ .

أيدت الملك عبد العزيز آل سعود بينما أيدت ايطاليا الامام يحيى . ولكن هذه الاقوال ليست صحيحة لان الحرب والسلم فيبلاد العرب من شئون العـرب وحدهم » (١) . وعلى الرغم مما ينطوى عليه هذا الرأى من حقائق الا أن ما يجب أن نشير اليه هو أن السلم والحرب فى بلاد العرب من شأن العرب وحدهم حقا . الا اذا تعارض ذلك مع مصالح القوى العظمى ذات الاطماع فى بلاد العرب وأحدث تأثيرا غير مرغوب فيه على مناطق نفوذها .

وعلى أية حل فقد تم حسم النزاع السعودى اليمنى بعقد معاهدة « الطائف» بين المملكة العربية السعودية والمملكة اليمنيةالمتوكلية فى (٦ صفر سنة ١٣٥٣ هـ / ١٩ مايو سنة ١٩٣٤ م) ، ووقعها الملك عبد العزيز آل سعود فى١٨ يونيه سنة ١٩٣٤(٢) . بينما وقعها الامام يحيى فى اليوم التالى مباشرة ، ونشر نص المعاهدة فى مكة وصنعاء والقاهرة ودمشق فى وقت واحد (٣) وألحق به عهد التحكيم بين مملكةاليمن والمملكة العربية السعودية الذى ينظم حل قضايا الحدود بين الدولتين باللجوء الى التحكيم اذا اقتضى الامر ذلك (٤) وفى اليوم السابع والعشرين من يونيه من نفس السنة أعلنت الحكومة السعودية أنه قد تم جلاء الزيديين عن الاقاليم المحتلة فى عسير وأن اليمن أوفى بكل الشروط المتفق عليها ، وأنه تبعا لذلك فقد أفرج الملك عبد العزيز عن المسجونين اليمنيين الذين قبضت عليهم القوات السعودية ، واتفق على تنظيم العلاقات بين المملكتين العربيتين المتجاورتين بشكل دقيـــق وفى مجـالات متعددة (٥). وقد أدت المعاهدة السعودية اليمنية الى استقرار الاموربين الجانبين ، ولم تنشأ أية خلافات على الحدود بعد أن تم رسم أول خريطة للحدود السياسية بين الدولتين فى سنة (١٣٥٥هـ / ١٩٣٦ م).

---

(١) صحيفةالاهرام : العدد الصادر فى (١٣٥٣ هـ - ٢٣ مايو ١٩٣٤) ص ٤ .

(٢) Lenczowski , G . : Op . Cit ., p . 548 .

(٣) سيتون وليمز : المرجع الساق ، ص ٢٠٤ - ٢٠٦ .

(٤) Philby , J . B . : Arabian Jubilee , p . 186 .

(٥) السيد مصطفى سالم (دكتور) : المرجع السابق ، ص ٤٢٣ .

وقد سارت الدولتان السعوديةواليمنية فى تثبيت الحدود التى نصت عليها المعاهدة سيرا حثيثا حتى يقضى على أسباب التوتر الذى ساد علاقاتهما من منذ سنة (١٣٤٥هـ / ١٩٢٦م) الى سنة (١٣٥٣ هـ/ ١٩٣٤ م) . لذلك تألفت لجهة حدود من مبعوثين مسئولين من كلا الطرفين ، للقيام بهذا التخطيط طبقا للاسس التى وضعتها المعاهدة نفسها . وقد راعت اللجنة فى التنفيذ الدقة فى ملاحظةمصالح القبائل المنتشرة على طول الحدود حتى لا تثار هناك أية شكوك فيما بعد فى ولاء أو تبعية احدى القرى أو القبائل لاحد الطرفين . وفى خلال عام (١٣٥٤هـ / ١٩٣٥م) انتهى عمل اللجنة من ناحية تثبيت أعمدة الحدود . وقد بلغ عدد الاعمدة ٢٤٠ عمودا على طول الخط الممتد ، وهو حوالى ٤٠٠ ميل من شاطئ البحر الاحمر شمال ميناء « ميدى » الى حافة الربع الخالى . وحدث فى العام التالى بعض التغيرات الازمة حتى يتلاءم خط الحدود مع الواقع بشكل أدق . وقد راعى الطرفان كذلك المادة الخاصة بتحريم اقامة الحصون فى مسافة خمسةكيلو مترات فى كل ناحية من الحدود (٣٧) .

وقد جاء هذا الاتفاق بين الجانبين مصحوباً بميلهما الى التسامح موالصداقة والاخوة الاسلامية بعد أن تمكن الملكعبد العزيز من تحقيق مطالبه كلها عقد انتصاره على قوات الامام يحيى ، الامرالذى جعل الامام يحيى يوافق على شروطه لوقف الحرب . وكاهن الطرفان يدركان أن الحرب كانت لم تبدأ بعد . فزحف القوات السعودية السريع فى تهامه كان نتيجةتقهقر وفرارالقوات اليمنية الى الجبال للتحصن بها حتى تتمكن من الدخول فى معارك حقيقية فاصلة فى ميادين تجيد الحرب فيها . كما أدى تدخل القوى الاوروبية التى أشرنا اليها الى وقف الحرب ، فضلا عن استجابة الامام يحيى لقد الصلح ، وموافقة الملك عبد العزيز عليه ما دام قد حقق أغراضه (٢) . ولهذا جاءت المعاهدة لتتوج جهود السلام بين الدولتين الشقيقتين (٣) .

---

(١) Philby , J . B . : Arabian Jubilee , p . 187 - 188 .

(٢) Lenczowski , G . Op . Cit ., p . 548 .

(٣) فاروق عثمان أباظه (دكتور) : العلاقات البريطانيةاليمنية بين الحربين العالميتين ، ص ١٣٥ - ١٣٦ .

قضايا الحدود السياسية الشرقية للدولة السعودية

ترتبط قضايا الحدود الشرقية للدولة السعودية بطبيعة النظم القائمة فى الدول الخليجية العربية ، والعلاقات بين هذه الدول بعضها ببعض ، فضلا عن العلاقات بين هذه الدول الخليجية غير العربية ، كما ترتبط باستراتيجيات الدول الكبرى التى تولى المنطقة إهتماما خاصا تحت تأثر دوافع أو مصالح متباينة ومتعارضة . وفى هذا الاطار تتميز قضايا الحدودفى منطقة الخليج بخصوصية ترتبط بالجانب الجغرافى والسياسى والاقتصادى والديموجرافى . وقد تفجرت قضايا الحدود مع تفجر البترول (١) ، الذى كان ظهوره أسبق من نشأة وتكون بعض الدول فى منطقة الخليج . وهذا ما جعل أساليب القانون الدولى المعروفة عاجزة ، فى كثير من الأحيان ، عن تقديم الحلول فى بعض المنازعات التى ثارت . على أن قيام أشكال معينة من التقارب وخاصة فى السنوات الأخيرة كما حدث مع دولمجلس التعاون الخليجى (٢) قد أدى الى الاسراع بتسوية منازعات الحدود فى الجانب الشرقى للحدود السياسية للدولة السعودية ، وخاصة بعد أن أعيد تشكيل جوانت منها تحت تأثر تطورات داخية وخارجية بعيدة المدى (٣) . وقد احتلت منازعات الحدودمكانا مرموقا فى دراسة العلاقات الدولية ، خاصة وأن الاقليم السياسى يرتبط فى تخطيط حدوده بجوانت سياسية واستراتيجية واقتصادية ونفسية ، تبعا لاختلاف الدول المعنية به ، والظروف المرتبطة بتحديده واختلاف درجة تقدم الجماعات السياسيةالتى تقطن الاقليم ، ومدى وعيها بهده الأبعاد ، ويزيد الأمرتعقيدا فى حالات كثيرة أنه لم يكن هناك معايير مستقرة لتخطيط الحدود أو تبعية الأقاليم ، وهى أموربدت واضحة فى قضايا الحدودفى الجزيرةالعربية .

وتجدر الاشارة الى أن منطقة الخليج العرب يلم تظهر فيها أية حدود ثابتة على

---

(١) Gros , M. : Feisal of Arabis , p . 18 .

(٢) بدريه عبد الله العوضى (دكتور) : دول مجلس التعاون الخليجى ومستويات العمل الدولية ، ص ٥٣ .

(٣) فالح حنظل : المفصل فى تاريخ الامارات العبية المتحدة ، جـ ٢ ، ص ٧٤٠ .

الخرائط قبل القرن العشرين (١) ، وكانت اتفاقية عام ١٩١٣ بين الدولة العثمانية وبريطانيا أوالمحاولة لتعيين الحدودهناك ، والتى تحدد بموجبها خط الحدود السياسية بين المناطق الخاضعة لك من الدولتين فى شرق الجزيرة العبرية . والواقع أن حكام المنطقة لم يولوا مسألة الحدود فى الماضى أية أهمية . اذ لم يكن مفهوم السيادة الاقليمية السياسية بمعناه المعاصر معروفا لديهم ، كما لم يكن هناك مبدأ ثابت لتقرير السيادة . فتارة تقرر على أساس اعلان الولاء من زعيم القبيلة ، وتقوم أحيانا أخرى على التبعية لتوجه دينى معين كالأباضية أو السلفية . وفيبعض الأحيان ينبنى على أساس الملكية العقارية كما كانت أسرة البوفلاح تملك بعض بساتين واحة البيوريمى . أو على دفع الضريبة أو الزكاة . وكان للحاكم صلاحياته على أية أرض نتيجة نفوذه على القبائل المستقرة فيها . وكان الولاء له وليس للمشيخة أو الامارة نفسها . وهذه الخاصية تجعل تخطيط الحدود – والقبائل فى حركة مستمرة من التداخل رعدم الاستقرار – أمرا صعبا وتثير الكثير من المشاكل خاصة وأنحركة القبائل وولاءها تتقلب لاعتبارات طبيعية ، وكذلك وفق علاقاتها مع الحاكم . فاذا تحول ولاء قبيلة من حاكم الى آخر ادعى الحاكم الآخر حقوقا على الاقليم الذى به القبيلة . ويرفض الحاكم الاول الاعتراف بخروج القبيلة عليطاعته ، وبذلك تصبح المنطقة التى تجوب فيها القبيلة موضعا للنزاع بين الحاكمين .

ومما لا شك فيه أن الحدود بين القبائل كان معترفا بها ، اذ كان لكل قبيلة منطقة تقليدية تتحرك اليها فى الفصول المختلفة ، ولكنها لم تكن حدودا واضحةوثابتة . وكان وضع القبائل فى الصحراء أشبه بوضع الدول فى أعالى البحار فلكل دولة مياهها الاقليمية التى تقررت حتى الآن باعلان منفرد من جانبها ، ولكن تبقى هناك مساحة من المياه الدولية تتكافأ فيها الدول والتزاماتها .

ومن تقاليد العيش فى الصحراء أن يعترف عموما بحق القبائل فى الارتواء من الاباروالرعى فى مناطق المراعى الطبيعية . الا أنه فى سنوات الجفاف كانت هذه

(١) Lorimer , J . g . : Gazetteer of the Persian Gulf , Oman and Central Arabia , Calcutta , 1908 . pp . 1124 - 1156 - 1167 .

الحقوق تتحول فى بعض الحالات الى شجار بين القبائل رغم شسوع ملكية الصحراء والماء والكلأ ، أووفق ما ورد فى الحديث الشريف « الناس شركاء فى ثلاثة ، الماء ، والنار ، والكلأ » . ورغم شيوع ملكية هذه العناصر الحيوية فيالصحراء ثارت الخلافات حول التسابق الى تملكها ، واذا نشأت فكرة اقامةمناطق محايدة بين القبائل ، غيرأن محاولة تخطيط الحدود فى المناطق الصحراوية كانت تكتنفها صعوبات كثيرة نظرا لعدم توفر حدودطبيعية يسهل الاهتداء اليها بتتبع مظاهر معينةعلى السطح . ولذلك لا مفر من قبول حدود تحكمية ، وهو الأمر الذى أملته رغبة القوى الخارجية فى القرنين الاخيرين لضبط طرق الاتصال . ولذلك خططت الحدود وفق مصالح القوى ومناطق نفوذها ، خصوصا فى ضوء الاهتداء الى المعايير الطبيعية ، أو التارخية ، أو الرضا والاتفاق ، أو معيار ولاء القبائل نظرا لصعوبة الاستدلال على مفهوم دقيق له ، أو دلائل ثبوته أو انقضائه . ولذلك فان وسائل تخطيط الحدود فى المناطق الصحراوية الخليجية ، والمعايير التى طبقت فى هذا الصدد اتجهت الى الأخذ بالعتبارات العملية ، اليجانب الرضا والاتفاق بين الاطراف المعنية ، وقد لوحظ أن دواعى تخطيط الحدود وضروراته تعاظمت مع تعاظم دور بريطانيا فى الخليج وحاجتها إليه ، الامر الذى ترتب عليه حرص بريطانيا على عدم تحولنازعات الحدود الى صدامات بين الحكام بوجه عام ، ذلك أن سياستها العامة اتسمت بالمحافظة على الوضع الراهن حتى يمكنها أن تتفرغ لاى استثمار هذا الهدوء لصالحها ولى أبعد مدى (١) .

(أ) الحدود السعودية العراقية :

منذ قام الأميرعبد العزيز آل سعودببعث الدولة السعودية فى دورها الثالث فى نجد عام (١٢١٩هـ / ١٩٠٢ م) لم تكن تعرف حدوددولية معينة بين نجد والعراق ، نظرا لأن القبائل بين البلدين كانت دائمة التنقل ، حتى أن أكثرالعشائر المعروفة فى العراق هى عشائر نجدية رحلت الى العراق وسوريا مثل قبائل عنزه ، وبعضها يسكن العراق وشمال نجد مثل شمر ، وكانت الحدود النجدية تمتد

---

(١) عبد الله الاشعل (دكتور) : قضيةالحدود فى الخليج العربى ، ص ٢٤

وتضيق حسب قوة الحاكم وامتداد سطوته . بين القبائل والعشائر . وقد تم التوصل الى تخطيط الحدودلاسعودية العراقية فياتفاقية المحمرة التى عقدت عام (١٣٤١هـ / ١٩٢٢م) ، وأرفق بهذه الاتفاقية بروتوكول إنشاء منطقة محايدة مساحتها ٢٥٠٠ ميل مربع ، وتجاورالجزء الغربى من الحدودمع الكويت . وفى هذه المنطقة المحايدة اتفق الجانبات على عدم إقامة منشآت عسكرية أو دائمة، ويباح للقبائل الرحل من كلا البلدين أن تجوب المنطقة بحثا عن الماء والكلأ (١) .

ووعندما بدأت القبائل الموالية لفيصل الدويشى تقوم الغارات على الاراضى السعودية فى نجدفى الوقت الذى كان يقوم فيه الملك عبد العزيز آل سعود بتأسيس دولته وجمع شتات أقاليمها خلال ربع قرن منذ قثيام الدولة السعودية فى دورها الثالث . لهذا اضطر الملك عبد العزيز آل سعود فى عام (١٣٤٩هـ / ١٩٣٠م) الى تحسين علاقاته مع العراق ليضع حدا لهذا النشاط المعادى وأمكن فى هذه الظروف أن يتوصل الجانبان السعودى والعراقى فى عام (١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م) الى اتفاقية للصداقة وحسن الجوار ، واتفاقية أخرى للتحكيم فيما يختلف عليه بينهما من أمور ، ولتبادل المجرمين (٢) .

وعندما فاضت عيون البترول بعد ذلك فى المملكةالعربية السعودية وفى العراق ، وراحت المملكةتجرى الترتيبات المختلفة مع الكويت والبحرين والعراق لتنظيم استغلال البترول على الحدودالمشتركة ، وقد عززت العلاقات بين المملكةالعربية السعوديةوالعراق بعقد معاهدة الأخوة العربيةوالتحالف بين الجانبين فى عام (١٣٥٥هـ / أبريل ١٩٣٦ م) وانضم اليمن الى هذه المعاهدة فى العام التالى (٣) ، بل إن ادارة المنطقة المحايدة تم تنظيمها باتفاقية وقعها الجانبان فى عام (١٣٥٧هـ / مايو ١٩٣٨م) ، وجدير بالذكر أن الوثائق البريطانية قد

---

(١) حافظ وهبه : خمسون عاما فى جزيرة العرب . ص ١١٧ .

(٢) عبد الله الاشعل (دكتور) : المرجع السابق ، ص ٣٦ .

(٣) جمال زكريا قاسم (دكتور) : مختارات من وثائق الكويت والخليج العربى ، ص ٢٩ .
Central Asian Society , April 1963 , A" The Foreign Policy of Ibn Saud , 1936 - 1939 , by D . D : Watt ., p . 153 .

أشارت الى تعليلات للأسباب اليت أدت لاى تفضيل عبد العزيز آل سعودللشركات الامريكية - لاستغلال النفط فى بلاده - عن الشركات البريطانية خاصة بعد تخلصه من القيود التى فرضت عليه فى معاهدة عام ١٩١٥ بتوقيعه إتفاقية جدة فى عام ١٩٢٧ مع بريطانيا ، ومن بين هذه التعليلات توتر العلاقات بينه وبين الانجليز بسبب مناصرتهم للهاشميين فى العراق والأردن عن دتخطيط الحدودبين السعودية وبينهما ، هذا بالاضافة الى القروض المالية الكثيرة التى قدمتها الولايات المتحدة الامريكية لعبد العزيز آل سعود فى الوقت الذى كان يعانى فيه ضائقة مالية شديدة الوطأة بعد خروجه منهكا من حروبه فى الجزيزه العربية ، وبتأثر الأزمة الأقتصادية العالمية التى أدت الى انقطاع مواسم الحج ، وإحجام الشركات البريطانية عن استغلال النفط فى بلاده اذ اعتقد أن من ورائه دوافع سياسية آنذاك . كما كانت للنازيين فى نفس الوقت خطط تتصل بالنفط السعودى ، ففى نفس العام زار جدة « الدكتور فريتز جروبا » الوزير المفوض الألمانى فى العراق والسعودية ، ولكن عبد العزيز آل سعود أثر مواصلة الإرتباط بالامريكيين حتى يضمن بذلك تطوير بلاده دون الالتزام بمسئوليات سياسية (١) .

وقد ازدهرت العلاقات العراقية السعودية بعد تسوية الأمور ، وكان آخرها فى هذا السبيل ما أعلنته الرياض فى عام (١٣٩٥ هـ / ٢ يوليو ١٩٧٥) من توصل الجانبين السعودى والعراقى الى إتفاقية تنص على تقسيم المنطقة المحايدة الفاصلة بين البلدين بالتساوى عن طريق خط مستقيم بقدر الامكان ، وهو الأمرالذى أدخل بعض التعديلات على الحدود العراقية وأوصلها الى ما هى عليه فى وضعها الحالى (٢) .

(ب) الحدود السعودية - الكويتية :

يشكل تخطيط الحدود لاسعودية الكويتية نموذجا يحتذى فى منطقة الخليج ، نظرا للعلاقات الأسريةالقديمة بين السعوديين والكويتيين من جهة فضلا عن تماثل

(١) أحمد عبد الرحيم مصطفى (دكتور) : الولايات المتحدةوالمشرق العربى . عالم المعرفة : الكويت ، ربيع الاخر - جمادى الاول ١٣٩٨هـ - أبريل ١٩٧٨م ، ص ٢٧ .

(٢) عبد الله الاشعل (دكتور) : المرجع السابق ، ص ٣٨ .

الاوضاع السياسية السائدة فى كلا البلدين من جهة أخرى ، وقد بحثموضوع تخطيط الحدودالعراقية السعودية بين ممثلى الأطراف المعنية وبحضور إنجلترا التى كانت تعنى بشئون العراق فى إطار نظام الانتداب ، وفى اجتماع عقد فى بلدة المحمرة فى رمضان ١٣٤٠ هـ / ١٩٢٢م (١) .

وقد توصل الجانبات السعودى برئاسة السلطان عبد العزيز آل سعود والبرطانى برئاسة « سير برسى كوكس Sir Percy Cox » المقيم السياسى البريطانى فى الخليج الى عقد اتفاقية العقير فى الثانى عشر من ربيع الثانى (١٣٤١هـ / اليوم الثانى من ديسمبر عام ١٩٢٢م) التى تضمنت قسما خاصا بالحدود السعودية الكويتية يقضى باقامة منطقة محايدة مساحتها ٢٠٠٠ ميل مربع (٢) . وفى نفس هذا التاريخ أبرمت اتفاقية المحمرة الخاصة بالحدود السعودية العراقية التى قضت هى الأخرى بانشاء منطقة محايدة كما ذكرنا آنفا .

وتجدر الاشارة الى أن إتفاقية العقير أشارت الى أن ثمة إتفاقية مفصلة أخرى ستتلوها بصدد الحدود السعودية الكويتية ، أى أن تلك الاتفاقية كانت بمثابة تسوية مؤقتة لمشكلة الحدود ، كى يتسنى للدولتين إستغلال موارد المنطقة المحايدة الى أن تتم الستوية النهائية لوضع الحدود . ولهذا بقيت اتفاقية العقير تشكل الوثيقة الوحيدة التى تحدد المركز القانونى للسعودية والكويت فى المنطقة المحايدة . على أن هذه الاتفاقية ابتدعت أسلوبا صار مثالا ناجحا لتخطيط الحدود فى الحالات المماثلة ، اذ أنها لم ترسم نظاما معينا أو إدارة معينة للمنطقة ، نظرا لأن هذه المساحة الشاسعة لم تكن آهلة بالسكان وقت تخطيطها ، اذ لم يكن البترول قد تدفق فيها بدع ، وبالتالى لم تكن هناك حاجة عملية لضبط نظام ادارة المنطقة والتدقيق فى علاقات الدولتين بها . وهكذا ظلت سيادةالدولتين فى المنطقة المحايدة دون تحديد دقيق ، مع التسليم بأن حقوقهما فيها متساوية ، فلم تحدد الاتفاقية طريقة معينة لممارسة تلك

---

(١) موضى بنت منصور عبد العزيز آل سعود ، المرجع السابق ، ص ١٢٢ - ١٢٥ .

(٢) أمين الريحانى : ملوك العرب ، جـ ٢ ، ص ٥٥ .

راشد عبد الله الفرحان : مختصر تاريخ الكويت وعلاقته بالحكومة البريطانية والدول العربية، ص ١٣٤ .

السيادة المشتركة. وقد قامالملك عبد العزيز آل سعـــود بزيارة الكويـــت فى عـــام (١٣٥٤هـ / يناير ١٩٣٦ م) مما عزز العلاقات بين الجانبين (١) .

(جـ) الحدود بين الدولة السعودية والامارات العربية وعمان :

تعد قضايا الحدود السياسية بين الدولة السعودية والمارات العربية فيحقيقتها منازعات سعودية بريطانية بالدرجة الأولى ، حيث كانت بريطانيا ترصدنمو الدولة السعودية عبرأدوارها الثلاث ، وخاصة عندما قامعبد العزيز آل سعود ببعث الدولة فى دورها الثالث عام (١٣١٩هـ / ١٩٠٢ م) . وكانت بريطانيا تهدف الى الحفاظ على الوضع الراهن فى الخليج ، وتمنع أى قوة خليجية أو أجنبية من المساس به . ولا أدل عليذلك من حرصها عليعقد حلف بين عرب الساحل المهادن فى عام (١٢٦٥هـ / ١٨٤٨ م) فى محاولة لاقصاء السلفيين السعوديين عن المنطقة عندما كانوا يقومون بغارات مستمرة على قطر فى نطاق جهودهمالمناهضة بنى خالد ، بل أمكنهم عام (١٢٢٥هـ / ١٨١٠ م) توحيد البحرين وقطر والقطيف فى مقاطعة واحدة . وكانت البحرين فى فترات متقطعة تخضع لسيطرة السعوديين وتدفع الجزية لهم ، مقابل حمايتها منهجمات الفرس ومسقط ضدها . لذلك حرص الانجليز على استخلاص تعهد من السعوديين فى عام (١٢٨٣هـ / ١٨٦٦م) بعدم الاضرار أو الاعتداء على الامارات العربية المتحالفة مع الحكومة البريطانيةوخاصة مسقط . كما أن بريطانياضمنت معاهدة العقير التى عقدتها مع عبد العزيز آل سعود فى عام (١٣٣٤هـ / ١٩١٥م) والتى اعترفت فيها باستقلاله وتعهدت له بالحماية والزامه بألا يعتدى على تلك الامارات ، وأوردت ذلك أيضا فى معاهـــدة جـــدة لعـــام (١٣٤٦ هـ / ١٩٢٧ م) (٢) .

---

(١) Journalof Central Asian Society , April 1963 , " The Foreign Policy of Ibn Saud , 1936 - 1939 " , by D . D . Watt ., p . 153 . 154

(٢) وزارةالخارجية ، مكة المكرمة ، مجموعة المعاهدات من عام ١٣٤١ - ١٣٥٠هـ / ١٩٢٢ - ١٩٣١ م ، ص ٣٣ - ٣٥ .

وفى عام (١٣٥١هـ / ١٩٣٢م) أعلنت المملكةالعربية السعودية تبعية المنطقة الفاصلة بينها وبين الامارات ضمن حدودها الساسية وهى الساحلالجنوبى للخليج غربا من نقطة تقع بين المغيرة والمرفأ على شاطئ الظفرة ، حتى نقطة تقع على الشاطئ الجنوبى الشرقى لشبه جزيرة قطر . ولذلك ثارت المشاكل حول الحدودالعامة بين المملكة العربية السعودة والامارات كما ثارت حول مشاكل بذاتها، ونعنى بها على وجه التحديد قضية البوريمى ، التى تمس المملكةالعربية السعودية من ناحيةوكلا من « أبو ظبى » و « عمان » من ناحية أخرى . فقد كانت المملكةالعربية السعودية ترى أنسيادتها تمتد من شبه جزيرة قطرعدا مدينة الدوحة وأراضى الرعى المتاخمة لها مباشرة . ولهذا بدأت حكومة المملكةالعربية السعودية منذ عام (١٣٥١هـ / ١٩٣٢م) وهو تاريخ منح امتياز التنقيب لشركة النفط الانجليزية الفارسية ، تثيرمسألة الحدود مع المعتمد البريطانى فى « بوشهر » وفشلت المفاوضات السعودية – البريطانية فى عام (١٣٥٣هـ / ١٩٣٤م) لتخطيط الحدود السعودية – القطرية نظرا لتمسك الجانب السعودى بمطالبه الاقليمية التى شملت أربعة أخماس اراضى أبو ظبى بما فيها واحة ليوا الموطن الاصلى لاسرتها الحاكمة .

أما بالنسبة للخلافات حول الحدود العامة بين المملكة العربية السعودية وأبو ظبى فقد جرت محادثات سعودية – بريطانية بشأنها فى جده فى عام (١٣٥٦هـ / ١٩ مارس ١٩٣٧ م) ولم ينته الجانبان الى اتفاق محدد فيهذا الصدد . وكان الجانب السعودى قد اقترح خطا بين المملكة العربية السعودية والامارات المجاورة عام (١٣٥٤هـ / ١٩٣٥م) ورفضته بريطانيا التى تقدمت باقتراحآخر مضاد يعطى قطر مزيدا من الاراضى وتؤكد تبعية خور العديد « لأبى ظبى » . وفى عـــــام (١٣٧٢هـ / ١٩٥٣م) انعقد بالدمام مؤتمر مائدة مستديرة لبحث الحدود العامة بين المملكة العربية السعودية وكل من قطر وأبو ظبى . وقدمت أبو ظبى

(١) حافظ وهبه : جزيرةالعرب فى القرن العشرين ، ص ٣٣١ – ٣٣٢ .

وبريطانيا مذكرات بشأن حدود الامارتين مؤكدة سيطرة أبوظبى على شاطئ الظاهرةوانتماء قبائل بنى يس (١) والمناصير لأبوظبى ، وتبعيةواحةليواوخور العديد لأبوظبى وكذلك الظفرة . ولم يسفر هذا المؤتمرعن أية نتيجة ، وبقيت الحدودمعلقة وغير مرسومة (٢) حتى تمحلها نهائياعام (١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م) مع كل من عمان ودولة الامارات العربية المتحدة بشأن البوريمى الحدودبينهما . أما الحدود بين المملكة العربية السعودة وقطر فقد أبرم اتفاق بينهما بشأن تحديد الحدود البريةوالبحريةفى عام (١٣٨٥هـ / ديسمبر سنة ١٩٦٥ م) (٣) .

وسوف نلقى فيما يلى مزيدا من الضوء على النزاع حول واحة البوريمى ، الذى أثر كثيرا على العلاقات بين المملكةالعربية السعودية من جهة ، وكل من أبو ظبى ، وعمان من جهةأخرى ، بل وأدى الى وصول العلاقات بين المملكة العربية السعودية وبريطانيا الى درجة الصدام المسلح أثناء الفترة موضع الدراسة بين الحربين العالميتين ، وذلك باعتبار بريطانيا صاحبةالمصلحة فى مساندة أبو ظبى وعمان فى نزاعهما مع المملكة العربية السعودية التى ارتبطت مع شركات أمريكية للتنقيب على البترول فيها . وهذا يظهر أن النزاع كانت وراءه الشركات الانجليزية من جهة ، والامريكية من جهة أخرى . اذ ثـــار أول خـلاف بسبب تحديد المنطقة الشرقية مهن المملكة العربية السعودية حين أعطت المملكةفى عام (١٣٥٢هـ / ٢٩ مايو ١٩٣٣م) امتياز « لشركة ستاندرد أويل أوف كاليفورنيا

---

(١) مايلز ، ص ، ب ، الخليج ، بلدانه وقبائله ، ترجمة محمد أمين عبد الله ، ص ٢٧٣ . وقد أشار الى أن قبيلة « بنى يس » هى قبيلة كبيرة نشأت حديثا فيعمان عددها خمس الاف من البدو الحضر ، ومعظمهم من صيادى اللؤلؤ ، وتمكن قوة القبيلةفى اثنى عشر قبيلة أخرى تتبعها ، لها مدينتان اساسيتان هما أبو ظبى ودبى على الساح لوتمتد حتى البويمس .

(٢) محمد حسن العيدروسى : التطورات الساسية فى دولة الامارات العربية المتحدة ، مراجعةالدكتوراسماعيل صبيرى مقلد ، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد الواحد والاربعون السنة الحادية عشرة ، ربيع الاخر ١٤٠٥ هـ / يناير ١٩٨٥ م ، ص ١٧٦ .

(٣) عبد الله الاشعل (دكتور) : المرجع السابق ، ص ٥١ .

(٤) Lenczowski , G . : Op . Cit ., p . 548 .

The Standard Oil Company of California (٤) للتنقيب عن النفط هناك وان لم يتم استخراجه الا فى عام (١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م) الا أن شروط الامتياز وفرت للخزانة السعودية مبالغ كبيرة وازداد حجم المشكلة حين أعطى حكام قطر ومسقط وإمارات الساحل المهادن امتيازات لصالح شركة بترول العراق الانجليـــزية فى أراضيهم (١) .

وقد إتضحت مشكلة الحدود الشرقية للمملكة العربية السعودية فيعام (١٣٥٣ هـ / ١٩٣٤م) حين سألت الحكومة الامريكية بريطانيا عن مركزها القانونى هناك ، فأرسلت بريطانيا وثيقتين فى هذا الصدد هما الاتفاقية الانجليزية العثمانية الموقعة فى عام (١٣٣١ هـ / ٩ مارس ١٩١٤ م) كأساس لتحديد الحدود الشرقية ، وكان قد ثار خلاف بين الدولة السعودية وبريطانيا حين أبلغت الأخيرة الأولى فى عـــام (١٣٣٢هـ / ٢٨ أبريل ١٩١٤ م) باتصالاتها مع الولايات بشأن الحدود الشرقية (٢) . وسارت المملكة العبرية السعودية بابلاغ بريطانيا أنها لست ملزمة بالاتفاقيتين المذكورتين . كما أثار منح عبد العزيز آل سعود امتياز التنقيب عن النفط فى المنطقة المحايدة ف يعام (١٣٥٢ هـ / ١٩٣٣م) « لشركة ستاندارد أويل أوف كاليفورنيا » اعتراضات الحكومة البريطانية وعدت ذلك حينذاك انتهاكا لقرارات مؤتمر العقير عام (١٣٤١هـ / ١٩٢٢ م) الخاصة بأوضاع المنطقة المحايدة بين الكويت والسعودية من جهة أخرى ودارت لهذا الغرض جولتان من المفاوضات الأوليمن (١٣٥٣– ١٣٥٧هـ / ١٩٣٤ – ١٩٣٨ م) والثانية من (١٣٦٩ – ١٣٧٢ هـ / ١٩٤٩ – ١٩٥٢م) وانعقد خلالها مؤتمران ، لندن عام (١٣٧١هـ – ١٩٥١ م) ، والدمام عام (١٣٧٢ هـ – ١٩٥٢م) دون أن يصل الطرفان الى حل نهائى . وأثناء المرحلة الأولى من الباحثات قدمت المملكة العربية السعودية فى عام (١٣٥٣هـ / ٣أبريل ١٩٣٥ م) أول اقتراح

(١) Journal of Central Asian Society , April 1963 . " The Forreign Policy of Ibn Saud 1936 - 1939 " , By D . C . Watt ,pp . 153 , 154

(٢) Lenczowski , G . : Op . Cit ., p . 548 .

(٣) جمال زكريا قاسم (دكتور) : مختارات من وثائق الكويت والخليج العربى ، ص ٣٨ .

لحدودها الشرقية مع قطر وأبو ظبى عرف باسم خط فؤاد (١) .

وردت انجلترا بمشروع مضادفي عام (١٣٥٤هـ - ٢٥ نوفمبر ١٩٣٥ م) عرف باسم خط ريان ورفضته الحكومة السعودية (١) على أنه فى فس السنة قام الأميران سعود وفيصل آل سعود بزيارة انجلترا ، وفى عام (١٣٥٦هـ / مارس ١٩٣٧م) قام « السير جورج رندل Sir George Rundle» برد الزيارة -وكان آنذاك رئيسا للقسم الشرقى فى وزارة الخارجيةالبريطانية . وفى المحادثات الخاصة تسوية معظم المسائل البارزة فى العلاقات الانجلو سعودية وتبودلت معاهدات الصداقة بين الجانبين (٢) . أما بالنسبة للمرحلةالثانية من المفاوضـــات التى بـــدأت عـــام (١٣٦٩هـ / ١٩٤٩ م) حين احتج المندوب السامى البرطانى فى أبوظبى وقطر فى (١٤ أكتوبر ١٩٤٩ م) . غير أن بريطانيارفضت التصور السعودى لحدودها مع أبوظبى وقطر وذلك فى مذكرة قدمتها فى (٣ نوفمبر ١٩٤٩م) وأشارت الى أن حاكمى أبو ظبى ومسقط خولاها التفاوض باسمهما فى المناطق المحيطة بالبوريمى . ولذلك اتفق على استئناف التفاوض فى مؤتمر يعقد فى لندن ، وخرج هذا المؤتمر الذى استمر من (٨ - ٢٤ أغسطس ١٩٥١) بنتيجة واحدة هى الاتفاق على عقد مؤتمر مائدة مستديرة فى الدمام عام (١٣٧١هـ / ١٩٥٢ م) تحضره السعودية وبريطانيا بالاضافة الى المشيخات المعنية . وفى هذا المؤتمر أبدى الجانبان تشددا كبيرا فى مقترحاتهما ، حيث تجاوز الجانب السعودى خط فؤاد كما تجاوز الجانب البريطانى خط ريان لعام(١٣٥٤هـ / ١٩٣٥ م).وقد انفض المؤتمر دون التوصل الى اتفاق(٣) فى عام (١٣٧١هـ/

(١) عبد الله الاشعل (دكتور) : المرجع السابق ، ص ٥٢ .

(٢) Journal of Central Asian Society , April , 1963 , The Foreign Policy of Ibn Saud , 1936 - 1939 , by D . C . Watt ., p . 154 .

(٣) قدمت حكومة المملكةالعربية السعودية فى المؤتمر « عرض حكومة المملكةالعربية السعودية » وتقدمت بريطانيا بعرض مضاد يمثل وجهة نظر أبو ظبى وسلطنةعمان آنذاك :

Memorial Submitted by the Government of the United Kingdom of Great Britain and North Ireland , 2 Vols ., " Arabitration Concerning Buraimi and the Common Frontiars Between Abu Dhabi and Saudi Arabia

وقدمت حكومة المملكة العربية السعودية ضمن عرضهاخطوط كتبه عبد الله بن صالح المطوع =

أغسطس١٩٥٢م) ، مماجعل المملكةالعربية السعودية ترسل حاكما للبوريمى وبعض المدنيين (١) فيما اعتبرته انجلترا غزوا مسلحا للبوريمى ، ودارت مفاوضات بشأن هذا الوضع الجديد . وأبرمت اتفاقية التوقف فيعام (١٣٧٢هـ / ٢٦أكتوبر ١٩٥٢ م) اتفق فيها على تجميد الوضع الراهن لحين استئناف المفاوضات والتوصل الى أتفاق . ولما استؤنفت المفاوضات فى عام (١٣٧٤هـ / ١٩٥٤ م) اتفق فيها على احالة النزاع الى محكمة للفصل بين الجانبين (٢) .

وتجدرالاشارة الى أنه وقعت صدامات مسلحة على الحدود السعودية - العمانية فى (١٣٧٢ - ١٣٧٣ هـ / نوفمبر ١٩٥٢ -يوليو ١٩٥٤م) رغم اتفاقية التوقف بين القوات البريطانية وقوة كشاف عمان من جهة ، وبين السعوديين فى الواحة من جهة أخرى ، وقطعت على أثرها العلاقات الدبلوماسية السعودية البريطانية . من الملاحظ أن المحادثات والاتفاقات والمقترحات التى تمت بين الجانبين السعودى و البريطانى منذ إثارة النزاع فى أوائل الاربعينات لم تركز بصفة

=أهالى امارةالشارقة بعنوان « عقود الجمان فى أيام آل سعودفى عمان » كوثيقة لاثبات حقها فى البوريمى . وقد قامت بتحقيق هذا المخطوط وراسته أميمه صابر البغدادى فى رسالتها للدكتوراه التى قدمت لكلية الاداب بجامعه الاسكندرية (١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م) ولم تنشر بعد . وقد أشارصاحب المخطوط الى أمراءآل سعودفى البوريمى فى عهد الدولة السعودية فى دوريها الاول والثانى وعددهم ٢٤ أميرا فيما بين عامى (١٢١٠ - ١٢٩١ هـ / ١٧٩٥ - ١٨٧٤ م) ص ١٤٩ - ١٥٥ بالمخطوط . ص ٣٠٨ - ٣١٦ بالرسالة المشاراليها . كما ورد بالمخطوط أنه بوصول الاميرعبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود الى الرياض استبشر أهل عمان خيرا وازدادوا بشرا عندما سيطرعبد العزيز على الاحساء ، واقترب بذلك من عمان وظل أهل عمان «ينتظرون قدوم الاميرشهرا بعد شهر وعاماً بعد عام،ومع ذلك فالرسائل والوفود لم تنقطع بارسال الأمير إلى البوريمى والملك يعد ويتحين الفرص،وهو مع ذلك لم يغفل عن عمان ويعلم الكبيروالصغير من أمرها » . المخطوط ورقة ١٦٠ .

(١) أمين الريحانى : تاريخ نجدالحديثوملحقاته ، ص ١٢١ .

وقد أشار الى أن الملك عبد العزيزلم يرسل اميرا على البوريمى الا فى (١٠ ذى الحجة ١٣٧٢ هـ / ١٩٥٢م) نتيجة لالحاح الوفودعليه ، فاختار الامير تركى بن عبد الله بن عطيشان وهو من خيرة الرجال البارزين فى الدولة . وذلك يعود النفوذ السعودى الى البوريمى فيعهد الدولة السعودية فى دورها الثالث مرة أخرى .

(٢) عبد الله الاشعل (دكتور) : المرجع السابق ، ص ٥٣ .

أساسية على واحة البوريمى وحقوق الاطراف فيها ، وانما تناولت أيضا الحدود العامة بين كل من المملكةالعربية السعودية وقطروأبو ظبى بينما لم تظهر مسقط خلال تطورات الموضوع كله . والذى طلب التحيم بشأنه هونزاع الواحة وتخطيط الحدود بينالمملكةالعربيةالسعودية وأبوظبى . وقد أحال الطرفان النزاع الى هيئة تحكيم بموجب اتفاقية تحكيم عام(١٣٧٣هـ / ٣٠ يوليو ١٩٥٤ م) وتشكلت هيئة التحكيم من أربعة أعضاء ورئيس ، حيث اختارممثلا السعودية وبريطانياعضوين، واختار الأربعة رئيسهم وهو الاستاذ « شارل دى فيشر » أستاذ القانون الدولى فى بلجيكا والرئيس السابق لمحكمة العدل الدولية . واجتمعت الهيئة بشكل تمهيدى فى« نيس » فى جنوب فرنسا فى عام (١٣٧٤هـ / سبتمبر ١٩٥٥ م) ولكن الهيئة تحللت منذ هذا الاجتماع ، حيث استقال المندوب البريطانى ورئيس الهيئة ، لأن الممثل البريطانى إدعى أن المندوب السعودى الشيخ يوسف ياسين كان نائبا لوزير الخارجية مما يجعل تحيزه واردا . وعلى أثرذلك قامت قوة حرس عمان بابعاد البوليس السعودى من البوريمى وتوترت العلاقات من جديد (١) .

وكان جوهر نزاع البوريمى يتلخص فى أن أبو ظبى تدعى السيادة عل ست قرى وتطالب مسقط بالثلاث الأخرى . بينما ترى المملكة العبرية السعودية أن الواحةكلها ملك لها . وكانت بريطانيا تقف فيمواجهة السعودية باعتبارها حامية لمصالح أبوظبى ، وعلى أساس تفويض من سلطان عمان لها فى ذلك . ومن ناحية أخرى ، يشتمل النزاع أيضا لعى تحديدالحدودالشرقية للملكة العربية السعودية الفاصلة بينها وبين قطر وأبو ظبى . فترى الحكومة البريطانية أن الاتفاق العثمانى — الانجليزى لعام (١٣٣٢هـ / ١٩١٣ م) الذى وضع ما يعرف بالخط الأزرق ، هو أساس تخطيط الحدود ، ولم يحدث تغير فى شرق السعودية منذ ذلك التاريخ . بينما ترفض السعوديةالخط الأزرق ، وخط ريان لعام (١٣٥٤هـ / ١٩٣٥م) وتتمسك بأن يتم تخطيط حدودها الشرقية وفقا لاوضاع عام (١٣٦٩هـ / ١٩٤٩ م) . أما فيما يتعلق بمدى صحة الأسس التى استندت اليها كل من

(١) Lenczowski , G . : Op . Cit ., pp. 550 , 551 .

المملكة العربية السعودية ومسقط وأبو ظبى فقد حاول كل طرف أن يثبت سيطرته على الواحة وخضوع قبائلها له أطول فترة ممكنة وممارسته السيادة عليها (١) . وتشير المستندات التاريخيةالى أن الأطراف الثلاثة اختلفت على الواحة فى فترات متعاقبة فى ظروف تاريخية معينة ، مارست عليها أقدارا متفاوتة تاريخيا وموضوعيا من السيطرة . غير أنه يلاحظ أن الجانب السعودى أكثراقناعا فى هذا الصدد من الجانبين الأخيرين كما سبق أن أشرنا (٢) اذ سيطر السعوديون على الواحةمدى أطول من غيرهم سيطرة مستمرة قرابة ثمانين عاما ، وكان قبائل الواحة فيما عدا هذه الفترة أقرب الى الاستقلال منها الى الخضوع بنفس الدرجة لطرفى النزاع الآخرين . ومع ذلك فلكل من الأطراف الثلاثة ما يثبت وجودكل منهم فيها فى فترة زمنية معينة ، وهذه النتيجة جعلت من المستحيل تلمس حل النزاع بالوسائل القانونية (٣) .

ونظرا لتعثر التوصل الى حل عن طريق التحكيم فقد ظل النزاع قائما ، يشكل بؤرة توترفى العلاقات السعودية البريطانية ، وازداد توتر بالمؤازرة السعودية لمصر (٤) خلال أحداث السويس عام (١٣٧٦هـ / ١٩٥٦ م)(٥) . ولما كانت الولايات المتحدةالأمريكية تريد إستقرارالأوضاع فى هذه المنطقةحرصا على مصالحها (٦) ، فقد ضغطت على الحكومة الانجليزية بضرورة العودة الى التحكيم

---

(١) صلاح العقاد (دكتور) « استخدام الوثائق فى منازعات الحدود بمنطقة الخليج تطبيق على النزاع حول واحات البوريمى » ، مجلة دراسات الخليج والجزيرةالعربية ، العدد الثالث والاربعون ، السنة الحاديةعشرةيوليو ١٩٨٥ م - شوال ١٤٠٥ هـ ، ص ١٤٢ - ١٤٣ .

(٢) عبد الله بن صالح المطوع : « عقود الجمان فى أيام آل سعود فى عمان » ص ١٤٩ - ١٥٥ بالمخطوط .

(٣) عبد الله الاشعل (دكتور) : المرجع السابق ، ص ٥٤ - ٥٥ .

(٤) أمين سعيد : الخليج العربى فى تاريخه السياسى ونهضته الحديثة ، ص ١٦٢ - ١٦٣ .

(٥) Lenczowski , G . : Op . Cit ., p . 563 .

(٦) Marlowe , J . : The Persian Gulf in the 20 th Century , pp . 130 - 132 .

(٧) Kelly , J . B . : Eastern Arabian Frontiers , p . 163 .

مراعاة لمركز المملكة العربية السعودية فى الجزيرة (٧) العربية من جهة وللمصالح الأمريكية من جهةأخرى . ولهذا فقد أعلن فى عام(١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠) أنه قد تم الاتفاق على إختيار أمين عام الأمم المتحدة مراقبا محايدا يشرف على بعثة لتقصى الحقائق فى البوريمى . وكان البعثة برئاسة سفير السويد لدى أسبانيا . غير أن المملكة العربية السعودية اشترطت للبدء فى تسوية النزاع بهذا الأسلوب ، أن تقوم بريطانيا باعادة السكان الفارين من البوريمى الى الواحة . وهكذا تعثر عمل البعثة . غير أن العلاقات الدبلوماسية بين المملكة العربية السعودية وبريطانيا استؤنفت فى عام (١٣٨٢هـ / ١٦ يناير ١٩٦٣م) واستؤنفت معها الجهود لتسويةالنزاع تحت الاشراف الشخصى للامين العام للامم المتحدة . وفى عهد الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود قام السلطان قابوس بن سعيد سلطان عمان بزيارة المملكةالعربية السعودية لتوطيدالعلاقات بين البلدين وصدر بيان مشترك عقب الزيارة (فى ١٣٩١هـ / أكتوبر ١٩٧١ م) يتضمن اعتراف المملكةالعربية السعوديةبالقرى الثلاث من واحة البوريمى التى ضمت الى سلطنة عمان (١) .

وعقب اعلان قيام دولةالامارات العربية المتحدة فيعام (١٣٩١هـ / ٢ ديسمبر ١٩٧١ م) (٢) إعترفت المملكةالعربيةالسعودية بها مع بعض التحفظات المتعلقة بتسوية الحدود . ثم جاء إلغاء بريطانياللمعاهدات القديمة التى فرضتها على مشيخات الخليج إبعادا للبريطانيين عن مشكلة البوريمى ، مما جعل المشكلة تأخذ الطابع المحلى العربى (٣) . ولهذا حلت المشكلة فى عهد الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود حلا أخويا أرضى جميع الأطراف . ففى عام(١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م) حلت مشكلة الحدودبين المملكةالعربية السعودية ودولة الأمارات العربية المتحدةباتفاق تضمن تنازل المملكة عن واحات البوريمى الست لدولة الأمارات ، مقابل تنازلها للمملكة عن مثلث أرض غرب « أبوظبى » وجنوب

---

(١) صلاح العقاد (دكتور) : التيارات السياسية فى الخليج العربى ، ص ٣١٩ .

(٢) محمد مرسى عبد الله (دكتور) : دولة الامارات العربية المتحدة وجيرانها ، ص ٢٧ .

(٣) جمال زكريا قاسم (دكتور) : الخليج العربى، دراسة لتاريخه المعاصر ، ١٩٤٥ - ١٩٧١ ، ص ٢٦٥ . ٢٦٦ .

شرق قطر المعروف باسم « سبخة مطى » . كما تضمن الاتفاق إنشاء ممر برى الى المملكة العربية السعودية يصل الى خور العديد على الساحل الغربى لدولة الامارات ومقابل ذلك تتنازل المملكةالعربية السعودية عن آبار النفط التابعة والمستثمرة حاليا من قبل دولة الامارات والواقعة فيالجرفالقاريالمقابل ، لخورالعديد للامارات العربية المتحدة كدولة وليس « لأبو ظبى » كامارة ، وتعطى « أبو ظبى » ممرا بريا لاى خورالعديد ، ومن هناك إلى حدودها الجنوبية الشرقية . وقد حققت المملكةالعربية لاسعودية بهذا الاتفاق كل مطالبها فى غرب « أبوظبى » ، حيث حصلت على سبخة مطى الغنية بالبترول ، وخورالعديد ، مقابل تنازلها عن مطالتها بواحة البوريمى . أما الحدود الجنوبية « لأبو ظبى » فقد تماعادة تخطيطها وضم المثلث الجنوبى منها الى المملكةالعربية السعودية (١) . وبذلك تم حسم الخلاف فى قضايا الحدود بين المملكة العربية السعودية من جهة ، ودولتى عمان والامارات العربية المتحدة من جهة أخرى .

تلك كانت قضايا الحدود السياسية للدولة السعودية بين الحربين العالميتين (١٣٣٨ – ١٣٥٨ هـ / ١٩١٩ – ١٩٣٩ م) ، التى تظهر مدى الجهود(٢) التى بذلها الملك عبد العزيز آل سعود – واستكملها أبناؤه من بعده – للوصول بدولتهم الى الحدود السياسية التى بلغتها فى تاريخها المعاصر ، والتى توضح مدى ما تميز به من مقدرةسياسية ودراية بتوازن القوى فى توجيه دفة علاقاته الدولية ، ليس فقط مع القوى المحليةفى الجزيرةالعربية ، بل وأيضا مع القوى الأجنبية (٣) ذات المصالح المختلفة فى منطقة الشرق الاوسط المتميزة بأهميتها الحيوية فى عالمنا

(١) عبد الله الاشعل (دكتور) : المرجع السابق ، ص ٥٥ ، ٥٦ .

(٢) Lacey , R . : The Kingdom , p . 219 .

(٣) أشار « وات » فى مقاله عن« السياسة الخارجيةلعبد العزيز آل سعود » الى أن الملك عبد العزيز آل سعود « يبدو أنه كان الزعيم المتميز بين الزعماء السياسيين فى عصره فى تفهمه لتوازن القوى فى الشرق الاوسط » .

(٣) " He seems to have been unique among Arb political leaders in his understanding of the balance of power in the Middle East " Journal of Central Asian Society , April 1963 . " The Foreign Policy of Ibn Saud , " 1936 - 1939 , by D . C . Watt , p . 160 .

البحــث السابع

العلاقات الدولية فى فترة ما بين الحربين العالميتين

(١٩١٩ - ١٩٣٩)

البحث السابع

العلاقات الدولية فى فترة مابين الحربين العالميتين

(١٩١٩ - ١٩٣٩)

لاشك أن الاحداث السياسية الهامة ذات الصبغة الدولية التى حدثت خلال الفترة التى توسطت الحربين العالميتين (١٩١٩ - ١٩٣٩) تعتبر فى مجموعها نتيجة مباشرة وغير مباشرة للتسويات العامة التى أبرمت بين دول الحلفاء واعدائها عقب انتهاء الحرب العالمية الاولى. فقد ظلت مناطق كثيرة من العالم يعانى سكانها من القلق والاضطراب والحقد والانحلال نتيجة لتلك التسويات التى خيبت الآمال. ولم يكن القصور فى وجود منظمة دولية ممثلة فى عصبة الامم لحسم تلك المشكلات ، بل كان قصور الرغبة فى تنفيذ المبادئ التى اعلنتها تلك المنظمة الدولية ، هو السبب الحقيق لاحداث انهيار جديد فى العلاقات الدولية تمثل فى الحرب العالمية الثانية . وصاحب هذا الانهيار ظهور عوامل هدم داخلى فى كيانات القوى العظمى قضت بالتدريج على وحدتها الثقافية وتكاملها الفكرى وبنيانها الاجتماعى .

أولا : التطورات الاجتماعية والاقتصادية :

فقد تميز العقد الثالث من القرن العشرين فى المانيا بثورة اجتماعية جامحة حطمت كيان طبقتها الوسطى(١) ، وبانحطاط خلقى هبط بمدنها الكبرى إلى الرذيلة ، كما تميز هذا العقد فى الولايات المتحدة بكل النقائص الاجتماعية التى ظهرت فى المجتمع الامريكى ، وفى فرنسا تميز بفضائح سياسية وبتدهور فى الروح الوطنية ، وفى بريطانيا تميز بمنازعات بين رأس المال والعمل بلغت ذروتها باعلان الاضراب العام فى سنة ١٩٢٦ . وفى الهند تميز بتجدد الثورات وبظهور جهود

(١) تومسن ، دافيد : تاريخ العالم من ١٩١٤ - ١٩٥٠ ، ص ١٦٤ - ١٦٥ .

المهاتما غاندى لطرد البريطانيين من بلده ولتسويق التصنيع المرتبط بالاستعمار ، وفى الثقافة الأوربية عامة فى مجموعها تميز بتجريب الاساليب الغربية فى الفن والأدب وبمحاولة التعبير عن الذات بطرق غير متزنة، فلم يبق من النظام القديم شئ لم يتأثر بهزات الحرب وبذبذبات الكساد الاقتصادى .

ونتيجة لحالة الكساد الاقتصادى الذى اجتاح العالم فى اعقاب الحرب العالمية الأولى فقد ظهرت الواقعية فى معالجة مشاكل الحياة وانعكس ذلك فى فنون ذلك العصر وآدابه. فعرض كتاب المسرحية والقصة الطويلة مأساة البطالة الجماعية وقذارة الحياة التى خلفتها الحرب . وزادت الرغبة لدى غالبية الجماهير الى توفير صورة جديدة من التسلية الجماعية التى تتطلب جهدا فكريا اقل عما كانت تتطلبه الحياة فى السابـــق. واصبحت الثقافة الشعبية ، التى افقرتها عزلة الفنان عن الجمهور هى ثقافة التسلية السلبية ، والرياضة الجماعية ، والمراهنات،والمجلات الناعمة ، وكتابات اللغو ، و الرقص الجماعى الصاخب .

ورغم ما يذكره المؤرخون عن ثقافة سنوات مابين الحربين بأنها كانت سلبية ومثبطة، فان هذه الثقافة استطاعت أن تعرض بين ماحققته انتاجا ذا قيمة حينما إتسق الجهد الفنى مع حاجات المجتمع وحوافزه الحقيقة . اذ حظى فن الباليه باقبال شعبى عظيم ازدهر بسببه ، وابتكر كثير من مهندسى العمارة أنماطاً جديدة تخدم حاجات المساكن والمصانع والمدارس التى يقضى فيها اعضاء المجتمع الحديث جزءا كبيرا من وقتهم . وانشئت خلال هذه السنوات بعض اجمل ناطحات السحاب والجسور والمدن ، واستخدم فيها الصلب والخرسانة المسلحة .

ولايمكن الحكم على التاريخ الثقافى والحضارى لسنوات مابين الحربين بكتابها وفنانيها المحدثين فحسب، بل يجب أن يكون فى الحسبان تطور وسائل نشر الثقافة بدرجة لم تحدث من قبل. فالراديو هو أقوى وسيلة اخترعها الانسان لنقل الموسيقى والادب والافكار الى بيوت الاسر العادية والى حياتها اليومية . والشريط السينمائى بوصف كونه شكلا من اشكال الفنون – تطور خلال سنوات مابين الحربين ، ونشرت مشاهدته للجميع دور العرض السينمائى الرخيصة . ووسعت

وسائل السفر والمواصلات السهلة الرخيصة آفاق الطبقات المتوسطة . وجعلت الطباعة الرخيصة فى متناول الاشخاص القليلى الموارد شراء الكتب الجيدة ، كما وفرت المكتبات العامة هذه الكتب للجميع .

أما عن التعليم الشعبى فى فترة مابين الحربين فقد اتسع وتحسن ، نتيجة لتزايـد أعداد المدرسين المدربين . وبدأت مكافحة الامية بدرجة من الهمة فى بلاد شرق أوربا وآسيا وأفريقيا . وبدأت الحكومات فى الاتحاد السوفييتى وتركيا جهودا مشددة لرفع مستوى محو الأمية .

ومن ناحية اخرى فان هذه الميزات المشار الها استخدمت فى اتجاه اخر هو بث العقيدة القومية والدعاية الوطنية التى استغلتها بعض الحكومات ذات الحزب الواحد بدرجة ملحوظة. وازاء ظهور الميل فى بعض الدول الى تجريد الثقافه من الصبغة القومية، وعملها على ازكاء الاتجاه نحو العالمية فى الفن الحديث ، فقد جرى «تأمين الثقافة الشعبية » فاتسعت الفجوة بين الفنانين المحدثين وبين جمهورهم .

وفى الولايات المتحدة الامريكية تمتعت الثقافة بمناعة من هذه التيارات على غرار سياستها الانعزالية ومع ظهور عمليات النقد الاجتماعى من قبل المفكرين الأمريكيين ، فان الغلبة كانت للنظريات العامة للمذهب المادى . غير ان زيادة السكان والثروة لدى الامريكيين لم تغذ أى دعوة لتحدى النظام القائم أو حتى فكرة القومية . وعبر عن ذلك مؤرخان امريكيان بقولهما : «كانت المدن اكبر ، والمبانى اعلى ، والطرق أطول ، والثروات أضخم ، والسيارات أسرع ، والكليات أعظم ، والنوادى الليلية احفل بالمرح ، والجرائم أوفر عددا ، والاتحادات اكثر قوة مما كانت عليه قبلا فى التاريخ . ومنحت الاحصاءات الصاعدة فى كل شئ معظم الأمريكيين الشعور بالرضا وان لم تمنحهم الشعور بالأمن » .

اما عن الثقافة السوفييتية فقد اتصفت بالمادية ، ولئن حظت فنون العمارة والنحت والمسرحية بما يشبه النهضة والصحوة بفضل تشجيع الحكومة ، فان الفلسفة والقصة الطويلة والدراسات الادبية عانت من قيود الماركسية .

اما النظم الفاشية فى ايطاليا والمانيا واسبانيا فقد أدت منذ البداية إلى عداوة

شديدة للمذهب الجديد فى الفن الذى اعتبرته علامة على الانحلال . فحاولت تثبيت الاساليب القومية التقليدية ، لكن فى نطاق الظروف المتوترة الخانقة التى اوجدتها الدولة البوليسية ، لم ينفسح المجال لغير القليل من النشاط المبدع فى مجال الفنون .

اما عن العلم فقد توفر للتعليم العلمى والفنى تسهيلات اعظم ، واغدقت الحكومات الأموال على البحث العلمى والصناعى. وفى العقد الرابع من القرن العشرين احتفظت دول الحزب الواحد باجازاتها العلمية لنفسها بسبب غيرتها وحساسيتها ازاء الانظمة الاخرى ، بينما تكدست المعارف العلمية فى انحاء البلاد الديمقراطية وتداولها الباحثون بحرية كافية . ولم يحس العلماء بالقلق العميق الا بانفجار الحرب العالمية الثانية ، وقلقهم هذا عائد الى ذلك الصراع بين حاجات الوطن وواجبهم نحوه وبين واجبهم نحو البشرية ونحو الحقيقة فى حد ذاتها، وهو الصراع الذى ازعج اهل الفن ورجال الادب قبل ذلك بعقدين من الزمان .

ثانيا : التطورات السياسية :

رأينا فى الفصل السابق كيف أن مبادئ التعاون الدولى التى ارتكزت عليها عصبة الامم تتلخص فى «توثيق التعاون بين الأمم وضمان السلم والامن الدوليين» وتقوم على المبادئ الثلاثة الآتية :

أولاً : مبدأ تساوى الدول الاعضاء فى السيادة ، معبرا عنه فى تساويها فى حق التصويت فى الجمعية العمومية ووجوب اجماع تلك الهيئة لاصدار جميع القرارات الهامة (المواد ١ و ٣ و ٥) .

ثانياً: مبدأ امتناع كلٍ عضو عن الالتجاء الى الحرب الا بعد استنفاد كل الوسائل الاخرى (المفاوضة الدبلوماسية – التحكيم – رفع الخلاف الى مجلس العصبة) وفشلها فى تسوية الخلاف ، وهو المبدأ المنصوص عليه فى المواد (١٢و١٤).

ثالثاً: مبدأ وجوب مساعدة كل دولة فى العصبة فى الدفاع عن أى دولة اخـرى فيها تـقع فريسة للعدوان، وهو المبدأ المعروف بمبدأ «الأمن الجماعى Collective security » والمنصوص عليه فى المواد ١٠-١١ و ١٥-١٧.

فبالنسبة للمبدأ الاول وهو وجوب معاملة الدول بعضها البعض وفق اصول المساواة فى السيادة Sovereign equality هو مبدأ «اتحاد الجامعة الامريكية Pan American Union و «الكومنولث البريطانى British Commonwealth of Nations » . ولم يتأكد هذا المبدأ بمنح كل الاعضاء المؤسسين عضوية عصبة الأمم كل على حده وفى اوقات مختلفة فحسب، بل أن كل مجموعة اثبتت هذا المبدأ على وجه التخصيص بالنسبة لمنظماتها هي : «ميثاق منظمة الدول الأمريكية، الموقع فى مؤتمر «بوجوتا» عام ١٩٤٨ ، صدى تقاليد نصف قرن ، بنصه فى (المادة السادسة) على أن «الدول متساوية فى نظر القانون، وتتمتع بحقوق متساوية وبسلطة متساوية فى مزاولة هذه الحقوق ، وعليها واجبات متساوية» . ومن جهة أخرى نص تقرير «بلفور» فى عام ١٩٢٦ على أن «التساوى فى الوضع ، فيما يخص بريطانيا العظمى وبلاد الدومنيون ، هو المبدأ الاساسى لعلاقاتنا الامبراطورية الداخلية» .

وعلى الرغم من ذلك فانه يلاحظ وجود تفاوت حقيقى فى القوة داخل اطار المساواة امام القانون فى المنظمات الثلاثة . ففى داخل منظمة «الجامعة الامريكية» كان واضحا دائما ان الولايات المتحدة كانت الشريك الاكبر ، وان نجاح منظمة الجامعة كان يعتمد الى حد كبير على مدى قدرتها على التعاون مع دولتى الارجنتين والبرازيل ، وهما اكبر الدول الامريكية اللاتينية .

وكذلك فى داخل «الكومنولث» اعترف الاعضاء فى عام ١٩٢٦ أن «مبادئ المساواة والتماثل، المناسبة للوضع ، لاتمتد بصفة عامة الى الوظيفة » ، وكانت زعامة حكومة لندن مقبولة بصفة عامة. وكان يبدو أن التعاون الدولى الناجح لابد أن يعتمد على الاعتراف فى نفس الوقت بالمساواة القانونية وبالمساواة فى الاعتبار مع الاقرار فى نفس الوقت بتمييز الزعامة من حيث الوظيفة والاختصاصات. وهنا اختلفت عصبة الامم اختلافا اساسيا عظيما عن المنظمتين المناظرتين لها الاقل شأنا سواء فى كيانها الشكلى أو فى اساليبها فى العمل .

والنتيجة الطبيعية للمساواة فى السيادة ناتجة عن كون المنظمات الدولية القائمة عليها اختيارية فى طبيعتها. وقد اقرت المنظمات الثلاثة هذا بقبولها تقرير حتى الانسحاب منها حسب الرغبة . لكن استعداد الدول المشتركة لممارسة هذا الحق – ومعه حقوق الحياد فى حالات كانت تعتمد على درجة ايمانها بقدرة المنظمة على ضمان امنها. ونظرا لأن هذا الايمان بلغ منتهاه بين اعضاء الكومنولث وبدرجة معينة فى داخل منظمـــة الجامعة الامريكية اقوى مما بلغ فى داخل العصبة، فقد كان عدد الاعضاء المنسحبين من عصبة الأمم اعظم بكثير من عدد الاعضاء المنسحبين من منظمتى الكومنولث والجامعة الأمريكية .

اما بالنسبة للمبدأ الثانى الذى قامت عليه عصبة الأمم والقائل بأنه يجب استنفاد كل الوسائل الاخرى لتسوية المنازعات قبل الالتجاء الى الحرب، فقد كان يعتمد على مدى استعداد الدول من جانبها عمليا لفض هذه المنازعات بتفاوت القوى. ونظرا لما كان بين اعضاء العصبة من تقاليد مشتركة ومصالح مشتركة ايضا فى صيانة وحدة منظمتهم ، فلم يعتبر لذلك أى نزاع بينها على درجة اهمية بحيث تبرر له الحرب من اجله . ويتفق هذا الوضع أيضا مع دول الجامعة الامريكية الى حد كبير . اما بالنسبة لاعضاء عصبة الامم فانهم اختلفوا فى نظرتهم واسلوبهم اختلافا بينا ، بحيث كان تصدع العصبة ضرورة نتجت عن اطماع الدول الدكتاتورية المعتدية لتحقيق اطماعها .

وفيما يتعلق بالمبدأ الثالث من مبادئ عصبة الأمم وهو مبدأ الامن الجماعى، فقد كان التداخل الفعلى للامم اقل مما ظن دعاة الدولية، وعظـــم المدى الذى بلغه التداخل الفعلى بين الأمم بتقدير اقل فى تمامه وكماله عما ناله الاداء الموفق لنظام الأمن الجماعى المرتجى . والدليل على ذلك أن حكومات اكثر الدول الاعضاء الأخرى فى عصبة الامم أو أغلبية شعوبها لم يروا بأن الغزو اليابانى لمنشوريا والهجوم الايطالى على الحبشة يكونان تهديدا مباشرا لمصالحها القومية المنفصلة بحيث يبرر الموافقة على اتخاذ قرار نهائى بالالتجاء الى الحرب ضد المعتدى ، بل كان بوسع رئيس الوزراء البريطانى فى عام ١٩٣٨ ان يدافع عن فشله فى المعاونة

على صيانة استقلال تشيكوسلوفاكيا على اساس انها كانت «بلدا نائيا لانعلم عنه شيئا» .

وهكذا لم تحظ عصبة الأمم بأى موافقة عامة من اعضائها على تحقيق المبادئ الرئيسية التى قامت من أجل تنفيذها. ولهذا فقد عانت العصبة من إنهيار كلى بحسبانها وسيلة لحفظ سلام العالم. حتى وان لم يأت العقد الرابع مع القرن العشرين الا وكانت مصالح الاعضاء البارزين فى عصبة الامم قد تعارضت بحيث تجردت العصبة من قواعدها الثابتة. وفى ظل تلك الظروف اصبحت مبادئ العصبة صعبة التطبيق. ومن هنا التجأت الدول الى تجمعات اقل عالمية ولكنها اوثق اتصالا وتماسكا مثل الكومنولث واتحاد الجامعة الامريكية ، التى اتفقت دولها على وجود مجموعة من المصالح الحقيقية تربط كل منها بالاخرى ربطا حقيقيا . ونتيجة لصعوبة تطبيق مبادئ عصبة الأمم فقد عانت العلاقات الدولية من دورة فاسدة لاتتوفر فيها مبادئ المساواة والعدالة والأمن الجماعى. وتبينت أمم العالم انها لم تكن مستعدة حينذاك لممارسة نشاط عالمى ينسق علاقاتها الدولية وفقا لما تضمنه ميثاق عصبة الأمم. وبلغ الأمر درجة من الانهيار لم يثمر معها المؤتمر الاقتصادى العالمى الذى عقد عام ١٩٣٣ والذى مثلت فيه ٦٤ دولة نتيجة اكثر من اثبات انه لم يكن بالامكان معالجة علل العالم الاقتصادية بأى معادلة بسيطة عالمية وسط هذه الظروف .

من هذا العرض نتبين أن العلاقات الدولية فى نهاية فترة مابين الحربين العالميتين أى قبيل عام ١٩٣٩ رجعت القهقرى وتردت الى حالة من التفكك والانهيار بحيث لم يصبح فى العالم جهاز قادر على منع العدوان أو ردعه أو تعويقه ، كما لم يعد هناك ايمان بمقدرة الدول القومية أو حتى رغبتها فى حفظ السلام، بل لم يعد يوجد أيضا نظام من نظم المصالح القومية المستندة الى تحالف يعتمد عليه أو حتى يقيم توازن قوى يساعد على اقرار السلام .

لهذا قامت الحرب العالمية الثانية فى عام ١٩٣٩ ، لا لان أى دولة ارادت الحرب فى حد ذاتها، اذ أن جميع الدول اعتبرت الحرب كارثة عالمية، بل أن اشد

الزعماء ميلا للعدوان ظهروا بمظهر من تحملوا طويلا حرصا على السلام. حتى أن موسوليني الذى سبق له أن مجد الحرب على أنها «تطبع بطابع الشرف الشعوب التى لها من الشجاعة مايمكنها من ملاقاتها – أى من ملاقاة الحرب»، كان حريصا على عدم مواجهة الحرب مع فرنسا الا بعد أن تعرضت للهزيمة . بل إن هتلر الذى رأى الكثيرون أن ميوله الشخصية ووضعه السياسى حينذاك دفعاه نحو الحرب نراه يهول من جهوده للوصول الى تسويات سلمية ازاء السياسات «الحربية» لخصومه . وعلى الرغم من ذلك قامت الحرب العالمية الثانية لأن بعض الحكومات – وخصوصا حكومتا المانيا واليابان – أرادتا تحقيق أغراض كانت مستعدة من أجل تحقيقها أن تدفع الحرب ثمنا لذلك ، ولعلها تشجعت واقنعت نفسها بأن نفقات الحرب لن تكون باهظة التكاليف ماديا وبشريا . ومن جهة اخرى كانت هناك حكومات وامم اخرى رغم قلة استعدادها للحرب ، بلغ بها العزم فى النهاية ، الى العمل على ايقاف تلك الحكومات عند حدها، لان تلك الدول الاخيرة عرفت فداحة الثمن الذى تكلفه الحرب للشعوب منذ البداية .

وكانت نتيجة هذا الصراع بين القوى المتضاربة الاتجاهات ان اضطر كل طرف الى تحمل ثمن الحرب باهظا باكثر مايكون الثمن ، وبذلك نبذت كل سياسات فترة مابين الحربين العالميتين . على أن الحرب لم تفد المانيا أو ايطاليا او اليابان اذ منيت كلها بالهزيمة . كما لم تنقذ سياسة التهدئة كل من بريطانيا وفرنسا من دخول الحرب. بل ان الحياد لم ينج بلجيكا من الغزو، أو يبعد الولايات المتحدة عن دخول الحرب. كما لم يجنب ميثاق عام ١٩٣٩ (النازى السوفييتى) تعرض الاتحاد السوفييتى للهجوم الالمانى فى عام ١٩٤١ . بل ان التعاون الدولى الانشائى الذى ظهر على مستوى فنى ووظيفى من خلال عصبة الأمم، لم يؤد الى اقامة سلام من خلال العمل الدولى . فكانت الحرب العالمية الثانية اكبر خيبة أصابت فطنة البشرية وحضارتها الحديثة والمعاصرة بدرجة لم يسبق لها مثيل فى تاريخ العلاقات الدولية .

البحث الثامن

العلاقات الدولية أثناء الحرب العالمية الثانية

(١٩١٩ - ١٩٣٩)



البحث الثامن

العلاقات الدولية أثناء الحرب العالمية الثانية

(١٩٣٩ -١٩٤٥)

يواجه المؤرخ المعاصر بعض الصعوبات عند تتبعه للعلاقات الدولية اثناء الحرب العالمية الثانية نظرا لتعذر تعرفه على جميع الحقائق والمعلومات الصحيحة . اذ أن كثيرا من الدول التى لعبت دورا هاما فى الحرب العالمية الثانية لم تكن تسمح بالاطلاع على وثائقها الرسمية الا بعد مرور فترة زمنية بلغت نصف قرن من الزمان، وان كانت بعضها مثل «المملكة المتحدة» سمحت بالاطلاع على وثائقها التى تعود الى ماقبل ثلاثين عاما مما سهل الأمر على المؤرخين المعاصرين للتعرف على اسرار تلك الفترة .

وقد بدأت الحرب العالمية الثانية ، وعلى نحو مابدأت الحرب العالمية الاولى ، ظاهريا بسبب عراك بشأن الاقليات القومية فى شرق اوربا . ففى مارس وابريل سنة ١٩٣٩ قدم هتلر الى بولندا مطالب بضم «دانتزج» الى الأراضى الالمانية، وبالتنازل عن طريق وعن وصلة من السكك الحديدية عبر اقليم «بومورز Pomorze » البولندى . وقد رفضت الحكومة البولندية هذه المطالب ، فغزت الجيوش الالمانية بولندا فى اول سبتمبر سنه ١٩٣٩ بعد انذارات المانية زائفة لم تترك للحكومة البولندية الفرصة للرد عليها. ولهذا قامت الحكومة البريطانية باعلان الحرب على المانيا ، نظرا لان بريطانيا كانت قد ضمنت فى مارس من نفس السنة الدفاع عن بولندا ضد أى هجوم كهذا . وكان من الطبيعى ان ينضم الى بريطانيا فى خلال اسبوع كل بلاد الدومنيون عدا ايرلندا . وفى ظرف ست ساعات انضمت ايضا فرنسا الى جانب بريطانيا نظرا لانها تعهدت هى الاخرى بالدفاع عن بولندا. وحتى قيام ايطاليا بعد ذلك باعلان الحرب على فرنسا وبريطانيا فى شهر يونيو سنه ١٩٤٠ لم تدخل دولة اخرى الحرب عدا تلك الدول التى غزتها المانيا واحتلتها تمهيدا لهجومها على فرنسا فى ربيع سنه ١٩٤٠ (وهى النرويج وبلجيكا

وهولندا).

على ان المرحلة الاولى من الحرب العالمية الثانية، وهى المرحلة السابقة لانهيار فرنسا فى شهر يونيو سنه ١٩٤٠ ، وكانت محدودة النطاق اقليمياً وسياسيا ولم تكن قد اخذت بعد صفة العالمية بالمعنى الدقيق للكلمة. ورغم أن دخول بلاد الدومنيون البريطانية الحرب جعلها تؤثر بدرجة مافى كل قارات العالم، فان الحرب كانت اساسا لاتزال حربا اوربية، أى معركة لمنع دكتاتورية المانيا النازية من السيطرة على قارة اوربا. وعندما أخرج البريطانيون من «دنكرك» ووقعت الحكومة الفرنسية الهدنة مع المانيا وايطاليا فى يونيو سنة ١٩٤٠ فان بريطانيا كانت قد فشلت حينذاك فى منع المانيا من بسط سلطانها على أوربا. بينما سيطرت المانيا على جميع بلاد النمسا وتشيكوسلوفاكيا والدانمرك والنرويج وبلجيكا وهولندا وعلى نصف بولندا ومعظم فرنسا. ووقعت فى يد الالمان السواحل الغربية لاوربا من المحيط المتجمد الى خليج بسكاى ولم تعد توجد أيه جيوش بريطانية فى القارة الأوربية .

غير أن الظروف التى بدأت فيها الحرب تطورت بحيث اتسع نطاقها فشملت ارجاء العالم. ففى اغسطس سنة ١٩٣٩ دخل الاتحاد السوفييتى فى ميثاق مع المانيا وافق الالمان بمقتضاه على أن تضم روسيا اليها دول البلطيق المعروفة باسم لتوانيا ولتفيا واستونيا، ولجزء من بولندا وجزء آخر من فنلندا. وبعد ذلك بثلاثة شهور بدأ الاتحاد السوفييتى غزو فنلندا ، وطرد بسبب هذا من عصبة الامم فى ديسمبر سنه ١٩٣٩ ، واضطرت فنلندا قبيل مارس ١٩٤٠ الى التنازل عن بعض الاجزاء الجنوبية من أراضيها . كما قامت القوات الروسية باحتلال الجزء الشرقى من بولندا. ولاشك أن هذه الاعتداءات المتتالية قد ادت الى الانهيار النهائى لتسوية عام ١٩١٩ . ونتجت أمور كثيرة عن العلاقات التى نشأت بين طرفى الميثاق النازى – السوفييتى) المتعارضين تعارضا شديدا فى مذهبيهما السياسيين، والمتنازعين تنازعا كبيرا واضحا فى مصالحهما الاقتصادية والاستراتيجية ، وان كان على وفاق مؤقت فى عامى ١٩٣٩ ، ١٩٤٠ جريا وراء فوائد متبادلة على حساب دول اخرى. غير أن المستقبل المباشر كان يتوقف على ماإذا كان بوسع المانيا أن تحقق غرضها فى

اغراء بريطانيا بعقد هدنة أو فى قهرها بالقذف الجوى وبالغزو وقد نتج عن غزو الأمان لبريطانيا ونشوب قتالا ضاريا فى اجوائها فى اواخر صيف عام ١٩٤٠ بالا يعقد الانجليز هدنة مع المانيا حينذاك .

وهكذا اندلعت الحرب فى غرب اوربا فى البحر والجو بدرجة اساسية حتى عام ١٩٤١ . واكدت الاهداف المعلنة عن «نظام المانيا الجديد» فى اوربا الذى اخذت تقيمه المانيا فى نفس الوقت فى البلاد المحتلة، ان الحرب اصبحت الآن حربا من اجل بناء القومية، وضد نظام التمييز العنصرى وسيطرة «عنصر سيد على العناصر الاخرى» حتى أن معاملة الالمان للبولنديين ، بحسبانهم صقالبة، كعنصر اقل مرتبة يجب اخضاعه تماما لحاجات الالمان ومصالحهم ، ولليهود الذين كان اقتلاعهم هدفا رئيسيا من أهداف الفكرة السياسية النازية، جعلت الحرب حربا قومية ضد العنصرية. كما أن اقامة نظام حزب واحد شمولى فى معظم البلاد المحتلة جعلتها حربا من اجل الحريات الديمقراطية ضد الاستبداد الفاشى . وضمن انتخاب الرئيس روزفلت للمرة الثالثة فى عام ١٩٤٠ انحياز نفوذ الولايات المتحدة ومعونتها الاقتصادية والدبلوماسية – بقدر مايسمح الكونجرس والرأى العام – الى جانب بريطانيا فى تلك الحرب. وهكذا انتهت هذه المرحلة انتهاء حاسما باتساع ساحة المعركة وبهجوم المانيا على الاتحاد السوفييتى فى شهر يونيو سنه ١٩٤١ .

وقد بدت الحرب فى ذلك الحين، حرب ديموقراطيات ضد نظم الحزب الواحد، اذا بادر الاتحاد السوفييتى بالتحالف مع الديموقراطيات ، فكانت حربا قومية ضد العنصرية وضد السيطرة الالمانية لان الجيش الاحمر كان يقاتل لصد غزو اجنبى عن الأراضى الروسية ، وبذلك اصبحت المانيا مشغولة بالحرب فى جبهتين وفشلت خطتها الاستراتيجية الاصلية للحرب الصاعقة المفاجئة والسريعة وبدأت تعانى خسائر فادحة سواء من جراء الغارات الجوية من الغرب أو فى القتال البرى فى الجبهة الشرقية. وقبيل نهاية عام ١٩٤١ ابرز الدفاع عن «ستالينجراد» فشل الحرب الصاعقة الالمانيةفى الشرق. وباتباع سياسة «حرق الارض» ، وهى بقية من التكتيك الروسى ضد نابليون فى عام ١٨١٢ ، اشترى الاتحاد السوفيتى الوقت

بالأرض، والحق خسائر جد فادحة بالجيوش الالمانية ، وبقى الجيش الاحمر يتلقى العتاد من صناعات ما وراء الاورال معززا بامدادات قدمها الحلفاء الغربيون ونقلوها الى روسيا بطريق البحر والجو .

وفى اليوم السابع من شهر ديسمبر سنه ١٩٤١ إتسع نطاق الحرب اتساعا اكبر وجعلها تتخذ الصفة العالمية قيام اليابان بقذف كل قاعدة امريكية وبريطانية يمكن الوصول اليها. وكانت قد ابتلعت الهند الصينية الفرنسية فى شهر يوليو من نفس السنة. واصبحت لليابان السيادة البحرية فى المحيط الهادى وفى مياه شرق آسيا بعد أن الحقت الخسائر بالاسطول الأمريكى فى ميناء «بيرل هاربور» وبالاسطول البريطانى باغراق البارجة «Prince of wales» والطراد «Requlse» ، واستغلت هذه السيادة فى أن تغزو بسرعة فائقة هونج كونج وجزر الملايو والهند الشرقية البولندية وبورنيو والفلبين وبورما . وبعد اربعة أيام من الهجوم على ميناء «بيرل هاربور» اعلنت ألمانيا وايطاليا الحرب على الولايات المتحدة ، فأحاطت الحرب بالكرة الأرضية، اذ اشتبكت فى الحرب حينذاك كل الدول العظمى واصبحت كل القارات والمحيطات مسرحا للعمليات الحربية .

وهكذا توزعت القوات المحاربة فى العالم بحيث اصبحت جيوش دول ميثاق مناهضة الشيوعية الدولية، المانيا وايطاليا واليابان، ضد ائتلاف عالمى من الدول تتزعمه بريطانيا والولايات المتحدة ويضم الاتحاد السوفييتى والصين التى سبق ان كانت فى حالة حرب مع اليابان منذ عام ١٩٣٧ . وكان طموح المانيا لاقامة نظام جديد فى أوربا يوازى طموح اليابان لتكوين ممتلكات فسيحة فى آسيا والمحيط الهادى ، وقامت كلتاهما بفتوح واسعة. وكانت هناك حلقة مفقودة فى السلسلة لأن اليابان رغم انضمامها لميثاق مناهضة الشيوعية الدولية، ولم تكن فى حرب مع الاتحاد السوفييتى. ولم يعلن الاتحاد الحرب على اليابان الا بعد هزيمة المانيا فى سنة ١٩٤٥ وبعد ايام قلائل من تسليم اليابان .

وهكذا نلاحظ ان مسائل حرب المذاهب السياسية ذات اثر حاسم فى توزيع القوى حتى ان كل دولة كانت تتصرف وفق تقديرها لمصالحها القومية الذاتية

تقديراً دقيقا ، بدليل ان ايا من الاتحاد السوفييتي او الولايات المتحدة لم يدخلا الحرب الا بعد أن وقعا فريسة للعدوان وعندما تعرضت المصالح القومية للخطر فقد القى جانبا بأشد منازعات المذاهب السياسية. فعلى سبيل المثال فعلت روسيا ذلك حين عقدت الميثاق (النازى – السوفييتى) فى سنة ١٩٣٩ ، كما فعلت بريطانيا ذلك أيضا حين رحبت بالاتحاد السوفييتى كحليف لها فى سنة ١٩٤١ . بل ان اليابان فعلت ذلك ايضا عندما امتنعت عن مهاجمة الاتحاد السوفييتى ، غير انه يلاحظ و على نحو ماحدث فى الحرب العالمية الاولى حفزت معاناة الحرب ومطالب الحرب الحديثة، توجه الحكومات والشعوب على حد سواء الى صياغة اهداف الحرب والسلام بغلاف المذاهب السياسية. وادى نمو حركات المقاومة المنظمة فى البلاد المحتلة فى اوربا وفى الشرق الاقصى الى بلورة الاهداف الخاصة بشعوب تلك البلاد .

ومن ناحية اخرى اقترنت بمعارك التحرير التى حدثت فى عامى ١٩٤٤ و ١٩٤٥ برامج خاصة بالتعمير، وتطلب توجيه الحرب النفسية بالراديو وبالمنشورات ضد بلاد العدو توفر اساس من النظريات السياسية . وادت الحاجة الى الاحتفاظ بسمو الروح المعنوية فى الجبهة الداخلية ازاء الاضطراب الاجتماعى العظيم وازاء كثرة الخسائر الفادحة فى ارواح الملايين بسبب الغارات الجوية، الى صياغة اهداف ومثل مابعد الحرب. اذ كان من حق البشر فى كل مكان، اذا اريد منهم مجرد الاستمرار فى القتال، ان يعرفوا الغرض الذى من اجله كانوا يحاربون فرغم ان دعوى «القومية» اى دعوى الاستقلال القومى والحكم الذاتى ظلت هى الدعوى الاساسية، فقد تبين ان هذه الدعوى فى حد ذاتها كانت قاصرة فزاد تدعيمها بدعوى «الاشتراكية» واتسع «تجميع القومية » الى حد كبير بفعل الحرب ونتيجة لما خلفته من تأثيرات .

ويعتبر «ميثاق الاطلنطى The Atlantic Charter » الذى دبجه كل من ونستون تشرشل والرئيس روزفلت فى ١٤ أغسطس سنه ١٩٤١ بمثابة اول صياغة منظمة لاهداف الحلفاء من الحرب العالمية الثانية،وكان هدفهما ينصب على بيان «المبادئ العامة فى السياسات القومية لبلديهما والتى ترتكز عليها امالها فى

مستقبل افضل للعالم» . وتتلخص هذه المبادئ العامة فى الاحتفاظ بالسيادة القومية والاستغلال القومى مقترنا بالتعاون الدولى لتدعيم الرخاء الاقتصادى ونزع السلاح، والعمل من اجل السلام العالمى . كما اشار ايضا إلى «هدف كفالة مستويات افضل للعمل، والتقدم الاقتصادى ، والامن الاجتماعى للجميع ، وتاكيد التحرر من الخوف والعوز » على نحو ماهو موضح بوثائق الامم المتحدة التى تضم نصوص هذا الميثاق :

United Nations Documents, 1941-1945, Published (1946) by the Royal Institute of International Affairs ".

وبعد مضى شهر واحد على صدور هذا الميثاق صدقت عليه حكومات الحلفاء القائمة فى المنفى فى لندن (وهى حكومات بلجيكا وتشيكوسلوفاكيا واليونان ولكسمبورج وهولندا والنرويج وبولندا ويوغوسلافيا) كما صدق عليه الفرنسيون الاحرار والاتحاد السوفييتى .

ويجدر الاشارة الى أن هذا الميثاق قد تضمنته أيضا المادة السابعة من اتفاقية «المعونة المتبادلة Mutual Aid Agreement » والمبرمة فى شهر فبراير سنة ١٩٤٢ بين بريطـانيا والولايات المتحدة ، وتكرر تسجيله فى اتفاقات «الاعارة والتأجير Lend-lease Agreement » المبرمه مع الاتحاد السوفييتى والصين والحبشة وليبريا واستراليا وكندا ونيوزيلنده» . بل ان هذا الميثاق نقل بالنص فى معاهدة مايو ١٩٤٢ الانجلو – سوفييتية فى موسكو فى اكتوبر سنه ١٩٤٣ باسم المملكة المتحدة والولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى والصين . فقد ابرز الاهتمام بالواقع بدرجة شبه قاطعة ، وتحدث عن الحاجة الى اقامة «منظمة دولية عامة تستند الى مبادئ المساواة فى السيادة بين كل الدول المحبة للسلام » . بل أن التصريحات المشتركة المتتالية التى صدرت عن مؤتمرات القاهرة فى نوفمبر ١٩٤٣ ، وطهران فى ديسمبر ١٩٤٣ ، وبالتالى فى فبراير ١٩٤٥ ؛ قد عنيت بتسيير دفة الحرب من جهة ، وبالمشكلات السياسية المباشرة فى تسوية مابعد الحرب من جهة اخرى. بل انها قد صيغت ايضا فى تعبيرات قومية بصفة اساسية .

ووفقا للتعبير العام عن هذه المثل العليا للامن الاجتماعى والديمقراطية

الاقتصادية والتحرر من الغزو الذى بدا فى سلسلة التصريحات الصادرة عن تلك المؤتمرات ، فقد توحد الاتجاه نحو تكوين عدة وكالات لهذه الامم الجديدة. فأصدر المؤتمر العام لهيئة العمل الدولية المنعقد فى فيلادلفيا والممثل لاحدى واربعين بلدا من اعضائه بيانا «بالمبادئ التى يجب أن تهم سياسة اعضائه » وهو أبرز بيان صدر بمثل هذا التأييد العالمى ، عن اتحاد مثل القومية والاشتراكية . ويشير هذا البيان الى أن : «لكل كائن بشرى ، بغض النظر عن عنصره أو عقيدته أو جنسه الحق فى السعى وراء رخائه المادى وتقدمه الروحى ، فى ظل الحرية والكرامة والامن الاقتصادى ، وتكافؤ الفرص. ويجب أن يكون الهدف الرئيسى للسياسة القومية والدولية هو اقامة الظروف التى يمكن فيها توفير هذه الحقوق » ، ثم يعدد البيان عشرة اغراض محددة قدر انها كفيلة بخلق هذه الظروف وهى تتضمن :

«العمالة الكاملة ، ورفع مستويات المعيشة، ووضع سياسات بشأن الاجور والدخول وتحديد ساعات العمل واحواله الاخرى المقدر انها تضمن للجميع قدرا كافيا من ثمرات التقدم وحدا ادنى لاجور العاملين المحتاجين الى مثل هذه الحماية وزيادة اجراءات الامن الاجتماعى لتزويد جميع المحتاجين الى مثل هذه الحماية بدخل مناسب وعناية طبية معقولة ، وحماية مناسبة لارواح العمال وصحتهم فى كل الحرف، وتهيئة مايلزم لحماية الامومة ورعاية الطفل ، والتزود بالغذاء والمسكن المناسب، ووضع تسهيلات للترفيه والثقافة وتأكيد المساواة فى الفرص التعليمية والمهنية».

وفى الميدان الدولى اقيمت سلسلة من الوكالات لمعالجة المشاكل الاجتماعية والاقتصادية المباشرة والاطول أجلا. فأنشئت فى عام ١٩٤٣ ادارة الغوث والتعمير التى ستتبع الامم المتحدة فيما بعد للقيام باعمال الاغاثة وتعرف باسم (U.N.R.R.A.) وفى عام ١٩٤٥ انشئت منظمة الغذاء والزراعة (F.A.O.) لتنسيق العمل فى رفع مستويات التغذية وتحسين حرف الانتاج وتوزيع المواد الغذائية وتحسين ظروف السكان الزراعيين و«المساهمة بذلك فى تحقيق اقتصاد عالمى متوسع». ومن أجل حل مشاكل المال والعملة، المستندة الى تسهيلات الائتمان

الدولى Internetional Monetary Fund فقد انشئ ايضا البنك الدولى للتعمير والانشاء فى عام ١٩٤٤ The International Bank for Reconstruction and . Development

أما بالنسبة لتوسيع نطاق التعاون الاجتماعى والثقافى فقد أصبحت مهمة المنظمة التربوية والعلمية والثقافية التى ستتبع الامم المتحدة والمعروفة باسم منظمة اليونسكو "U.N.E.S.C.O." United Nation Educational Scientific and Cultural Organization .

القوي الكبرى ومنظمة الأمم المتحدة :

عقب مؤتمرموسكو لوزراء الخارجية المنعقد فى اكتوبر ١٩٤٣ مباشرة بدأت وزارة الخارجية البريطانية مناقشات تمهيدية مع وزارة الخارجية الامريكية حول مسائل اتخاذ الاجراءات فيما يتعلق بالاتفاق الذى تم التوصل اليه فى موسكو لانشاء منظمة أمن دولية . وفى نفس الوقت، كانت لجنة خاصة فى لندن منهمكة فى وضع التوصيات التى ستعرضها الحكومة البريطانية فى الوقت الذى تتكون فيه الهيئة العالمية المقبلة . واسفر هذا النشاط عن خمس مذكرات مطولة تتناول شكل ووظائف واهداف المنظمة التى يجرى التخطيط لها. وذهبت الخطة البريطانية فى تصورها الى أن تحتفظ المنظمة الجديدة بكثير من الملامح والصفات الواردة فى ميثاق عصبة الامم الا انها جعلتها اكثر مرونة. بالاضافة الى أنه نص على امكانية ظهور منظمات اقليمية جنبا الى جنب مع المنظمة العالمية ومرتبطة بها بشكل ما .

وعندما درست وزارة الحرب البريطانية التوصيات المعدة، فان مسألة المنظمات الاقليمية اكتسبت فى المجال اهمية عظمى. وأيد تشرشل فكرة اقامة هيئات اقليمية لاوربا وامريكا وآسيا وربما ايضا لافريقيا. وصاغ آراءه حول هذه المسألة فى مذكرة ٨ مايو ١٩٤٤كما تحدث عن فكرة المنظمات الاقليمية ، وهى فكرة كانت تعنى من وجهة نظره الحفاظ على الكتلة الانجلو/ امريكية العسكرية وتنشيط التعاون بين هاتين الدولتين عقب الحرب. ووضع فى خطته ادخال الولايات

الأوربية المتحدة تحت الاشراف البريطانى والتحالف الانجلو / امريكى العسكرى فى صرح هيئة الامن العالمية المستقبلة. وكان ينظر الى الكتلة الانجلو/ امريكية على انها وسيلة لازالة الاعتراضات الامريكية على انشاء اتحاد فيدرالى اقليمى فى اوربا وكحصن حصين لبريطانيا يدعمها فى سياستها العالمية فيما بعد الحرب.

وحاول تشرشل أن يبث هذه الافكار طوال النصف الثانى من الحرب. ففى مايو ١٩٤٣ «عندما كان فى زيارة للولايات المتحدة فانه دعا مجموعة كبيرة من القادة الامريكيين (لم يكن روزفلت حاضرا) الى السفارة البريطانيه واوضح لهم افكاره بشأن انشاء جمعية تتألف من بريطانيا والاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة الامريكية وربما ايضا الصين، اذا ماأراد الامريكيون «ان يحولوا دون وقوع عدوان آخر فى المستقبل من قبل المانيا أو اليابان» وينبغى أن يتبع هذا المجلس العالمى عدة مجالس اقليمية. مجلس لاوربا وآخر لنصف الكرة الأرضية للأمريكتيين وثالث للباسفيك. ولكى يقلل تشرشل من مخاوف الأمريكيين من احتمال قيام البريطانيين باستخدام المجلس الاوربى ضد الولايات المتحدة الامريكية فأنه صرح بأن الأمر يستلزم «ان تعمل الولايات المتحدة الامريكية والكومنولث البريطانى مع بعضهما البعض فى اتحاد اخوى ، وان هذا التعاون سيكون وثيقا الى الحد الذى يؤدى الى نوع ما من التوحد بين حقى المواطنة الامريكية والبريطانية ، والى الاستخدام المشترك لمزيد من القواعد العسكرية للدفاع عن المصالح المشتركة، والابقاء على هيئة الاركان الانجلو/ امريكية المتحدة، ووضع خطة مشتركة للسياسة الخارجية . وادرك الامريكيون على الفور ماكان يهدف اليه تشرشل اذ قال هنرى أ، ولاس Henry A. Wallace نائب الرئيس الأمريكى انه كان قلقا» خشية ان تظن دول اخرى ان بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية كانتا تحاولان فرض السيادة على العالم» . ولم ينكر تشرشل ذلك فهو يقول: «لقد اوضحت تماما انه ينبغى عليهم الا يقلعوا عن عمل ضرورى وعادل بسبب مثل هذه الايحاءات » .

وقد عبر تشرشل اخيرا عن افكاره هذه باسهاب فى مذكرته بتاريخ ٩ مايو ١٩٤٤ التى قدمها لوزارة الحرب عندما راحت تدرس طبيعة منظمة الأمن الدولية

المستقبلة. وعندما واجه تشرشل معارضة من رؤساء وزراء الكومنولث فانه اضطر لان يحذف فكرته عن التحالف الاقليمى ، الا ان فكرة ولايات متحدة أوربية قد بقيت فى مخططاته .

وفى «دامبارتون أوكس Dumbarton Oaks » بالولايات المتحدة الامريكية تم عقد مؤتمر فى الفترة من ٢٢ اغسطس الى ٢٨ سبتمبر ١٩٤٤ حضره ممثلون عن الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا والصين لاجراء محادثات تمهيدية عن ميثاق المنظمة الجديدة. واوصى المؤتمر الى أنه، بالاضافة الى وجود جمعية عمومية تمثل جميع الاعضاء، فان المنظمة الجديدة ينبغى أن يكون لها مجلس أمن لكى يعمل كهيئة رئيسية مسئولة عن حفظ السلام والامن العالمى. وعلى أن يضم مجلس الامن ١١ عضوا: خمسة اعضاء منهم دائمون يمثلون: الاتحاد السوفييتى وبريطانيا والولايات المتحدة الامريكية وفرنسا والصين – وستة اعضاء غير دائمين يتم انتخابهم بواسطة الجمعية العمومية وتكون مدة العضوية سنتان . ونص على تشكيل هيئات اخرى – لجنة اركان حرب عسكرية – مجلس اقتصادى واجتماعى – ومحكمة عدل دولية .

وتم تسوية جميع المسائل باستثناء اثنتين بسهولة وبسرعة نسبية وكانت هاتين المسألتين تتعلقان باجراءات الانتخابات فى مجلس الامن وبقائمة الدول الاعضاء فى المنظمة المزمع انشاؤها. وكالعادة ، فقد عقد البريطانيون والامريكيون مناقشات منفردة تناولت جميع المسائل التى عرضت فيما بعد على مؤتمر دامبارتون اوكس. ويقول «سير اليكساندر كادوجان Sir Alexander Cadogan» الذى مثل بريطانيا فى مؤتمر «دامبارتون أوكس» ، ان هذه المناقشة قد انتهت الى اتفاق ينص على «ان الاعضاء الدائمين فى المجلس ينبغى ان يكون لهم حق الاعتراض Veto على أى موضوع يتعلق بمصالحهم الخاصة، وكذلك فانه يسمح للاطراف المتنازعة، كما هو الحال فى عصبة الامم ، ان يصوتوا عليه » . وهكذا نرى أن فكرة ادخال الفيتو الى مجلس الأمن، التى أثار حولها الساسة البرجوازيون والصحافة .

وعندما عارض البريطانيون هذه الفكرة اثناء المحادثات الانجلو/ امريكية المنفردة،

ابلغهم الامريكيون انه اذا لم ينص على شيء من هذا القبيل فانه سيكون من الصعب أو من المستحيل موافقة مجلس الشيوخ «Senate» عى الخطة .

وفي موتمر دامبارتون اوكس تحدث المندوب السوفييتي لصالح مبدأ اجماع الآراء بين الأعضاء الدائمين فى تسوية المسائل فى مجلس الأمن، الا انه واجه معارضة من المندوب البريطانى ، وتخلى المندوب الأمريكى عن موقفه الاصلى وانحاز إلى المندوب البريطانى .

وكانت هناك مناقشات مطولة حول هذه المسألة . اذ عارضت مجموعة من رجال الدولة فكرة الفيتو/ ومجموعة أخرى تضم قادة عسكريين، كما يقول «كورديل هل Cordall Hull » في كتاباته، «كانت راغبة فى أن تذهب الى ابعد مما ذهب اليه العديد من المستشارين السياسيين فى الموافقة على موقف روسيا بان الفيتو ينبغى أن يطبق بدون استثناء». وكان هذا يعنى أن الامريكيين قد يعودون الى موقفهم الاول .

فماذا كان ينبغى أن يكون عليه موقف بريطانيا فى هذه الحالة؟ لم يكن من السهل عليها معارضة كل من الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة الامريكية فى هذه المسألة. فتوصل ساسة لندن بعد التفكير فى الموقف الى أن مبدأ اجماع الاراء ليس سيئا مع ذلك حتى بالنسبة للحكومة البريطانية . ويقال أن تشرشل قد تأثر برأى «فيلد مارشال جان سمطس Jan Smuts » الذى كتب له فى سبتمبر ١٩٤٤ سلسلة من الرسائل حول مسألة منظمة الأمن الدولية. اذ أوضح سمطس ان مسألة الفيتو هى مسألة تنطوى على حفظ منزلة روسيا بين حلفائها ، واوصى بقبول الاقتراح السوفييتى، وقدم اثنين من البراهين لتأييد ذلك: اولا، انه اذا لم يقبل العرض السوفييتى، فان الاتحاد السوفييتى لن ينضم للمنظمة المزمع انشاؤها و «يصبح مركز قوة لمجموعة أخرى» وثانيا ، أن فرملة مثل اجتماع الاراء قد لاتكون امرا سيئا للغاية بالنسبة لبريطانيا أيضا. وكتب «سمطس» مختتما قوله «حيث يكون المستقبل عرضة لقدر كبير من الخطر ، فانه يجب علينا أن نوافق بكل بساطة ولايكون

بمقدورنا أن نخالف » .

وكان هناك عامل آخر أثر فى موقف الحكومتين البريطانية والامريكية وهو أن شعبى بريطانيا والولايات المتحدة الامريكة، شأنهم فى ذلك شأن بقية شعوب العالم، ارادوا هيئة عالمية للسلام بحيث يتصرف فى داخلها كل من الاتحاد السوفييتى وبريطانيا والولايات المتحدة الامريكية بروح من التوافق والتعاون التام، كما ارادوا قيام تحالف يضم الدول العظمى التى احرزت النصر لتأمين السلام العالمى ويشير «هربرت فايس Herbert Fais» ملخصا نتائج مؤتمر «دامبارتون اوكس » فيقول: «ان الشعب الامريكى والشعب البريطانى لايزالان يقولان على استمرار التعاون مع الاتحاد السوفييتى عقب الحرب » .

كل هذا حدث قبل مؤتمر يالتا ، حيث تم اخيرا تسوية المسائل البارزة فى مؤتمر «دامبارتون اوكس» . وفى ديسمبر ١٩٤٤ ، قبل افتتاح مؤتمر يالتا، قدم روزفلت مقترحات جديدة لاجراءات التصويت فى مجلس الامن تتفق ورغبات الاتحاد السوفييتى . وكتب الى ستالين يقول «ان هذا يستدعى، كما ستلحظ ، اجماع آراء الاعضاء الدائمين فى جميع قرارات المجلس المتعلقة بأمر يهديد السلام الدولى . ومن الناحية العملية ، فاننى ارى أن هذا امر ضرورى اذا ماأمكن تناول عمل من هذا القبيل بنجاح ، واننى بالتالى لعلى استعداد أن اقبل فى هذا الصدد الرأى الذى اقترحته حكومتكم فى مذكرتها المقدمة فى اجتماعات دامبارتون اوكس بشأن تكوين منظمة أمن دولية» . فوضع هذا حداً للتذبذب البريطانى ثم اتخذ قرار فى هذه المسألة بنفس الصياغة والعبارات التى اقترحها روزفلت هذا بالاضافة الى أن بريطانيا والولايات المتحدة وعدتا بتأييد الاقتراح بدعوة أوكرانيا وروسيا كعضوين مؤسسين فى الهيئة العالمية .

وفى يالتا تقرر عقد مؤتمر امم متحدة فى سان فرانسيسكو بالولايات المتحدة الامريكية فى ٢٥ ابريل ١٩٤٥ لوضع الصيغة النهائية لميثاق منظمة الأمن الدولية(١) التى تمثلت فى « الأمم المتحدة » .

وقد أنهى مؤتمر « يالتا » في ٢٥ أبريل ١٩٤٥ أحداث الحرب العالمية الثانية التى تعد بحق أكبر مأساة وأشد محنة شهدها تاريخ الجنس البشرى .

(١) محمود صالح منسى (دكتور) : الحرب العالمية الثانية ، القاهرة ١٩٨٩ ، ص ٧٦٩ .

البحـــث التاسع

الأمم المتحدة وأثرها فى العلاقات الدولية

البحث التاسع

الامم المتحدة وأثرها فى العلاقات الدولية

بينما كانت الحرب العالمية الثانية على اشدها، اجتمع مندوبو الدول الأربعة العظمى التى اضطلعت بالعبء الاكبر فى هذه الحرب ، وهى الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا والاتحاد السوفييتى والصين، فى مؤتمر موسكو عام ١٩٤٣ وقد اصدروا بيانا عن اجتماعهم تضمن تصريحا حول ضرورة التعجيل بانشاء هيئة دولية عالمية تقوم على اساس المساواة فى السيادة بين جميع الدول المحبة للسلام وتنضم الى عضويتها هذه الدول لافرق فيها بين كبيرها وصغيرها ، لتضمن استقرار الأمن والسلم الدوليين .

كما اجتمع ممثلو هذه الدول فى شهر أغسطس سنة ١٩٤٤ فى دومبارتن أوكس ووضعوا مشروعا ومقترحات للهيئة الجديدة، ثم دعيت الدول المزمع اشتراكها فى هذه الهيئة إلى الاجتماع فى سان فرنسسكو فى شهر ابريل سنة ١٩٤٥ للنظر فى هذه المقترحات. وفى هذا الاجتماع تم وضع النظام النهائى للمنظمة الدولية الجديدة ، وسجل هذا النظام فى ميثاق عام هو ميثاق الامم المتحدة المؤرخ فى ٢٦ يونيو سنة ١٩٤٥ .

وفى ٢٤ اكتوبر سنة ١٩٤٥ صدق الاتحاد السوفييتى والصين وفرنسا والمملكة المتحدة والولايات المتحدة ومعظم الدول الاخرى الموقعة على الميثاق وبذلك خرجت الامم المتحدة الى حيز الوجود . ولهذا يحتفل العالم بيوم ٢٤ اكتوبر من كل عام باعتباره يوم الأمم المتحدة .

واذا استعرضنا ميثاق الامم المتحدة فاننا نجده يعبر عن رغبة الدول المشتركة وافصاحها عن عزمها ضم قواها وتوحيد جهودها لتحقيق الغايات المثلى التى تسعى اليها وفقا للمبادئ المقررة فى الميثاق . وقد بين الفصل الأول من الميثاق مقاصد هيئة الامم المتحدة ومبادئها فى مادتين . (اولهما) ان مقاصد الهيئة لاتختلف فى جوهرها عن مقاصد العصبة القديمة. وهى تدور جميعها حول غاية واحدة

اساسية هي حفظ السلم والامن الدوليين ، اما بشكل مباشر اذا وجد ما يهددهما وذلك عن طريق اتخاذ تدابير مشتركة فعالة لمنع الاسباب التي تهدد الامن وازالتها وقمع اعمال العدوان وغيرها من وجوه الاخلال بالسلم . واما بشكل غير مباشر بالتمهيد لاستتبابه عن طريق العمل على إنماء العلاقات الودية بين الدول وتحقيق التعاون بينها في مختلف النواحي الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والانسانية [١] .

اما بالنسبة للمبادئ التي على الامم المتحدة ان تعمل وفقا لها في سعيها وراء المقاصد المشار اليها فقد عددتها (المادة الثانية) على النحو التالي :

أولا : ان تقوم الهيئة على مبدأ المساواة في السيادة بين جميع أعضائها.

ثانياً: ان يقوم اعضاء الهيئة بالالتزامات التي اخذوها على انفسهم بحسن نية .

ثالثا: ان يفض اعضاء الهيئة جميعا منازعاتهم الدولية بالوسائل السلمية على وجه لايجعل السلم والامن والعدل الدولي عرضة للخطر .

رابعاً : أن يمتنع اعضاء الهيئة في علاقاتهم الدولية عن التهديد باستعمال القوة او استخدامها ضد سلامة الأراضي والاستقلال السياسي لاية دولة او على وجه اخر لايتفق ومقاصد الامم المتحدة .

خامسا: ان يقدم الاعضاء كل مافي وسعهم من عون الى الهيئة في أي عمل تتخذه وفق الميثاق، كما يمتنعون عن مساعدة اية دولة تتخذ الامم المتحدة ازاءها عملا من اعمال المنع أو القمع .

سادسا: ان تعمل الهيئة على ان تسير الدول غير الاعضاء فيها على هذه المبادئ بقدر ما تقتضيه ضرورة حفظ الأمن الدولي .

سابعاً : ان لاتتدخل الامم المتحدة في الشئون التي تكون من صميم السلطان الداخلي لدولة ما ، انما دون ان يخل ذلك بتطبيق تدابير القمع اذا اقتضى الامر تطبيقها .

---

(١) علي صادق ابو هيف (دكتور) : موجز القانون الدولي العام ، ص ٣٢٨ .

اساسية هى حفظ السلم والامن الدوليين ، اما بشكل مباشر اذا وجد ما يهددهما وذلك عن طريق اتخاذ تدابير مشتركة فعالة لمنع الاسباب التى تهدد الامن وازالتها وقمع اعمال العدوان وغيرها من وجوه الاخلال بالسلم . واما بشكل غير مباشر بالتمهيد لاستتبابه عن طريق العمل على إنماء العلاقات الودية بين الدول وتحقيق التعاون بينها فى مختلف النواحى الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والانسانية (١) .

اما بالنسبة للمبادئ التى على الامم المتحدة ان تعمل وفقا لها فى سعيها وراء المقاصد المشار اليها فقد عددتها (المادة الثانية) على النحو التالى :

أولا : ان تقوم الهيئة على مبدأ المساواة فى السيادة بين جميع أعضائها.

ثانياً: ان يقوم اعضاء الهيئة بالالتزامات التى اخذوها على انفسهم بحسن نية .

ثالثا: ان يفض اعضاء الهيئة جميعا منازعاتهم الدولية بالوسائل السلمية على وجه لايجعل السلم والامن والعدل الدولى عرضة للخطر .

رابعاً : أن يمتنع اعضاء الهيئة فى علاقاتهم الدولية عن التهديد باستعمال القوة او استخدامها ضد سلامة الأراضى والاستقلال السياسى لاية دولة او على وجه اخر لايتفق ومقاصد الامم المتحدة .

خامسا: ان يقدم الاعضاء كل مافى وسعهم من عون الى الهيئة فى أى عمل تتخذه وفق الميثاق، كما يمتنعون عن مساعدة اية دولة تتخذ الامم المتحدة ازاءها عملا من اعمال المنع أو القمع .

سادسا: ان تعمل الهيئة على ان تسير الدول غير الاعضاء فيها على هذه المبادئ بقدر ما تقتضيه ضرورة حفظ الأمن الدولى .

سابعاً : ان لاتتدخل الامم المتحدة فى الشئون التى تكون من صميم السلطان الداخلى لدولة ما ، انما دون ان يخل ذلك بتطبيق تدابير القمع اذا اقتضى الامر تطبيقها .

---

(١) على صادق ابو هيف (دكتور) : موجز القانون الدولى العام ، ص ٣٢٨ .

وواضح ان هذه المبادئ تهدف الى نشر الوئام بين شعوب العالم والى المحافظة على السلم والعدل اذا كان القصد منها ان تصبح التزاما حقيقيا للدول وعهدا عليها أن ترعاه فى تصرفاتها .

اما فيما يتعلق بتكوين هيئة الامم المتحدة واختصاصاتها فأنه ينبغى علينا أن نشير الى أن العضوية فى الهيئة تتشكل من الاعضاء الاصليين ويتمثلون فى الدول التى اشتركت فى مؤتمر «سان فرنسسكو» ووقعت ميثاق الهيئة الدولية وصدقت عليه (المادة الثالثة). وقد بلغ عدد هؤلاء الاعضاء حينذاك اثنان وخمسين دولة. على أنه يجوز أن ينضم الى الامم المتحدة اعضاء جدد من الدول المحبة للسلام والتى تأخذ نفسها بالالتزامات التى يتضمنها الميثاق، وترى الهيئة انها قادرة على تنفيذ هذه الالتزامات. ويتم قبول العضو الجديد بقرار من الجمعية العامة بناء على توصية مجلس الامن (المادة الرابعة) . وللجمعية العامة بناء على توصية مجلس الامن ايضا ان توقف أى عضو اتخذ هذا المجلس أداة لعمل من اعمال المنع أو القمع عن مباشرة حقوق العضوية ومزاياها، كما ان لها ان تفصل من الهيئة اى عضو ثبت أنه قد امعن فى انتهاك مبادئ الميثاق (المادتان الخامسة والسادسة) .

وكانت مسألة اختيار مقر دائم لهيئة الامم المتحدة موضع حوار بين الدول فمنها من كانت ترغب فى ان يكون فى اوربا، اما فى جنيف مكان عصبة الامم القديمة واما فى باريس او فى لندن ، ومنها من رغبت فى أن يكون فى امريكا، وقد تم الاخذ بهذه الرغبة الاخيرة، ووقع الاختيار على احدى ضواحى مدينة «نيويورك» وهى ضاحية «ليك سكسس» لتكون مقرا دائما لهيئة الامم المتحدة وفى نفس الوقت فقد تقرر ايضا ان يكون لهيئة الامم المتحدة ستة فروع رئيسية تتمثل فيما يلى :

١ – الجمعية العامة . ٢ – مجلس الأمن .
٣ – المجلس الاقتصادى والاجتماعى ٤ – مجلس الوصاية .
٥ – محكمة العدل الدولية . ٦ – الامانة العامة .

على أنه يجوز ان ينشأ الى جانب هذه الفروع الرئيسية فروع اخرى ثانوية فى

حالة ماإذا اقتضت الضرورة ذلك .

وسوف نوضح فيما يلى كيف يتألف كل فرع من الفروع الرئيسية الستة المشار اليها وما يضطلع به من مهام وماله من صلاحيات .

أولا : الجمعية العامة للأمم المتحدة :

تتألف الجمعية العامة من جميع اعضاء الامم المتحدة، ويجوز أن يكون للعضو الواحد حتى خمسة مندوبين على نحو ماورد بالمادة التاسعة . وعلى الجمعية العامة ان تجتمع فى دورة سنوية عادية فى يوم الثلاثاء الثالث من شهر سبتمبر من كل سنة وفقا للمادة الاولى من اللائحة . كما يمكن أن تجتمع الجمعية العامة فى أدوار انعقاد خاصة بحسب ماتدعو اليه الحاجة وبناء على طلب اغلبية اعضائها أو بناء على طلب مجلس الامة على نحو ماتوضحه المادة العشرون . وتضع الجمعية العامة لائحة اجراءاتها، وتنتخب رئيسا لكل دور انعقاد وفقا للمادة الحادية والعشرين، كما انه للجمعية العامة أن تنشئ من الفروع الثانوية ماتراه ضروريا للقيام بوظائفها (١) .

وتعتبر الجمعية العامة دار المداولات للامم المتحدة ولهذا فمن حقها ان تناقش أية مسألة أو امر يدخل فى نطاق ميثاق الهيئة أو يتصل بسلطات فرع من فروعها او وظائفه، وان توصى اعضاء الهيئة أو مجلس الامن او كليهما بما تراه فى تلك المسائل والامور وذلك وفقا للمادة العاشرة.

وفيما يتعلق بالشئون السياسية فللجمعية العامة للامم المتحدة حرية المناقشة فى هذه الشئون باعتبارها من المسائل التى تدخل ضمن نطاق ميثاق الهيئة، كما ان للهيئة أن تنظر فى المبادئ العامة للتعاون فى حفظ السلم والامن الدولى ويدخل فى ذلك المبادئ المتعلقة بنزع السلام وتنظيم التسلح ولكن الجمعية العامة لاتملك

---

(١) شارل شومون : منظمة الأمم المتحدة ، ترجمة الدكتور جورج شرف ، منشورات عويدات ، بيروت، باريس ، الطبعة الأولى ١٩٨٦ ، ص ٥١ .

تخاذ قرارات فاصلة بشأنها، وتقتصر سلطتها على ابداء توصيات لاعضاء الهيئة او لمجلس الامن في هذه المسائل ، او أن تسترعى نظر المجلس للمواقف التى تجعل الامن والسلم الدولى عرضة للخطر ، وهو الذى يقرر مايلزم اجراؤه فى تلك الحالات.

وللجمعية العامة للامم المتحدة ايضا أن توصى باتخاذ التدابير اللازمة لتسوية أى موقف تسوية سلمية متى رأت ان هذا الموقف قد يضر بالرفاهية العامة او يعكر صفو العلاقات الودية بين الامم . واذا عرضت على الجمعية العامة مسألة تقتضى اتخاذ عمل من اعمال المنع او القمع وجب عليها احالتها الى مجلس الامن ، لانه هو وحده المختص بأتخاذ قرارات فى هذا الشأن. وعلى الجمعية العامة للامم المتحدة من ناحية اخرى ان تمتنع عن ابداء أى توصيات فى نزاع ينظر فيه مجلس الامن، مالم يطلب منها المجلس ذلك. وهذا التضييق على الجمعية العامة فى مجال النشاط السياسى قد يكون مرجعه ما أثبتته التجارب من أن كثرة عدد الاعضاء فيها ومايتبعه من عدم المرونة ومن تشتت الاراء يجعل منها اداة غير صالحة للفصل فى الامور الشائكة سياسيا .

وفى نفس الوقت يقابل التضييق على الجمعية العامة فى ناحية النشاط السياسى توسع فى اختصاصاتها فى نواحى النشاط الاخرى، فقد جعل منها الميثاق الهيئة الاساسية التى تشرف على كل مايعالجه من المسائل الادارية والاقتصادية والاجتماعية والنشاط الانسانى بوجه عام.

فالجمعية العامه للامم المتحدة هى التى تنتخب اعضاء مجلس الامن غير الدائمين ، كما تنتخب اعضاء المجلس الاقتصادى والاجتماعى والاعضاء المنتخبين فى مجلس الوصاية، وهى التى تعين الامين العام بناء على توصية مجلس الامن. وهى كذلك التى تقرر قبول الاعضاء الجدد فى هيئة الامم المتحدة وفصل من يمعن فى انتهاك مبادئ الميثاق ووقف من يتخذ مجلس الامن ضده منهم عمل من اعمال القسر. كما تهيمن الجمعية العامة على الشئون المالية للهيئة، فهى التى تقرر ميزانيتها وتحدد نصيب كل عضو من نفقتها. كما تهيمن الجمعية العامة

على المجلس الاقتصادى والاجتماعى ومجلس الوصاية وهى بصفة عامة تشرف على حسن سير نظام هيئة الامم المتحدة من جميع الجوانب.

وبالاضافة لما تقدم ذكره من اختصاصات الجمعية العامة للامم المتحدة فانها تقوم بدور كبير فى المساهمة فى بنيان صرح السلم الدولى، وذلك عن طريق انشاء دراسات وتقديم التوصيات لإنماء التعاون الدولى فى الميدان السياسى والاقتصادى والاجتماعى والثقافى والصحى والاعانة على تحقيق حقوق الانسان والحريات الأساسية للناس كافة دون تمييز بينهم فى الجنس او اللغة أو الدين، ولاتفريق بين الرجال والنساء. كما تعمل الجمعية العامة للامم المتحدة على تشجيع التقدم المطرد للقانون الدولى وتدوينه ليكون قاعدة لاقامة العلاقات الدولية العادلة. ومن حق الجمعية العامة للامم المتحدة ان تنظر فى تعديل احكام ميثاقها اى ان تقرر عقد مؤتمر عام لاجراء هذا التعديل، ويصبح التعديل الذى تقره الجمعية العامة او يقره المؤتمر نافذا بموافقة ثلثى الاعضاء عليه، وبعد ان يصدق عليه ثلثا اعضاء الامم المتحدة على أن يكون من بينهم جميع اعضاء مجلس الامن الدائمين وذلك وفقا لما تقرره المادتان ١٠٨ و ١٠٩ من ميثاق الامم المتحدة .

وهكذا تحتل الجمعية العامة موقعا مركزيا فى الامم المتحدة وتقدم لمجلس الامن اعضاء جددا ، وتعين الامين العام للامم المتحدة، كما انها تصدق على ميزاية المنظمة، وتحدد المبلغ الذى سيدفعه كل عضو من أعضاء الامم المتحدة.

وبالنسبة لموضوع الاقتراع أو التصويت في الجمعية العامة للامم المتحدة فلكل دولة من الدول الأعضاء صوت واحد فى الجمعية العامة، وان كان لكل منها الحق فى ايفاد مايصل الى خمسة ممثلين لحضور الجلسات. وتصدر الجمعية قراراتها بشأن المسائل العادية بالاغلبية المطلقة لاصوات الحاضرين والمشتركين فى الاقتراع، بينما تصدر قراراتها فى المسائل المهمة بأغلبية الثلثين . (١)

---

(١) من منشورات مكتب الاستعلامات التابع للامم المتحدة بالقاهرة ، يوليو ١٩٧٠ .

ثانيا: مجلس الامن :

مجلس الامن مسئول اساسا عن حفظ السلام والامن الدوليين. وهو مكون من خمسة اعضاء دائمين: الاتحاد السوفييتى والصين وفرنسا والمملكة المتحدة والولايات المتحدة، وعشرة اعضاء غير دائمين تنتخبهم الجمعية العامة لمدة سنتين .

وحيث أن حفظ السلام الدولى يتطلب يقظة مستمرة وقد يحتاج الى اتخاذ اجراء عاجل، فقد نظم مجلس الامن بحيث يستطيع العمل بصفة مستمرة .

وظائفه :

- لمجلس الامن حق النظر فى أى نزاع أو خطر يهدد السلام، وان يصدر توصياته من اجل تسوية المشكلات.
- وله أن يدعو الدول الاعضاء الى تطبيق عقوبات اقتصاديه واجراءات اخرى تتضمن استخدام القوة، وذلك من اجل الحيلولة دون وقوع عدوان ولو لوقفة.
- وله ان يتخذ اجراء عسكريا ضد المعتدى .
- وهو مسئول عن رسم الخطط الكفيلة بتنظيم التسليح .
- وهو يوصى بقبول اعضاء جدد، ويوثق عضوية أو يطرد اعضاء قدامى ويعين الأمين العام .

ويعمل مجلس الامن نيابة عن كافة اعضاء الامم المتحدة الذين يتفقون جميعا على تنفيذ قراراته ، ووضع قوات مسلحة تحت تصرفه كلما طلب ذلك، وتقديم المساعدات اللازمة لحفظ السلام والامن الدوليين .

الاقتراع

لكل عضو صوت واحد. وتصدر القرارات فى كافة الامور - فيما عدا المسائل الاجرائية - بموافقة تسعة اعضاء ، بما فى ذلك اصوات الاعضاء الدائمين. وهذه هى القاعدة المعروفة باسم «اجماع الدول الكبرى»، والتى جرى العرف على تسميتها بحق الاعتراض (الفيتو) . ومن الناحية العملية لايعتبر امتناع عضو من الاعضاء الدائمين عن التصويت بمثابة اعتراض (فيتو) . واذا كان المجلس بسبيل

اتخاذ قرار بشأن تسوية سليمة لنزاع ما، يجب أن يمتنع عن التصويت اى عضو هو طرف فى النزاع، سواء كان من اعضاء المجلس الدائمين أو غير الدائمين اما بالنسبة للمسائل الاجرائية فان القرار يصدر بموافقة تسعة اعضاء .

ثالثا : المجلس الاقتصادي والاجتماعي :

يوجه المجلس الاقتصادى والاجتماعى وينسق النشاط الاقتصادى والاجتماعى للامم المتحدة ووكالاتها المتخصصة. وهو يعمل بتفويض من الجمعية العامة .

ويتكون المجلس الاقتصادى والاجتماعى من سبعة وعشرين عضوا تنتخبهم الجمعية العامة على اساس دورى ، اذ تنتخب تسعة اعضاء كل عام لمدة ثلاث سنوات .

وظائفه :

– للمجلس الاقتصادى والاجتماعى الحق فى اعداد دراسات وتقارير وتوصيات بصدد الشئون الدولية الاقتصادية منها والاجتماعية والثقافية والتربوية والصحية ومايتصل بها، أو التمهيد لهذه الدراسات .

– وله أن يقدم توصيات من أجل تعزيز احترام حقوق الانسان والحريات الاساسية للجميع ومراعاتها .

– وله أن يعد الى عقد مؤتمرات دولية واعداد مشروعات الاتفاقات حول المسائل الداخلة فى اختصاصه .

– وهو مسئول عن تنسيق اعمال الوكالات المتخصصة .

الاقتراع :

تتخذ قرارات المجلس الاقتصادى والاجتماعى باغلبية الاعضاء الحاضرين والمشتركين فى الاقتراع .

الدورات واللجان الفرعية :

يجتمع المجلس الاقتصادى والاجتماعى كلما قضت الحاجة باجتماعه لأداء واجباته. وهو عادة يعقد دورتين فى السنة، ويتصدى لمشكلات محددة عن طريق لجانه. وللمجلس اللجان العاملة التالية :

لجنة الاحصاء .	لجنة السكان.
لجنة التطور الاجتماعى .	لجنة حقوق الانسان.
لجنة مركز المرأة .	لجنة المخدرات.

وهناك ايضا لجان اقتصادية اقليمية أربع ، تدرس المشكلات الاقتصادية لاقاليمها، وتوصى الحكومات بانتهاج سبل عملية معينة . وهى :

- اللجنة الاقتصادية لأوربا.
- اللجنة الاقتصادية لآسيا والشرق الاقصى .
- اللجنة الاقتصادية لامريكا اللاتينية .
- اللجنة الاقتصادية لافريقيا .

رابعا : مجلس الوصاية :

نص الميثاق على انشاء نظام الوصاية لادارة الاقاليم التى يشملها هذا النظام والاشراف عليها. وهناك اتفاقية للوصاية خاصة بكل اقليم يوضع فى ظل هذا النظام توافق على نصوصها الدول التى يعنيها الأمر بصورة مباشرة وتقرها الجمعية العامة أو – فى حالة المناطق ذات الأهمية الاستراتيجية – مجلس الامن ويساعد مجلس الوصاية الجمعية العامة فى الاشراف على ادارة الاقاليم المشمولة بالوصاية .

ويتكون مجلس الوصاية من :

١ – الدول الاعضاء التى تشرف على ادارة مناطق تحت الوصاية .

٢ – الاعضاء الدائمين فى مجلس الامن الذين لايديرون مناطق تحت الوصاية .

٣ – أى عدد من الاعضاء الاخرين (تنتخبهم الجمعية العامة لمدة ثلاث سنوات) يكون ضروريا لضمان المساواة العددية بين الاعضاء الذين يتولون الوصاية واولئك الذين لايمارسونها .

وظائفه :

- يقوم مجلس الوصاية بدراسة التقارير المقدمة من السلطات القائمة بالادارة.
- يتلقى ويفحص الالتماسات (الشكاوى) المقدمة من الافراد او الجماعات من الاقاليم المشمولة بالوصاية ، ومن غيرهم .
- يرسل بعثات الى الاقاليم المشمولة بالوصاية لدراسة الظروف فيها على الطبيعة.

الاقتراع :

لكل عضو صوت واحد. وتتخذ القرارات بالاغلبية المطلقة .

خامسا : محكمة العدل الدولية :

محكمة العدل الدولية هى الجهاز القضائى الرئيسى للامم المتحدة. وهى تتكون من خمسة عشر قاضيا ينتخبهم مجلس الأمن والجمعية العامة.

ومقر محكمة العدل الدولية فى لاهاى فى هولندا .وتقوم المحكمة باختصاصاتها وفقا لنظام اساسى هو جزء من ميثاق الامم المتحدة ويتعهد كل عضو من اعضاء الامم المتحدة بأن يخضع لحكم المحكمة في أية قضية هو طرف فيها.

وتشمل ولاية المحكمة كافة القضايا التى يرفعها اليها المتقاضون، وجميع المسائل المنصوص عليها بصفة خاصة فى الميثاق او فى المعاهدات والاتفاقيات المعمول بها.

وفضلا عن الفصل فى المنازعات القضائية التى تعرض على المحكمة فانها تؤدى وظيفة هامة بأن تقدم الاراء الاستشارية فى الشئون القانونية التى تحيلها اليها

الجمعية العامة أو مجلس الامن او الاجهزة والوكالات المتخصصة الاخرى التى تأذن لها الجمعية العامة بطلب مثل هذا الآراء .

سادسا : الأمانة العامة :

تنهض الامانه العامة بالمهام الادارية للامم المتحدة . وهى تدعيم الاجهزة الاخرى وتنفيذ البرامج والسياسات التى تقررها هذه الاجهزة، ويرأس هذا الجهاز الأمين العام الذى تعينه الجمعية العامة بناء على توصية من مجلس الامن .

وللأمين العام ان يوجه نظر مجلس الأمن الى أى موضوع هو فى رأيه يهدد السلام والأمن الدوليين . كما يعد تقارير سنوية يرفعها الى الجمعية العامة حول نشاط الامم المتحدة، وبعد تقارير خاصة حول موضوعات معينة.

وقد كان تريجفى لى النرويجى أول أمين عام للامم المتحدة ثم خلفه فى ١٠ أبريل (نيسان) ١٩٥٣ داج همر شولد السويدى وعقب وفاة مستر همرشولد فى حادث سقوط طائرة فى افريقيا فى ١٧ سبتمبر (ايلول) ١٩٦١ ، عين اوثانت — وهو من بورما — امينا عاما بالنيابة لاستكمال مدة الخدمة التى كانت مقررة لمستر همرشولد. وفى نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٦٢ عين اوثانت امينا عاما لمدة خمس سنوات. وفى ٢ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٦٦ عين امينا عاما لمدة أخرى انتهت يوم ٣١ ديسمبر ١٩٧١ ثم عين كورت فالدهايم ومن بعده بيريز دى كويلار ثم الدكتور بطرس غالى فى ديسمبر ١٩٩١ فى منصب الأمين العام للمنظمة الدولية.

ويبلغ عدد موظفى الامانة نحو ٩٨٠٠ موظفا منهم نحو ٥٧٠٠ يعملون بمقر الامم المتحدة فى نيويورك . وهؤلاء الموظفون يعينهم الامين العام وفقا للقواعد التى تقررها الجمعية العامة. وان الواجبات والمسئوليات التى تضطلع بها الامانه ذات طابع دولى محض. وكل موظف فيها — بصرف النظر عن جنسيته موظف دولى يخدم العالم، ويخدم ايضا — بخدمته للعالم — المصالح العليا لبلده هو .

دور الأمم المتحدة في العلاقات الدولية المعاصرة

ظل ضمان السلام وتنمية العلاقات الودية بين الدول هدفا رئيسيا للامم المتحدة منذ انشائها . وقد اوصت الجمعية العامة باتخاذ عدد من الاجراءات التى تستهدف تخفيف حدة التوتر الدولى ، وتهيئة الظروف الملائمة للسلام العالمى . فمثلا :

فى عام ١٩٤٣ ، ادانت كل الدعايات الحربية وطالبت الدول بتشجيع نشر المعلومات التى تعبر عن رغبة الشعوب فى تحقيق السلام .

وفى عام ١٩٥٧ ، اكدت الحاح واهمية تعزيز السلم العالمى وتنمية العلاقات السلمية وعلاقات الجيرة بين الدول بصرف النظر عن الاختلافات فيما بينها او المراحل النسبية التى بلغها نموها السياسى والاقتصادى والاجتماعى وطبيعة هذا النمو .

وفى عام ١٩٦٦ ، اعادت تأكيد انه من الواجب على الدول الالتزام الصارم فى علاقاتها الدولية بحظر التهديد باستخدام القوة او استخدامها ضد السلامة الاقليمية او الاستقلال السياسى لاية دولة .

وفى عام ١٩٦٩ ، عبرت عن الرغبة فى أن يحتفل بالذكرى الخامسة والعشرين لقيام المنظمة باتخاذ خطوات جديدة من اجل تعزيز السلام والامن ونزع السلاح والتقدم الاقتصادى والاجتماعى للبشرية جمعاء .

وفى سعيها لوضع هذه المبادئ موضع التنفيذ، تدخلت الامم المتحدة فى عدد من القضايا من اجل الحيلولة دون وقوع صدامات مسلحة او لانهائها. وذلك عن طريق وسائل متنوعة منها الوساطة الحميدة . والتوفيق والمفاوضة ووقف اطلاق النار وقوات حفظ السلام وجماعات المراقبين والعقوبات الاقتصادية وتوضح الامثلة التالية هذا الدور للمنظمة :

فقد انتهت الاعمال العدائية بين هولندا واندونيسيا بفضل اجراءات الوساطة والتوفيق التى لجأت اليها الامم المتحدة عام ١٩٤٧ . وقد لعبت لجنة تابعة للامم

المتحدة دورا فى قيام دولة اندونيسيا المستقلة عام ١٩٤٩ .

كذلك لعبت لجنة وجماعة من المراقبين العسكريين تابعتان للامم المتحدة دورا اساسيا فى وقف الاعمال العدائية بين الهند وباكستان فى كشمير وعلى طول الحدود الدولية بين البلدين فى عام ١٩٤٨ ثم مرة اخرى فى عام ١٩٦٥ .

وفى ١٩٥٨ تم حل الازمة اللبنانية عن طريق التفاوض والمناقشة التى ساعد عليها وجود جماعة مراقبين للامم المتحدة فى لبنان .

وقد ساعد الامين العام وممثلوه الخاصون فى ايجاد الحلول لمشاكل قائمة فى عدد من المناطق .

فقد ساعدت جهود الامين العام حكومتى الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة على تجنب الخطر الشديد على السلام الذى نشأ فى نهاية عام ١٩٦٢ فى البحر الكاريبى .

وفى ازمة جمهورية الدومينيكان عام ١٩٦٥ ساهم ممثل الأمين العام ، عين بناء على طلب مجلس الامن، فى التوصل الى وقف اطلاق النار .

وقد انشأت الامم المتحدة قوات لحفظ السلام بصدد عدة مواقف كانت تهدد السلام: ففى عام ١٩٦٤ حالت قوة لحفظ السلام تابعة للامم المتحدة دون وقوع المزيد من القتال واسع النطاق فى قبرص بين القبارصة اليونانيين والقبارصة الاتراك ، بينما مازالت الجهود مستمرة فى سبيل المشاكل القائمة .

وقد استخدمت الامم المتحدة كل الاساليب السابق ذكرها فى وقت أو آخر فى محاولاتها للمساعدة على حل مشكلات منطقة الشرق الاوسط المضطربة .

فالقتال بين اسرائيل والدول العربية الذى اعقب تبنى مشروع تقسيم فلسطين وقيام دولة اسرائيل، وضع حدا له وقف اطلاق النار الذى حققته الامم المتحدة . وبعد مفاوضات دارت مع وسيط من الامم المتحدة وقعت اتفاقيات الهدنة عام ١٩٤٩ . ومنذ ذلك الحين هناك جماعة من المراقبين تشرف على تنفيذ اتفاقيات الهدنة .

وقدحلت ازمة السويس عام ١٩٥٦ بالاتفاق على انشاء قوة الامم المتحدة للطوارئ وانسحاب القوات الاسرائيلية والبريطانية والفرنسية من أرض مصر. وعقب نشوب الحرب بين اسرائيل والدول العربية فى اوائل يونيو ١٩٦٧ ، دعا مجلس الامن الى وقف اطلاق النار فورا وهو ماوضع موضع التنفيذ. وفى نوفمبر ١٩٦٧ تبنى مجلس الامن بالاجماع مشروعا لتسوية سلمية دائمة. وكان اهم ماجاء به نصه على انسحاب القوات الاسرائيلية من الأراضى المحتلة وانهاء حالة الحرب، واحترام حق كل دول المنطقة فى الحياة فى سلام ، وقام الأمين العام بتعيين ممثل خاص فى الشرق الاوسط من اجل الوصول الى اتفاق بين اطراف النزاع . ولكن بالرغم من هذه الجهود، فقد ادى اندلاع اعمال العنف الى عرض موضوع الموقف فى الشرق الاوسط عدة مرات على مجلس الامن والجمعية العامة .

وقد اتخذت الأمم المتحدة اجراء عسكريا جماعيا فى كوريا عام ١٩٥٠ ، عقب الشكوى من وقوع عدوان على جمهورية كوريا ، وفى عام ١٩٥٣ ابرمت اتفاقية هدنة. ومازالت مسألة توحيد كوريا بالوسائل السلمية من بين اهداف الامم المتحدة.

وفى يوليو ١٩٦٠ قامت الامم المتحدة تلبية لنداء عاجل وجهته حكومة الكونغو ، بالتدخل فى جمهورية الكونغو لمساعدة الحكومة على المحافظة على وحدة اراضى الدولة، ومعاونتها فى التغلب على ازمتها الاقتصادية والاجتماعية الخطيرة، وقد تم سحب القوة العسكرية التابعة للامم المتحدة من الكونغو عام ١٩٦٤ . اما البرنامج المدنى للمعونة الفنية الذى بدأ ايضا عام ١٩٦٠ ، فقد جرى تخفيضه تدريجيا عن مستوى حالة الطوارئ . غير أن الخبراء الدوليين وبرامج المعونة الفنية مازالت تساعد الكونغوليين فى نشاطات اقتصادية واجتماعية واسعة المدى.

وفى عام ١٩٦٦ ، فرض مجلس الامن عقوبات اقتصادية اجبارية ضد حكومة الاقلية العنصرية فى روديسيا الجنوبية. بالنظر الى التطورات فى هذا الاقليم باعتبارها خطرا يهدد السلام والامن الدوليين . وفى عام ١٩٦٨ وافق المجلس بالاجماع على جعل هذه العقوبات شاملة . وهى المرة الوحيدة فى تاريخ الامم المتحدة التى يتخذ فيها مثل هذا الاجراء .

مشكلة نزع السلاح :

ظلت مشكلة نزع السلاح تحتل دائما مكانة رئيسية فى عمل الامم المتحدة وقد تم خلال العقد الماضى تحقيق عدد من الانجازات الهامة فى هذا الميدان:

ففى عام ١٩٥١ قامت الامم المتحدة ، فى سعيها لانهاء سباق التسلح الذى اثقل عاتق البشرية ولاستخدام الموارد المتوفرة لصالح البشرية، قامت بدعوة الحكومات الى بذل كل جهد ممكن للوصول الى حل بناء لمشكلة نزع السلاح .

وفى عام ١٩٦١ نجح الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة فى وضع صياغة للبيان المشترك الخاص بالمبادئ المتفق عليها لمفاوضات نزع السلاح . وقد رحبت الجمعية العامة بالمبادئ المتفق عليها واوصى باتخاذها اساسا للمفاوضات الخاصة بنزع السلاح التام الكامل .

وفى عام ١٩٦٢ حثت الجمعية العامة على وقف تجارب الاسلحة النووية فورا.

وفى عام ١٩٦٣ وقعت فى موسكو اتفاقية حظر تجارب الاسلحة النووية فى الجو والفضاء الخارجى وتحت سطح الماء وقد اثنت الجمعية العامة على الاتفاقية ودعت كافة الدول الى أن تصبح اطرافا فيها. وفى نفس العام وافقت الجمعية العامة بالاجماع على اتخاذ قرار بمنع استخدام الاسلحة النووية وغيرها من اسلحة الافناء بالجملة فى الفضاء الخارجى .

وفى عام ١٩٦٧ وقعت فى مكسيكو سيتى اتفاقية منع الاسلحة النووية فى امريكا اللاتينية .

وفى عام ١٩٦٨ اوصت الجمعية العامة بالموافقة على اتفاقية منع انتشار الاسلحة النووية وعبرت عن املها فى أن ينضم الى الاتفاقية اكبر عدد ممكن سواء من الدول التى تمتلك الاسلحة النووية والدول التى لاتمتلكها. وفى أول يوليو (تموز) من العام نفسه فتح باب التوقيع على الاتفاقية. واصبحت نافذة المفعول اعتبارا من يوم ٥ مارس ١٩٧٠ . وستلعب الاتفاقية دورا بالغ الاهمية فى حصر

سباق التسلح النووى . وهى فى نفس الوقت تشجع على الاستخدامات السلمية للطاقة الذرية وتهيىء الظروف الملائمة لتنمية تعاون دولى واسع النطاق فى هذا الميدان.

وفى عام ١٩٦٩ اعلنت الجمعية العامة ان استخدام الاسلحة الكيميائية والبكترويولوجيا (البيولوجية) عمل مناف لاحكام القانون الدولى المتعارف عليها بوجه عام .

كذلك فانه فى عام ١٩٦٩ اعلنت الجمعية العامة ان العقد الحالى سيسمى بعقد نزع السلاح، ودعت الحكومات الى الاسراع بمضاعفة جهودها المنصفة المركزة من اجل اتخاذ اجراءات فعالة خاصة بوقف سباق التسلح النووى فى وقت مبكر، ونزع السلاح النووى واستئصال أسلحة الأفناء بالجملة، وعقد اتفاقية لنزع السلاح نزعا تاما وكاملا فى ظل رقابة دولية صارمة وفعالة .

توجيه الذرة من اجل السلام :

كان اول جهد بذلته الامم المتحدة فى سبيل تنفيذ برنامج «الذرة من اجل السلام» عقد مؤتمر دولى فنى فى اغسطس من عام ١٩٥٩ فى جنيف ، حيث اجتمع لفيف من العلماء والمهندسين من ٧٣ دولة لتبادل المعلومات عن استخدام الطاقة الذرية فى الاغراض السلمية. وقد ساهم المؤتمر فى ازالة الحواجز التى ظلت منذ الحرب العالمية الثانية تحول دون التبادل العلمى فى كثير من نواحى الطاقة الذرية. وقد تلاه مؤتمران علميان آخران عقدا فى جنيف فى عامى ١٩٥٨و ١٩٦٤ .

وفى عام ١٩٦٨ عقد فى جنيف مؤتمر الدول التى لاتملك اسلحة نووية الذى تبنى عددا من الاقتراحات التى تهدف الى الحد من انتشار الاسلحة النووية ووضع برامج أمنية للتعاون فى ميدان الاستخدامات السلمية للطاقة الذرية، خاصة فى الدول النامية . وفى عام ١٩٦٩ اكدت الجمعية العامة اهمية تنفيذ اقتراحات المؤتمر عن طريق اتخاذ الحكومات والهيئات الدولية المعنية للاجراءات المناسبة .

وتقوم لجنة من العلماء تابعة للأمم المتحدة بجمع وتقييم واذاعة المعلومات الخاصة بما يحدثه الاشعاع النووى من آثار .

وتقوم ايضا اجهزة اخرى ووكالات متخصصة تابعة للامم المتحدة – خاصة الوكالة الدولية للطاقة الذرية – باعداد دراسات عن الجوانب المختلفة للقوة النووية كاستخدامها فى الصناعة والزراعة، والخطورة على الصحة التى قد تتسبب فيها، واستخدام مواد القانون الدولى التى تحكم هذه النشاطات .

قضايا الفضاء الخارجي :

تسعى الامم المتحدة الى تأمين استخدام الفضاء الخارجى للاغراض السلمية وحدها ولخير البشرية جمعاء. وتحقيقا لهذه الغاية تعمل الامم المتحدة على تنمية التعاون الدولى فى المجالات العلمية والفنية لنشاطات الفضاء . وتساعد على تطوير احكام القانون الدولى التى تحكم هذه النشاطات .

وفى عام ١٩٦٦ رحبت الجمعية العامة بالاجماع بابرام الاتفاقية الخاصة بالمبادئ التى تحكم نشاطات الدول فى استكشاف الفضاء الخارجى واستخدامه بما فى ذلك القمر والاجرام السماوية الاخرى. هذه الاتفاقية التى تحرم الاسلحة النووية فى الفضاء الخارجى وتمنع ادعاءات السيادة القومية فى الفضاء ، وقعت فى موسكو ولندن وواشنطون فى يناير سنة ١٩٦٧ واصبحت سارية المفعول اعتبارا من ١٠ اكتوبر من نفس السنة .

وفى عام ١٩٦٧ اوصت الجمعية العامة بالاجماع بالانضمام الى اتفاقية انقاذ رجال الفضاء وعودة رجال الفضاء وعودة مايطلق فى الفضاء الخارجى .

وفى عام ١٩٦٨ عقد فى فيينا مؤتمر الامم المتحدة لاكتشاف الفضاء الخارجى والاستخدام السلمى له . وقد قام فى هذا المؤتمر ممثلون عن ٧٨ دولة وثمانى وكالات متخصصة وثلاث منظمات دولية خاصة بالفضاء بدراسة الفوائد العملية الناجمة عن اكتشاف الفضاء والفرص المتاحة للدول غير المشتركة فى غزو

الفضاء والتعاون الدولى فى نشاطات الفضاء .

قضايا قاع المحيطات :

ان الاستخدامات السلمية لحوض البحر وقاع المحيط من الميادين الحديثة نسبيا التى بدأت تهتم الامم المتحدة بـها. والتى يرجح ان يزيد النشاط بصددها فى السنوات المقبلة .

وفى عام ١٩٦٨ اعلنت الجمعية العامة ان استغلال حوض البحر وقاع المحيط وطبقة الأرض الواقعة تحت التربة فيهما الواقعة خارج نطاق السيادة القومية ينبغى ان يتم لصالح الانسانية جمعاء بصرف النظر عن الموقع الجغرافى للدول، مع اخذ المصالح والاحتياجات الخاصة للدول النامية بعين الاعتبار .

وقد شكلت الجمعية العامة - من اجل دراسة هذه الموضوعات - لجنة مختصة بالاستخدامات السلمية لحوض البحر وقاع المحيط خارج نطاق السيادة القومية.

وفى عام ١٩٦٩ طلبت الجمعية العامة من اللجنة صياغة توصيات تتعلق بالظروف الاقتصادية والفنية وقواعد استغلال مصادر الثروة فى هذه المنطقة. كما طلبت الجمعية من الامين العام اعداد دراسة عن الوضع القانونى وبناء ووظائف وسلطات جهاز دولى تكون سلطاته فيما يتعلق بالاستخدامات السلمية لحوض البحر وقاع المحيط وتجربتهما خارج نطاق السيادة القومية، بما فى ذلك سلطة تنظيم وتنسيق والاشراف والسيطرة على كافة النشاطات المتعلقة باكتشاف واستغلال مصادر الثروة فيها لصالح البشرية .

سياسات الابارتهيد :

ظلت تعرض على الأمم المتحدة منذ عام ١٩٤٦ مشكلة سياسات الابارتهيد (أى سياسات التمييز والتفرقة العنصرية) التى تنتهجها حكومة جنوب افريقيا. وقد

ادانت الجمعية العامة عدة مرات سياسات الابارتهيد باعتبارها جريمة ضد الانسانية.

ومن عام ١٩٥٢ الى ١٩٦٠ ناشدت الجمعية العامة حكومة جنوب افريقيا عدة مرات ان تعدل عن سياستها ازاء هذا الموضوع على ضوء مبادئ الميثاق. ومع ذلك فقد كان جنوب افريقيا يجادل دائما بأن الأمر هو من صميم سيادته الداخليةوانه طبقا للميثاق ليس للامم المتحدة أن تنظر فيه. وقد أدت سياسات الابارتهيد الى حادث شاريفيل يوم ٢٩ مارس ١٩٦٠ . ففى ذلك اليوم قتل البوليس فى جنوب افريقيا ٦٩ افريقيا وجرح ١٨٤. وقد عقد اجتماع عاجل لمجلس الامن وطالب المجلس حكومة جنوب افريقيا ان تتخذ اجراءات تهدف الى تحقيق الوئام العنصرى على اساس من المساواة وان تتخلى عن سياسات الابارتهيد. ودعا المجلس فى قرارات اتخذت عامى ١٩٦٣ ، ١٩٦٤ جميع الدول الى تنفيذ حظر ارسال الاسلحة الى جنوب افريقيا .

وفى عام ١٩٦٥ ناشدت الجمعية العامة عملاء جنوب افريقيا التجاريين الكبار ان يوقفوا تعاونهم الاقتصادى مع جنوب افريقيا وجددت دعوتها الى فرض حظر صارم على تصدير الاسلحة اليه . وقد اقرت الجمعية فى قرارات عدة لها شرعية نضال الشعب المضطهد فى جنوب افريقيا من اجل ممارسة حقه الخاص به فى تقرير مصيره ، حتى يصل الى حكم الأغلبية على اساس الاقتراع العام. كما اسست الجمعية العامة صندوق الامم المتحدة لجنوب افريقيا الذى تموله التبرعات الاختيارية من الدول والمنظمات والافراد. والغرض من الصندوق تقديم المساعدة القضائية والغوث والتعليم للاشخاص الذين وقعوا تحت طائلة التشريع التعسفى فى جنوب افريقيا .

وفى عام ١٩٦٩ حثت الجمعية العامة كافة الدول والمنظمات على ان نهيئ معونة اكبر للحركة الوطنية لشعب جنوب افريقيا المضطهد ضد سياسات الأبارتهيد. وعبرت الجمعية مرة اخرى عن اعتقادها بأن «سياسات» حكومة جنوب افريقيا وتصرفاتها منافية للالتزامات التى ينبغى على أى عضو فى الامم المتحدة إتباعها، وتشكل تهديدا خطيرا للسلام والامن الدوليين .

قضايا التقدم :

يقضى الميثاق بأن على الأمم المتحدة واجب تحقيق مستويات اعلى للمعيشة وتوفير العمالة الكاملة وظروف التقدم الاقتصادى والاجتماعى لكافة الشعوب ومن اجل تحقيق هذه الغايات ، ولاتزال الامم المتحدة والوكالات التابعة لها تعاون الدول النامية فى جهودها لمكافحة الجوع والمرض والأمية وفى ارسال اسس اقتصاديات حديثة منتجة ، وذلك عن طريق افضل استخدام للموارد الطبيعية والبشرية .

عقود التنمية :

قررت الجمعية العامة عام ١٩٦١ ان تكون السنوات الستينات عقد الامم المتحدة للتنمية وفى عام ١٩٧١ يبدأ عقد الامم المتحدة الثانى للتنمية. والهدف الرئيسى له هو تحقيق نمو اقتصادى متصل، خاصة فى الدول النامية ، لضمان مستوى اعلى من المعيشة يتفق مع كرامة الانسان، ولتحقيق تحسن مطرد فى حالة الفرد المعيشية، ولتسهيل عملية تضييق الفجوة القائمة بين البلاد المتقدمة والبلاد النامية.

برنامج الامم المتحدة للتنمية :

ان برنامج الامم المتحدة للتنمية هو الطريق الرئيسى لنشاطات التنمية التى تنهض بها عائلة الامم المتحدة، وتموله التبرعات الاختيارية من الدول الغنية والفقيرة. وللبرنامج نشاط فى كل دول العالم واقاليمه ذات الدخل المنخفض بينما يشمل عمله كافة القطاعات الاقتصادية والاجتماعية الرئيسية .

وقد نهض برنامج الامم المتحدة للتنمية بالاشتراك مع ١٠٩ من الدول والاقاليم النامية حتى عام ١٩٦٩ بألف وخمسة وسبعين مشروعا كبيرا تبلغ تكاليفها الكلية ٢٥٣٦ مليون دولار . ساهمت الحكومات المستفيدة بأكثر من نصفها . كما يساعده البرنامج على الارشاد الى مصادر رأس المال اللازم للاستثمار. ووضع

الترتيبات الفنية متى طلبت الحكومة المعنية ذلك منه. وقد نجح برنامج الامم المتحدة للتنمية حتى الان فى جمع اكثر من ثلاثة آلاف مليون دولار من الاستثمارات المحلية والخارجية .

مؤتمر الامم المتحدة للتجارة والتنمية :

فى عام ١٩٦٤ انعقد بجنيف مؤتمر الامم المتحدة للتجارة والتنمية واصدر عدة توصيات خاصة بمساعدة الدول النامية على زيادة وتثبيت مكاسبها من السلع والتوسع فى صادراتها من السلع المصنعة، والحصول على رأس المال اللازم للتنمية، وفى ٣٠ ديسمبر ١٩٦٤ ، جعلت الجمعية العامة المؤتمر جهازا دائما.

والهدف العام لمؤتمر التجارة والتنمية هو النهوض بالتجارة الدولية خاصة بين البلاد التى تتفاوت مراحل التنمية فيها، وبين الدول النامية ذاتها، وبين الدول ذات الانظمة الاقتصادية والاجتماعية المختلفة .

ومدينة جنيف هى مقر مؤتمر الامم المتحدة للتجارة والتنمية .

منظمة الامم المتحدة للتنمية الصناعية :

اصدرت الجمعية العامة عام ١٩٦٦ قرارا بانشاء منظمة الامم المتحدة للتنمية الصناعية من اجل النهوض بالتنمية الصناعية والمساعدة على الاسراع بتصنيع الدول النامية .

وبالاضافة الى النشاطات العملية التى تركز على المساعدة فى قطاع التصنيع تقوم منظمة التنمية الصناعية ببرامج دراسات وابحاث متصلة بهذه النشاطات عن الاوجه المختلفة للتصنيع وتنسق اوجه نشاط منظمات الامم المتحدة بوكالاتها فى هذا الميدان. كما انها تنظم ندوات وحلقات دراسية وبرامج تدريب تتصل بصناعات معينة .

ومدينة فيينا هى مقر منظمة الامم المتحدة للتنمية الصناعية .

معهد الامم المتحدة للتدريب والبحوث :

من بين الاغراض الرئيسية لمعهد الامم المتحدة للتدريب والبحوث الذى بدأ اعماله فى اوائل عام ١٩٦٥ تدريب الموظفن خاصة من الدول النامية ، على الخدمة فى الادارات الوطنية او فى الامم المتحدة .

ويقوم المعهد ايضا باعداد البحوث الخاصة بالمشكلات التى قد تهم الامم المتحدة مثل عملية انتقال التكنولوجيا الى الدول النامية ، والمشكلات التى تواجه بعض الدول والاقاليم الصغيرة، ومشكلة هجرة العمال المهرة الى الدول الغنية .

برنامج الغذاء العالمي :

انشىء هذا البرنامج عام ١٩٦٣ تحت رعاية مشتركة من الامم المتحدة ومنظمة الاغذية والزراعة لمدة ثلاث سنوات بصفة مبدئية على سبيل التجربة. وفى عام ١٩٦٥ وضع البرنامج على اساس الاستمرار. وهو يستخدم فائض الانتاج الزراعى ومايحصل عليه من مواد غذائية واموال وخدمات على سبيل الهبة من اجل تعزيز التنمية الاقتصادية والاجتماعية. فمثلا يمكن استخدام الغذاء بديلا عن جزء من الاجور النقدية التى تدفع للعاملين فى مشروعات التنمية . كما يستخدم الغذاء فى تخفيف وطأة النقص الطارىء الناجم عن الفيضانات وتوارث البراكين وغيرها من الكوارث .

وقد حدد البرنامج لعام ١٩٦٩ - ١٩٧٠ مبلغ ٢٠٠ مليون دولار هدفا تحققه التبرعات من الغذاء والمال والخدمات .

صندوق الامم المتحدة للطفولة :

انشأت الجمعية العامة فى عام ١٩٤٦ صندوق الامم المتحدة للطفولة (اليونيسيف) . والغرض منه هو مساعدة الدول النامية على تحسين احوال اطفالها وشابها. ويساعد اليونيسيف الدول فى تنفيذ مشروعاتها خاصة تلك التى هى جزء

من برامج التنمية القومية. وهو لايساعد البلاد الا بناء على طلب حكوماتها. ويقوم اليونيسيف حاليا بالمساعدة على تنفيذ برامج الاطفال فى اكثر من مائة وعشرين دولة فى افريقيا وآسيا واوروبا والامريكتين ومنطقة شرقى البحر الأبيض المتوسط .

وقد منح اليونيسيف عام ١٩٦٥ جائزة نوبل للسلام .

وكالة الأمم المتحدة للاغاثة والتشغيل :

انشئت عام ١٩٤٩ وكالة الامم المتحدة لاغاثة اللاجئين الفلسطينيين فى الشرق الأدنى وتشغيلهم وذلك لتوفير الغذاء والمأوى والخدمات الصحية والتعليمية للعرب المشردين من ذلك الجزء من فلسطين الذى ضمته اسرائيل. وتساعد الوكالة ١٫٣٦٠٫٠٠٠ من اللاجئين المسجلين واولادهم .

وقد ادى نشوب حرب يونيو (حزيران) ١٩٦٧ الى هرب ٥٧٫٠٠٠ شخص من ديارهم ومن معسكرات وكالة الاغاثة والتشغيل فى جنوب سوريا وغربى الاردن وفى غزة وسيناء . وقد حاولت الوكالة سد احتياجات هؤلاء الاشخاص المشردين حديثا وذلك عن طريق المساعدة التى مكنت منها المساهمات الخاصة .

مندوب الامم المتحدة السامي لشئون اللاجئين :

انشأ مكتب مندوب الامم المتحدة السامى لشئون اللاجئين فى عام ١٩٥١ لتوفير الحماية القانونية – عند الحاجة – والمساعدات المادية للاجئين الذين يعتبرون وفقا لقوانينهم اشخاص مقيمين خارج اوطانهم .

ومساعدات مندوب الامم المتحدة السامى لشئون اللاجئين منتشرة فى جميع انحاء العالم وتتراوح بين التقديم العاجل للغذاء والمأوى . وبين المعاونة فى أن يصبحوا معتمدين على انفسهم . وتحتاج برامجه الى ميزانية تتراوح بين ٥٫٥ر٦ مليون دولار سنويا يتم تمويلها عن طريق الاكتتاب .

تعزيز حقوق الانسان :

من أهم الاهداف التى تعمل الام المتحدة على تعزيزها وتشجيعها، احترام حقوق الانسان والحريات الاساسية للجميع دون أى تمييز بشأن العنصر او الجنس أو اللغة أو الدين. وأن اول تعريف دولى لحقوق الانسان هو «الاعلان العالمى لحقوق الانسان» الذى اعلنته الجمعية العامة يوم ١٠ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٤٨ ، وهو تاريخ يحتفل بذكراه كل عام بوصفه «يوم حقوق الانسان».

وقد ادرجت الحقوق الواردة فى الاعلان فى اتفاقين دوليين - هما الاتفاق بشأن الحقوق المدنية والسياسية، الاتفاق بشأن الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. وكانت الجمعية العامة قد تبنت الاتفاقين بالاجماع عام ١٩٦٦ . وستلتزم جميع الحكومات التى تصدق على الاتفاقين التزاما قضائيا بتطبيق حقوق الانسان الكاملة المدرجة فى الوثيقتين . وسيوضع الاتفاقان موضع التنفيذ بمجرد تصديق ٣٥ عضوا عليهما .

وقد احتفل كثير من الدول بعام ١٩٦٨ الذى يوافق الذكرى العشرين لاصدار الاعلان العالمى لحقوق الانسان باعتباره العام الدولى لحقوق الانسان وبلغ الاحتفال به ذروته بعقد مؤتمر دولى لحقوق الانسان فى طهران فى ابريل (نيسان) ومايو (آيار) ١٩٦٨ . وقد استعرض المؤتمر التقدم الذى تحقق على المستويات الدولية والقومية والاقليمية منذ اصدار الاعلان العالمى ، كما اعد برنامجا للمزيد من الاجراءات . وقد اصدر المؤتمر مراعلان طهران الذى يدعو الى مضاعفة الجهود لتهيئة حياة تتفق مع الحرية والكرامة وتودى الى الرخاء لكافة الناس . كما اصدر المؤتمر ٢٩ قرارا خاصة بجوانب معينة من مسائل حقوق الانسان .

القضاء على التفرقة العنصرية :

اعلنت الجمعية العامة مرارا عن عزمها على «القضاء قضاء تاما وغير مشروط على العنصرية والتمييز العنصرى» . وفى عام ١٩٦٩ اصبح الاتفاق الدولى حول القضاء على كافة اشكال التفرقة العنصرية سارى المفعول. ويمثل الاتفاق الدولى

حول القضاء على كافة اشكال التفرقة العنصرية سارى المفعول . ويمثل الاتفاق خطوة جديدة هامة تخطوها الدول الاعضاء فى سبيل الوفاء بالتزاماتها التى يقضى بها الميثاق من اجل استئصال التمييز العنصرى بكافة اشكاله ، ووقف ومناهضة النظريات والتطبيقات العنصرية .

وقد قررت الجمعية العامة أن يكون عام ١٩٧١ العام الدولى للعمل على مناهضة العنصرية والتمييز العنصرى .

وقد قررت الجمعية العامة أن يكون عام ١٩٧١ العام الدولى للعمل على مناهضة العنصرية والتمييز العنصرى .

الاقاليم المشمولة بالو صاية والاقاليم غير المتمتعة بالحكم الذاتي:

كان عدد الاقاليم التى شملها فى الاصل نظام الامم المتحدة للوصاية احد عشر اقليما اربعة فى غرب افريقيا ، وثلاثة فى شرق افريقيا ، واربعة فى منطقة المحيط الهادى .

وكانت عصبة الامم قد عهدت عقب الحرب العالمية الاولى الى دول كبيرة مختلفة بادارة معظم هذه الاقاليم . وفى نهاية الحرب العالمية الثانية وافقت كل الدول المنتدبة للوصاية. فيماعدا جنوب افريقيا على وضع الاقاليم الباقية لها تحت نظام الامم المتحدة للوصاية حديث الانشاء .

ومن الاهداف الاساسية لهذا النظام النهوض بالتقدم السياسى والاقتصادى والاجتماعى والتعليمى لسكان الاقاليم المشمولة بالوصاية ، وتطورها المطرد نحو الاستقلال .

وقد حققت تسعه اقاليم من بين الاحد عشر اقليما (الاستثناءان هما غينيا الجديدة وجزر المحيط الهادى) اهداف نظام الوصاية واصبحت اما دولا مستقلة او اجزاء من دول مستقلة .

تصفية الاستعمار:

حصل نحو خمسين من الاقاليم غير المتمتعة بالحكم الذاتى على استقلالها التام منذ تأسيس الامم المتحدة قبل خمسة وعشرين عاما.

ومع ذلك فهناك نحو ٤٥ اقليما لم تحصل بعد على استقلالها وتدير هذه الاقاليم استراليا وفرنسا ونيوزيلندا والبرتغال واسبانيا والمملكة المتحدة والولايات المتحدة.

وفى ١٤ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٦٠ اصدرت الجمعية العامة الاعلان الخاص بمنح الاستقلال للاقطار والشعوب المستمرة ، اعلنت فيه ضرورة تحقيق تصفية سريعة وغير مشروطة للاستعمار بكافة اشكاله ومظاهرة ، واعلنت الجمعية ان اخضاع الشعوب للسيطرة الاجنبية هو انكار للحقوق الاساسية للانسان ، وانه سيجرى فورا فى الاقاليم المشمولة بالوصاية وغير المتمتعه بالحكم الذاتى او كل الاقاليم الاخرى التى لم تحصل بعد على الاستقلال ، اتخاذ خطوات تقل جميع السلطات الى شعوب تلك الاقاليم دون أية شروط أو تحفظات وذلك وفقا لارادتها ورغبتها اللتين تعبر عنهما فى حرية ، دون أى تمييز بسبب العنصر أو العقيدة او اللون . حتى تتمكن من التمتع بكامل الاستقلال والحرية .

وفى العام التالى ، شكلت الجمعية العامة لجنة خاصة تألفت فى الاصل من سبعة عشر عضوا أصبحوا عام ١٩٦٣ اربعة وعشرين ، لاستعراض الموقف الخاص بتنفيذ الاعلان . وتتلقى اللجنة الالتماسات وتستمع اليها. وقد اجتمعت عدة مرات فى افريقيا . ورفعت الى الجمعية دراسات خاصة عن نشاطات المصالح الاقتصادية الاجنبية التى تعرقل الاستقلال. وبناء على عمل اللجنة الخاصة ، تبنت الجمعية توصيات موجهة الى الدول الاعضاء المعنية التى تدبر الاقاليم ، تهدف الى تنفيذ ماجاء الاعلان .

وفى عام ١٩٦٩ اعادت الجمعية العامة تأكيدا اعترافها بشرعية نضال الشعوب المستعمرة من اجل ممارسة حقها فى تقرير مصيرها والاستقلال، وايدت رضاءها عن التقدم الذى سجلته حركات التحرر الوطنى فى الاقاليم المستعمرة ، سواء عن

طريق نضالها او برامج اعادة البناء . وحثت كافة الدول على تقديم العون المعنوى والمادى لهذه الحركات

الاقاليم الخاضعة للادارة البرتغالية :

مافتئت البرتغال منذ اصبحت عضوا فى الامم المتحدة عام ١٩٥٥ ترفض باستمرار ان تقدم للامم المتحدة معلومات عن الاقاليم الخاضعة لادارتها، ومن بينها الاقاليم الافريقية انجولا وموزامبيق وغينيا (بيساو) . وتصر البرتغال على ان هذه الاقاليم هى اقاليم البرتغالية فيما وراء البحار. وفى عام ١٩٦٩ عبرت الجمعية العامة عن قلقها البالغ بصدد الرفض المستمر من جانب حكومة البرتغال للاعتراف بحق الشعوب الافريقية الخاضعة لسيطرتها فى الاستقلال. ودعت حكومة البرتغال الى اتخاذ اجراءات فورية فى سبيل منح الاستقلال للاقاليم الخاضعة لسيطرتها

ناميبيا :

ان ناميبيا - التى كانت تعرف فى الماضى باسم جنوب غرب افريقيا - هى الاقليم الوحيد الذى كان موضوعا تحت نظام الانتداب فى ظل عصبة الامم ولم يوضع تحت نظام الامم المتحدة للوصاية . وفى عام ١٩٦٦ انهت الجمعية العامة الانتداب الذى يمارسه جنوب افريقيا لانه كان دائما وبصورة تعنتية ينتج سيادته التمييز العنصرى فى الاقليم مما يشكل خرقا واضحا لروح الانتداب الذى اسنده اليه عصبة الأمم وقررت الجمعية تشكيل مجلس تابع للامم المتحدة يتولى ادارة الاقليم . ومع ذلك فقد رفض جنوب افريقيا قرار الجمعية .

وفى عام ١٩٦٩ دعا مجلس الامن حكومة جنوب افريقيا الى سحب ارادتها من ناميبيا فورا ، غير ان حكومة جنوب افريقيا تجاهلت هذه الدعوة . وفى وقت لاحق من نفس العام ادانت الجمعية العامة حكومة جنوب افريقيا لرفضها المستمر لسحب ادارتها من الاقليم وخاصة لتحديها لقرار مجلس الامن . كما اعادت

الجمعية تأكيد حث شعب ناميبيا فى تقرير مصيره والاستقلال ، وشرعية نضاله ضد الاحتلال الاجنبى لبلاده .

روديسيا الجنوبية :

اقرت الجمعية العامة سنة ١٩٦٢ ان روديسيا الجنوبية — التى يسميها الافريقيون زيمبابوى — اقليم غير متمتع بالحكم الذاتى تحت ادارة المملكة المتحده، الامر الذى ينطوى على رفض الادعاء البريطانى بأن الاقليم يتمتع بالحكم الذاتى وانه ليس للمملكة المتحدة سلطة التدخل فى شئونه الداخلية. وقد ظلت الجمعية حتى عام ١٩٦٥ تطلب باستمرار من المملكة المتحدة تعطيل دستور روديسيا الجنوبية ، اذ انه ، حسب رأى غالبية الدول الأعضاء يمكن من سيطرة ٢٢٨٫٠٠٠ من المستوطنين الأوروبيين على اكثر من خمسة ملايين من الافريقيين.

وفى عام ١٩٦٥ اعلنت حكومة الاقلية الاستقلال من طرف واحد. وقد ادان مجلس الامن هذا التصرف ودعا كافة الدول الى عدم الاعتراف بالنظام غير الشرعى للاقلية العنصرية وقرر فرض عقوبات الزامية ضد النظام . وفى عام ١٩٦٩ ، دعت الجمعية العامة باغلبية ساحقة حكومة المملكة المتحدة الى اتخاذ اجراءات فعالة — بما فى ذلك استخدام القوة — كفيلة بان تنهى فورا النظام غير الشرعى، وان تنقل كافة السلطات الى شعب زيمبابوى على اساس حكم الاغلبية . ومع ذلك فمازالت المملكة المتحدة تؤكد ان استخدام القوة ليس بديلا عمليا للعقوبات ، وترفض اللجوء الى مثل هذه السياسة .

تحقيق حكم القانون في العالم :

قامت الامم المتحدة فى نطاق نشاطها بأعمال هامة فى سبيل تعزيز القانون الدولى، فقد عقدت اتفاقات ومعاهدات مختلفة تهدف الى تنظيم السلوك الدولى.

ومن بينها الاتفاق الذى يحرم ابادة الجنس، اى الافناء العمدى لشعب من الشعوب– وقد صاغت الجمعية العامة هذا الاتفاق الذى يعتبر ابادة الجنس جريمة بمقتضى احكام القانون الدولى، ويذهب الى ان جميع الذين يثبت افتراقهم لهذه الجريمه يجب أن يوقع عليهم العقاب سواء كانوا من حكام الدول أو من الموظفين الحكوميين او من الافراد العاديين .

وبالاضافة الى ذلك وجهت الامم المتحدة اهتماما كبيرا الى صياغة مواد القانون الدولى ويقوم بالعمل فى هذا الميدان لجنة القانون الدولى التى شكلتها الجمعية العامة عام ١٩٤٧ . ويبلغ عدد اعضاء هذه اللجنة ٢٥ عضوا كلهم من الفقهاء القانونيين المنتخبين على ضوء كفاءتهم الشخصية . وهى تسعى ايضا الى تعزيز التطوير المطرد للقانون الدولى . وقد اتخذ جانب من عملها شكل مسودات اتفاقات الجمعية العامة بعرضها فيما بعد على المؤتمرات الدبلوماسية .

وفيما يلى امثلة لاتفاقات دولية صدق عليها فى مثل هذه المؤتمرات :

١٩٥٨ – اربعة اتفاقات حول قانون البحار خاصة بالنظام العام لاعالى البحار، المياه الاقليمية والمناطق المناخية لها : حقوق صيد الأسماك وتدابير حفظ الكائنات الحية باعالى البحار ، اكتشاف واستغلال مصادر الثروة بالمحيط الهادى .

١٩٦١ – ١٩٦٣ اتفاق فيينا بشأن العلاقات الدبلوماسية ، واتفاق فيينا بشأن العلاقات القنصلية .

١٩٦٩ – اتفاق فيينا بشأن قانون المعاهدات .

١٩٦٩ – اتفاق البعثات الخاصة .

كما نظرت الجميعة إلعمومية فى موضوعين عريضين متصلين اتصالا مباشرا بتعزيز السلام . ففى عام ١٩٥٢ قررت تشكيل لجنة خاصة تتصدى لمسألة تعريف العدوان . وقد اكدت الجمعية فى العديد من قراراتها اهمية هذا الموضوع وضرورة الاسراع بصدده .

وفى عام ١٩٦٢ قررت الجمعية العامة اعداد دراسة لمبادئ القانون الدولى

المتعلقة بالعلاقات الودية والتعاون بين الدول وفق الميثاق فى سبيل تطويرها وتصنيفها باطراد ، وذلك لضمان تطبيقها على نحو اكثر فعالية . وفى العام التالى شكلت لجنة خاصة تقوم بصياغة هذه المبادئ . وفى عام ١٩٦٩ طلبت الجمعية العامة من اللجنة الخاصة انجاز عملها سنة ١٩٧٠ ، وعبرت فى نفس الوقت عن رأيها بأن التطوير والتصنيف المطردين لمبادئ القانون الدولى المتعلقة بالعلاقات الودية والتعاون بين الدول سيساعدان عى تحقيق اغراض الامم المتحدة .

الوكالات الدولية المرتبطة بالأمم المتحدة :

فيما يلى بيان بالوكالات الدولية التى تعمل بالتعاون الوثيق فيما بينها وكذا مع الأمم المتحدة .

الوكالة الدولية للطاقة الذرية :

اسست هذه الوكالة تحت رعياة الامم المتحدة عام ١٩٥٧ . والاهداف التى تسعى الى تحقيقها هى السير قدما والتوسع بصدد مساهمة الطاقة الذرية فى خدمة السلام والصحة والرخاء كما انها تتخذ من الضمانات - كلما كان ذلك ضروريا - مايكفل عدم تحويل المواد النووية المخصصة للاغراض السلمية الي الاغراض العسكرية . وتقوم الوكالة بتقديم المعونة الفنية الى البلاد النامية ، وتعمل على توسيع نطاق تبادل المعلومات الفنية . ومقرها الرئيسى فى ڤيينا بالنمسا .

منظمة العمل الدولية :

منظمة العمل الدولية من اقدم الوكالات المتخصصة. وفى نطاقها يجتمع ممثلون عن الحكومات والعمال والادارة لمناقشة تحسين ظروف العمل عن طريق عقد اتفاقات دولية ، وزيادة الكفاية الانتاجية والعمل من اجل الاستقرار الاقتصادى والاجتماعى ومقرها الرئيسى فى چنيف بسويسرا .

منظمة الاغذية والزراعة :

تقدم منمة الامم المتحدة للاغذية والزراعة معونتها لامم العالم لزيادة انتاج المزارع والغابات ومصايد الاسماك ورفع مستويات التغذية . وفى عام ١٩٦٠ بدأت منظمة الاغذية والزراعة حملة للتحرر من الجوع . وفى ١٩٦٣ قامت المنظمة بالاشتراك مع الامم المتحدة بانشاء برنامج الغذاء العالمى ، لتوزيع المواد الغذائية التى توجه فى الغالب لدفع اجور العمال المشتغلين فى مشروعات التنمية ومقرها الرئيسى فى روما بإيطاليا .

اليونسكو :

تعمل منظمة الامم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة على تعزيز السلام عن طريق التعاون الدولى فى التعليم للجميع . وتتناول مشروعات اليونسكو مجالات محو الامية الى تدريب المدرسين والعلماء والفنيين والمهندسين ، ودعم المعرفة المتبادلة بالثقافات المختلفة ، وتوفير المعونة الفنية لتطوير وسائل الاتصال الجماهيرية ومقرها الرئيسى فى باريس بفرنسا .

منظمة الصحة العالمية :

ان منظمة الصحة العالمية هى الوكالة العالمية للتعاون الدولى من اجل تحسين الصحة البدنية والعقلية للناس جميعا. وهى تساعد الامم فى تنظيم الحملات للقضاء على الأمراض التى تصيب جموعا كبيرة من الناس، مثل الملاريا والسل . كما تنسق الجهود التى تبذل لمنع انتشار الأوبئة . وتتولى تدريب العاملين فى الميدان الصحى فى كافة المستويات، وتنهض بالبحوث الطبية الدولية ومقرها الرئيسى فى جنيف بسويسرا .

المنظمة الدولية للطيران المدني :

تعمل هذه المنظمة على جعل الطيران من بلد الى اخر اسلم وايسر ، وهى تقرر المعايير الدولية التى تضمن الامان ودرجة مناسبة من تشابه الخدمات بغض النظر عن مكان تشغيل الطائرة . وهى تساعد على تبسيط اجراءات الجمارك والهجرة والاجراءات الصحية فى المطارات الدولية . ومقرها الرئيسى فى مونتريال بكندا .

الاتحاد العالمي للبريد :

يبلغ عدد الرسائل المتبادلة كل عام ٣٠٠٠ مليون رسالة على الاقل نظرا الى أن كل دول العالم تقريبا تعمل معا وكأنها اقليم بريدى واحد لتبادل الرسائل ويقوم الاتحاد للبريد بوضع اللوائح التى تجعل هذا فى الامكان . ومقره الرئيسى : برن .

الاتحاد الدولي للمواصلات السلكية واللاسلكية :

تأسس الاتحاد الدولى للمواصلات السلكية واللاسلكية عام ١٨٦٥ . وهو يعمل على تحسين وتوسيع نطاق كافة اشكال المواصلات السلكية واللاسلكية على النطاق الدولى ، مثل المكالمات التليفونية والبرقيات واذاعة الراديو والتليفزيون والاتصال عبر الفضاء . كما انه يعين الموجات لمحطات الراديو والتليفزيون فى جميع انحاء العالم ويسجل الذبذبات ومقره الرئيسى فى جينيف بسويسرا .

المنظمة العالمية للارصاد الجوية :

تعمل هذه المنظمة على تنمية خدمات التنبؤ بالاحوال الجوية عن طريق التعاون الدولى ، وبتيح فرصة التبادل السريع للمعلومات الخاصة بالجو . ويجرى العمل على تشغيل نظام عالمى جديد للارصاد الجوية يطلق عليه اسم «المراقبة العالمية للجو» وتنفيذه على مراحل خلال الفترة من ١٩٦٨ الى ١٩٧١ ومقرها الرئيسى فى جينيف بسويسرا .

المنظمة البحرية الاستشارية الدولية :

تعمل هذه المنظمة على زيادة الامان فى البحر . كما تساعد على زيادة التسهيلات للملاحة من اجل التوسع التجارى دون تمييز ، وتسعى الى وضع حد للتصرفات التقديبرية الجائرة التى تبدر من بعض شركات الملاحة . ومقرها الرئيسى بالمملكة المتحدة .

منظمة الجات للتجارة والتعريفات الجمركية :

وتعمل هذه المنظمة علـى العناية بتنظيم الأعمال التجارية وما يصاحبها من تعريفات جمركية من خلال الاتفاقات التجارية الدولية ، ومقرها فى جنيف بسويسرا (١) .

---

(١) من منشورات مكتب الاستعلامات التابع للأمم المتحدة بالقاهرة ، يوليو ١٩٧٠ .

البحث العاشر

الحرب الباردة وأثرها فى العلاقات الدولية حتى ظهور سياسة الوفاق

البحث العاشر

الحرب الباردة وأثرها فى العلاقات الدولية

حتى ظهور سياسة الوفاق الأولى

شهد العالم ظاهرة حديثة فى العلاقات الدولية المعاصرة فى اعقاب الحرب العالمية الثانية عرفت باسم «الحرب الباردة» اذ اتضح منذ عام ١٩٤٧ أنه لا أمل فى عقد تسوية عالمية ترتكز على اتفاق يتم بين كتلة الغرب التى تسمى نفسها بالكتلة الغربية الديموقراطية وبين الكتلة الشيوعية الشرقية. واصبح فى الوقت نفسه ألا أمل فى الوصول الى اتفاق على توحيد ألمانيا كفراغ سياسى تسارع كل كتلة الى ملئه ، واندفعت كل منهما الى داخل المانيا -حتى واجه كل منهما الاخر .

فمن الشرق سيطرت روسيا السوفييتية، على الثلث الشرقى من المانيا والقطاع الكبير الذى احتلته من النمسا بحق الفتح ، بل وتجاوزت ذلك الى السيطرة على الدول الشرقية الواقعة على حدودها الغربية ، وهى الدول التى حررتها من الاحتلال النازى ، وهى بولنده وتشكوسلوفاكيا والمجر ورومانيا وبلغاريا ويوغوسلافيا وألبانيا. ونتيجة للنفوذ والتأثير الروسى تأسست فى تلك الدول حكومات تسير على النظام الشيوعى ، وتكون منها جميعا – فيما عدا يوغوسلافيا – كتلة شيوعية تسير على النظام الشيوعى ، وتكون منها جميعا – فيما عدا يوغوسلافيا – كتلة شيوعية تسير فى فلك الاتحاد السوفييتى . (١)

وعلى الجانب الاخر تقف الدول الثلاث المتحالفة – الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا – تحتل قواتها القطاعات الاخرى من المانيا . وقد وحدت هذه الدول سياستها وعزمت على العمل على انهاء احتلال المانيا فى اقرب فرصة ممكنة. على أن الولايات المتحدة كانت لها الكلمة العليا والنفوذ الغالب فى ذلك

---

(١) عبد الحميد البطريق : التيارات السياسية المعاصرة ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٧٤ ، ص ٤٤٩.

لتحالف وكان الامريكيون وحلفاؤهم يظنون فى مبدأ الأمر أن حلفاءهم الروس يعملون معهم زمن السلم كما عملوا أيام الحرب، ولكن السوفييت كانوا يعلمون مدى العداء الذى يكنه لهم الغرب فبدأت القطيعة ، وعمدت روسيا ، والدول المتحالفة معها الى وضع حاجز يحجب أوربا الشرقية عن الغرب كله . ذلك الحاجز الوهمى الذى اطلق عليه الغربيون فيما بعد اسم الستار الحديدى .

وظهر بأجلى بيان أن العالم أصبح تتزعمه قوتان: أمريكا والاتحاد السوفييتى ، ولم تعد اوربا الغربية كما كانت سابقا مركز القوة الدولية . وكان بعض المفكرين فى القرن التاسع عشر قد تنبأوا بأن ذلك سوف يحدث عندما تتاح الفرصة لروسيا . ففى عام ١٨٣٠وعام ١٨٤٠ فقد توقع الفيلسوف السياسى الفرنسى «الكسيس توكفيل A.Tokphil » والمفكر الروسى «الكسندر هرزن A. Hurgon» انتقال مركز القوة الى روسيا والولايات المتحدة فى ميعاد مبكر عما حدث فعلا ، لانهما لم يضعا فى الحساب ماكان مقدرا من ظهور الثورة الصناعية فى اوربا وماترتب عليها من تقدم ورقى فى الغرب ، وعلى الاخص فى انجلترا، التى رفعتها الثورة الصناعية فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر الى مرتبة الزعامة الاقتصادية فى العالم كله، ومكنتها من التوسع الامبريالى الذى لم يسبق له مثيل فى تاريخ العالم ولكن الحربيين العالميتين وماقاسته بريطانيا من نتائجها وضعتا حدا لهذا التفوق وعندئذ ظهرت الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى فى موضع الصدارة، فى توجيه السياسة العالمية كما تنبأ بذلك توكفيل وهرزن منذ اكثر من مائة عام.

اما الاتحاد السوفييتى، فقد قفز الى مركزه العالمى نتيجة الثورة الصناعية التى عنى بها الزعماء السوفييت بعد نجاح الثورة الشيوعية . وساعدهم على ذلك ثلاث خصائص هى اساس القوة في القرن العشرين ، المساحة الضخمة المتصلة ، وحجم السكان الكبير ، والموارد الطبيعية الهائلة. ومع أن الاتحاد السوفييتى مجتمع متعدد العناصر ، متعدد القوميات الا أن حكومته استطاعت تنمية القوميات والحضارات المحلية وصيانتها بدلا من كبتها، ومنحتها نوعا من الاستقلال الذاتى والحكم المحلى، رغم أن الروس انفسهم يسيطرون عدديا وحضاريا على الاجناس الأخرى

التى يضمها الاتحاد السوفييتى .

اما الولايات المتحدة فقد خرجت من الحرب العالمية الثانية وهى اغنى وأقوى دولة على وجه الأرض ، بينما تأثرت الدول الأوربية بتلك الحرب الى حد كبير ، فتصدعت اقتصادياتها ، وضعفت قوتها، فى الوقت الذى تضاعفت ثروة الولايات المتحدة بتضاعف انتاجها الصناعى، وزاد النقد المتداول فيها ثلاثة اضعاف. أما فى السياسة الخارجية فقد تزعمت العالم الغربى وأخذت على عاتقها مهمة الحد من الخطر الشيوعى ، ومكافحة التغلغل الروسى ، وحماية جميع الدول التى تعادى الشيوعية . وبموجب برنامج النقطة الرابعة تعهدت الولايات المتحدة بمساعدة من سمتهم بالشعوب الحرة فى العالم .

وقد اعلن الرئيس ترومان برنامج النقطة الرابعة فى الخطاب الذى القاه فى ٢٠ يناير سنه ١٩٤٩ فى مجلس الشيوخ ، حيث اعلن يومئذ اربعة اساليب عامة للعمل ، تسير عليها حكومة الولايات المتحدة وذلك تأييدا لسلام العالم على حد قوله . الأول التأييد المطلق للامم المتحدة . والثانى : كسب الشعوب بالعمل على الاصلاح الاقتصادى العالمى . والثالث : تقوية الشعوب التى تعادى الكتلة الشيوعية ضد مخاطر العدوان . والرابع : هو المشروع الذى اطلق عليه اسم النقطة الرابعة وجاء فى هذه النقطة مايلى :

«ينبغى أن نباشر القيام ببرنامج جديد يهدف الى الاستفادة من ثمرات تقدمنا العلمى وتطورنا الصناعى فى تحسين ونمو الاقطار المتخلفة . ان اكثر من نصف سكان العالم يعيشون فى ظروف تعيسة ، وان فقرهم يشكل عائقا وتهديدا لهم وللاقطار المتقدمة . ان الولايات المتحدة هى الدولة المتفوقة بين الدول فى التطور الفنى والصناعى والعلمى . وان الموارد المادية التى يمكن ان نقدمها لمساعدة الشعوب الاخرى محدودة . بينما نجد مواردنا التى لاحصر لها فى مجال المعرفة الفنية فى نمو مستمر لاينضب .

وأنا اعتقد أنه ينبغى علينا ان نمد الشعوب المحبة للحرية بفائدة ماتملك من المعرفة الفنية . وذلك بغية مساعدتها على ادراك طموحها نحو حياة افضل.

وبالتعاون مع الاقطار الاخرى يجب تنمية تطور رأس المال فى الاقطار التى يجب تطورها .

ان هدفنا هو مساعدة الشعوب الحرة فى العالم ، عن طريق جهودها الخاصة، ان تنتج غذاء وافر وملابس اكثر ومـواد اولية لبناء المساكن، وطاقة ميكانيكية تكفى للتخفيف من اعبائها .

والديموقراطية وحدها هى التى تمد القوة الحيوية التى تحرك شعوب العالم نحو العمل الظافر ، ليس فقط ضد العالمين بل كذلك ضد اعدائها القدامى «الجوع والشقاء واليأس» .

على أن كل هذه الاجراءات التى اتخذتها الولايات المتحدة انما كانت تهدف الى الانتصار فى الحرب الباردة بين الكتلتين .

ويمكننا أن نميز فترتين من فترات تلك الحرب الباردة : أولها مابين عام ١٩٤٥ و ١٩٤٧ وهى الفترة التى نستطيع تسميتها بالفترة الانتقالية التى تحطم أثناءها الحلف الكبير بين روسيا والدول الغربية .

والفترة الثانية من عام ١٩٤٧ الى ١٩٤٩ وهى الفترة التى وصلت فيها الحرب الباردة الى ذروتها .

وقد تميزت الفترة الاولى بأربعة مظاهر : اولها أن الاتحاد السوفييتى وسع حدوده غربا حتى ضمت بلادا يسكنها ٢١ مليون نسمة لم يكونوا تابعين للاتحاد السوفييتى قبل عام ١٩٣٩ . والمظهر الثانى: هو عزم الاتحاد السوفييتى على تأمين حدوده الغربية بالسيطرة الكاملة على دول شرق اوربا التى تقع على تلك الحدود والتى يبلغ عدد سكانها مائة مليون نسمة. وذلك بالعمل على ايجاد حكومات موالية تطبق النظام الشيوعى . وقد تم ذلك فى نهاية عام ١٩٤٥ حيث اقيم النظام الموالى لروسيا فى رومانيا. وبلغاريا ، ويوغوسلافيا والبانيا. وفى عام ١٩٤٧ امتداد الى المجر وبولنده. وبقيت تشكوسلوفاكيا محتفظة بنظامها الديموقراطى فترة من الزمن الى أن حدث الانقلاب الشيوعى فيها فى فبراير سنة ١٩٤٨ .

والمظهر الثالث لسياسة الاتحاد السوفييتي هو العمل على الحصول على اكبر قدر من التعويضات من المانيا لاصلاح الدمار الذى نتج عن عدوان هتلر على الأراضى الروسية .

واخيرا كان المظهر الرابع للسياسة الروسية هو العودة الى تدعيم الشيوعية لمجابهة العالم الرأسمالى وذلك بالعمل على تنفيذ خطة الخمس سنوات التى تهتم اكبر اهتمام بتدعيم الصناعات الثقيلة وتسليح روسيا بالاسلحة الذرية. مما يستدعى بطبيعة الحال شد الاحزمة على البطون وتكريس الجهود العقلية والفكرية للاختراع والابتكار فى هذا السبيل .

أما السياسة الامريكية فى فترة الانتقال هذه ، فقد ارتكزت على عنصرين اساسيين : الأول الرغبة فى العودة الى الحالة الطبيعية بأسرع مايمكن . والثانى محاولة ايجاد اداة دولية دائمة تأخذ على عاتقها حفظ السلام العالمى وقد تحقق ذلك الأمل بانشاء هيئة الامم المتحدة .

اما الرغبة الاولى فى العودة الى الحالة الطبيعية فقد ظهر أولا فى المحيط العسكرى الامريكى ، ففى موتمر « يالتا » وغيره كان روزفلت يصرح بأن الحكومة الامريكية لاتستطيع أن تحتفظ بقواتها فى أوربا اكثر من سنتين بعد الحرب ومع ذلك فان الحوادث التى تلت الحرب اثبتت انه كان مخطئا فى التوقيت المبكر ولو أن الوجود العسكرى الأمريكى بدأ يتناقص بتسريح اعداد كبيرة من المجندين ففى يونيه سنه ١٩٤٥ كان عدد افراد الجيش الامريكى اكثر من ١٢ مليون ، وفى العام التالى اصبح ٣ مليون ، ثم اصبح ١٫٦٠٠٫٠٠٠ فى يونيه من عام ١٩٤٧ .

اما من الناحية الاقتصادية فقد كانت الولايات المتحدة راغبة فى العودة الى الحالة الطبيعية ، وكانت تعتقد انها بتقديم معونة الطوارئ الى اوربا فى فترة الانتقال يعود العالم الى الحالة الطبيعية من حيث التجارة الخارجية والعلاقات المالية .

وطريقة ثالثة للعودة الى الحياة الطبيعية أن تعمل الولايات المتحدة على انجاز معاهدات الصلح بأسرع وقت ممكن . ولذلك فقد وقعت خلال عام ١٩٤٧ أربع معاهدات: مع كل من ايطاليا ، ورومانيا ، وبلغاريا ، والمجر. وهى الدول الصغرى

التى تحالفت مع المانيا اثناء الحرب . وكانت الولايات المتحدة تتوقع أن يعقب تلك المعاهدات ، معاهدة الصلح مع المانيا ذاتها، ولكن الحرب الباردة بين روسيا والحلفاء الغربيين وقفت حائلا دون ذلك ، ومازال حتى اليوم تحول دون تحقيق هذه الرغبة.

وقد تحققت للولايات المتحدة رغبتها الاولى فى ايجاد اداة لحفظ السلام بتأسيس هيئة الامم المتحدة . ومع ذلك فان الآمال التى كانت معلقة على تلك المنظمة العالمية ذهبت ادراج الرياح، ولم تقرب بين الكتلتين المتنافستين بقدر ماباعدت بينهما . حتى اصبح الاتحاد السوفييتى يستعمل حق الفيتو فى مجلس الأمن مابين حين واخر مما وسع رقعة الخلاف الدولى . وفى الوقت نفسه اخذت الولايات المتحدة تسيطر بنفوذها على الدول الكبرى والصغرى فى الجمعية العمومية و مجلس الأمن – وهى الدول التى ترتبط بها وتسير فى فلكها .

وظهرت خلافات أدت الى التوتر فى العلاقات الدولية . وتمثلت تلك الخلافات فى عدة مناطق . ففى ايران اشتد التوتر عندما تلكأت روسيا عدة شهور فى اجلاء الحاميات الروسية التى كانت موجودة بها اثناء الحرب. ومحاولتها اقامة حكومة موالية لها هناك. كذلك اشتد التوتر على حدود تركيا عندما طالبت روسيا صراحة بتعديل تلك الحدود والسيطرة على المضايق. وفى شمال اليونان حدث توتر آخر بسبب الصراع الدامى بين الحكومة الملكية – تؤيدها بريطانيا – ضد حرب العصابات الشيوعية التى اتخذت لها قواعد فى بلغاريا ويوغوسلافيا والبانيا. ثم التوتر الذى حدث فى تريستا بين يوغوسلافيا الشيوعية وايطاليا . وأهم من ذلك كله. شدة التوتر الذى كان سائدا على طول خط الحدود فى المانيا بين الروس والحلفاء الغربيين .

ولعل اعجب مافى الامر ان الحلفاء لم يضعوا سياسة واضحة لالمانيا عندما انتهت الحرب. وكل مافعلوه أن اتفقوا على تقسيمها الى مناطق احتلال عسكرية دون أن يتفقوا على الخطوات التالية . ففى مؤتمر بوتسدام الذى عقد فى يوليه سنه ١٩٤٥ كان الاتفاق قد تم على ضرورة احتفاظ المانيا بوحدتها تحت اشراف

امريكا وبريطانيا وروسيا على شرط نزع سلاحها وحرمانها من صناعاتها الثقيلة حتى لاتعود الى تهديد السلام . ولكن اتفاق بوتسدام كان مرهونا باستمرار التحالف الكبير الذى كان قائما بين روسيا والحلفاء . أى أن وحدة الحلفاء ووحدة المانيا تحت السيطرة المشتركة مرتبطتان أشد الارتباط ، وبمجرد فصم الوحدة الاولى تصبح الوحدة الثانية املا بعيد المنال.

وقد بدأ الخلاف يدب بين الحلفاء والاتحاد السوفييتى فى ربيع عام ١٩٤٦ عندما اخذت الحكومة السوفييتية تتصرف فى المنطقة التى تحكمها بكل حرية دون الرجوع الى اللجنة المشتركة والتى كان مناطا بها أنها هى التى تكونت لتنسيق العمل ، مما أضر ابلغ الضرر بوحدة المانيا الاقتصادية . وتغيرت نظرة الفريقين الى الهدف من الاحتلال . وتطلع كل فريق الى كسب ود الالمان . حتى ان بيرنز Bearinz وزير خارجة الولايات المتحدة صرح فى سبتمبر سنة ١٩٤٦ بأن الأمريكيين لن ينسحبوا من المانيا ، وان بلاده سوف تساعد الشعب الالمانى على أن يعود ليأخذ مكانه بين شعوب العالم الحرة والمحبة للسلام وقد تغير اتجاه الدول الغربية فى شتاء ١٩٤٦–١٩٤٧ لسببين : اولهما سوء حالة الشعب الالمانى وبؤسه بعد الهزيمة التى حاقت به، وثانيهما مااتضح من أن بعث الحياة فى الاقتصاد الالمانى ضرورى لأوربا الغربية ، وأنه مالم يتخلى الحلفاء عن سياسة خنق المانيا اقتصاديا ، فان الشيوعية سوف تجد لنفسها طريقا ميسرا نحو غزو اوربا الغربية كما فعلت باوربا الشرقية .

وهكذا بالتدريج تغلب الخوف من الشيوعية والاتحاد السوفييتى على الخوف من المانيا . وبينما كان النظام الشيوعى يسير بسرعة فى القطاع الشرقى من المانيا اخذ الحلفاء الغربيون يحاولون اقامة نظام ديموقراطى لحكومة المانيا الغربية .

وماوافى عام ١٩٤٧ حتى أصبح تقسيم المانيا الى قسمين مختلفين سياسيا واقتصاديا حقيقة واقعة ، أحدهما يرتبط ارتباطا وثيقا بالاتحاد السوفييتى ، والثانى فى الغرب يرتبط بالولايات المتحدة .

وقد تميز عام ١٩٤٧ بحادثين كانا نذيرا بانتهاء فترة الانتقال وبداية لتزايد

مظاهر الحرب الباردة ، وهما اعلان مذهب ترومان Truman Doctrine ومشروع مارشال Marshal Project .

وقد بدا مذهب ترومان عندما زاد احتمال انتشار الشيوعية فى اليونان، وكانت انجلترا قد اخذت على عاتقها أن تمد الحكومة اليونانية بالمال والسلاح لمكافحة الحرب الاهلية مع الشيوعيين ، ولكن فى مارس سنه ١٩٤٧ قررت الحكومة البريطانية أنه لم يعد فى استطاعتها الاستمرار فى هذا السبيل بسبب سوء حالتها الاقتصادية. وقد ابلغت هذا القرار الى الولايات المتحدة فارتاعت له ، وتجسد امامها الخطر الكبير الذى قد ينجم عن قطع المعونة البريطانية عن الحكومة اليونانية اذ قد يترتب على ذلك نجاح الشيوعيين فى قلب نظام الحكم فى اليونان، ومن ثم تتسرب العدوى الى حوض البحر المتوسط . عندئذ طلب الرئيس ترومان من مجلس الكونجرس الموافقة على مد اليونان وتركيا بأربعمائة مليون دولار، ثم صرح قائلا «اعتقد ان سياسة الولايات المتحدة يجب ان تتجه الى مساعدة الشعوب الحرة التى تكافح الخضوع للاقليات المزودة بالسلاح او الضغوط الخارجية ».

ولم يقابل مذهب ترومان بالترحيب فى اول الأمر فى الولايات المتحدة ولكن اضطر الشعب الامريكى فيما بعد الى التمشى مع سياسة حكومته. ويعتبر شهر مارس سنة ١٩٤٧ نقلة تحول فى التاريخ الأمريكى ، وليس ذلك بسبب تخلى امريكا عن سياسة العزلة فحسب، بل بسبب تبدد الحلم الذى كان يراودها بالعودة الى الحالة الطبيعية وتسليم الأمر الى هيئة الأمم المتحدة، اذ لم تعد تكفى هذه الهيئة لحفظ السلام الذى تنشده امريكا، وهذا السلام فى نظرها هو السلام الذى يخدم مصالحها ومصالح حلفائها. ورأت منذ ذلك الوقت أن تتزعم العالم الذى دعته بالعالم الحر .

وبعد شهور قليلة اعلن مشروع مارشال. وكان الرئيس ترومان قد عين الجنرال مارشال وزيرا لخارجيته ، ويتلخص مشروع مارشال فى وجوب مساعدة الولايات المتحدة لأوربا الغربية قبل أن ينهار اقتصادها، وفى الوقت نفسه حث مارشال الدول الغربية على القيام بوضع برنامج موحد لانهاض بلادها اقتصاديا حتى يمكن

لأمريكا مساعدتها . ولم يستثن من دعوته دول أوربا الشرقية ، ولذلك كان لتلك الدعوة أثرها السيء لدى حكومة الاتحاد السوفييتى. حتى صرح مولوتوف بأن الاتحاد السوفييتى لايرى فى مشروع مارشال الا نوعا من الاستعمار الجديد اى أستعمار الدولار الامريكى ، ومحاولة للتدخل فى الشئون الداخلية للشعوب المستقلة. وبموجب هذا المشروع انفقت الولايات المتحدة حوالى اثنى عشر مليارا من الدولارات فى سبيل اعادة بناء اقتصاديات اوربا الغربية .

ولما دعت بريطانيا وفرنسا الى عقد مؤتمر فى باريس لدراسة هذا المشروع ، رفض الاتحاد السوفييتى الاشتراك فيه بل وامر حكومات اوربا الشرقية الا ترسل مندوبيين عنها. وحتى تشكوسلوفاكيا التى كانت قد اعلنت قبولها لمشروع مارشال، عادت تحت الضغط الروسى الى العدول عن الاشتراك فى المشروع .

وهكذا اتسع الخلاف بين الشرق والغرب ، وفى خريف عام ١٩٤٧ اعلن الاتحاد السوفييتى عن تأسيس منظمة اطلق عليها الكومنفورم وهو نفس المنظمة الشيوعية القديمة الكومنترون فى لباس جديد. وتسربت الأوامر للاحزاب الشيوعية فى غرب اوربا حتى تتخلى عن سياسة الهادئه والاعتدال التى اتبعتها عندما كان التحالف الكبير سائدا بين روسيا والغرب ، وهنا انتشرت الاضرابات والمظاهرات والعصيان ولم يقف الحد عند قيام الاضرابات فى اوربا بل انتقلت الى الملايو وبورما وإندونيسيا والهند الصينية ، ولجأ الشيوعيون الاسيويون الى حرب العصابات حتى انقلبت الحرب الباردة الى حرب ساخنة فى كثير من ارجاء العالم .

ومن اهم احداث تالك الفترة الثانية من الحرب الباردة ذلك الانقلاب الذى حدث فى تشكوسلوفاكيا فى فبراير سنه ١٩٤٨ . كانت تشكوسلوفاكيا الدولة الوحيدة من دول المجال السوفييتى التى ظلت محتفظة بنظامها الديموقراطى حتى اخر عام ١٩٤٧ ، على الرغم من أن جميع حكوماتها التى تولت الحكم فى اعقاب الحرب ظلت تحرص على علاقاتها الوثيقة بالاتحاد السوفييتى ، ولكن العلاقات الوثيقة لم تكن تكفى فى نظر الروس لاعتبار تشكوسلوفاكيا دولة صديقة يؤمن جانبها. لذلك صدرت الأوامر للشيوعيين التشيكيين بالقيام بالانقلاب

المعروف فى فبراير سنة ١٩٤٨ ، وطبق النظام الشيوعى فى البلاد منذ هذا التاريخ.

وتبع ذلك حادث اخر، هو حصار برلين، وذلك عندما حاول الاتحاد السوفييتى أن يجبر الحاميات الغربية على مغادرة برلين . ولو نجح الروس فى هذا لسددوا بذلك ضربة موجعه للحلفاء ولأدى انسحاب حامياتهم الى هزيمة نفسية كبرى . وقد قال الجنرال كلاى Clay ، أحد كبار قوادهم «عندما تسقط برلين سوف تعقبها المانيا الغربية فاذا أردنا أن نمنع عن اوربا خطر الشيوعية وجب علينا ألا نتزحزح عن مواقعنا» . وفعلا لم يتزحزح الامريكيون والبريطانيون والفرنسيون عن مواقعهم فى برلين الغربية . وجاءت المؤن الى سكان برلين الغربية البالغ عددهم مليونين وربع مليون، بطريق الجو، الى أن قررت الحكومة السوفييتية فك الحصار فى مارس ١٩٤٩ ، واعتبر الغرب أن النصر كان حليفهم فى تلك الحرب الباردة .

وبعد تكون جمهورية المانيا الاتحادية فى عام ١٩٤٩ ، تنحت الحكومة العسكرية الامريكية عن الاشراف على منطقة الاحتلال ، وقابل الروس هذا الاجراء بتأسيس جمهورية المانيا الديمقراطية .

وفى عام ١٩٤٨ ، حدث خلاف بين تيتو وستالين ادى الى فصل يوغوسلافيا عن المجتمع الشيوعى ، وقد استقبل الحلفاء هذا النبأ كبارقة أمل وسط الظلام الذى يرونه مخيما على أوربا الشرقية .

واستقر الوضع فى الخريطة الاوربية فى ظل الحرب الباردة التى كانت على اشدها فى منتصف عام ١٩٤٩ ، حيث كان الجيشان المتخاصمان يقفان فى مواجهة بعضهما فى المانيا، بينما كان سباق التسلح الذرى يسير قدما فى كلا المعسكرين .

وكانت اول خطوة اتخذها الحلفاء لتنظيم الدفاع ضد الشيوعية تأسيس حلف شمال الاطلنطى فى عام ١٩٤٩ وانضم الى ذلك الحلف العسكرى كل من الولايات المتحدة وكندا وبريطانيا وفرنسا وبلجيكا وهولندا ولكسمبرج والنرويج والدنمرك وايسلند ، وايطاليا والبرتغال، ونص حلف شمال الاطلنطى على أن أى هجوم مسلح على أية دولة من هذه الدول ، أو أيه دولة أخرى فى اوربا أو أمريكا

الشمالية يعتبر عدوانا عليها جميعا وتبعا لذلك فهم يتفقون بأنه اذا وقع هذا الهجوم فان كلا منهم طبقا لحقوق الدفاع سوف يساعد الطرف الاخر فى الحال مساعدة فردية أو بالاتفاق مع الاطراف الاخرى . وهذا العمل الذى يعتبر ضروريا يتضمن استعمال القوة المسلحة واعادة السلام والحفاظ عليه فى منطقة شمال الأطلسى وينبغى أن يسجل الهجوم والتدابير التى اتخذت فورا لدى مجلس الأمن على أن تلغى هذه التدابير عندما يتخذ المجلس الوسائل الضرورية لاعادة وحفظ السلام والأمن الدوليين .

ولم تقتصر الحرب الباردة على أوربا وحدها ، بل تسربت منها الى جميع ارجاء العالم ، وعى الأخص فى آسيا ، حيث انتصر الشيوعيون فى الحرب الاهلية الصينية فى نفس ذلك العام (١٩٤٩) ، وظهرت الصين الشيوعية فى آسيا كمارد يهدد الاستعمار الغربى فى الشرق الاقصى . وكان ذلك الحدث الخطير بداية الدور الثالث من الحرب الباردة وهو اخطر دور فى تاريخ ذلك الصراع .

بدأ ذلك الدور فى بداية عام ١٩٥٠ ، عندما انتقل الصراع فى تلك الحرب الى الشرق الاقصى . وفى نهاية ذلك العام شمل الشرق الأوسط واخيرا منذ عام ١٩٦٠ اصبحت الحرب الباردة متمثلة فى بقية القارات — فظهرت ازمة الكونغو وازمة كوبا والهند الصينية . ومع ذلك فقد كانت تظهر مابين حين وآخر محاولات لاقامة نوع من التعايش السلمى بين المعسكرين .

ولعل ظهور دولة الصين الشعبية التى تأسست فى اكتوبر عام ١٩٤٩ بعد انتصار الشيوعيين فى الحرب الاهلية كان أخطر حادث بالنسبة للدول الغربية التى اعتبرت الوجود الشيوعى فى تلك المنطقة الشاسعة أمرا يهدد المصالح الغربية عامة، والولايات المتحدة على وجه الخصوص . ولكن الدول الغربية لم توحد سياستها تجاه الصين الشيوعية ، فنجد بريطانيا تعترف بالنظام الجديد فى الصين فى عام ١٩٥٠ ، وأما فرنسا فقد رفضت الاعتراف ، بسبب ماكانت تقدمه الصين من المعونات الى ثوار الهند الصينية . وفى الولايات المتحدة كان الرأي العام شاعرا بخيبة أمل كبيرة بسبب انهيار النظام الذى وضعه تشانغ كاى شيك، وهو الزعيم الذى كان متحالفا

مع الامريكيين ، الذين قدموا له كل وسائل العون العسكرى والاقتصادى الى أن أجبر على الانزواء بحكومة عميلة للامريكيين فى جزيرة فورموزا ، ووقف الاسطول الامريكى حينذاك يحول دون أى هجوم عليه .

وقد راودت الولايات المتحدة فى فترة من الفترات ، فكرة الاعتراف بالصين الشعبية حتى أن وزير خارجيتها اتشمون ، كان على وشك اعلان هذا الاعتراف ، الا أن الرأى العام الأمريكى كان ساخطا على النظام الذى خلق فى الشرق الاقصى قوة شيوعية مخيفة بعد ان انهار النظام الذى اقامه صديق الولايات المتحدة تشانج كاى شيك . ولذلك تأجل الاعتراف الامريكى ، وتأجل معه مشروع منح الصين الشعبية عضوية هيئة الامم المتحدة حتى تتم انتخابات الرئاسة الأمريكية فى نوفمبر ١٩٥٠ .

ومـهما يكن من أمر ، فقد تغير موقف الولايات المتحدة قبل أن تتم الانتخابات ، فقد حدث فى شهر يونيه أن اندلعت الحرب الكورية التى أثرت تأثيرا بالغا فى العلاقات الدولية .

ويمكن تقسيم الحرب الباردة فى دورها الثانى ، أى بعد عام ١٩٤٩ الى ثلاث فترات : اولها عندما بدأ النزاع فى مستهل عام ١٩٥٠ وعلى الاخص فى الشرق الاقصى ، وثانيتهما عندما تحول النزاع الى الشرق الأوسط فى نهاية العام ، ولم يقتصر النزاع على تلك الاماكن بل امتد الى بقاع كثيرة فى العالم ، فحدثت منذ عام ١٩٦٠ ازمات فى الكونغو وكوبا ، وتجدد النزاع مرة اخرى على الوضع فى برلين ، وفى الهند الصينية . ولكن النزاع لم يصل الى حافة الهاوية بل كان الطرفان يصلان دائما الى حل مؤقت للتعايش السلمى .

ومهما يكن من أمر، فقد تغير موقف الولايات المتحدة فى يونيه من ذلك العام عندما اندلع لهيب الحرب الكورية .

كانت كوريا قد تحررت من الحكم اليابانى عام ١٩٤٥ بعد خمس وثلاثين عاما من الاحتلال . ولكنها انقسمت الى قسمين كما كان الحال فى المانيا، كوريا الشمالية التى احتلتها انذاك القوات الروسية ، وكوريا الجنوبية التى احتلتها

القوات الامريكية . وفرقت السياسة وتأثير الاستعمار بين أبناء الوطن الواحد ، كما حدث فى المانيا ، وانقسمت البلاد الى دولتين متعاديتين .

ولكوريا أهمية استراتيجية عظمى لجيرانها، روسيا ، واليابان ، والصين ، ثم اصبح للولايات المتحدة بعد هزيمة اليابان مصالح هامة فى تلك المنطقة تجعلها تهتم ابلغ الاهتمام بمصيرها ولذلك فقد (ارسلت قواتها من اليابان لوقف الهجوم الذى قام به الكوريون الشماليون الشيوعيون فى ٢٥ يونيه سنه ١٩٥١ . واستطاعت الولايات المتحدة بنفوذها أن تضمن تأييد هيئة الأمم المتحدة . وانضم الى المحاربين قوات من انجلترا وغيرها من الدول اعضاء هيئة الامم ولكن تسعين فى المائة من القوات المحاربة فى كوريا كانت من الولايات المتحدة .

وفى سبتمبر ١٩٥٠ تقدمت تلك القوات ، باسم هيئة الامم ، فغيرت خط عرض ٣٨ الى كوريا الشمالية . وكان لاقدام هذه القوات على اختراق الخط الذى يحدد القطاعين أسوأ الأثر عند الصين الشيوعية فقررت التدخل وارسلت قواتها لمساعدة كوريا الشمالية ، واستطاعت القوات الشيوعية أن تحرز انتصارات عديدة على اعدائها مما اضطر قوات الأمم المتحده الى التقهقر بغير انتظام نحو الجنوب.

وكان من رأى القائد الأمريكى جنرال ماك آرثر أنه لا أمل فى احراز أى نصر على القوات الصينية الا بضرب قواعد الامداد فى الأراضى الصينية نفسها. على أن الرئيس ترومان لم يوافق على هذا الرأى ، وحدث بينهما خلاف أدى الى طرد ماك آرثر من قيادة الحملة (ابريل ١٩٥١) أما الاتحاد السوفييتى فكان على استعداد للمفاوضة بشأن وقف القتال . وقد بدأت مفاوضات الهدنة فى صيف ١٩٥١ ، ولكنها لم تصل الى نتيجة حاسمة بشأن وقف القتال الا فى يوليه ١٩٥٣ .

وقد حاولت الدول المعنية أن تصل الى حل للصلح فى مؤتمر عقد من أجل هذا الغرض فى جنيف سنة ١٩٥٤ . ولكن دون جدوى . والواقع أن هذا المؤتمر كرس معظم وقته للنظر فى مشكلة الهند الصينية حيث كانت الحرب على اشدها بين حركة التحرير التى قادها زعماء شيوعيون وطنيون منذ شهر ديسمبر ١٩٤٦ .

وقد أدت هذه الحرب أيضا الى قيام صراع بين الولايات المتحدة والعالم الشيوعى بعد عام ١٩٤٩ ، وذلك للمساعدات التى قدمها النظام الجديد فى الصين الشيوعية الى المحاربين فى الهند الصينية . فكانت الولايات المتحدة تمد الفرنسيين هناك بالمعونات الحربية الكبيرة ، ولكنها لم تؤد الى نتيجة فعالة ، بل سقط فى ايدى الثوار اكبر معقل فرنسى هو حصن «دين بين فو» وذلك فى مايو ١٩٥٤ ، مما دعا بعض القواد الفرنسيين والامريكيين الى الاعتقاد بأن الحل الوحيد لانقاذ الموقف العسكرى اليائس الخطير هو استعمال القنبلة الذرية . الا أن حكومة الولايات المتحدة لم تأخذ بهذا الرأى . وتم الصلح فى يوليه من نفس العام حيث جنى ثوار فيت منه فى فيتنام الشمالية - الشيوعيون ثمار النصر وسيطروا على فيتنام الشمالية متطلعين الى يوم يستطيعون فيه الضغط على فيتنام الجنوبية .

ومع أن الولايات المتحدة اشتركت فى مفاوضات الصلح مع الصين الشيوعية فى مؤتمر جنيف ، الا انها ظلت مصرة على عدم الاعتراف بها رسميا أو توقيع اتفاقية جنيف التى تشترط اجراء انتخابات لاعادة توحيد فيتنام فى عام ١٩٥٦ . والواقع ان تأييد الولايات المتحدة لحكومة الرئيس ديم Deem اليمينية المتطرفة فى جنوب فيتنام وازدياد الضغط من جانب الشيوعيين على فيتنام، وعلى غيرها من الدول المجاورة - لاوس وكمبوديا - كل ذلك كان سبيلا الى حدوث ازمات متكررة فى تلك المنطقة وزادت من انتشار الحرب الباردة فى كل مكان (١) .

على أن توتر العلاقات الذى كان على اشده بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى بدأ يخف فى عام ١٩٥٥ بعد أن توصلت القوتان الى امتلاك الأسلحة النووية ، وعندما اشتدت أزمة الشرق الاقصى ظهر فى جو العلاقات الامريكية الروسية نوع من الرغبة فى تخفيف حده التوتر بين الدولتين ، ولاسيما أن الاتحاد السوفييت غير سياسته العدائية المتطرفة للولايات المتحدة بعد وفاة ستالين (مارس ١٩٥١) وكذلك أصبح يميل الى مصالحة يوغوسلافيا التى سبق أن اتهمها ستالين

(١) لويس دوللو : التاريخ الدبلوماسى ، ترجمة الدكتور سموحى فوق العادة ، منشورات عويدات ، بيروت باريس ١٩٨٢ ، ص ١٢٥ .

بأنها تخلت عن المبادئ الشيوعيه . ثم حدث اتفاق بين الدول الأربع فى مايو ١٩٥٥ على الجلاء عن النمسا واعتبارها دولة محايدة .

وعلى الرغم من التقارب ونجاح مؤتمرات القمة التى عقدت خلال هذه الفترة الا أن مسائل اخرى ومشكلات أعظم كانت تحول دون الوصول الى تفاهم بين الكتلتين وأهمها مشكلة ألمانيا ، واقدام السوفييت على تأسيس حلف وارسو (مايو١٩٥٥) .

ثم عادت الحرب الباردة فى عام ١٩٥٥ الى منطقة الشرق الأوسط بعد أن ساد الهدوء تلك المنطقة منذ أن حدث الضغط السوفييتى على كل من تركيا وايران بين عامى ١٩٤٥ و ١٩٤٦ - ولكن فى خلال عام ١٩٥٥ ظهر الى الوجود حلف دفاعى جديد كان موجها فى الدرجة الاولى ض الاتحاد السوفييتى ، انضمت اليه تركيا وايران والعراق وباكستان وهو حلف بغداد الذى اتخذ العاصمة العراقية مركزا له . وقد اثار ذلك الحلف الاتحاد السوفييتى فاحتجت عليه حكومته وهاجمته ثم ازداد الموقف بالنسبة للشرق الأوسط خطورة عندما انضمت بريطانيا الى عضويته فى ابريل ١٩٥٥ ، وبدأ الضغط على مصر لكى تنضم اليه ، ورفض الرئيس جمال عبد الناصر الانضمام اليه رفضا باتا ، فأصبح الحلف بعد ذلك موجها ضد مصر اكثر منه ضد روسيا .

وكانت مصر قد اضطرت - امام التهديدات الاسرائيلية - الى طلب المعونة العسكرية من الكتلة الشرقية بعد أن رفضت حكومة الولايات المتحدة أن تبيع لها الاسلحة التى طلبتها، وكانت الحرب الباردة من الاسباب الهامة فى سلسلة الحوادث التى ادت الى ازمة السويس عام ١٩٥٦ ، ولكن سببها المباشر هو المؤامرة الخفية التى دبرت بين اسرائيل وكل من انجلترا وفرنسا ، حيث كانت اسرائيل هى اداة الاستعمار الانجليزى والفرنسى فى القضاء على الثورة المصرية ومنجزاتها وعلى الأخص بسبب تأميم قناة السويس. وللمساعدات الضخمة التى كانت تنهال من مصر على الثوار الجزائريين ، وكذلك للدعاية للقومية العربية ومحاربة الاستعمار فى الجنوب العربى، وعلى الأخص فى عدن التى تعتبرها بريطانيا معقل

الاستعمار ، هذا بالاضافه الى أن الاتحاد السوفييتى استطاع أن يتجاوز الحاجز الذى فرضه حلف بغداد واسس علاقات ودية مع مصر كل ذلك أدى بالتدريج الى قيام ازمة السويس والعدوان الثلاثى على مصر .

وكانت الحكومة البريطانية قد اضطرت الى التوقيع على معاهدة الجلاء عن مصر فى ١٩ اكتوبر ١٩٥٤ ، فاستولى الفرح على اسرائيل ، حتى ان موسى شاريت رئيس وزرائها ووزير خارجيتها صرح فى الكنيست الاسرائيلى بأن معاهدة الجلاء عن مصر معناها أن بريطانيا تتخلى عن اسرائيل وتتركها لمصيرها المحتوم حيث لن يصبح لها مكان بين دول الشرق الاوسط . وانحى (شازيت) أيضا باللائمة على الولايات المتحدة لأنها شجعت الاتفاق .

وبدأت اسرائيل سلسلة من الاعتداءات كان بعضها يتسم بالغزو المسلح، حدث هذا فى الهجوم على غزة فى ٢٨ فبراير سنه ١٩٥٥ ، وعلى خان يونس فى ٢١ أغسطس ، وعلى الكونتلا فى ٢٨ اكتوبر وعلى الصيحة فى ٢ نوفمبر . ويلاحظ أن اغلب الاعتداءات حدثت بعد انعقاد مؤتمر باندونج (ابريل ١٩٥٥) وهو مؤتمر الدول غير المنحازة الذى أصدر قرارا بتأييده الكامل لقضية العرب فى فلسطين وحق العودة للأجئين الفلسطينيين ، ورأت اسرائيل انها اصبحت فى عزلة، وان الرأي العام فى معظم الدول بدأ يكشفها على حقيقتها ، فرأت أن تسارع الى العدوان بضربات خاطفة على الأراضى العربية لتفرض الصلح الذى تبتغيه . ولما أدانها مراقبو الأمم المتحده ، تآمرت على قتل كبيرهم (برنادوت) ، وهى تعلم تماما أن الدول الثلاث – انجلترا وفرنسا والولايات المتحدة – التى اصدرت بيانها المشترك سنه ١٩٥٠ ضد الاعتداءات فى الشرق الأوسط لن تقوم بأى معارضة فعالة ضد عدوانها على الاراضى العربية . وكانت تلك الدول الثلاث قد سبق لها فى عام ١٩٥٠ أن اصدرت بيانها المشترك بالوقوف ضد أى عدوان فى الشرق الأوسط ، ومع ذلك فقد ثبت أن البيان الذى اصدرته ماكان ليشهر الا ضد الدول العربية ، فاذا جاء الاعتداء من اسرائيل تجاهلته الدول الثلاث وكأن الأمر لايخالف بيان ١٩٥٠ .

وامام تلك الاعتداءات المتكرره، رأت مصر أن تطرق كل باب لتزويد جيشها بالسلاح ، ورأى الرئيس جمال عبد الناصر أن يبدأ بطلب السلاح من الدول الغربية وطلبه من انجلترا فأخذت تراوغ كعادتها وتشترط الشروط، وتطالب مصر أن تنضم الى حلف بغداد، وطلبه من الولايات المتحدة فلم يتلق أى جواب.

وعرضت حكومة الاتحاد السوفييتى مساعدتها على مصر ، مساعدة غير مشروطة ولا مقيدة، بأن تمدها بالسلاح، اما عن طريقها مباشرة، او عن طريق تشكوسلوفاكيا، وتمت مع الاخيرة صفقة الاسلحة فى ١٠ اكتوبر ١٩٥٥ ، وحطمت مصر بذلك إحتكار السلاح .

وقد كان لهذا النبأ أثره البالغ فى واشنطن ولندن ، ووقف هارولد ماكميلان – وكان اذ ذاك وزير الخارجية لبريطانيا – فى الاحتفال بافتتاح المجلس الدائم لحلف بغداد يقول فى مرارة وغيظ ان اهم نتيجة لصفقة الاسلحة التى عقدتها مصر مع روسيا هى أن بريطانيا اصبحت تشعر اكثر من ذى قبل أن من واجبها ان تؤيد اصدقاءها وتمد لهم يد المعونة وكانت اسرائيل فى ذهنه على رأس قائمة هؤلاء الاصدقاء .

وكانت مصر منذ عام ١٩٥٣ تقوم بعمل خطة للتنمية الانتاجية وزيادة الدخل القومى ، وكان السؤال الذى واجه مصر اذ ذاك هو كيف يمكن اقتصاديا سد احتياجات السكان الذين يتزايدون سنويا بنسب تتراوح بين ٢٫٥ فى المـــائة و ٣ فى المائة ، فاتجهت الى مشروع بناء السد العالى ورأت أن تبدأ بالاتصال بالبنك الدولى الذى أنشىء لمثل هذا الغرض ، لتمويل المشروع . الا أن القائمين بالأمر فى البنك أخذوا يضعون العراقيل ، ويتلمسون الأسباب للتهرب من المعاونة فى تمويل المشروع وقالوا ان دون التمويل عقبات لابد من تذليلها وأولها أن على مصر أن تنهى خلافاتها مع اسرائيل وبريطانيا .

وفى مرة أخرى طلب البنك الدولى أن تعمل مصر على حل مشكلة مياه النيل بينها وبين السودان قبل أن يوقع البنك الاتفاق معها على المعونة المالية .

وفى شهر يونيه ١٩٥٦ زار مصر وزير خارجية الاتحاد السوفييتى لكن يعرض على الرئيس جمال عبد الناصر مساعدة حكومته لمصر فى جميع الميادين ، وادعى ان كل المعونات الروسية ستكون دون قيد أو شرط ، وأن تكون القروض طويلة الأجل ، لاترهق مصر ولاتقيدها بأى قيد سياسى أو مذهبى، بل كل مايهدف اليه الاتحاد السوفييتى هو مساعدة دولة ناهضة ، تحافظ على كرامتها وتعتز باستقلالها.

واستكمالا للحرب الباردة بين الكتلتين الشرقية والغربية ، حضر الى مصر يوجين بلاك ليؤكد للحكومة المصرية أن البنك عند وعده الذى ارتبط به فى شهر فبراير بشأن تمويل المشروع ، وأكد ايضا بأن الولايات المتحدة وبريطانيا لايزالان عند وعدهما الذى قطعاه بالمساعدة فى تمويل المشروع .

واعلنت مصر انها ترغب فى الاتفاق مع الغرب على تمويل مشروع السد بعد أن وصلت الى اتفاق مع السودان ، وأن الأمر الان يتوقف على نية الدول الغربية .

وفى الوقت الذى صدر فيه هذا التصريح باستعداد مصر لقبول عرض الولايات المتحدة والبنك الدولى ، كان اعضاء الكونجرس الأمريكى من عملاء الصهيونية ومؤيدون اسرائيل يوجهون أفظع النقد لمشروع المعاونة الغربية لمصر ، وكأن هنا فريق اخر فى الكونجرس من الاعضاء الذين يمثلون الولايات الجنوبية يعارضون فى المشروع خوفا من أن يؤدى السد العالى الى زيادة المساحة المنزرعة بالقطن المصرى.

وكانت مؤامرة الانسحاب من تمويل المشروع قد اختمرت بين لندن وواشنطن ، وساعد على تنفيذها أن (دالاس) وزير خارجية الولايات المتحدة ، كان يعتقد أن الاتحاد السوفييتى لايستطيع أن يجازف بأمواله فى مشروع ضخم كالسد العالى، وأن انسحاب الولايات المتحدة وبريطانيا من تمويل المشروع ، سوف يضع الاتحاد السوفييتى فى مأزق يكشفه فى الشرق الأوسط .

وفى ١٩ يوليه اعلنت الولايات المتحدة فى بيان جارح لمصر انها تنسحب من مشروع التمويل المتفق عليه ، وهو بيان تعد فيه بألا يجرح الاقتصاد المصرى ويشكك فى مركز مصر المالى ، ويدعى فيه أن التطورات التى حدثت خلال السبعه أشهر الأخيرة لاتشجع على نجاح مشروع السد العالى ، وأن حكومة الولايات

المتحدة انتهت الى الرأى بأنها لاتستطيع فى الظروف الراهنة أن تشترك فى المشروع فمصر لم تصل بعد الى اتفاق مع الدول التى تشترك معها فى الانتفاع بمياه النيل، واصبحت قدرتها على رصد اموال من ميزانيتها لنجاح المشروع أمرا مشكوكا فيه.

وفى اليوم التالى حذت انجلترا حذو الولايات المتحدة كما كان متفقا بينهما وفى مساء نفس اليوم (٢٠ يوليه ١٩٥٦) أعلن مدير البنك الدولى أن البنك لم يعد فى قدرته المضى فى القرض بعد انسحاب كل من امريكا وانجلترا .

وردت مصر على الطعنة التى وجهت الى اقتصاد مصر بأن اعلن رئيس الجمهورية تأميم شركة قناه السويس ، وانتقال جميع ماللشركة من اموال وحقوق ، وماعليها من التزامات ، الى الدولة ، وحل جميع الهيئات واللجان القائمة وقتئذ على ادائها، وتعويض المساهمين . وان تشكل هيئة مستقلة تتولى ادارة مرفق المرور بالقناة ، كما نص القرار على تجميد اموال الشركة وحقوقها فى مصر والخارج ، وحظر على البنوك والهيئات والافراد صرف أى مبلغ منها، وأصبح على جميع موظفى الشركة المؤسسة ومستخدميها وعمالها أن يستمروا فى اداء اعمالهم .

وكان لقرار تأميم قناة السويس صدى عالمى ارتجت له الدول الغربية وعلى رأسها بريطانيا وفرنسا والولايات المتحده، وكان أول رد فعل لذلك القرار المصرى أن الحكومة البريطانية قررت تجميد ماكانت تملكه شركة قناه السويس من اموال ومستثمرات فى بريطانيا ، وكان الهدف من ذلك القرار الحيلولة دون استيلاء هيئة قناه السويس المصرية الجديدة على تلك الأموال والمستثمرات تنفيذا لقرار التأميم ،والواقع أن هذا القرار البريطانى يعطل تعويض حملة الاسهم والحصص ، لان قانون التأميم نص على أن يكون التعويض رهنا بتحصيل اموال الشركة المؤممة واحتياطاتها كاملة سواء أكانت فى مصر او فى الخارج .

وكان موقف الولايات المتحدة عدائيا منذ صدور قرار التأميم ، فقد اصدرت قرارا من جانبها بتجميد رؤوس الاموال المصرية عندها ، وسافر وزير خارجيتها (دالاس) الى لندن ليشترك فى المحادثات التى كانت تجرى بين انجلترا وفرنسا بشأن توحيد موقف الدول المنتفعة بقناة السويس ضد مصر . وقد أصدر وزراء الخارجية

باسم بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة بيانا فى ٢ اغسطس ١٩٥٦ باستنكار قيام دوله واحدة ، بالاستيلاء التعسفى على هيئة دولية ، وانهم يعتبرون أن العمل الذى قامت به الحكومة المصرية يهدد حرية الملاحه فى القناه وسلامتها التى ضمنتها اتفاقيه عام ١٨٨٨ . وختم البيان بأن الدول الثلاث ستتخذ الخطوات الكفيلة بانشاء تدابير لادارتها تحت اشراف جهاز دولى ، ولذلك تقرر عقد مؤتمر يجمع بين الدول الموقعة على الاتفاقية وبين الدول الاخرى المنتفعه بالملاحة فى قناة السويس فى ١٦ أغسطس ١٩٥٦ .

تقرر عقد المؤتمر فى لندن وبلغ عدد الدول التى دعيت اليه أربع وعشرون دولة ، ثمان منها هى الدول الموقعة على اتفاقية عام ١٨٨٨ وهى مصر وفرنسا وايطاليا وهولنده وأسبانيا وتركيا وبريطانيا وروسيا ، وست عشرة دولة أخرى وقع عليها الاختيار .

ولكن مصر اعلنت انها لن تشترك فى مؤتمر لندن فى ذلك الجو المشحون بالكراهية والعدوان ، وتلت الاستعدادات الحربيه التى تقوم بها انجلترا وفرنسا ولاسيما ما أذيع من أنباء مستوحاه من وزارتى الخارجية البريطانية والفرنسية ومؤداها ان بريطانيا وفرنسا مشفوعين بالتأييد المعنوى من الولايات المتحدة — ستتخذان الخطوات الواجب اتخاذها بما فى ذلك استخدام القوة لفرض نظام دولى لادارة القناه وانه اذا لم يتم الوصول فى الموتمر الى اتفاق بالاجماع فستشعر كل من بريطانيا وفرنسا أنهما مطالبتان بالتدخل لفرض ما توافق عليه الاغلبية من حلول .

وقد تمخض مؤتمر لندن عن انقسام فى الرأى ، اذ رأت ثمانية عشرة دولة تكوين لجنه دولية لادارة القناة ، وعارضت فى ذلك الهند واندونيسيا وسيلان والاتحاد السوفييتى، مؤيده حق مصر فى التأميم والاشراف على قناتها كدولة ذات سيادة ، وهدد المندوب الروسى (شبيلوف) مندوبى الدول بأن الاجراءات العسكرية التى قد تتخذها بريطانيا وفرنسا سوف تؤدى الى تهديد السلام لا فى الشرق الأوسط فحسب بل فى خارج الحدود .

وأخيرا تقرر عرض القضية على مجلس الأمن الذى بدأ مناقشتها فى ٦ اكتوبر ١٩٥٦ ، وقد استنكر اغلب اعضاء المجلس فكرة الالتجاء الى القوة ، وقرر الاسس التى يجب أن تكون هاديا فى مشكلة قناه السويس . وفوض مجلس الأمن السكرتير العام للأمم المتحدة (داج همرشولد) أمر حل القضية بالطرق السلمية ، واقترحت مصر عقد الاجتماع فى جنيف ، وتركت تحديد موعده لكل من فرنسا وبريطانيا ولكنهما كانا فى الواقع على موعد فى الظلام مع اسرائيل ، لتدبير احط وأنذل مؤامرة فى تاريخ البشرية ، والتى تمخضت عن العدوان الثلاثى على مصر الذى بدأ فى ٢٩ اكتوبر ١٩٥٦ وقبل أن تتم مؤامرة العدوان ، حدثت اتصالات كثيرة قامت بها الحكومتان البريطانية والفرنسية لاقناع الولايات المتحدة أن خطر الشيوعية اصبح يتمثل فى مصر ويتسرب منها الى شمال افريقيا . وعندما دقت ساعة الصفر للعدوان الثلاثى الذى دبر فى الخفاء ، رفضت الولايات المتحدة تأييد الهجوم ، وفى الوقت نفسه هدد الاتحاد السوفييتى بضرب المعتدين بالصواريخ اذا لم يتوقف العدوان . وفشل العدوان كما هو معروف وانتصرت مصر أروع انتصار وصفه جمال عبد الناصر بقوله «رفع الاستعمار يده وانسحب ذليلا ، وقد تدلت أذناه وكسر أنفه ، وتمرغت كبرياؤه فى تراب بور سعيد ... وخرجنا من المعركة وقد ازدادات الأرض صلابة تحت اقدامنا ، وبدأنا ننطلق بكل قوتنا الى المعركة الأصلية .. معركة البناء» .

وقبل أن تتم المؤامرة الغادرة على مصر ، حدثت اتصالات كثيرة بين الحكومتين البريطانية والفرنسية لمحاولة القضاء على النهضة العربية التى تتمثل فى منجزات الزعيم الراحل جمال عبد الناصر ، والتفاف الشعوب العربيه حوله ، وبعث فكرة الوحدة والقومية ، وعلى الأخص عندما تم تأميم قناه السويس ، ونجاح الثورة العربية فى الجنوب العربى وعلى الأخص فى عدن التى كانت معقل الاستعمار البريطانى منذ بداية القرن التاسع عشر ، هذا بالاضافه الى أن الاتحاد السوفييتى استطاع أن يتجاوز الحاجز الذى فرضه حلف بغداد ، وأسس علاقات ودية مع مصر وسوريا .

وحاولت الدولتان ، بريطانيا وفرنسا ، قبل العدوان ، اقناع الولايات المتحدة بأن خطر الشيوعية يطل فى الشرق الأوسط من النافذة التى ادعى أنه فتحها فى مصر ويتسرب الخطر منها الى شمال افريقيا . ورفض الرئيس ايزنهاور اذ ذاك أن يكون ذلك ذريعة للتآمر مع اسرائيل لغزو مصر . وعارض الغزو عندما حدث الهجوم الثلاثى عليها ، وفى الوقت نفسه هدد الاتحاد السوفييتى بضرب المعتدين فى بلادهم بالصواريخ اذا لم يتوقف العدوان .

بذلك حلت الكارثة بالمعتدين ، وزادها خطورة أن هيئة الامم ادانت الدول الثلاثة ، ونددت بالمؤامرة . وأمام هذا الضغط العالمى ، وأمام صمود الشعب المصرى ومكافحته للغزو الثلاثى ، واغراق السفن فى قناة السويس لاعاقة الملاحة الدولية ، وقد أثار ذلك العدوان اخطر ازمة عالمية منذ الحرب الكورية ، وأثر تأثيراً بالغا فى اقتصاد بعض الدول الكبرى ولاسيما فى البترول . ففى عام ١٩٥٥ مثلا كانت بريطانيا تنتج ١٤ ٪ من نشاطها الصناعى باستخدام البترول، وتنتج فرنسا ٢٠ — والسويد ٤٤ ٪ والدانمراك ٣٧ ٪ . فأدى وقف نقل البترول عن طريق قناة السويس ، وعن طريق انابيب البترول التى خربها العرب فى الأراضى السورية واللبنانية ، الى حرمان أوربا من ثلاثة ارباع مانحتاج اليه من البترول وهدد الاقتصاد الاوربى . وقد حاولت الولايات المتحدة ودول امريكا اللاتينية مد أوربا بما تقتضيه الظروف من زيت البترول، ولكن كانت الولايات المتحدة من جانبها قد تضررت من اغلاق قناة السويس لأنها تستورد زيت البترول أيضاً من البلاد العربية ولها شركات تعمل فى هذا الميدان فى الظهران وغيرها من بلاد الدول العربية .

وتحرج موقف انجلترا وفرنسا واسرائيل حيث أحست حكوماتها بالعزلة *السياسية، وخصوصا بعد أن اضطرت الولايات المتحدة أن تعمل* — ولو مؤقتا — بالتعاون مع الاتحاد السوفييتى ضد حلفائها حتى تم جلاء المعتدين عن الأراضى المصرية .

وقد كان لفشل العدوان الثلاثى بعد الكفاح العربى وتدخل هيئة الامم المتحدة أثره فى تمسك الشعوب العربية بفكرة القومية ومحاربة الاستعمار ، وتجلى ذلك

فى ثورة العراق فى شهر يوليه عام ١٩٥٨ ، والتى اطاحت بالملكية وتخلصت من حلف بغداد . وكان ذلك وسط عدة ازمات جعلت العالم على شفا حرب عالمية ثالثة . ومع تحرج الموقف بين الكتلتين ، لم تر الولايات المتحدة ولا الاتحاد السوفييتى ان الفرصة سانحه لخوضها فقد استطاعت روسيا أن ترسل الى الفضاء أول قمر صناعى فى عام ١٩٥٧ ، وسرعان ماتبعتها الولايات المتحدة فى هذا السبيل ، وأصبح التقدم فى هذا الميدان وغيره من الاسلحة الذرية والهيدروجينية مصدرا لانزعاج كل من القوتين .

فقد أدت تلك العوامل – وعلى الأخص عندما طرد جون فوستر دالاس من منصبه كوزير للخارجية عام ١٩٥٩ – الى تجدد المحاولات لتقريب مسافة الخلاف بين الجانبين ، وتهيأت فرصة لاجتماع الرئيس ايزنهاور مع خروشوف فى كامب دافيد بالولايات المتحدة (سبتمبر ١٩٥٩) ، وتم الاتفاق بينهما على عقد مؤتمر قمة فى باريس فى مايو ١٩٦٠ .

ولم ينجح مؤتمر القمة فى الوصول الى اتفاق ، فقد رفض الرئيس ايزنهاور ان تعتذر الولايات المتحدة عن حادث طائرة التجسس الامريكيه التى اسقطت فوق الأراضى الروسية ، وتمسك خروشوف بتقديم ذلك الاعتذار ، وأن يسجل فى وثائق المؤتمر . وغادر خروشوف المؤتمر دون الوصول الى حل مناسب ، وادعى الغربيون أنه كان تأثير العناصر المتطرفة فى الاتحاد السوفييتى والعناصر العسكرية فى الصين .

ومع ذلك فقد كان من المستبعد – حتى لو لم تحدث ازمة طائرة التجسس – أن تنجح سياسة القمة فى التقريب بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى، ولاسيما ان الرئيس ايزنهاور كان على وشك انتهاء مدة رئاسته .

وجاء عام ١٩٦٠ الذى يتميز بانتشار الحرب الباردة فى كل من افريقيا وأمريكا اللاتينية. ففى افريقيا ظهرت دول حديثه العهد بالاستقلال ، وعلى رأسها زعماء سبق لهم أن قاوموا مرارة الاستعمار وشاركوا فى انتزاع استقلال بلادهم ، ولذلك كانوا بطبيعتهم يكرهون الغرب ويتطلعون الى المساعدة الروسية . وكان

اشهر هؤلاء الدكتور نكروما الذى كان رئيسا لجمهورية غانا، والرئيس سيكوتورى الذى كان رئيسا لغينيا . وقد احتدت الحرب الباردة بين المعسكرين الغربى والشرقى عندما لاحت ازمة الكونغو. وقد ظهرت تلك الازمة عندما اضطرت بلجيكا الى منح الكونغو استقلالها فى يوليه سنة ١٩٦٠ ورأى الزعيم لومومبا أن يستعين بالنفوذ السوفييتى لارساء قواعد استقلال بلاده وتدعيم حكمه الذى اقامه فى ستانلى فيل ، بينما كانت الولايات المتحدة يؤيدها حلفاؤها فى هيئة الامم يعملون على توحيد الكونغو والقضاء على ذلك النظام الذى وقع تحت النفوذ السوفييتى .

اما فى امريكا اللاتينية فقد كان صراع الحرب الباردة بين الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة على اشده ، وذلك عندما اقام فيدل كاسترو نظامه الاشتراكى فى كوبا بعد القضاء على حكومة الدكتاتور باتستا PATESTA فى عام ١٩٥٩ ، وكان فيدل كاسترو بطبيعته شيوعيا ماركسيا اتجهت ميوله نحو الاتحاد السوفييتى ، وقد ازداد اعتماده على الروس بسبب العداء الذى اظهرته الولايات المتحدة لحكومته فقد فرضت عليه المقاطعة الاقتصادية ، وأيدت أعداءه الذين هاجروا الى امريكا حتى أنها زودتهم بالعتاد والاسلحة لغزو كوبا فى سنة ١٩٦١ . وازدادت حدة الصراع عندما أسس السوفييت قاعدة للصواريخ النووية فى كوبا (سنه ١٩٦٢) ، ومع أنه اجراء مشروع من ناحية القانون الدولى ، الا أن الولايات المتحدة اعتبرته تهديدا صارخا موجها اليها بالذات وتحديا لسيادتها على البحر الكاريبى، وأصرت حكومة الولايات المتحدة على ازالة هذه الصواريخ مهددة ومتوعدة . وتجمعت غيوم الحرب فى تلك المنطقة مما هدد باحتمال قيام حرب عالمية ثلاثة . الا أن حكومة الاتحاد السوفييتى التى كان يرأسها اذ ذاك خروشوف رأت ملافاة الموقف الخطير وازالت الصواريخ فى مقابل تعهد الرئيس كنيدى بألا تقدم الولايات المتحدة على غزو كوبا .

وقد كان لهذا الحادث المزعج أثره فى كلا المعسكرين ، اذ كان العالم اثناء تلك الازمة مهددا بانفجار حرب ذرية لايعرف احد مداها فأخذ كنيدى وخروشوف يعملان على ايجاد وسيلة لانقاذ البشرية من الدمار وذلك بايجاد نوع

من التفاهم المشترك لمنع الحرب المدمرة، فتقرر انشاء خط تليفونى مباشر بين الرئيسيين عام ١٩٦٣ اطلق عليه «الخط الساخن» .

ومع تظاهر كل من الفريقين بالعمل على منع التصادم بين الشرق والغرب ، فان الازمات السياسية تفرض نفسها على العلاقات بين الكتلتين . على أنه من أهم العناصر التى أثرت على العلاقات الدولية المعاصرة فى نهاية القرن الحالى هى «سياسية الوفاق » التى نودى بها فى أواخر سنة ١٩٧١ بين كل من الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة الامريكية ، واصبحت من قبيل السياسات الرسمية لكلتا الدولتين . والوفاق – طبقا لما جاء فى البيان المشترك يعنى بالضرورة التخفيف من حدة التوتر الدولى وعدم السماح للصراعات الاقليمية المحدودة أن تستدرج الدولتين العظمتين الى مواجهة بينهما . وهذه السياسة قد أدت الى تدعيم الدور الذى تقوم به الامم المتحدة فى حفظ السلام فى مناطق التوتر والصراع فى العالم قبل انهيار الاتحاد السوفييتى السابق وظهور الكومنولث فى بداية العقد الأخير من القرن الحالى .

البحث الحادى عشر

جامعة الدول العربية كمنظمة دولية اقليمية

البحث الحادي عشر

جامعة الدول العربية كمنظمة دولية اقليمية

قبل أن نتحدث عن جامعة الدول العربية كمنظمة دولية اقليمية ينبغى علينا أن نوضح اصطلاح المنظمة الدولية الاقليمية . فالشق الأول من الاصطلاح وهو المنظمة الدولية لايثير خلافا فى الفقه الدولى على اعتبار أن المنظمة يقصد بها هيئة دائمة لها شخصيتها المستقلة اتفقت مجموعة من الدول على انشائها واعطائها اختصاصات معينة تتحد فى ميثاقها أوثيقة تشكيلها كعصبة الامم والامم المتحدة كمنظمتين دوليتين على سبيل المثال - أما بالنسبة للشق الثانى من الاصطلاح وهو صفة اقليمية فانه يقصد به أن المنظمة الدولية الاقليمية فى منطقة معينة تكون مفتوحة امام مجموعة من الدول المتجاورة جغرافيا والمرتبطة ببعضها برابطة ما من التضامن والمصالح والاهداف المشتركة مما يجعلها تفكر فى الدفاع عن مصيرها المشترك وتنمية علاقاتها والحفاظ على السلم والامن فى منطقتها . وبناء على ماتقدم فيمكننا تعريف المنظمة الدولية الاقليمية بأنها «هيئة دائمة اتفقت على انشائها مجموعة من الدول المتجاورة جغرافيا والمرتبطة معا بصورة معينة من التضامن القائم على الجوار والتقارب التاريخى وترابط المصالح والاهداف وذلك بهدف تنمية علاقاتها المختلفة والحفاظ على السلم والامن فى منطقتها وفقا لمبادئ واهداف الأمم المتحدة وهذا ما أجمع عليه اساتذة القانون الدولى[1] والمتخصصون فى مجال العلوم السياسية ، وهو ماينطبق على جامعة الدول العربية كمنظمة دولية اقليمية[2] يحق للدول العربية[3] أن تنضم الى عضويتها كما يحق للدول الاوربية الانضمام الى عضوية مجلس اوربا والدول الامريكية الانضمام الى عضوية منظمة الدول الامريكية[4]

(١) محمد حافظ غانم(دكتور): المنظمات الدولية دراسة لنظرية التنظيم الدولى ولاهم المنظمات الدولية ، ص٣١٣ .

(٢) عائشة راتب (دكتورة) : المنظمات الاقليمية ص ١٩١ .

(٣) وحيد رأفت (دكتور) : جامعة الدول العربية كمنظمة اقليمية ، ص ١٢ .

(٤) عبد الحميد محمد الموافى (دكتور) : مصرفى جامعة الدول العربية، دراسة فى دور الدولة الاكبر فى التنظيمات الاقليمية ١٩٤٥-١٩٧٠، ص٢٣-٢٤ .

واذا كانت جامعة الدول العربية قد تأسست فى شهر مارس عام ١٩٤٥ فان فكرتها ترجع الى ماقبل ذلك بعهد بعيد حتى أن الآراء تعددت حول هذا الموضوع فالبعض يرجع فكرتها من الناحية النظرية الى زمن الخلافتين الاموية والعباسية حينما كان معظم هذه المنطقة المعروف حاليا بالشرق الأوسط تحت الحكم الاسلامى. وعندما حكمت الدولة العثمانية منطقة الشرق الاوسط عقب توسعها التاريخى منذ النصف الاول من القرن السادس عشر وحتى نهاية الحرب العالمية الاولى فان فكرة الجامعة العربية ظهرت فى تلك المنطقة فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر بهدف تحويل الوحدة الثقافية للبلاد المتكلمة بالعربية الى اتحاد ثقافى . وفى هذا المجال ظهرت حركات متعددة فى العالم العربى . فهناك مثلا حركة جمعية بيروت السورية عام ١٨٧٥ التى كانت تدعو الى وحدة سورية أى بر الشام حينئذ ونادت باستقلاله والاعتراف باللغه العربية لغة رسمية للبلاد، بل انها طالبت كذلك بانتزاع الخلافة من الاتراك بعد أن ادعاها العثمانيون لانفسهم . وهناك ايضا حركة الشريف حسين شريف مكة اثناء الحرب العالمية الاولى والتى كانت تهدف الى توحيد المشرق العربى فى دولة عربية مستقلة . وهناك ايضا من رأي أن العرب تجمعهم وحدة بالفعل فى ظل الحكم العثمانى وهى وحدة التبعية للسلطان العثمانى باعتباره خليفة للمسلمين ويستطرد هذا الرأي الى القول بأن العالم العربى قد فقد هذه الوحدة بعد الحرب وتقسيم البلاد العربية بمعرفة الدول المنتصرة وذلك عن طريق حدود صناعية لم تكن معروفة من قبل . وعلى ذلك فقد عاشت فكرة الوحدة العربية فى وجدان بعض قادة العرب ومفكريهم كوسيلة لتقوية انفسهم بعد فقدانهم المصدر المشترك للدفاع عنهم والذى كان ممثلاً فى تبعيتهم لدولة الخلافة العثمانية بعد زوالها فى نهاية الحرب العالمية الأولى .

وقد أدت الاخطار التى احاطت بالعالم العربى بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى الى تحفز العرب الى التقارب والاتحاد حفاظا على كيانهم وديارهم هذا من جهة، ومن جهة أخرى فقد التفت هذه الرغبة مع رغبة بريطانيا التى كانت لها اليد الطولى فى ادارة دفة السياسة فى العالم العربى آنذاك الى امكان تحقيق هذا التقارب العربى لمصلحتها عن طريق مبدأ وَحِّد واحكم حكم كبديل للمبدأ الاستعمارى

السابق «فرق تسد». وقد تنبه العرب اثناء الحرب العالمية الاولى وبعدها الى انهم خدعوا على حساب مطامع الصهيونية العالمية وامانيها فى فلسطين وتبين لهم أن انجلترا كانت انما تمنيهم بملك عريض وبالاستقلال فى ظل صداقتها، بينما كانت تفاوض فرنسا اثناء الحرب وفى نفس الوقت على تقسيم مناطق النفوذ فى المشرق العربى . بل ان البعض من زعماء الحركة الصهيونية التى ظهرت فى أواخر القرن التاسع عشر وتطورت ونمت اثناء القرن العشرين يذكر بصراحة فى مذكراته ان الانجليز قد اتفقوا معهم قبل الحرب العالمية الاولى على تهويد فلسطين كما وعدوا بتسليمهم البلاد فى فترة اقصاها خمسة عشر عاما. وعندما صدر وعد بلفور عام ١٩١٧ بدأت انجلترا فى تنفيذ وعودها الصهيونية بكل اخلاص . وهنا بدأ التكتل بين العرب فى فلسطين ، يبدون هناك مقاومة غير متوقعة تعرقل المخطط الانجليزى – الصهيونى الى حين ، ثم ينتبه العرب بعد ذلك الى مغبة نزاعهم مع بعضهم ، وتبدأ الحكومات العربية فى أن تستمع الى نداء الرأي العام العربى لتوحيد الصف .

وفى هذا الصدد يشير الميثاق العربى الموقع فى القدس فى أواخر عام ١٩٣١ تعبيراً عن الفكرة العربية الجديدة والتى تجددت بعد زوال الدولة العثمانية. فالمادة الاولى من ذلك الميثاق على سبيل المثال تقول ان الاراضى العربية متكاملة وغير قابلة للانقسام وأن الامة العربية لاتوافق على تقسيمها كما حدث وجاء فى المادة الثانية مايوجه انظار العرب فى كل البلاد العربية الى وجوب العمل على تحرير البلاد العربية من الحكم الاجنبى وهذه كلها كانت آمال المخلصين من العرب ولكنها وجدت معوقات ليس فقط من خارج العالم للعربى ، بن من داخله ايضا ، فهناك المنافسات مثلما كان بين البيت الهاشمى والسعودى وهناك المصالح الاقتصادية وغيرها. وعند اعلان انشاء المملكة العربية السعودية فى عام ١٩٣٢ وظهور الاحتكاك بعدئذ بين السعودية واليمن وانتهى بعقد صلح بين الدولتين العربيتين فقد اشير فيه الى مسألة توحيد الامة العربية الاسلامية . ففى مارس ١٩٣٤ يعلن ابن سعود الحرب على اليمن وفى الشهر التالى يطلب امام اليمن الصلح ، وفى مايو من نفس العام تعقد هدنة (حرب السبعة أسابيع) ويتبعها توقيع معاهده السلام

بين الدولتين العربيتين الشقيقتين . وهذه الاتفاقات فضلا عن انها ادت الى تقارب بين عاهلين عربيين متجاورين ، وهو تقارب سوف يكون له اثره العميق على مجريات الأحداث بالمنطقة فيما بعد – فقد كانت ايضا دليلا على الصداقة الاسلامية والاخوة العربية . وتميزت المعاهدة بهذه العروض الكريمة التى قدمها ابن سعود الذى جعل الهدف من المعاهدة هو الوفاق بين الشعوب الاسلامية كما اشير فيها ايضا الى توحيد الامة العربية الاسلامية وذلك فى المادة ١٦ من المعاهدة .

وفى معاهدة الاخاء والتحالف فى عام ١٩٣٦ بين السعودية والعراق نرى دليلا آخر على الوحدة العربية حيث كانت هذه المعاهدة أول خطوة نحو اقامة وحدة سياسية وحربية على نطاق ضيق فى اطار الاخوة الاسلامية. كذلك نصت المعاهدة على توجه الطرفين المتعاهدين للحصول على موافقة اليمن على تلك المعاهدة كما نصت أيضا على أن يترك الباب مفتوحا للدخول فيها من الدول العربية المستقلة الاخرى. كذلك يؤكد الطرفان المتعاقدان أنهما سوف يتعاونان لتوحيد الثقافة العربية والاسلامية فى بلادهما بالاضافة الى النظم العسكرية وذلك عن طريق تبادل البعثات العسكرية، وفى العام التالى (١٩٣٧) اشتركت اليمن فى تلك المعاهدة.

ونلاحظ أنه فى نفس العام الذى حدث فيه التقارب السعودى العراقى ، تعقد ايضا معاهدة الصداقة بين مصر والعربية السعودية (مايو ١٩٣٦) وهذه اقامت العلاقات الدبلوماسية بين البلدين وبها اعترفت مصر بضم السعودية للحجاز فكانت بذلك خطوة أخرى نحو تقارب البلاد العربية. بعد ذلك تجىء فترة الحرب العالمية الثانية وابانها تخطو فكرة التقارب بين البلاد العربية المستقلة محاولة العمل معا بانسجام خطوة كبيرة نحو التحقيق . وتشهد فترة الحرب هذه خطوات الاعداد لهذا العمل الهام وهو ميلاد الجامعة العربية . بدأ هذا الحدث بفكرة وذلك اثناء الحرب العالمية الثانية ، حبذها وباركها بعض ساسة وحكام العرب. وبذلك تكونت الجامعة العربية التى شجعت على انشائها بطريقة غير مباشرة بريطانيا حفاظا على مصالحها فى المنطقة، وسيسهم خروجها الى الوجود فى تحقيق اهداف شخصية للبعض ممن

كانوا يتوقفون لزعامة العالم العربى حينئذ ثم تدفعها الظروف والاحداث بعدئذ للسير فى الطريق لخدمة المصالح العربية مجتمعة وحمايتها.

وفى مايو سنة ١٩٤١ اثناء الحرب العالمية الثانية وفى الوقت الذى كانت فيه ثورة رشيد عالى الكيلانى فى العراق تهدد المواقع البريطانية فى الشرق الاوسط صرح وزير الخارجية البريطانية (انتونى ايدن) فى مجلس العموم البريطانى بأن كثيرين من مفكرى العرب يرغبون فى أن تبلغ الشعوب العربية درجة من الوحدة اكبر مما يتمتعون به فى ذلك الوقت . ويضيف ايدن ان من الطبيعى ومن العدل ان تقوى الروابط الثقافية والاقتصادية بين البلاد العربى . وفى ذلك الخطاب ايضا يشيد ايدن بالدور الذى لعبته بريطانيا فى العالم العربى ولصالحه ويقول أن بلاده سوف تستمر فى اداء ذلك الدور . ثم يشرح ايدن حالة العالم العرب من بعد الحرب العالمية الاولى من وجهة النظر البريطانية بالطبع – ويبين أن ذلك التنظيم الجديد الذى شمل العالم العربى بعد تلك الحرب قد خطا بالعرب خطوات كبيرة الى الامام. وأخيرا يضيف ايدن ان العرب وهم يحاولون بلوغ الوحدة التى ينشدونها . يعتمدون على مساعدة بريطانيا التى سوف تستجيب الى هذه الرغبة وستبذل مساعدتها التامة.

وفى اوائل عام ١٩٤٣ يعيد ايدن الحديث عن الموضوع ويقول فى خطاب القاه أن الحكومة الانجليزية ترحب وتشجع التعاون الاقتصادى والسياسى بين الدول العربية فى الشرق الاوسط .

وهكذا يتضح لنا أن بريطانيا كانت لها مصلحة حينئذ فى خروج هذه الوحدة العربية الى حيز التنفيذ . فبريطانيا من ناحية كانت ترغب فى اقامة منطقة نفوذ اقتصادية فى الشرق الاوسط كله . وهذا يتحقق اذا كانت البلاد العربية متحدة فى كتلة ترعاها وتوجهها بريطانيا. ولهذا يجدد ايدن اقتراحه فى فبراير ١٩٤٣ كما ذكرنا ويحث العرب على البدء بذلك العمل . وهذا التعاون الاقتصادى على اية حال قد وجد اثناء الحرب العالمية الثانية كضرورة اقتصادية فى المنطقة وقد نظم الانجليز حينئذ امر هذا التعاون، فكان هناك اثناء الحرب – مايعرف باسم مركز

امدادات الشرق الاوسط الذى كان يديره البريطانيون لهذا الغرض . وبعد الحرب ايضا دعت الحاجة الى وجود مثل هذا التنظيم . فأنشأت بريطانيا فى القاهرة المكتب البريطانى للشرق الاوسط . وذلك ليحل هذا المكتب محل مركز امدادات الشرق الاوسط .

ومن ناحية اخرى وذلك فى مجال تعليلينا للدور الذى قامت به بريطانيا بخصوص نشأة جامعة الدول العربية فاننا نجد أن احداث الحرب العالمية الثانية قد اقنعت بريطانيا بوجوب قيامها بذلك الدور . لعدة اسباب اولها : بأن التحكم فى استراتيجية الشرق الاوسط سوف يستمر عاملا مهما فى استراتيجية بريطانيا فى العالم كله . ثانيا ان تلك الاحداث اقنعت انجلترا بأن قاعدتها فى مصر هى شرط اساسى للتحكم فى تلك الاستراتيجية . ذلك من الناحية العسكرية اما من الناحية السياسية ، فان خبرة بريطانيا الدبلوماسية والادارية قد اقنعت بريطانيا بأن الهدف الاستراتيجى يمكن الحصول عليه بموافقة شعوب وحكومات الشرق الاوسط .

ولكن كان من أهم الصعوبات التى واجهت بريطانيا فى ذلك المجال هى مسألة التأثير على بلاد الشرق الاوسط وتوجيهها بطريقه عملية من الناحية السياسية دون أن يبدو هناك تدخل خارجى فى شئونها . ومن هنا كانت فكرة انشاء جامعة عربية تضم دول المنطقة .

وكانت المبادرة البريطانية اذن هى الخطوه الاولى العملية نحو اخراج الجامعة الى حيز الوجود . وكان من الطبيعى ان تكون الخطوة التالية تحركا واستجابة من جانب الزعماء العرب. ولكن من منهم يأخذ على عاتقه زمام هذا العمل . وهنا ينظر الانجليز إلى مصر بالدرجة الاولى .

وكان الانجليز يعلمونُ انه ينبغى وضع مصر على رأس الدول العربية ان كان هناك بد من اقامة جامعة لها، وذلك لجملة اسباب فمصر كانت حينئذ أغنى البلاد العربية وهى لاشك اكثرها سكانا واكثرها تقدما واقواها بشكل عام. ومن الناحية الحضارية والجغرافية فمصر حلقة اتصال بن اوربا والشرق العربى ولهذا نلاحظ ان ميثاق الجامعة العربية بعدئذ يعطى مصر الصدارة بين الدول الاعضاء ،

فهو مثلا يجعل القاهرة مقرا دائما للجامعة (مادة ١٠) .

وشاء الانجليز لشخصيتين عربيتين على علاقه طيبة ووثيقه معهم ليكونا رائدى الفكرة فى العالم العربى وهذان هما مصطفى النحاس فى مصر ونورى السعيد فى العراق . وكان كل منهما قد تولى الحكم فى بلاده إبان فترة حرجة من هذه الفترات التى كانت تمر بها الامبراطورية البريطانية وبتأييد من السلطات البريطانية هنا او هناك . فنورى السعيد عين رئيسا لوزارة العراق عقب اخماد حركة رشيد عالى الكيلانى فى ربيع عام ١٩٤١ ، وجاء النحاس الى حكم مصر فى ٤ فبراير١٩٤٢ .

وبدا الأمر اذن رائعا فى أعين رئيس الوزراء المصرى حينئذ ، فذلك العمل فضلا عن كونه يسهم فى تحقيق آمال واحلام عربيه يمكنه من تقويه مركزه امام الملك فاروق كزعيم للعرب، فكان من الطبيعى ان يستجيب النحاس باشا لذلك النداء ودعت الحكومة المصرية رؤساء الحكومات العربية الى اجراء مباحثات ومشاورات ، ولبت الدول الدعوة المصرية .

وهكذا يلتقى الرئيسان المصرى والعراقى فى القاهرة فى صيف عام ١٩٤٤ وبعد جلاء قوات المحور عن افريقية وتدور المباحثات بينهما حول الاتحاد والتعاون بين الدول العربية ويستأنف النحاس محادثاته مع زعماء البلاد العربية الاخرى حول الموضوع وهذه السلسلة من المحادثات حول الوحدة العربية تستمر فى الفترة من أواخر يوليو الى نوفمبر ، ويشترك فيها مع مصر زعماء العراق وشرق الاردن والسعودية وسورية .

وفى خريف عام ١٩٤٤ وبعد شهور من المشاورات والمساومات يعقد مؤتمر من ممثلى الدول العربية المستقلة برياسة النحاس باشا فى الاسكندرية وقعت بعده وفود مصر وسورية والاردن والعراق ولبنان برتوكولا نص على انشاء جامعة للدول العربية ولكن الملك فاروق لم يلبث ان اقال النحاس باشا فى اليوم التالى لتوقيع البروتوكول ثم اخذ الملك فاروق – بمختلف وسائل الاعلام – يحاول ان يحل محل النحاس فى زعامة العالم العربى .

وفى ٢٢ مارس ١٩٤٥ ولدت الجامعة العربية اذ اصبح البروتوكول ميثاقا تلتزم به سبع دول عربية هى مصر والعراق والمملكة العربية السعودية وسورية ولبنان وشرق الاردن واليمن .

وفى هذا البروتوكول يتم الاتفاق على أن تؤلف (جامعة الدول العربية) من الدول العربية المستقلة التى تقبل الانضمام للجامعة ، وتوضع الخطوط العريضة لمهمة مجلس الجامعة وقراراته وتخص قضية فلسطين بقرار خاص. ولكن الحكومات العربية الموقعة على البروتوكول لاتقف موقفا حازما من قضية فلسطين فتكتفى بأن تبدى المها لما اصاب اليهود فى اوربا من الويلات والآلآم وتقنع بأن ترى أن «التعهدات التى ارتبطت بها الدولة البريطانيه والتى تقضى بوقف الهجرة اليهودية والمحافظة على الأراضى العربية والوصول الى استقلال فلسطين هى من حقوق العرب الثابتة» وفى مارس من العام التالى (١٩٤٥) تولد الجامعة اذ أصبح البروتوكول ميثاقا به سبع دول عربية هى مصر والعراق والمملكة العربية السعودية وسوريا ولبنان وشرقى الاردن واليمن .

ولانشاء الجامعة العربية تكون قد واتت العالم العربى فرصة لتحقيق احلام طالما راودت اذهان المخلصين من قادته ومفكريه، وتحقيق المصلحة العربية المشتركة والعمل الموحد . فمن الناحية النظرية قام العالم العربى بانشاء الجامعة لتحقيق وحدته بمشيئتة لاول مرة بعد ان فقد وحدة تبعيته للحكم العثمانى ولم يبق سوى ان يجعل ابناء الامه العربية هذا الحلم حقيقة .. فتكون الجامعة العربيه خطوه هامة نحو الوحدة العربية . وعلى أيه حال ، مهما كانت عوامل الثبات والاختلاف فى الجامعة، فكان هناك موضوع واحد على الاقل لم يختلف عليه الاعضاء بالجامعة وهو مسألة فلسطين بشكل عام .

وقد تحددت اهداف الجامعة العربية – كما نص عليها ميثاقها فيما يلى :

١ – توثيق الصلات بين الدول المشتركة فيها.

٢ – تنسيق خططها السياسية تحقيقا للتعاون بينها وصيانة استقلالها وسياستها.

٣– النظر بصفة عامة فى شئون البلاد العربية ومصالحها .

٤ – تعاون الدول المشتركة فيها تعاونا وثيقا فى الشئون الاقتصادية والمالية والثقافية وشئون الجنسية والجوازات والتأشيرات .

٥ – التعاون مع الهيئات الدولية لاقرار السلم والامن فى العالم .

٦ – كذلك جاء فى ملحق خاص بالتعاون مع البلاد العربية غير المشتركة فى مجلس الجامعة ان الدول الموقعة على ميثاق الجامعة العربية يعنيها بوجه خاص أن توصى مجلس الجامعة فيما يتعلق بهذه البلاد بأن يذهب فى التعاون معها الى ابعد مدى مستطاع ، وفيما عدا ذلك بألا يدخر جهداً للتعرف على حاجتها وتفهم امانيها وآمالها وبأن يعمل بعد ذلك على صلاح احوالها وتزمين مستقبلها بكل ماتهيؤه الوسائل السياسية من اسباب .

وسوف نعرض الشروط الخاصة بعضوية الجامعة العربية ومجلسها وامانتها العامة ونتبع نمو الجامعة ومجالات نشاطها على النحو التالى :

أولا : عضوية الجامعة :

وتتألف الجامعة العربية من الدول العربية المستقلة والموقعة على ميثاقها وهذه الدول هي : سوريا – الاردن – العراق – المملكة العربية السعودية – لبنان – مصر – اليمن ولكل دولة عربية الحق فى الانضمام الى الجامعة. واذ ارادت احدى الدول الاعضاء الانسحاب ابلغت المجلس عن عزمها على الانسحاب قبل ذلك بسنه ، كذلك للدولة العضو أن تنسحب من الجامعة اذا لم توافق على تعديل فى ميثاق الجامعة تقره ثلثا دول الجامعة .

ثانيا: مجلس الجامعة :

يتألف من ممثلى الدول الاعضاء بها . ولكن دولة صوت واحد فى المجلس الذى يعقد بصفة عادية مرتين فى العام او بصفة غير عادية كلما دعت الضرورة الى ذلك . ويتناول ممثلوا الدول رئاسة المجلس فى كل انعقاد عادى .

اما مهام مجلس الجامعة فهى القيام على تحقيق اغراض الجامعة، ومراعاة ماتبرمه الدول المشتركة فيها من اتفاقات وتقرير وسائل التعاون مع الهيئات الدولية

وتنظيم تكوين اللجان الخاصة لتنفيذ ذلك التعاون، واخيرا فض المنازعات بين الدول العربية وقرارات المجلس نافذة وملزمة فى مجال فض المنازعات . كذلك يتوسط المجلس فى حالات الخلاف التى يخشى منها وقوع حرب بين دول الجامعة ودولة اخرى غير عضو ودولة من دول الجامعة. علاوة على ذلك يقرر المجلس التدابير اللازمة لدفع اعتداء وقع على دولة عضو فى الجامعة .

والمجلس يعين – بأغلبية ثلثى الاعضاء – الأمين العام للجامعة . كما يوافق المجلس على من يعينه الامين العام من امناء مساعدين وموظفين ولمجلس الجامعة أن يقرر فصل احدى الدول الاعضاء التى لاتقوم بواجبها ازاء الميثاق بقرار جماعى للدول الاعضاء ، كما يوافق المجلس على ميزانية الجامعة ويحدد نصيب كل دولة فى النفقات ، كذلك له أن يعدل من ميثاق الجامعة بموافقة ثلثى الاصوات ، كذلك له أن يختار مندوبا عن فلسطين للاشتراك فى اعمال مجلس الجامعة وذلك حتى يتم استقلالها .

ثالثا : الامانة العامة للجامعة :

يكون للجامعة أمانة دائمة تتألف من أمين عام وامناء مساعدين وعدد من الموظفين لمساعدته والامين العام على درجة سفير والمساعدين فى درجة وزراء مفوضين والامين العام يدعو المجلس للانعقاد كما يعد مشروع الميزانية ويعرضه على المجلس .

رابعا: نمو الجامعة ومجالات نشاطها :

بعد هذا تنمو الجامعة بانضمام الدول العربية التى تستقل تباعا فتنضم اليها السودان وليبيا وتونس والجزائر والمغرب والكويت حتى شملت جميع الدول العربية القائمة حاليا ومنها موريتانيًا وجيبوتى ومنظة التحرير الفلسطينية وقد قامت الجامعة باعبائها فيما يتعلق بالعالم العربى عامة ومشكلة فلسطين خاصة فى حدود ماسمحت به ظروفها، وكانت اريتريا هى آخر دولة تنضم اليها .

كذلك قامت الجامعة باعبائها ازاء السلام العالمى ودعمه ،ونجحت فى تثبيت كيانها فى المحيط الدولى ، واصبحت من المنظمات الاقليمية التى نص عليها ميثاق

الامم المتحدة باعتراف مجلس الأمن بذلك . كذلك تظهر الكتلة العربية فى اجتماعات الامم المتحدة عند عرض القضايا العربية خاصة والقضايا العالمية عامة . وتتصل الجامعة بالدول الكبرى فيما يتعلق بقضايا العالم العربى منها لحلها كما حدث مثلا ابان المحن التى تعرض لها كل من تونس ومراكش والجزائر قبل استقلالها.

وقد نبهت كارثة فلسطين الأذهان فى العالم العربى ، وادركت دول الجامعة ان من اهم اسباب الضعف عدم وجود تضامن عسكرى واقتصادى بين الدول العربية ولذا تعقد معاهدة الضمان العربى سنه ١٩٥٠م (رغبة منها فى تقوية الروابط وتوثيق التعاون بين دول الجامعة وحرصا على استقلالها ومحافظة على تراثها المشترك واستجابة لرغبة شعبها فى جمع الصفوف لتحقيق الدفاع المشترك عن كيانها وصيانة الأمن والسلام وفقا لمبادئ ميثاق جامعة الدول العربية وميثاق الامم المتحدة وتطبيقا لاهدافها، وتقريرا للاستقرار والطمأنينة وتوفير اسباب الرفاهية والعمران فى بلادها).

كذلك تنص المادة الثانية من هذه المعاهدة على أن الدول المتعاقدة تعتبر كل اعتداء مسلح يقع على أية دولة أو اكثر منها أو على قواتها اعتداء عليها جميعا وعلى ذلك فهى – عملا بحق الدفاع الشرعى – تلتزم بمعونة الدول المعتدى عليها وتنص المادة الثالثة فيها على التشاور بين الدول فيما بينها كلما هددت احداها. كما تنص المادة الخامسة على تأليف لجنة عسكرية دائمة من ممثلى هيئة اركان حرب الجيوش العربية المتعاقدة، لتنظيم خطط الدفاع المشترك ، كما يؤلف مجلس الدفاع المشترك من وزراء الخارجية والدفاع بالدول الأعضاء .

وعلى امتداد قرابة نصف قرن من إنشاء جامعة الدول العربية كان دور مصر بين شقيقاتها العربيات طليعيا ومؤثرا لتحقيق الوحدة العربية والتضامن العربى فى مختلف المجالات .كما تقوم حاليا بدور طليعى مؤثر من أجل إقامة سلام دائم وعادل فى منطقة الشرق الأوسط .

نص ميثاق جامعة الدول العربية

(٨ ربيع الثاني سنه ١٣٦٤هـ / ٢٢ مارس سنه ١٩٤٥م)

إن حضرة صاحب الفخامة رئيس الجمهورية السورية ، وحضرة أمير شرق الأردن وملك العراق وملك المملكة العربية السعودية ورئيس الجمهورية اللبنانية وملك مصر، وملك اليمن تثبيتا للعلاقات الوثيقة والروابط العديدة التى تربيط بين الدول العربية وحرصا على دعم هذه الروابط وتوطيدها على أساس احترام استقلال تلك الدول وسيادتها وتوجيها لجهودها الى مافيه خير البلاد العربية قاطبة وصلاح احوالها وتأمين مستقبلها وتحقيق امانيها وآمالها واستجابة للرأى العربى العام فى جميع الاقطار العربية .

قد اتفقوا على عقد ميثاق لهذه الغاية بيانه على النحو التالى :

مادة ١ : تتألف جامعة الدول العربية من الدول العربية الموقعة على هذا الميثاق ولكل دولة عربية مستقلة الحق فى ان تنضم الى الجامعة فاذا رغبت فى الانضمام قدمت طلبا بذلك يودع لدى الامانة العامة الدائمة ويعرض على المجلس فى اول اجتماع يعقد بعد تقديم الطلب .

مادة ٢ : الغرض من الجامعة توثيق الصلات بين الدول المشتركة فيها وتنسيق خططها السياسية تحقيقا للتعاون بينها وصيانه لاسقلالها وسيادتها والنظر بصفة عامة فى شئون البلاد العربية ومصالحها. كذلك من اغراضها تعاون الدول المشتركة فيها تعاونا وثيقا بحسب نظم كل دولة منها واحوالها فى الشئون الآتية :

أ – الشئون الاقتصادية والمالية ويدخل فى ذلك التبادل التجارى والجمارك والعمله وأمور الزراعة والصناعة .

ب– شئون المواصلات ويدخل فى ذلك السكك الحديدية والطرق والطيران

والملاحة والبرق والبريد .

ج – شئون الثقافة .

د – شئون الجنسية والجوازات والتأشيرات وتنفيذ الاحكام وتسليم المجرمين.

هـ – الشئون الاجتماعية .

و – الشئون الصحيه .

مادة ٣ : يكون للجامعة مجلس يتألف من ممثلى الدول المشتركة فى الجامعة ويكون لكل منها صوت واحد مهما يكن عدد ممثليها. وتكون مهمته القيام على تحقيق اغراض الجامعة ومراعاة تنفيذ ماتبرمه الدول المشتركة فيها من اتفاقات فى الشئون المشار اليها فى المادة السابقة وفى غيرها ويدخل فى مهمة المجلس كذلك تقرير وسائل التعاون مع الهيئات الدولية التى قد تنشأ فى المستقبل لتحقيق الامن والسلام ولتنظيم العلاقات الاقتصادية والاجتماعية.

مادة ٤ : تؤلف لكل من الشئون المبينة فى المادة الثانية لجنة خاصه تمثل فيها الدول المشتركة فى الجامعة وتتولى هذه اللجان وضع قواعد التعاون ومداه وصياغتها فى شكل مشروعات اتفاقات تعرض على المجلس للنظر فيها تمهيدا لعرضها على الدول المذكورة ويجوز ان يشترك فى اللجان المتقدم ذكرها اعضاء يمثلون البلاد العربية الاخرى . ويحدد المجلس الاحوال التى يجوز فيها اشتراك أولئك الممثلين وقواعد التمثيل .

مادة ٥ : لايجوز الالتجاء الى القوة لفض المنازعات بين دولتين أو اكثر من دول الجامعة فاذا نشب بينهما خلاف لايتعلق باستقلال الدولة أو سيادتها او سلامة اراضيها، ولجأ المتنازعون الى المجلس لفض هذه الخلافات كان قراره نافذا وملزما. وفى هذه الحاله لايكون للدول التى وقع بينها الخلاف الاشتراك فى مداولات المجلس وقراراته .

ويتوسط المجلس لحل الخلاف الذى يخشى منه وقوع حرب بين

دولة من دول الجامعة وبين ايه دوله اخرى من دول الجامعة أو غيرها للتوفيق بينها وتعد قرارات التحكيم والقرارات الخاصة بالتوسط باغلبية الآراء.

مادة ٦ : اذا وقع اعتداء من دولة على دولة من اعضاء الجامعة أو خشى وقوعه فالدوله المعتدى عليها أو المهدده بالاعتداء ان تطلب دعوة المجلس للانعقاد فورا ويقرر المجلس التدابير اللازمة لدفع هذا الاعتداء ويصدر قرار بالاجماع. فاذا كان الاعتداء من احدى دول الجامعة لايدخل فى حساب الاجماع رأى الدوله المعتدية . واذا وقع الاعتداء بحيث يجعل حكومة الدولة المعتدى عليها عاجزه عن الاتصال بالمجلس فلممثل تلك الدولة ان تطلب انعقاده للغاية المبينة فى الفقرة السابقة ، واذا تعذر على الممثل الاتصال بمجلس الجامعة حق لاى دولة من اعضائه ان تطلب انعقاده .

مادة ٧ : ما يقرره المجلس بالاجماع يكون ملزما لجميع الدول المشتركة فى الجامعة، ومايقرره المجلس بالاكثرية يكون ملزما لمن يقبله . وفى الحالتين تنفذ قرارات المجلس فى كل دولة وفقا لنظمها الاساسية.

مادة ٨ : تحترم كل دولة من الدول المشتركة فى الجامعة نظام الحكم القائم فى دول الجامعة الاخرى وتعتبره حقا من حقوق تلك الدول وتتعهد بأن لاتقوم بعمل يرمى الى تغيير ذلك النظام فيها .

مادة ٩ : لدول الجامعة العربية الراغبة فيما بينها فى تعاون اوثق وروابط اقوى مما نص عليه هذا الميثاق ان تعقد بينها من الاتفاقات ماتشاء لتحقيق هذه الاغراض . والمعاهدات والاتفاقات التى سبق ان عقدتها او التى تعقدها فيما بعد دولة من دول الجامعه مع أيه دولة أخرى لاتلزم ولاتقيد الاعضاء الاخرين .

مادة ١٠ : تكون القاهره المقر الدائم لجامعة الدول العربية ، ولمجلس الجامعة ان

يجتمع فى أى مكان آخر يعينه .

مادة ١١ : ينعقد مجلس الجامعه انعقادا عاديا مرتين فى العام فى كل من شهرى مارس واكتوبر وينعقد بصفة عادية كلما دعت الحاجة الى ذلك بناء على طلب دولتين من دول الجامعة .

مادة ١٢ : يكون للجامعة امانة عامه دائمه تتألف من أمين عام وامناء مساعدين وعدد كاف من الموظفين ويعين مجلس الجامعة بأغلبية ثلثى دول الجامعه الامين العام . يعين الامين العام بموافقة المجلس الأمناء المساعدين والموظفين الرئيسيين فى الجامعة ويضع مجلس الجامعة نظاما داخليا لاعمال الامانه العامة وشئون الموظفين ويكون الامين العام فى درجة سفير والامناء المساعدون فى درجة وزراء مفوضين ويعين فى ملحق لهذا الميثاق اول امين عام للجامعة .

مادة ١٣ : يعد الامين العام مشروع ميرانية الجامعة ويعرضه على المجلس للموافقة عليه قبل بدء كل سنة مالية . ويحدد المجلس نصيب كل دولة من دول الجامعة فى النفقات ويجوز ان يعيد النظر فيه عند الاقتضاء .

مادة ١٤ : يتمتع مجلس الجامعة واعضاء لجانها وموظفوها الذين ينص عليهم فى النظام الداخلى بالامتيازات وبالحصانه الدبلوماسية اثناء قيامهم بعملهم وتكون مصونة حرمة المبانى التى تشغلها هيئات الجامعة .

مادة ١٥ : ينعقد المجلس للمرة الاولى بدعوة من رئيس الحكومه المصرية وبعد ذلك بدعوة من الامين العام ويتناوب ممثلو دول الجامعة لرياسة المجلس فى كل انعقاد عادى .

مادة ١٦ : فيما عدا الاحوال المنصوص عنها فى هذا الميثاق يكتفى باغلبية الآراء لاتخاذ المجلس قرارات نافذة فى الشئون الآتية :

أ – شئون الموظفين .

ب – اقرار ميزانية الجامعة .

ج – وضع نظام داخلى لكل من المجلس واللجان والامانه العامة .

مادة ١٧ : تودع الدول المشتركة فى الجامعه الامانه العامه نسخا من جميع المعاهدات والاتفاقات التى عقدتها او تعقدها مع أيه دولة اخرى من دول الجامعة او غيرها.

مادة ١٨ : اذا رات احدى دول الجامعة ان تنسحب منها ابلغت المجلس عزمها على الانسحاب قبل تنفيذه بسنة . وللمجلس الجامعة أن يعتبر اية دولة لاتقوم بواجبات هذا الميثاق منفصلة عن الجامعة وذلك بقرار يصدره باجماع الدول عدا الدولة المشار اليها .

مادة ١٩ : يجوز بموافقة ثلثى دول الجامعه تعديل هذا الميثاق وتعديل النصوص لجعل الروابط بينها امتن وأوثق ولانشاء محكمة عدل عربية ولتنظيم صلات الجامعه بالهيئات الدولية التى قد تنشز فى المستقبل لكفالة الامن والسلام . ولايبت فى التعديل الا فى دور الانعقاد التالى للدور الذى يقدم فيه الطلب . وللدولة التى لاتقبل التعديل ان تنسحب عند تنفيذه دون التقيد باحكام المادة السابقة .

مادة ٢٠ : يصدق على هذا الميثاق وملاحقه وفقا للنظم الاساسية المرعية فى كل من الدول المستقلة . وتودع وثائق التصديق لدى الامانة العامه ويصبح الميثاق نافذا قبل من صدق عليه بعد انقضاء خمسة عشر يوما من تاريخ استلام الامين العام وثائق التصديق من أربع دول.

حرر هذا الميثاق باللغة العربية فى القاهرة بتاريخ ٨ ربيع الثانى سنه ١٣٦٤ هـ (٢٢ مارس سنه ١٩٤٥) من نسخة واحدة تحفظ فى الامانة العامة. وتسلم صوره منها مطابقة للأصل لكل دولة من دول الجامعة.

وقد أنابت كل الدول المؤسسه للجامعة العربية عنهم مفوضين لتوقيع الميثاق فكان السيد فارس الخورى رئيس وزراء سوريا على رأس مفوضى سوريا، وسمير الرفاعى باشا رئيس الوزراء الأردنى على رأس مفوضى امارة شرق الاردن ، والسيد / ارشد العمرى وزرى الخارجية العراقى على رأس مفوضى المملكة العراقية ، والشيخ / يوسف ياسين نائب وزير خارجية المملكة العربية السعودية على رأس مفوضيها ، والسيد / عبد الحميد كرامى رئيس الوزراء اللبنانى على رأس مفوض جمهورية لبنان ، ومحمود فهمى النقراشى باشا رئيس الوزراء المصرى على رأى مفوضى المملكة المصرية . كما لم يمثل بلاده ولم يشترك فى توقيع الميثاق الرجلان اللذان اخذا على عاتقهما صنع الجامعة العربية وهما مصطفى النحاس باشا الذى وقع بروتوكول الاسكندرية بصفته رئيسا لوزراء مصر . ونورى السعيد الذى اشترك ايضا فى توقيع بروتوكول الاسكندرية فى ٧ اكتوبر سنه ١٩٤٤ رغم انه كان قد أقصى عن رئاسة الوزراء حينئذ . وقد اشترك فى التوقيع على الميثاق عبد الرحمن عزام بك، وهو رجل ذو ماض طيب فى الحركة الوطنية ومقاومة الاستعمار الايطالى فى ليبيا وكان عبد الرحمن عزام فى هذه الآونة يشغل منصب وزير مفوض بوزارة الخارجية المصرية (١٩٤٥) . وبعد توقيع الميثاق اتفقت الدول الموقعة عليه على تعيين عبد الرحمن عزام أمينا عاما للجامعة العربية .

البحث الثانى عشر

منظمة الوحدة الافريقية كمنظمة دولية اقليمية

البحث الثاني عشر

منظمة الوحدة الافريقية كمنظمة دولية اقليمية

تعتبر منظمة الوحدة الافريقية من أبرز المنظمات الدولية الاقليمية التى شهدها العالم فى اوائل الستينات من القرن العشرين . وتحتل مصر فيها مكانة ممتازة كعضو مؤسس ومؤثر نظرا للدور الكبير الذى قامت به فى حركة التحرير والاستقلال فى القارة الافريقية . وتعود موجة التحرر والاستقلال التى اجتاحت قارة افريقيا الى عام ١٩٥٥ التى استمرت حتى شهدت مولد ثلاث وثلاثين دولة افريقية مستقلة حتى عام ١٩٦٤ . هذه الموجة قد جاءت فى اعقابها موجة من الاجتماعات والمؤتمرات التى شارك فيها رؤساء الدول الافريقية المستقلة والمسئولين فيها. ففى الفترة مابين ابريل ١٩٥٨ وديسمبر ١٩٦١ مثلا بلغ مجموع المؤتمرات والاجتماعات السياسيه الافريقيه الخاصة ثمانين مؤتمرا واجتماعا. وقد لعبت القاهرة دورا فعالا فى ابرز هذه المؤتمرات والاجتماعات واهمها مؤتمرات اكرا ، الدار البيضاء ، اديس ابابا ، القاهرة (١) .

ففى اكرا اجتمعت الدول الافريقيه المستقلة لاول مرة لتؤكد الشخصية الافريقية وكان حضور ممثلى هذه الدول لحفلات اعلان استقلال غانا (مارس ١٩٥٨) فرصه لمباحثات دارت بين الرئيس الغانى وبينهم . وخلال هذه المباحثات تبين للجميع أن هناك اتفاقا عاما بين الدول الافريقية ازاء المواقف السياسية الدولية وبدت الفرصة سانحة لخلق تجمع افريقى يعمل على تأكيد الشخصية الافريقية، ويقدم المساعدات لشعوب افريقيا التى كانت حينئذ تناضل فى سبيل تحررها واستقلالها ويعمل على بحث شئون افريقيا بحرية، ودون تدخل من الخارج. وهكذا تخرج فكرة عقد مؤتمر اكرا، عاصمة غانا ، إلى الوجود فى١٠ ابريل ١٩٥٨ . وقد اجمع المراقبون السياسيون فى العالم على أن هذا المؤتمر هو اول

---

(١) بطرس غالى (دكتور) : الحركة الأفروآسيوية ، دار الكتاب الجديد ، القاهرة ، ص ٩٨ .

خطوة فى المرحلة الاخيرة الحاسمة لتحرر افريقيا نهائيا وظهورها فى المجتمع الدولى كقوه مستقلة.

واشتركت فى المؤتمر الدول الأفريقية المستقله الآتية :

اثيوبيا ، غانا ، ليبيا ، المغرب ، السودان ، تونس ، مصر . واصدر المؤتمر قرارا بالتمسك بالمبادئ التى اعلنها مؤتمر باندونغ (القرار الأول) ويؤكد ويدعو الى مقاومة التفرقة العنصرية وتأمين سيادة الدول الافريقية المستقلة ومساعدة الدول الافريقية التى لم تنل استقلالها بعد ، ويندد بالتدخل الاجنبى فى شتى اشكاله وذلك رغبة فى تأكيد الشخصية الافريقية ووقوفها الى جانب السلام (القراران الرابع والخامس) . كذلك يتخذ المؤتمر قرارا خاصا بالجزائر ، وفيه يعترف بأن جبهة التحرير الوطنى الجزائرى هى الهيئة الوحيدة التى تمثل شعب الجزائر ، ويحث فرنسا على الدخول فى مفاوضات عاجلة للوصول الى تسويه نهائية وعادله للمشكلة (القرار الثالث) .

وفى الدار البيضاء اجتمع بعض اقطاب القاره الافريقية لبحث شئونها فى الفترة مابين ٣و٨ يناير سنه ١٩٦١ . ويعتبر ذلك الاجتماع اول جهد افريقى منظم لاقطاب القارة لهذا الغرض. وقد سبق المؤتمر سلسلة من الاجتماعات والمقابلات بين ممثلى الدول التى اشتركت فيه، ثم عقد بناء على دعوة من الملك محمد الخامس وقتئذ وفى ذلك المؤتمر يشترك مع الملك المغربى من الرؤساء جمال عبد الناصر وكوامى تووما رئيس غانا واحمد سيكوتورى رئيس غينيا وموديبوكيتا رئيس مالى وعباس فرحات رئيس الحكومة المؤقته للجزائر فى ذلك الوقت . ويحضر المؤتمر ايضا ممثل شخصى لملك ليبيا .

وتمخض هذا النشاط عن تكوين «منظمة الدار البيضاء» وهى أول منظمة جمعت بين دول افريقيا العربية وغير العربية وأدخلت فى القارة الافريقية مبادئ ثورية جديدة كانت ذات أثر فى المبادئ التى قامت عليها منظمة الوحدة الافريقية فيما بعد . وكانت لمنظمة الدار البيضاء هيئات عامة مثل اللجنة السياسيه الافريقية واللجنه الثقافية .

والميثاق الافريقى الذى وقعه الاقطاب عقب هذه الاجتماعات تضمن مبادئ هامة ومنها مبدأ الوحدة الافريقية الكاملة ومبدأ عدم الانحياز ومبدأ محاربة الاستعمار ومبدأ يحض على تطبيق الروح الاشتراكيه اذ يقول «من الضرورى أن توجه الدول الافريقيه خطتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية نحو استغلال ثروتها القومية لصالح شئونها وضمان توزيع هذه الثروة توزيعا عادلا بين جميع مواطنيها. كذلك تؤكد قرارات الميثاق العزم على نصرة الحركات التحررية فى جميع انحاء افريقيا، وتحقيق وحدتها واتخاذ الاجراءات العلمية للتعاون الافريقى فى مجالات السياسة والثقافة والاقتصاد والجيوش الافريقية .

وبحث المؤتمر ايضا قضايا القاره الافريقيه المتعلقه حينئذ ، وهى قضايا الجزائر موريتانيا وروندا أو راندى والتفرقة العنصرية والتجارب الذرية. كما تناول المشكلة الفلسطينية ورأى حلها حلا عادلا يتمشى مع قرارات الامم المتحدة وقرارات مؤتمر باندونغ وترد الى عرب فلسطين حقوقهم الكامله . ويندد باسرائيل كأداة للاستعمار بنوعية القديم والجديد فى آسيا وافريقيا . وبذلك تصبح وجهة النظر العربية فى القضية الفلسطينية سياسه رسميه ايضا لدول افريقيا غير العربية.

وتظهر فى هذه الاسماء ايضا محاولات لاعادة تجميع الدول الافريقيه المستقلة عن طريق التقارب بين التكتلات الاقليمية التى نشأت فى القارة. وهكذا عقد مؤتمر افريقى فى (مايو ١٩٦١) ، واشترك فى ذلك المؤتمر دول المجموعة برازفيل (السنغال – افريقيا الوسطى – الكونغو برازفيل جابون – الكاميرون – الكونغو «ليوبولد فيل» – تشاد – مدغشقر.) وهى دول ناطقة بالفرنسية وسبع دول اخرى هى «نيجيريا – اثيوبيا – ليبيريا – سيراليون – الصومال – تونس – ثم توجو) .

وعقد بعدئذ مؤتمر لاجوس (يناير ١٩٦٢) الذى ضم دول مجموعة مونروفيا التى لم تشترك فى ذلك المؤتمر ومجموعه الدار البيضاء لاغفال دعوة الحكومة الجزائرية المؤقته، كما تنسحب من المؤتمر لهذا السبب ايضا كل من السودان وتونس ومجموعة برازفيل ، وهى تتمتع بأغلبية داخل مجموعة مونروفيا اتخذت

هذا الموقف من الجزائر ترضية لفرنسا. ولكن قام بعدئذ عدد لابأس به من زعماء القارة الافريقية فى محاولة التوفيق بين مجموعتى الدار البيضاء ومنروفيا.

وفى ٢٧ يونيو ١٩٦٢ عقد فى القاهرة مؤتمر لاقطاب افريقيا وذلك فى خلال الدورة الثانية لانعقاد اللجنة السياسية لميثاق الدار البيضاء الافريقى بالقاهرة. وحضر هذا المؤتمر من الرؤساء جمال عبد الناصر والملك الحسن وموديبوكيتا وبن يوسف بن خده رئيس حكومة الجزائر المؤقته ووزير خارجية غانا.

وقام الرؤساء باستعراض الحالة الدولية بصفة عامة والمشاكل الافريقية بصفة خاصة وأسفر المؤتمر عن قرارات تؤكد كفاح القارة الافريقية للتحرر والاستقلال والحرص على صالح الشعب الافريقى .

وفى اديس ابابا، عقد مؤتمر من رؤساء الدول الافريقية (٢-٢٥ مايو١٩٦٣) وهو تتويج لجهود المخلصين من قادة افريقيا فى سبيل التمهيد للوحدة الافريقية وقد اشتركت فى ذلك المؤتمر ٣٠ دولة افريقية مشتركة مستقلة هي : مصر - ليبيا - تونس - الجزائر - مالى النيجر - تشاد - السودان - اثيوبيا - الصومال - اوغندا - راوندا - بورندى - تنجانيقا - الكونغو «ليوبولدفيل» - الكونغو «برازافيل» جابون - جمهورية وسط افريقيا - الكاميرون - نيجيريا - دالومى - غانا - فولتا العليا - ساحل العاج - ليبريا - سيراليون .

وبذلك يعتبر هذا المؤتمر الأول من نوعه فى تاريخ القارة نظرا لهذا العدد الكبير من رؤساء الدول الذين شاركوا فيه . وترجع فكرة عقده لايام عقد المؤتمر بالدار البيضاء الذى ترك ميثاقه الباب مفتوحا لعضوية باقى الدول الافريقية وذلك فى محاولة لحث باقى رؤساء الدول الافريقية الى بحث مستقبل سكان قارتهم . وبفضل الروح الطيبة التى سادت عواصم الدول الافريقية انتهت الجهود بأن دعا امبراطور الحبشة الى عقد مؤتمر فى أديس أبابا يضم جميع رؤساء الدول الافريقية اتفق فيه على جدول اعمال مؤتمر الاقطار . وهذا نجح نجاحا باهرا رغم حدوث مناورات لافشاله وبث التفرقة بين الدول الافريقية .

واخيرا يتمخض المؤتمر عن عقد ميثاق منظمة الوحدة الافريقية لدول القارة الافريقية ومدغشقر والجزر المجاورة للقارة . يتكون ميثاق اديس ابابا من الديباجة وثلاثة وثلاثين مادة وأهم ماجاء بالديباجة انها تؤكد تمشى اديس ابابا مع ميثاق الامم المتحدة أما الميثاق فيحتوى على المبادئ التى تنظم علاقات الدول الافريقية بعضها ببعض من ناحية وعلاقاتها مع العالم من ناحية اخرى وفى هذا المجال يؤكد ميثاق اديس ابابا العزم عل محاربة الاستعمار بجميع صوره، واتباع سياسة عدم الانحياز. وعلى ذلك فان مؤتمر اديس ابابا يعتبر نقطة لقاء بين دول القارة كما يعتبر نقطة تحول فى تاريخها .

عضوية المنظمة والانسحاب منها :

تنص المادة الرابعة من ميثاق المنظمة على أن «لكل دولة افريقية مستقلة ذات سيادة الحق فى أن تصبح عضوا فى المنظمة» .

وجاء فى تفسير الميثاق (القبول والانضمام – المادة ٢٨) انه يجوز لكل دولة افريقية مستقلة ذات سيادة ترغب فى الانضمام الى المنظمة أن تخطر امين عام المنظمة بهذه الرغبة ، ويقوم الامين العام بدوره بتبليغ هذه الرغبة الى الدول الاعضاء لابداء الرأي . وبعد ذلك يتقرر قبول العضو بالاغلبية المطلقة للدول الاعضاء بعد ابلاغ كل دولة عضو بقرارها الى الأمين العام . ثم يبلغ الأمين العام الدولة طالبة الانضمام بقرار دول المنظمة .

ويفهم من الميثاق وتفسيره للقرارات الخاصة بتصفية الاستعمار والتفرقة والتمييز العنصرى فى مؤتمر القمة للدول الافريقية المنعقد فى اديس ابابا (٢٢–٢٥ مايو ١٩٦٣) ، وهو المؤتمر الذى تمخض عنه تكوين هذه المنظمة انه من غير المعقول ان تضم المنظمة اليها دولة تمثلها حكومة جنوب افريقيا العنصرية او تمثلها حكومة الاقلية البيضاء فى روديسيا فالدولة العضو يجب أن تكون مؤمنه من المنظمة ومبادئها وتعمل مخلصة على تحقيق اهدافها.

أما الانسحاب من عضوية المنظمة، فقد اشارت اليه المادة ٣٢ من الميثاق فكل دولة عضو ترغب فى الانسحاب من المنظمة تقدم تبليغا كتابيا بذلك الى الامين العام. وبعد مضى عام من تقديم الطلب يمكن اعتبار الدولة قد بطل انتمائها للمنظمة وللدولة أن تسحب ذلك التبليغ فى غضون هذا العام .

مبادئ المنظمة :

جاءت بها المادة الثالثة من ميثاق المنظمة ، محققة لاهدافها وتحقيقا لذلك يؤكد اعضاء المنظمة ارتباطهم بالمبادئ الآتية :—

١ — المساواة فى السيادة بين الدول الاعضاء .

٢ — احترام سيادة كل دولة وسلامة اراضيها وحقها الثابت فى استقلال كيانها. وذلك يتضمن عدم التدخل فى الشئون الداخلية للدول الاعضاء واستنكار الوان النشاط الهدام الذى تقوم به دول مجاورة أو أى دول أخرى .

٣ — التسوية السلمية للمنازعات عن طريق التفاوض أو الوساطة أو التوفيق والتحكيم.

٤ — استنكار اعمال الاغتيال السياسى فى جميع صوره.

٥ — العمل باخلاص فى سبيل قضية التحرير التام للاراضى الافريقية التى مازالت مستعمرة .

٦ — تأكيد سياسة عدم الانحياز تجاه جميع الكتل .

اهداف المنظمة :

بينت المادة الثانية من ميثاق المنظمة هذه الاهداف وحصرتها فيما يلى :

١ — دعم وحدة دول افريقيا وتضامنها.

٢ — تنسيق وتقوية تعاون الدول الافريقية وجهودها لتحقيق حياة افض لشعوب

افريقيا.

٣ – الدفاع عن سياستها وسلامة اراضيها واستقلالها.

٤ – القضاء على الاستعمار بجميع صوره فى افريقيا .

٥ – تشجيع التعاون الدولى فى ظل ميثاق الامم المتحدة والاعلان العالمى لحقوق الانسان.

كذلك نصت المادة الثانية على تنسيق الدول الاعضاء فى المنظمة لسياستهم العامة والعمل على التوفيق ولاسيما فى ميادين التعاون السياسى والدبلوماسى والاقتصادى والتربوى والثقافى والصحى والدفاع والامن وفى مجالات المواصلات والنقل .

فروع المنظمة :

جاءت المادة السابعة من الميثاق أن المنظمة تعمل على تحقيق اهدافها عن طريق الفروع الرئيسية الآتية :–

١ – مؤتمر رؤساء الدول والحكومات .

٢ – مجلس الوزراء .

٣ – الامانة العامة .

٤ – لجنة الوساطة والتوفيق والتحكيم .

٥ – اللجان المتخصصة .

وفروع المنظمة هذه تختلف عن الهيئات العامة بالامم المتحدة من حيث مركز كل فرع بالنسبة للفروع الاخرى. بينما تقف كل هيئة من هيئات الامم المتحدة العاملة من بعضها على قدم المساواة نجد أن الامانة العامة لمنظمة الوحدة الافريقية تخضع لمجلس وزراء الخارجية ، وهذا المجلس بدوره يخضع لمؤتمر رؤساء الدول والحكومات .

أولا : مجلس رؤساء الدول والحكومات :

ذلك هو « الجهاز الاعلى للمنظمة أى الهيئة العليا » كما نصت المادة الثامنة من ميثاق اديس ابابا. كذلك نصت المادة التاسعة على أن المؤتمر أو المجلس يتكون من رؤساء الدول أو الحكومات ومن ممثليهم المعتمدين . وذلك لضمان تكوين المجلس من افريقيين وتجنب الصعاب التى قد تنشأ فى حالة اذا ماكان رئيس الدولة غير افريقى .

ويجتمع المجلس مرة على الاقل كل عام فى دورة عادية. وقد كانت أديس ابابا مكانا لاجتماع المجلس وصدور الميثاق دون أن يحدد الميثاق مكانا للاجتماع والى ذلك يصير تحديد مكان آخر للاجتماع من اختصاصا المجلس نفسه من جهة أخرى يمكن دعوة المجلس الى الاجتماع فى دورة غير عادية اذا طلبت احدى الدول الاعضاء ذلك ووافقت اغلبية الدول الاعضاء على ذلك .

ويشترط لصحة الاجتماع أن يحضره ثلث الاعضاء على الاقل . ولكل دولة بالمجلس صوت واحد وتصدر القرارات باغلبية ثلثى الاعضاء بالمنظمة أما القرارات الخاصة بالاجراءات فتتم بالاغلبية ويتم الفصل فيها اذا كان القرار موضوعيا أو جزئيا بالاغلبية كذلك . (مادة ٩ ، ١٠) .

وبالنسبة لصلاحيات المجلس وعلاقاته بالفروع الاخرى:

١ – المجلس ينسق السياسة العامة للمنظمة أى يضع الخطوط العريضة لسياسة المنظمة ويعهد الى مجلس وزراء المنظمة بتنفيذها .

٢ – كذلك يوافق المجلس على قرارات مجلس الوزرا ء.

٣ – للمجلس الحق فى انشاء هيئات فرعية جديدة واعادة النظر فى تكوين جميع الهيئات العامة بالمنظمة ووظائفها واوجه نشاطها وكذلل بالنسبة لأى وكالات متخصصة يتم انشاؤها وفقا للميثاق . أي أن هذه الهيئات العامة كلها ماهى الا اجهزة تابعة للمجلس .

وقد عهدت المادة ٢١ من الميثاق الى التوصية بانشاء لجان متخصصة هى :

- اللجنة الاقتصادية والاجتماعية .

- لجنة الصحة والرعاية الصحية والتغذية .

- لجنة علمية وفنية للابحاث .

- لجنة التوجيه والثقافه .

- لجنه الدفاع .

٤- فيما يتعلق بالهيئات العامة بالميثاق يمكنها اضافة هيئات اخرى عاملة اليها مما يدخل فى نطاق تعديل للميثاق ذاته، فيمكن للمجلس ان يقوم بذلك بعد اتباع الخطوات التالية (طبقا للمادة ٣٣ من الميثاق) .

- تتقدم الدولة العضو الراغبة فى التعديل بطلب كتابى بذلك الى الامين العام.

- يخطر الامين العام الدول الاعضاء بهذه الرغبة .

- يمر عام على تاريخ ذلك الاخطار .

- بعد ذلك ينظر المجلس فى أمر هذا الطلب الذى يعتبر ساريا بعد موافقة ثلث الدول الاعضاء على الاقل .

ثانيا : مجلس وزراء الخارجية :

يتكون من وزراء خارجية الدول الاعضاء فى المنظمة أو أى وزراء اخرين تعينهم حكومات الدول الاعضاء (المادة ١٢) . ومن الملاحظ أن اعضاء هذا المجلس جميعا وزراء فى حكوماتهم بعكس مجلس الرؤساء الذى يصح أن تتفاوت مراكز اعضاءه .

ويجتمع هذا المجلس مرتين فى العام على الاقل ويصح أن يجتمع فى دورات غير عادية بناء على طلب أى دولة عضو وموافقة ثلثى اعضاء المنظمة . ولايصبح اجتماع مجلس الوزراء هذا قانونيا الا إذا حضره ثلثا اعضاء المنظمة عى الاقل .

ولكل دولة عضو فى المجلس صوت واحد ، وتصدر جميع القرارات بالاغلبية المطلقة (عكس الحال بالنسبة لمجلس الرؤساء) ومن ممارسة هذا المجلس لاعماله اتفق على أن المواد بالاغلبية المطلقة هى اغلبية الدول الاعضاء فى المجلس وليست اغلبية الحاضرين فقط .

وهذا المجلس مسئول امام مؤتمر رؤساء الدول والحكومات ، وعلى ذلك فهو يلى مجلس رؤساء الدول والحكومات أهمية فهو يقوم :

١ – بالاعمال التحضرية لاجتماعات المؤتمر .

٢ – يقوم بتنفيذ قرارات مؤتمر الرؤساء .

٣ – ينسق اوجه التعاون الافريقى طبقا لتوجيهات الرؤساء للدول والحكومات .

٤ – يتخذ القرارات التى تحقق الهدف من المنظمة .

٥ – يحاط علما بأية مسألة تحال اليه من المؤتمر .

ثالثا : الامانة العامة للمنظمة :

للمنظمة أمين عام ادارى يعينه مؤتمر رؤساء الدول والحكومات يقوم بادارة شئونها ويكون له أمين عام مساعد أو اكثر يعينهم ايضا مؤتمر لرؤساء الدول والحكومات. أما مهامه وشروط خدمته كذلك مهام مساعديه وشروط خدمتهم وغيرهم من موظفى الامانة العامة . فهذه كلها تكون وفقا لاحكام ميثاق المنظمة ووفق اللوائح التى يقرها مؤتمر الرؤساء .

وقد دار الجدل حول دور الامين العام للمنظمة هل يكون اداريا بحتا أم هل يمكنه أن يؤدى دورا سياسيا ودبلوماسيا؟ هذا الجدل دار فى نطاق المنظمة كما تناولته الصحافة الافريقية ايضا . فالمادة ١٨ من الميثاق قد اكدت الطابع الدولى للأمانة العامة حيث قالت :

١ – على الأمين العام وعلى الامانه العامة ألا يطلبوا أو يتلقوا عند قيامهم بواجباتهم تعليمات من أيه حكومة أو من أية سلطة خارجية عن المنظمة وعليهم الامتناع عن القيام بأي عمل قد يمس مراكزهم باعتبارهم موظفين دوليين

مسئولين امام المنظمة وحدها .

٢ - يلتزم كل عضو فى المنظمة باحترام الثقة الدولية البحتة لمستويات الامين الادارى وهيئة الموظفين وان يمتنع عن التأثير فيهم عند ممارستهم لمسئولياتهم .

نلحظ أن ماجاء بالمادة ١٨ خاصا بالصفة الدولية للامين العام انما هو منقول بأكمله مما جاء بميثاق الامم المتحدة . ولكن من ناحية اخرى وجد ان المادة ١٦ من ميثاق منظمة الوحدة الافريقية تشرح وظيفة الامين العام بانها ادارية وبذلك فيما وصفته بأنه الأمين العام الادارى» بالاضافة الى ذلك فقد نصت المادة ٣١ عل أن موظفى الامانة العامة يتمتعون بحصانات ومزايا يقرر مجلس الوزراء مداها فى اقاليم الدول الاعضاء .

على أيه حال ، وكما نرى فانه من العسير على امين المنظمة أن يلتزم باتجاه واحد ادارى أو سياسى و انما يبدو أنه من تأديته لدوره فى خدمة المنظمة وتحقيق اهدافها سواء فى المجال الادارى و السياسى والدبلوماسى رغم أن الدول الافريقية قد فصلت أن يقتصر عمله على الناحية الادارية .

رابعا: لجنة الوساطة والتحكيم :

نصت المادة ١٩ من ميثاق المنظمة على انشاء لجنة الوساطة والتحكيم وذلك تحقيقا لتعهد الدول الاعضاء بتسوية جميع المنازعات التى تنشأ بالوسائل السلمية . واشارت المادة أيضا الى مهام اللجنة وتحديد شروط العمل فيها ، يكون بمقتضى بروتوكول يوافق عليه مؤتمر رؤساء الدول والحكومات ويكون هذا البروتوكول جزء من ميثاق المنظمة .

ويبدو من ورود ترتيب هذه الهيئة فى الميثاق كرابع الهيئات العامة فى المنظمة ، أن المنظمة قد اسندت دورا ثانويا الى هذه اللجنة وان الدول الافريقية تميل الى حل مشاكلها بالاتصال والمفاوضات المباشرة .

على أية حال فقد كون موتمر وزراء الخارجية المنعقد فى دكا فى عام ١٩٦٣ لجنة خاصة لوضع بروتوكول منفصل للجنة الوساطة والتحكيم واقر موتمر

رؤساء الدول والحكومات فى دورته التى عقدها فى القاهرة (عام ١٩٦٤) هذا البروتوكول . ويقضى هذا البروتوكول بتشكيل اللجنة من ٣١ عضو يختارهم مؤتمر الرؤساء من بين ذوى الكفاية الذين ترشحهم حكوماتهم ، ويكون التعيين لمدة خمس سنوات وتعيين رئيس اللجنة ونائبيه بواسطة مؤتمر الرؤساء ومن الرئيس والنائبين له يتكون مكتب اللجنة وهذه اللجنة تقوم بتسوية المنازعات التى قد تنشأ بين اعضاء المنظمة . وتقوم اللجنة بتقديم حلول للنزاع اذا ما طلب منها ذلك اطراف النزاع أو دولة الطرف فى النزاع ، أو مجلس الوزراء أو مجلس المنظمة . كذلك يشير البروتوكول الى ثلاث طرق لتسوية النزاع بطريقة سلمية هى الوساطة او التحقيق او التحكيم .

خامسا : اللجان المتخصصة:

نصت المادة ٢١ من الميثاق على انشاء مثل هذه اللجان واشارت الى خمس منها أوردناها عند الكلام عن مؤتمر الرؤساء

وتكون كل لجنة من هذه اللجان المتخصصة (مادة ٢١ من الميثاق) من الوزراء المعينين أو من وزراء اخرين أو من مفوضين تعينهم حكومات الدول الاعضاء نلحظ أن النص على تكوين هذه اللجان على مستوى الوزراء يقوى من قراراتهما، وعلى العكس حينما يكون اعضائهم من غير الوزراء مثلما حدث عن اجتماع هذه اللجان بعد تكوين المنظمة مباشرة فقد كانت قرارات اللجان مجرد توصيات للدول الاعضاء وفى حاجة بالتالى الى موافقة من مجلس وزراء المنظمة

ونلحظ انه بناء على المادة ٢٠ من الميثاق ينشئ موتمر رؤساء الدول والحكومات اللجان المتخصصة التى يرى ضرورة انشائها، فقد تم انشاء بعض اللجان المتخصصة الأخرى مثل لجنة تنسيق المعونة للحركات التحريرية فى افريقيا ، ولجنة النقل والمواصلات.

وفى يوليو عام ١٩٦٤ وبعد عام تقريبا من عمر المنظمة الافريقية يجتمع فى القاهرة ملوك ورؤساء الدول الافريقية المستقلة، وذلك تطبيقا لميثاق الوحدة الذى ينص على اجتماع المؤتمر مرة على الأقل كل عام بناء على طلب اية دولة عضو

وبموافقة اغلبية الدول الأعضاد (المادة التاسعة) وفى هذه الدورة (١٧-٢١) كما يقول البيان المشترك، تولى المؤتمر بحث الاساليب والوسائل اتى تؤدى الى تدعيم التعاون داخل القارة الافريقية وذلك فى مجال المحاولات التى تبذل للوصول الى الهدف الاسمى وهو تحقيق التضامن والوحدة الافريقية . وقد اصدر المؤتمر قراراته وهى تتناول تصفية الاستعمار والتفرقة العنصرية ومساعدة حركات التحرير ودعم الوحدة الافريقية والطرق التى تؤدى الى كل ذلك . وفى المؤتمر تم البناء النهائى لمنظمة الوحدة الافريقية واختيرت العاصمة الاثيوبية مقرا لها كما تم اختيار سكرتير عام المنظمة من غينيا .

ومازالت المنظمة تؤدى دورها فى خدمة قضايا الشعوب الافريقية حتى وقتنا الحاضر بعد أن انضمت اليها الدول الافريقية التى حصلت على استقلالها وكانت «جمهورية إريتريا» هى احدث الدول التى انضمت الى المنظمة فى الآونة الأخيرة ، كما أختير الرئيس محمد حسنى مبارك رئيسا للمنظمة للمرة الثانية فى المؤتمر التاسع والعشرين للقمة الافريقية فى يونيو ١٩٩٣ ، ويعبر ذلك عن أهمية الدور الذى تقوم به مصر ورئيسها فى دعم المنظمة وتحقيق أهدافها .

الخاتمة

المتغيرات الدولية فى العام المعاصر
فى
إطار النظام الدولى الجديد

الخاتمـــة

المتغيرات الدولية فى العالم المعاصر

فى

اطار النظام الدولى الجديد

تجدر الاشارة – بعد أن إستعرضنا العلاقات الدولية والمنظمات العالمية والاقليمية فى التاريخ الحديث والمعاصر – أن خريطة العالم التى بدأت ترسم بعد التحولات الجسيمة التى جرت مؤخرا فى مجموعة الدول الاشتراكية وعلى رأسها الاتحاد السوفييتى السابق ليست الصورة النهائية للتقسيم السياسى للعالم، والواضح ان خريطة العقد الاخير للقرن العشرين لاتزال تحت الاعداد ، وانها ستختلف كثيرا عن تلك الخريطة التى درسناها وعرفناه عن مرحلة مابعد الحرب العالمية الثانية ، ويمكن ان نرجح انها ستكون خريطة غير متوازنة تعكس خللا فى توزيع مراكز القوى المختلفة فى عالمنا المعاصر (١).

ومن الملاحظ أن عالم القرن العشرين قد شهد استمرار إدخال التعديلات على خريطته السياسية ، مرة بعد تحرر كثير من البلاد من نيـر الاستعمار، واخرى بعد نشوء صراع اجتماعى داخل عديد من الدول، وان كان التغييران الكبيران لخريطة العالم السياسية قد حدثا عقب كل من الحربين العالميتين الاولى والثانية ، عندما أرادت الرأسمالية الصناعية الاحتكارية الكبيرة اعادة تقسيم العالم والمستعمرات فيما بينها على اننا نشاهد حاليا تغييرا كبيرا يحدث لخريطة العالم، يصل الى حجم التغييرين اللاحقين للحربين العالميتين الاولى والثانية، ولكن دون اللجوء الى اعلان او قيام حرب عالمية ثالثة ، بالرغم من حجم وتنوع السلاح المستخدم ،

---

(١) طه عبد العليم(دكتور) وآخرون انهيار الاتحاد السوفييتى وتأثيراته على الوطن العربى ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام القاهرة ١٩٩٢ ص ٥

وبالرغم من كم القتلى و المشردين والنازحين ، وخطورة التغيير الجارى الآن هو أنه يقسم العالم الى كتلتين من نوع جديد ، الاولى تتجه الى التوحد والتكامل بما يعنى ذلك من فرص للنمو والتطور ، والثانية : تتجه الى التمزق والتفتت بما يعنى ذلك من فرص للضعف وللاستمرار فى التخلف .

فبالنسبة للكتلة الاولى فهى تتمثل في أوربا الموحدة ذات الثقل الاقتصادى والبشرى، كما تتمثل فى التجمع الجديد المكون من كندا والولايات المتحدة الامريكية والمكسيك والذى بدأ بعد توقيع اتفاقية امريكا الشمالية للتجارة الحرة .

أما الكتلة الثانية فهى تلك التى تضم دول الجنوب بكل مشاكلها العرقية والدينية والتى تعانى من صراعات داخلية تعرضها للانشطار والانقسام. أضيف اليها بقايا مجموعات الدول الاشتراكية القديمة والتى تتجه هى الاخرى الى الانشطار والانقسام. والذى يهمنا نحن ابناء دول الجنوب والمنتمين الى الكتلة الثانية هو ذلك التكاثر البشع للبؤر المتحاربة فى عالمنا الجنوبى لاسباب عرقية ودينية تقف شعوبنا فى مواجهة بعضها البعض مستخدمة السلاح باسلوب لا انسانى ومصممة على تأكيد هويتها العرقية مهما كان الثمن الذى يدفعه المواطن ومهما كان الثمن الذى يدفعه الوطن من الوحدة والسيادة او الدور التحررى المنوط به والامثلة كثيرة ومنها:

الصومال : بعد سقوط نظام حكم سياد برى انطلقت القبائل الصوماليه المنتمية الى الدين الواحد تتصارع مع بعضها وتسعى الى تمزيق البلد الافريقى الذى اشتهر قديما بانه احد مصادر ومراكز تجارة اللحوم الحمراء . والتهم الصراع كل اخضر ويابس معرضا الشعب الى مجاعة قد تزيله من الخريطة الانسانية .

أفغانستان: بعد سقوط نظام نجيب الله شنت القبائل المجاهدة والمنتمية الى الدين الواحد الحرب على بعضها البعض غير مكترثة بنتائج الصراع الدموى وتأثيره على وحدة الوطن الذى استمرت القبلية تضعفه وتقف دون تطوره.

السودان: لاتزال الصراعات الدينية والعرقية تقف دون تفاهم جنوبيه مع شماله وبالتالى دون قيام اى تطور يدعم من وحدة تراب الوطن ورخاء المواطن

العراق : بوابة العرب الشرقية ، التى تتحدث عنها الاذاعات الاجنبية على انها مجرد خطوط عرض يقولون«خط عرض ٣٦ فما فوق» ،هو الجزء الكردى البترولى الاول ثم «خط عرض ٣٢ فما تحت» هو الجزء الشيعى البترولى الثانى. وكان العراق الذى نعرفه هو مجرد بغداد وفيما بين الخطين وهى المنطقة غير البترولية .

الهند: بدأ التحرك فى صفوف قوميتين . فى كشمير ثم فى البنجاب فى حالة نجاح واستكمال الانسلاخ سوف تتعرض الهند كلها الى التمزق لتعدد قومياتها وأديانها.

الاتحاد السوفييتى: تفتت الاتحاد السوفييتى الى دولتين كبيرتين. روسيا وأوكرانيا، ثم الى عدة دويلات . وفى داخل هذه الدويلات والدول تتحرك القوميات الاصغر ساعية الى الاستقلال ، يحدث ذلك الان فى ناجورنو كاراباخ وابخازيا ولايمكن الآن تصور مستقبل ال١٢٣ قومية التى كانت تعيش قبلا فى اطار الاتحاد السوفييتى هلى ستستمر فى حدود دوله ودويلاته ام انها ستسعى هى الاخرى الى الانشطار !؟

أوروبا الشرقية: تم الاتفاق على انفصال التشيك عن السلوفاك . مما ينذر بتحول الاتحاد التشيكوسلوفاكى الى دولتين ، دولة تشيكية واخرى سلوفاكية.

والآن يدور الصراع غير الحضارى بين قوميات الاتحاد اليوجوسلافى القديم ومن المؤكد ان انشطاراً واسعا سيتم فى صفوف قومياته مقسما إياها الى دولة كبيرة نسبيا وآخريات صغيرات أي دويلات ومن بينها البوسنة والهرسك .

إن هذا الصراع المسلح الذى يجرى الان بين شعوب الجنوب والذى تستخدم فيه كميات وأنواع من السلاح – لاتدرى هذه الشعوب، ولاندرى نحن، من أين أتت ومن أين ستأتى فى المستقبل – سيؤدى فى النهاية الى خلل فى التوازن فى الخريطة السياسية للعالم، ستنشأ فى النهاية كتلة اقتصادية بشرية نصفها فى أوروبا ونصفها فى أمريكا الشمالية تملك مختلف الامكانات وبالتالى تمتلك القدرة على التأثير. وفى المقابل كتلة أخرى مكونة من دول ودويلات تفتقد الى الامكانات

الغذائية وتفتقر الى إرادة التعاون والتكامل وبالتالى لاتمتلك إلا حالة ووضع التأثر بالغير، وهو الغير الاقوى الموجود فى الكتلة الاولى .

فالاتحاد السوفييتى السابق الذى امتلك يوما ما امكانات ذاتية هائلة ساعدته على خلق التوازن، قد تفتت الى كيانات متعددة، منها دولة أوكرانيا التى تزرع القمح، وأوزبكستان التى تزرع القطن، وأذربيجان التى يستخرج منها البترول، وجورجيا التى تنتج الشاى والكروم، وروسيا الاتحادية التى تمتلك المعادن والصناعة والاتحاد التشيكوسلوفاكى الذى جمع فى يوم ما بين الزراعة المتطورة فى جانبه السلوفاكى والصناعة الثقيلة والتحويلية فى جانبه التشيكى سيصبح دولتين تستقل كل منهما بامكاناتها الزراعية والصناعية .

واذا كانت هذه هى النتيجة السلبية التى لحقت بتلك الدول والدويلات التى حققت شوطا بعيدا فى التقدم الاقتصادى نتيجة لخطط التنمية التى نفذت بها فترة سيرها فى طريق التحول الاشتراكى، فكيف لنا أن نتصور حجم النتائج السلبية التى ستلحق بهذه الدويلات الاخرى التى بدأت انقساماتها العرقية الدينية تظهر للعيان دون أن تحقق أى خطوات اقتصادية تنموية ، ثم كيف ستكون الحالة المستقبلية للصومال المقسمة او لأفغانستان المجزأة ، أو للعراق المنشطرة. إن مانخشاه أن تصبح هذه النماذج الانفصاليه مثالا تحتذى به القوميات العديدة فى دول أخرى كالهند او الصين على سبيل المثال ، وبذلك تزداد خريطة العالم إنعداما فى التوازن، بين كتلة تمتلك كل إمكانات التأثير وتقف فى جانب متربصة، وبين كتلة أخرى مجزأة مقسمة مكونة من مئات الدول والدويلات التى لاتستطيع مقاومة ومواجهة التأثير عليها، مما ينذر باعادة تقسيم العالم تقسيما ثالثا فى القرن العشرين الذى أوشك على الانتهاء .

علاقات مصر الدولية وسياستها الخارجية :

يهمنا فى خاتمة تلك البحوث عن تاريخ العلاقات الدولية والحضارة الحديثة أن نحدد الخطوط الرئيسية لعلاقات مصر الدولية وسياستها الخارجية وخاصة فى النصف الثانى من القرن العشرين أى اعتباراً من ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وحتى وقتنا الحاضر ، ولعلنا نجيب بذلك على تساؤلنا الدائم : أين نحن الآن من محيطنا الخارجى فى عالمنا المعاصر ؟

ونحن نرى من خلال تتبعنا التاريخى لتطور علاقاتنا الخارجية أنه عندما قامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، فقد كانت إفرازاً طبيعياً لكل المراحل السابقة ، ولذلك تبلورت اتجاهات المخلصين من أبناء شعبنا ، فى العمل على تحقيق المبادئ الستة ، التى أعلنتها الثورة فى بدايتها (١)، والتى انعكست على سياسة مصر الخارجية ، بتحديد ثلاث دوائر تنشط فيها ، كما ورد فى كتاب « فلسفة الثورة » ، دائرة عربية ، ودائرة اسلامية ، ودائرة إفريقية ، وانطلقت الثورة تحقق سياسة مصر الخارجية ، فى نطاق الدائرة العربية ، مرتكزة على دور جامعة الدول العربية ، التى كان لمصر الدورُ الأول فى تأسيسها ، فى عام ١٩٤٥ ورعايتها ، ومحاولة جعلها ذات تأثير فعال فى الساحة العربية والدولية ، وإن كان النجاح فى هذا السبيل لم يكن مستمراً ومؤثراً ، كما انطلقت الثورة تحقق سياسة مصر الخارجية ، فى نطاق الدائرة الاسلامية ، التى ستتبلور فيما بعد فى انشاء منظمة المؤتمر الإسلامى فى عام ١٩٦٩ . ثم كان انطلاق الثورة لتحقيق سياسة مصر الخارجية ، فى نطاق الدائرة الافريقية ، التى ستتبلور فيما بعد فى إنشاء منظمة الوحدة الافريقية فى عام

---

(١) تبنت الثورة ستة مبادئ هى :
١ - القضاء على الاستعمار وأعوانه.
٢ - القضاء على الاقطاع .
٣ - القضاء على الاحتكار وسيطرة رأس المال على الحكم .
٤ - إقامة جيش وطنى قوى .
٥ - إقامة عدالة إجتماعية .
٦ - إقامة حياة ديمقراطية سليمة .

١٩٦٣ (٣٢ دولة وأصبحت ٥٣ دولة) . ثم كان توجه مصر الى وحدة الشعوب النامية فى العالم ، بتكوين كتلة عدم الانحياز ، بدءا بمؤتمر باندونج عام ١٩٥٥ . بينما برزت سياسة مصر الخارجية ، ودورها الفعال ، على المستوى الدولى ، من خلال منظمة الأمم المتحدة ، التى انضمت اليها مصر عقب انشائها فى عام ١٩٤٥ ، وزادت فاعلية هذا الدور فى أعقاب ثورة يوليو ١٩٥٢ ، بحيث أصبح الباب مفتوحاً أمام مصر ، لاقامة علاقات متوازنة مع الشرق والغرب ، لإيجاد حل للقضية الفلسطينية ، التى أدمت قلوب المصريين بفشل حرب عام ١٩٤٨ ، التى أعقبت قيام إسرائيل . واذا كانت مصر قد شغلت بمعركتها ضد الاحتلال البريطانى ، منذ الغاء معاهدة ١٩٣٦ فى عام ١٩٥١ ، وبالعمل الفدائى فى منطقة القنال ، وبقيام ثورتها فى عام ١٩٥٢ ، حتى عقد اتفاقية الجلاء فى عام ١٩٥٤ ، فإنها لم تغفل عن قضية العرب الكبرى فى فلسطين ، رغم نشاطها فى قضية البناء الداخلى ، واقامة السد العالى ، التى كشفت موقف الغرب ، وأدت الى تأميم القناة وإن كان ذلك صائر لا محالة ، وانتهى الأمر بالعدوان الثلاثى على مصر فى عام ١٩٥٦ . وهنا نجحت السياسة المصرية الخارجية ، فى طرح قضايا مصر فى الأمم المتحدة ، مستفيدة من موقف القوتين الأعظم فى مجال الحرب الباردة للانتصار للقضايا المصرية ، بحيث يتم إبطال مفعول العدوان ، وأجبرت القوى المعتدية على الانسحاب ، دون أن تحقق غايتها . وساعد هذا النجاح مصر فى إقامة الوحدة مع سوريا واليمن بين عامى ١٩٥٨ و ١٩٥٩ مع تصاعد الفكر القومى العربى . ولكن الأوضاع المتناقضة وبعض الأخطاء أتت على هذه الوحدة ، ودخلت مصر فى حرب اليمن فى أعقاب انفصال سوريا فى عام ١٩٦٢ بحثا عن ميدان تنجح فيه ، وأملاً فى نهضة الشعب اليمنى ، وتخليصه من التخلف ، إلا أن ذلك كان له آثاره السلبية ، فى حرب عام ١٩٦٧ ، إلى جانب عوامل أخرى عديدة . ولهذا كان على السياسة الخارجية المصرية ، بعد عام ١٩٦٧ ، وأن تحشد التأييد الدولى لمصر ، وأن تمهد السبل الدبلوماسية لشراء السلاح ، الذى أصبح تعدد مصادره ، أمراً يحتمه موقف بعض القوى العالمية آنذاك ، بل إن دعوى اليأس قسّمت بعض البلاد العربية الشقيقة الى مؤيدو معارض، مما حمّل السياسة

الخارجية المصرية عبءً توضيح المواقف ، وجَذْبَ الأطراف ، وجمع التأييد المادى والمعنوى ، أثناء حرب الاستنزاف ، فى نهاية عهد الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، وفى بداية عهد الرئيس الراحل محمد أنور السادات ، وخاصة بعد كثرة إتهامات اللاحرب واللاسلم ، التى عانت منها القيادة المصرية فى ذلك الحين ، وإن كانت قد استثمرتها فى مفاجأة الاسرائيليين ، بل والعالم أجمع ، بالهجوم المصرى فى حرب أكتوبر المجيدة فى عام ۱۹۷۳ ، الذى كان رئيسنا الحالى محمد حسنى مبارك فى مقدمة مخططيه ومنفذيه . وشهد العالم العربى ، نتيجة سياسة مصر الخارجية فى جَمْع الصف العربى وحشده ، وجَمعْ التأييد الدولى لقضيةِ مصر العادلة ، بشكل لم يسبق له مثيل . ثم كانت مبادرة السلام ، التى اهتزلها العالم ، بزيارة الرئيس السادات للقدس فى ۱۸ نوفمبر ۱۹۷۷ ، خير إستثمار يمكن تحقيقه ، للانتصار العسكرى ، من أجل انتصار سياسى بعيد المدى ، تستعيد مصر من خلاله ، كل شبرٍ من أراضيها الحرة ، ليتحقق من بعد ذلك السلام إن الرئيس السادات نفسه لم يكن يتصور ما أحدثته هذه الزيارة فى الكرة الأرضية كلها، فقد ترك الناس أعمالهم ، وجلسوا أمام شاشات التلفزيون ، يرقبون هذا الحدث التاريخى الهام ، لقد قال الفيلسوف الوجودى سارتر : إن نزول السادات الى القدس أخطر من نزول أول إنسان علي سطح القمر ، وقال الأديب الأمريكى آرثر ميللر : لم يستطيع إنسانٌ فى الدنيا قبل السادات ، أنَ يَحلّ أزمة تاريخية معقدة فى خطوة واحدة ، إن رجلا أعْزل ، مثل السادات ، قد استولى على شعبٍ مدجج بالسلاح . ورغم ماعبَّرت عنه زيارة الرئيس السادات للقدسّ ، من رغبة مصر فى تحقيق السلام ، إلا أنها تؤكد أن القضية الفلسطينية ، وحق الشعب الفلسطينى فى إقامة دولته ، تُعد هدفاً أساسياً فى سياسة مصر الخارجية ، وهذا ما أوَضَحه الرئيس السادات ، فى خطابه التاريخى أمام الكنيست ، فى ۲۰ نوفمبر ۱۹۷۷ ، اذ قال : « أن المشكلة ليست مشكلة مصر واسرائيل .. إن أى سلام منفرد بين مصر واسرائيل لن يقيم السلام الدائم ، بل أكثر من ذلك فانه حتى لو تحقق السلام بين دول المواجهة كلها واسرائيل ، بغير حل عادل للمشكلة الفلسطينية ، فإن ذلك لن يحقق أبداً السلام العادل الدائم ، الذى يُلحُّ العالمُ كُله اليوم عليه » .

« إن قضية شعب فلسطين ، وحقوق شعب فلسطين المشروعة ، لم تعد اليوم موضع تجاهل أو إنكار من أحد ، وحتى الولايات المتحدة الأمريكية – حليفكم الأول – اختارت أن تواجه الحقيقة والواقع ، وأن تعترف بأن للشعب الفلسطينى حقوقاً مشروعة ، وأن المشكلة الفلسطينية هى لُبُّ الصراع وجوهره .. إن السلام لا يمكن أن يتحقق بغير الفلسطينيين ،وإنه لخطأ جسيم ، لا يعلم مداه أحد ، أن نغض الطَّرفَ عن تلك القضية ، أو ننحيها جانباً » .

وبعد أن عقدت مصر معاهدة السلام مع إسرائيل ، فى السادس والعشرين من مارس ١٩٧٩ ، التى أُعتبرت خطوة فى إنهاء حالة الحرب القائمة فى الشرق الأوسط ، بين العرب واسرائيل ، فقد استمرت جهودُ الدبلوماسية المصرية ، من أجل تحرير كُلّ ذَرّة من تُراب مصر ، حتى نهاية عهد الرئيس السادات ، وبعد انتقال المسئولية الى الرئيس محمد حسنى مبارك ، الذى صرح فى حديث له إلى محطة تليفزيونية نُشر فى التاسع من أكتوبر ١٩٨١ بقوله « إننى أتبع نفس النهج ونفس الخط الذى اتبعه الرئيس السادات .. إننى اعتبر الفترة القادمة ستكون استمراراً كاملاً لما أنجزه الرئيس السادات بالفعل » وقد نجح الرئيس مبارك فى استكمال المسيرة ، وتحرير آخر شبر من أرض الوطن .

أهداف وتوجهات السياسة الخارجية المصرية المعاصرة :

لاشك أن مصر فى مرحلتها التاريخية المعاصرة فى عهد الرئيس محمد حسنى مبارك ، تنتهج سياسة خارجية متزنة تستثمر فيها كلّ الانجازات السابقة . ويبدو ذلك فى حرص مصر على مَدّ جسور الاتصال ، مع كافة القوى العالمية ، التى يضمها النظامُ الدولى الجديد ، وفى مقدمته الولايات المتحدة الأمريكية ، والدول الأوربية التى تمارس نشاطاً اتحادياً واضحاً ، فى المجالات السياسية والاقتصادية ، وقُوى الشرق الأقصى ، التى تسعى الى إحداث توازن جديد فى المنظومة الدولية ، بعد تفكك الاتحاد السوفييتى السابق ، وظهور الكومنولث الجديد ، كما تحرص على مد جسور الاتصال مع دول العالم الثالث ، فى كل من افريقيا وآسيا ، وأمريكا اللاتينية ، فى إطار مجموعة الدول الـ ٧٧ النامية ، والتى بلغت الآن ١٢٧ !

دولة ، وذلك فى إطار علاقاتها الثنائية من جهة ، وفى إطار منظمة الأمم المتحدة من جهةٍ أخرى ، كما تحرص مصر كل الحرص على مَدّ جسور الاتصال الوثيق كذلك ، مع أمتها العربية ، باعتبارها جزءاً منها من جهة ، ومن خلال جامعة الدول العربية ، ومع أمتها الاسلامية باعتبارها ركيزة ايجابية لها من جهة أخرى ، من خلال منظمة المؤتمر الإسلامى ، ومع الدول الافريقية وشعوبها ، من خلال منظمة الوحدة الأفريقية ، التى شهدت مصرُ مؤخراً إحتفالها بمرور ثلاثين عاماً على انشائها ، وتُوِّج ذلك باختيار الرئيس محمد حسنى مبارك رئيساً للمنظمة للمرة الثانية ، تعبيراً عن دورِ مصر الرائد فى تحقيقِ أهدافها ، وثقةً فى حسنِ قيادة الرئيس مَبارك لأعمالها .

وتتسم سياسة مصر الخارجية الحالية بأنها سياسةٍ واقعية ، تقوم على أساسٍ من الموضوعية ، وترتكز على مبادئ ومفاهيمَ واضحة . كما تلتزم مصرِ فى تعاملها مع كافة الأطراف والمواقف والقضايا بالوضوح والثبات ، الأمر الذى يُسهم فى تأكيد ودعم مكانة مصر الدولية ، ومحورية دورها ، وامتداد قدرتها على التأثير الفعالَ فى سير الأحداث ، سواءٌ بالنسبة للقضايا العربية والاسلامية ، والافريقية والدولية ، وغيرها من القضايا ، التى تُحتم المصلحةُ القومية ، أن تكونَ فى مقدمةِ أولويات العمل السياسى الخارجى .

وفى هذا الإطار عملت السياسة المصرية الخارجية على بلورة رُؤية متكاملةٍ ، بشأن كيفية تشكيل وإرساء دعائم نظامٍ دولىٍ جديد ، وإعادة ترتيب أوضاع الأمن والسلم فى منطقة الشرق الأوسط ، وانطلاقا من أن هذا النظام ليس مسئولية دولة واحدة ، أو مجموعة واحدة من الدول ، بل هو مسئولية الجميع فى الشمال والجنوب ، وفى الشرق والغرب ، كما يجب أن يكون فى صالح الجميع ، حافظاً على حقوق الجميع ، على حد تعبير السيد عمرو موسى وزير الخارجية المصرية فى كلمته أمام الأمم المتحدة ، فى ٢٩ سبتمبر ١٩٩١ .

لقد حرصت مصر فى علاقاتها الخارجية ، على أن يكون موقفها فاعلاً ، وليس رَدّ فعلٍ للأحداث ، وهذا ما جَعلها تقف صامدةً ، أمام موقف شقيقاتها

العربيات ، إزاء مبادرة السلام ، وانعكاس هذا الموقف على نقل مقر جامعة الدول العربية الى تونس ، ثم عودته الى القاهرة ، بعد أن تبينت تلك الدول الشقيقة ، ما فقدته من إنعزالها عن مصر .

وعندما حاول النظام العراقى كسب تأييد مصر ، أوعلى الأقل تحييدها ، حتى تترك له حرية التصرف فى منطقة الخليج ، من خلال إنشاء « مجلس التعاون العربى » ، وإن كان هذا المجلس قد اختفى تماماً من الساحة السياسية والعسكرية والاقتصادية ، بمجرد بدء حرب الخليج فى الثانى من أغسطس عام ١٩٩٠ ، فان مصر ، وهى قلب العروبة النابض ، لم تترد لحظة فى التصدى للعدوان الغاشم ، بارسال قواتها المسلحة لتحرير الكويت ، والدفاع عن أمن الخليج والجزيرة العربية ، إعمالاً لاتفاقية الدفاع العربى المشترك ، ثم كان اشتراك مصر فى إعلان دمشق بعد ذلك ، تعبيراً عن استعدادها للقيام بدورها الفعال فى أمن الخليج ، بل إن مصر عبّرت عن رفضها للغزو الإيرانى ، لجزر أبى موسى ، وطنب الكبرى والصغرى ، ومحاولة إيران فرض هيمنتها على دول الخليج العربى ، كما قامت مصر بدور الوساطة لحسم مشكلات الحدود ، بين المملكة العربية السعودية وقطر ، حتى عقد اتفاقية الحدود بين الدولتين فى ٢١ ديسمبر ١٩٩٢ وانقاذ مجلس التعاون لدول الخليج العربى .

أما بالنسبة لعلاقة مصر بالسودان وهى علاقة تاريخية ومصيرية ، مما جعل التكامل بين البلدين فكرة عملية ومنطقية ، وقّعها النظام السابق فى السودان عام ١٩٨٢ ، واعتمدها النظام القائم حالياً . غير أن موقف السودان تغير ، بعد أزمة الخليج ، وأثار بعدها إدعاءه فى حلايب ، رغم تبعتها الكاملة لمصر ، على نحو ما تؤكدة إتفاقية الحكم الثنائى فى عام ١٨٩٩ . حتى كان لقاء الرئيس مبارك مع الرئيس البشير ، فى المؤتمر التاسع والعشرين للقمة الافريقية ، فى يونيو ١٩٩٣ حيث اتفق الرئيسان على وضع حد لسحابة الخلاف ...

لقد صرح الدكتور أسامة الباز مدير مكتب الرئيس للشئون السياسية لجريدة الأهرام مؤخراً ، أن لمصر دوراً بارزاً فى المرحلة الحالية ، سواء على المستوى

بالتعامل مع نوعية محددة من القضايا الجديدة والهامة ، التى أصبحت تدخل فى نسيج العلاقات الدولية فى المرحلة الراهنة ، بالاضافة الى الاهتمام بفصل الادارات القائمة ، على أساس جغرافى دقيق ، وكذلك إنشاء إدارات متخصصة لخدمة مصالح المواطن المصرى ، كما برز اهتمام واضح بتحقيق درجة أكبر من التنسيق والترابط ، مع باقى أجهزة الدولة والمراكز المتخصصة ، والقيادات الأكاديمية والفكرية .

وقد اشتملت عملية إعادة تنظيم وزارة الخارجية المصرية على أربعة عناصر رئيسية ، تتمثل فى :

أولاً : إنشاء إدارات جديدة تختص بقضايا سباق التسلح ، والبيئة ، والأرهاب ، والتنمية ، والمديونية ، وعدم الانحياز ، وحقوق الانسان ، والأمم المتحدة ،وجامعة الدول العربية ، ومنظمة الوحدة الأفريقية ، بحيث خُصِّصت إدارةٌ لكلٍ من هذه القضايا والمنظمات .

ثانياً : إضفاء المزيد من التخصص على الادارات القائمة المستندة أساسا الى التقسيم الجغرافى ، فقُسِّمت الادارة العربية الى : إدارة المشرق العربى ، إدارة المغرب العربى ، إدارة مجلس التعاون الخليجى ، إدارة السودان وليبيا ، بحيث يُصبح هدف ادارة السودان وليبيا هو المتابعة الفورية واللصيقة ، لكافة التطورات الحادثة ، فى مسار العلاقات معها . وفيما يتعلق بالدائرة الأوربية ، جرى إنشاء ادارة منفصلة للجماعة الأوربية ، وذلك بعد أن كانت فيما سبق ادارة غرب أوربا ، الأمر الذى يتواكب عمليا مع ازدياد ثقل الجماعة الأوربية ، وتنامى دورها المستقل مع العالم الخارجى، كوحدة منفصلة عن كل دولة أوربية على حده ، مع الإبقاء فى نفس الوقت على ادارة غرب أوربا للتركيز على التعامل مع الدول الاوربية الغربية ، كدول منفردة ، وكذلك الوضع بالنسبة لادارة شرق أوربا . أما بالنسبة للدائرة الافريقية ، فقد أصبح هناك فى التنظيم الجديد إدارة افريقية ، وادارة لشئون المنظمات الافريقية. وبالاضافة الى ما سبق تم أيضا إنشاء ادارة خاصة بالمتحدث الرسمى للوزارة ، للتعامل المباشر مع الصحافة ، والاعلام الوطنى والأجنبى ، للرد بالسرعة اللازمة

على أسئلة واستفسارات الرأى العام ، إزاء الموقف المصرى ، من الأحداث الجارية ، وفى تطور لاحق ، جرى تجميع التخصصات فى إدارات ، تجمعها قطاعات متجانسة ، يشرف على كل منها مساعدٌ لوزير الخارجية وأمين عام الوزارة . وتشتمل القطاعات المكوِّنَة للنظام الجديد على : التعاون الدولى ، الشئون القنصلية، ومجلس الشعب والشورى ، والشئون الأمريكية ، والشئون الآسيوية ، والشئون الأوربية ، والشئون المالية والادارية ، والشئون العربية والشرق الأوسط ، والشئون الافريقية .

ثالثاً : الاهتمام بتطوير قدرات الدبلوماسى المصرى ، فقد أدت التغيرات الدولية المتلاحقة ، الى زيادة الطابع الفنى والمتخصص ، للقضايا التى يتعامل معها الدبلوماسى فى عالم اليوم ، مما يتطلب توافر عناصر التخصص والثقة ، وامتلاك المعلومات الدقيقة فى مجال التخصص . وعلى هذا الاساس ، أعطى التنظيم الجديد لوزارة الخارجية ، أهمية كبيرة ، لتطوير دور معهد الدراسات الدبلوماسية ، التابع للوزارة ، والمكلف أساساً بإعداد الدبلوماسيين الجدد ، حيث جرى إدخال عدد من اللغات الحية ، الى مواد الدراسة فى المعهد ، على أن يختار منها الدبلوماسى الشاب، ما يرغب فى دراسته ، مع إدخال برامج دراسية للكومبيوتر ، وتنظيم ندوات سياسية واقتصادية ، وعلمية وأدبية ، يحاضر فيها المتخصصون والخبراء ، فى كافة القضايا الراهنة ، لتكريس المتابعة والمعرفة الشاملة ، لدى الدبلوماسيين الجدد.

رابعاً : تكثيف الروابط مع باقى أجهزة الدولة والمراكز المتخصصة ، بما يساعد عى تضافر جهود الدبلوماسيين ، العاملين فى وزارة الخارجية ، مع الخبرات الفكرية والاكاديمية من خارج الوزارة . ولذلك اهتم التنظيم الجديد لوزارة الخارجية، بايجاد عدد من الآليات ، لضمان استمرار العمل من خلال الجهد الجماعى ، واعطائه طابعاً مؤسسياً . وقد إتخذت هذه الآلية المؤسسية ، ثلاثة أشكال محددة : المجلس الاستشارى ، واللجان ، والتعاون مع مراكز الابحاث ، ويضم المجلس الاستشارى لشئون السياسة الخارجية ، نخبة من الأكاديميين ، والدبلوماسيين السابقيين ، وكبار الكتاب ، لتقديم المشورة الى وزير الخارجية ، فيما

يتعلق بالسياسة الخارجية ، أو قضايا محددة ، يتم إتخاذ قرار بشأنها . أما اللجان ، فان التنظيم الجديد للوزارة ، يأخذ بها، عند التعرض بصفة خاصة ، لبعض القضايا، ذات الطابع المؤقت ، وتتشكل اللجان ، فى مثل هذه الحالات ، من المختصين ،سواء كانوا من داخل الوزارة ، أو خارجها ، وأخيراً فان التنظيم الجديد للوزارة ، إهتم بفتح قنوات مباشرة للتعاون ، مع مراكز الابحاث المعنية ، بقضايا السياسة الخارجية، والتعاون معها ، لترشيد عملية صنع القرار .

وبشكل عام ، فقد ترافق هذا التطوير التنظيمى مع بروز عدد من الدلائل ، على حدوث تطور فى القيم الحاكمة ، للعمل الدبلوماسى المصرى ، لاسيما فيما يتعلق ، بالعمل على الخلاص من الطابع البيروقراطى الجامد لعملية صنع وتنفيذ قرار ، السياسة الخارجية المصرية ، والنزوع والابتعاد عن المثالية الساسية(١)، والاستناد بدلاً من ذلك ، على قدر أكبر من الواقعية والعملية فى السلوك الخارجى المصرى والسياسة الخارجية المصرية .

وفى ختام دراستنا هذه ، ينبغى أن نؤكد ، على أن السياسة الخارجية المصرية، لها قيمتها النبيلة ، التى تضرب فى أعماق نضال الشعب المصرى عبر تاريخه العريق، كما أن انتماءه لأمته العربية والاسلامية ، ولقارته الافريقية ، ولعالمه الكبير، وللحضارة الانسانية بأكملها ، ليس موضع تنازع كقيمة سامية فى كيانه . أن واجب كل مصرى حريص على تأكيد استقلال بلاده ، وسيادتها ، ودعم دورها فى العالم من حولها ، أن يكون له دوره المعطاء المخلص فى كل موقع من مواقع الأنتاج كما أن عليه أن يشترك فى صياغة خلاقة للحلول ، التى يمكن أن نواجه بها معضلات الحركة فى العالم المعاصر لتحقيق مزيد من الاستقرار ، والتقدم والرفاهية ، لكل فرد من أبناء شعبنا العريق وأمتنا الخالدة

والله ولي التوفيق

---

(١) أنظر التقرير الاستراتيجى العربى لعام ١٩٩١ الذى أصدره مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام ، القاهرة ١٩٩٢ ، ص ٤٥٧

تحت رقم ٢٣٧٩ وهى منقولة من نسخة الميكروفيلم المحفوظ بمعهد المخطوطات العربية التابع لجامعة الدول العبرية الميكروفيلم مصور من نسخة مكتبة على زميرى باستانبول .

- يحيى الحسين بن لزمام القاسم بن محمد (ت ١١٠٠هـ ١٦٨٩م): أنباء أبناء الزمن فى تاريخ اليمن» مخطوطه محفوظة بدار الكتب بالقاهرة تحت رقم ١٣٤٧ تاريخ وتتناول عرض الاحداث منذ الهجرة النبوية حتى عام ١٠٥٦ هـ (٦-١٦٣٧م).

(جـ) بحوث ومؤلفات منشورة:

ابراهيم شحاته حسن (دكتور) : وقعه وادى المخازن فى تاريخ العرب ٩٨٦ هـ /١٥٧٨م قراة تاريخية عبر علاقات المغرب الدولية فى القرن السادس عشر الميلادى ، دار الثقافة - الدار البيضاء - ١٩٧٩ .

أطوار العلاقات المغربية العثمانية ، قراءة فى تاريخ المغرب عبر خمسة قرون (١٥١٠ - ١٩٤٧)، منشأة المعارف بالاسكندرية، ١٩٨١.

ابراهيم جمعه (دكتور) : الأطلس التاريخى للدولة السعودية، أصدرته دارة الملك عبد العزيز بالرياض تحت رقم (١١) .

ابراهيم على طرخان (دكتور) : مصر فى عصر دولة المماليك الجراكسه (١٣٨٢ - ١٥١٧)، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٦٠ .

اسماعيل سرهنك: حقائق الأخبار عن دول البحار، جـ٢ ، الطبعة الأولى ١٣١٤هـ

اسماعيل أحمد ياغى (دكتور) : الجذور التاريخية للقضية الفلسطينية، دار المريخ،

الرياض ١٩٨٣ .

أحمد حسين شرف الدين : اليمن عبر التاريخ ، من القرن الرابع عشر قبل الميلاد الى القرن العشرين، الطبعة الزولى ، مطبعة السنة المحمديه القاهرة، ١٩٦٣ .

أحمد مختار العبادى (دكتور) : دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس ، الأسكندرية ١٩٦٨ .

بانيكار، لك. م آسيا والسيطرة الغربية، تعريب عبد العزيز جاويد ومراجعة زحمد خاكى، دار المعارف بالقاهرة.

بدر الدين الخصوصى (دكتور) : دراسات فى تاريخ الخليج العربى الحديث والمعاصر ، منشر ذات السلاسل ، الكويت ١٩٨٤ .

بطرس بطرس غالى (دكتور) : الحركة الأفروآسيوية ، دارالكتاب الجديد ، القاهرة.

تومسن ، دافيد : تاريخ العالم من ١٩١٤ - ١٩٥٠ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٥٦

الجرافى : عبدالله بن عبد الكريم : المقتطف من تاريخ اليمن، مطبعة الحبى ، القاهره ١٩٥١ .

جيان: وثائق تاريخية وجغرافية وتجارية عن افريقية الشرقية، نقله الى العربية يوسف كمال، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٢٧ .

حسان على حلاق (دكتور) : موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية ١٨٩٧ - ١٩٠٩ ، الدار الجامعية ، بيروت ١٩٨٠ .

حسن صبحى (دكتور) : معالم التاريخ الأمريكى ١٤٩٢ -١٩١٧ ، دار النهضة الغربية ، بيروت ١٩٦٨

رينوفان ، بيير : تاريخ العلاقات الدولية ١٨١٥ - ١٩٤٥ ، تقريب الدكتور جلال يحيى ، دار المعارف ١٩٧٨ .

سعاد ماهر (دكتوره) : البحرية فى مصر الأ؛لامية وآثارها الباقية ، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر .

السيد رجب حراز (دكتور) : الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب ١٨٤٠ -١٩١٤ ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ١٩٧٠ .

السيد مصطفى سالم (دكتور) «الفتح العثمانى الأولى لليمن ١٥٣٨-١٦٣٥ ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهره ١٩٦٩

شارل ديل: البندقية جمهورية الارستقراطية ، تعريب أحمد عزت عبد الكريم وتوفيق اسكندر ، القاهره ١٩٤٨ .

شارل شومون : منظمة الأمم المتحدة ، ترجمة الدكتور جورج شرف ، منشورات عويدات بيروت - باريس ، الطبعة الأولى ١٩٨٦ .

صلاح العقاد (دكتور) : التيارات السياسية فى الخليج العربى ، مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة ، ١٩٦٥ .

: جزيرة العرب فى العصر الحديث ، معهد البحوث والدراسات العربية القاهرة ١٩٦٩ .

طه عبد العليم وآخرون : انهيار الاتحاد السوفييتى وتأثيراته على الوطن العربى ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام ، القاهرة ١٩٩٢ .

عائشة راتب (دكتورة) : المنظمات الاقليمية ، القاهرة عبد الحميد محمد الموافى (دكتور) : مصر فى جامعة الدول العربية دراسة فى دور الدولة الأكبر فى التنظيمات الاقليمية ١٩٤٥ - ١٩٧٠ .

عبد الحميد البطريق (دكتور) : التيارات السياسية المعاصرة ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٧٤ .

عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم (دكتور) : الدولة السعودية الأولى ١٧٤٥ - ١٨١٨ ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ١٩٧٦ .

عبد العزيز سليمان نوار (دكتور) : الشعوب الأسلامية ، دار النهضة العربية بيروت ١٩٧٣ .

: تاريخ العرب المعاصر ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٧٣ .

عبد العزيز محد الشناوى (دكتور) : أوروبا فى مطلع العصور الحديثة، مكتبة الانجلو المصرية، الجزء الأولى الطبعة الثالثة ، القاهرة ١٩٧٧ .

: الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها، ثلاثة أجزاء مكتبة الانجلو المصرية، القاهره ١٩٨٣ .

عبد الفتاح ابو عليه (هكتور) : الدولة السعودية الثانية ١٨٤٠ - ١٨٩١ م. مؤسسة الانوار بالرياض ١٩٦٩ م.

العقيلى ، محمد بن أحمدُ عيسى : تاريخ المخلاف السليمانى أو الجنوب العربى فى التاريخ ، جزآن ، الجزء الأول طبع بمطابع الرياض (١٣٧٨ هـ/١٩٥٨م)، الجزء الثانى طبع بمطابع دار الكتاب العربى بالقاهره (١٣٨٠ هـ/ ١٩٦١م) .

على صادق أبو هيف (دكتور) : موجز القانون الدولى العام ، الاسكندرية ١٩٦٠ .

عمر عبد العزيز عمر (دكتور) . دراسات فى تاريخ العرب الحديث ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٦ .

: تاريخ المشرق العربى ، دار النهضة العربية بيروت ١٩٨٤ .

فاروق عثمان أباظه (دكتور) : الحكم العثمانى فى اليمن ١٨٧٢ - ١٩١٨ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهره ١٩٧ .

: عدن والسياسة البريطانية فى البحر الاحمر، الهيئة المصرية العامه للكتاب ، القاهره ، ١٩٧٦ .

:سياسه بريطانيا فى عسير أثناء الحرب العالمية الأولى ، دار المعارف بالأسكندرية ١٩٧٨

: دراسه تاريخيه لقضايا الحدود السياسية للدولة السعودية بين الحربين العالميتين ، دار المعارف باسكنيدرية ١٩٨٧ .

: التنافس الدولى فى جنوب البحر الأحمر فى النصف الأول من القرن التاسع عشر، ندوة البحر الأحمر فى التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة ، أبحاث الأسبوع العلمى الثالث ١٠-١٥ مارس ١٩٧٩ .:سمنار الدراسات العيا للتاريخ الحديث بجامعة عين شمس ، القاهره ١٩٨٠ .

فلاح خالد على (دكتور) : فلسطين والانتداب البريطانى ١٩٣٩ - ١٩٤٠ ، المؤسسة الغربيه للدراسات والنشر ، بيروت ١٩٨٠ .

كريستوفر هيرولد : بونابرت فى مصر ، ترجمة فؤاد اندراوس ، القاهرة ١٩٦٧ .

محمد حرب عبد الحميد (دكتور) : مذكرات السلطان عبد الحميد ، ترجمة وتقديم وتحقيق وتعليق ، دار الوثائق ، الكويت .

محمد سامى عبد الحميد (دكتور) : مقدمة فى العلاقات الدولية ، دار المعارف بمصر، ١٩٦٩ .

محمد عبد العال احمد (دكتور) : اضواء جديدة على ملاح فاسكودى جاما، مجلة معهد الدراسات والبحوث الأفريقية بجامعة القاهرة ، العدد الخامس ١٩٧٦ .

: البحر الأحمر والمحاولات البرتغالية الأولى للسيطرةعليه، نصوص جديدة مستخلصة من مشاهدات المؤرخ اليمنى بامخرمه كما سجلها فى مخطوط « قلادة النحر» دراسة وتحقيق . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الأسكندرية ١٩٨٠ .

محمد عبد اللطيف البحراوى (دكتور) : فتح العثمانيين عدن وانتقال التوازن الدولى من البر إلى البحر ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ١٩٧٩ .

محمد محمود السروجى (دكتور) : سياسة مصر العربية فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، ثورة العسير ١٨٦٤ - ١٨٦٦ ، مجلة كلية الآداب بجامعة الأسكندرية ، المجلد التاسع ، ديسمبر ١٩٥٥ .

محمد محمود السروجى (دكتور) : سياسة الولايات المتحدة منذ الاستقلال الى منتصف القرن العشرين ، مطبعة المصرى بالاسكندرية ١٩٦٥ .

محمد مصطفى صفوت (دكتور) : الجمهورية الحديثة ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ١٩٥٨ .

محمود صالح منسى (دكتور) : الحرب العالمية الثانية القاهرة ١٩٨٩ .

مديحة أحمد درويش (دكتوره) : تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين ، دار الشروق بجده ١٤٠٥ هـ/١٩٨٥ م.

موضى بنت منصور بن عبد العزيز آل سعود (دكتوره) : الملك عبد العزيز ومؤتمر الكويت ١٣٤٢هـ/١٩٢٣-١٩٢٤م، مؤسسة تهامه ، جده ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

المليارى ، زين الدين المعبدى : تحفة المجاهدين فى بعض أحوال البرتكاليين نشرة داود لويس لشبونة ١٨٩٨ .

نعيم زكى فهمى (دكتور) : طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب، أواخر العصور الوسطى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٧٣ .

الهمدانى ، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب : صفة جزيرة العرب ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٩٥٣ .

الواسعى، عبد الواسع بن يحيى : تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم ،والحزن فى حوادث وتاريخ اليمن ، ط ٢ ، مطبعة حجازى بالقاهرة ١٩٤٧ .

وحيد رأفت (دكتور) : جامعة الدول العربية كمنظمة اقليمية ، القاهرة .

(ء) التقارير المنشورة :

- تقارير مكتب الاستعلامات التابع للأمم المتحدة بالقاهرة ، ١٩٧٠ -١٩٩٢ .
- التقرير الاستراتيجى العربى لعام ١٩٩١ الذى أصدره مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام - القاهرة ١٩٩٢ .

ثانيا : مصادر ومراجع باللغات الاجنبية

(أ) وثائق منشورة :

- Aitchison, C.U. : A Collection of Treaties, Engagements and Sanads relating to India and the Neighbouring Countries, 12 Vols., Calcutta 1982 .

- Hurewitz, J.C.: Diplomacy in the Near and Middle East, 2. Vols New York, 1956.

(ب) بحوث ومؤلفات منشورة :

- Alvarez, F.: Narrative of the Portuguese Embassy to Abyssinia during the years 1520-1527. Translated and Edited by lord Stanley of Alderly London, Haklyot Society, 1881.

- Athinson, W.C.: A History of Spain and Portugal, Pelican B. 1970.

-Coupland, R.: East Africa and Its invaders, Oxford, Clarendon Press, 1938.

-Denison, R.E.: The Portuguese in India and Arabia, J.P.A.S., Part L., January 1922.

- Epstein, N.: Early History of the Levant Company, London.

- Ferrand, D.: Le Pilote Arabe de Vasco de Gama et les instructions nautques des Arabes au XVe Siecle,

Annales de Societé Geographie, Paris, 1922.

- Fisher, H.A.L. : Histoire of Europe, London 1943.

- Graham, G.S., Great Britain in the Indian Ocean 1810-1850.

- Hammer, J.: Historie de I'Empire Ottoman, depuis son origine jusque'a nos jours; Tomes 18, Paris, 1836.

- Hoskins, H.L. British Routes to India, London, 1928.

- "The Growth of British Interest in the Route to India" Tufts Coll., Mass., U.S.A. Journal of Indiqn History, II.

- Howe, Sonia, E.: In quest of Spices, London 1946.

- Hunter, F.M.: An account of the British settlement at Aden, London, Turbner and Co., 1877.

- Jacb, H.F., Kings of Arabic, Landon, Mills and Boon, 1923.

- Johffnston, H.: History of the Colonization of Africa by Alien races, Cambridge, 1899.

- Jonquire, A.: L'Expedition d'Egypte, Paris.

- Kammerer, A.: La Mer Rouge, I Abyssinie et I'Arabie depius L,Anticuite. Le Caire, I'Imprimerie de I'Institut Francais d'Archeologic Orientale, Pour la Societe Royal de Geographie d'Egypte, 1929-1935.

- Lanczonowshi, G., The Middle East in World Affairs, Gornell Mniversity Press, New York 1962.

- Mandel, N., Turks, Arabs and Jewish immigration into Palestine, 1982 - 1914, St. Antony's Papers, No.17, 1965.

- Marston, T.E.: Britain's Imperial Role in the Red Sea Area, 1800 - 1878. The Shoe String Press, Inc. Hamden, Connecticut, U.S.A.

- Phillips, C.H. : The East India Company 1784-1834.

- Playfair, R.L.: A History of Arabia Felix or yemen, selections from the Records of the Bombay Government, New series, XLIX.

- Plowden, W.: Traverls in Abyssinia and the Galla Country, London, Longmans, 1868.

- Pratt, J.W., A History of United Staes Foreign Policy. Prentice Hall.

- Prestage: The Portuguese Pioneers, London, 1962 .

- Rabbath, E.: Mer Rouge et Golfe d'Aqaba dans evolution du Droit International, Societe Egypienne de Droit International, Janvier, 1962 .

- Reinsch , P., World Palitics at the End of of the Nineteenth Century as inflerenced by the Oriental Situation, New Yourk, 1900.

- Ross, E.D. : The Portuguese in India and Arabia between 1507-1517, Journal of the Royal Asiatic Society, London Part IV, October 1921.

- Sanger, R. H.: The Arabian Peninsula, Cornell Univ. Pr., New York, 1954.

- Serjeant, R.B.: The Portuguese off the Southe Arabian Coast, Hadrami Chronicles with yemeni and European Accounts of Dutch Pirates off Mocha in 17 the Century, Oxford, Clarendon Press, 1963.

- Strandes, J.: The Portuguese period in East Africa, Translated by Wallwork, Nairobi.

- Stripling, G. W.F.: The Ottoman Turks and the Arabs, 1511-1574, University of IIlionois Press, Uebans, U.S.A.

- Strong, A.: The History of Kilwa, Journal of the Royal Aslatic Society, London, 1895.

- Tryal, A., Les doctrines relatine aux relation international, R.G.D.I.P., 1965.

- Waterfield, G., Sultans of Aben, John Murray, London 1968.

- Wilson, A.T.: The Persian Gulf, London 1954.

- Ziada, M.M.: Foreign Relations of Egypt in the Fifteenth Century, 2 Vols. Liverpool 1930 .